

الْوَاسِطَةُ

﴿ في معرفة احوال مالطة ﴾

﴿ و ﴾

كشَفُ الْمَخْبِئَاتِ

﴿ عن ﴾

﴿ فنون اوربا ﴾

تَأْلِيفُ

﴿ احمد فارس اقدى ﴾

﴿ صاحب الجواب ﴾

﴿ الطبعة الثانية ﴾

﴿ طبع في مطبعة الجواب ﴾

﴿ قسطنطينية ﴾

سنة

١٢٩٩

الْوَلِيطَةُ

﴿ في معرفة احوال مالطة ﴾

﴿ و ﴾

كشَفُ الْمَخْبِئَاتِ

﴿ عن ﴾

﴿ فنون اوربا ﴾

﴿ تأليف العلامة الرحلة امام الارب * محيي لغة العرب * التحرير ﴾

﴿ المحقق * الجهد المدقق * الشاعر المقلق * سحاب الفضل ﴾

﴿ المصدق * احمد افندي فارس صاحب التأليف ﴾

﴿ المأثوره * صاحب الجواب المشهوره * ﴾

﴿ الطبعة الثانية ﴾

﴿ طبع في مطبعة الجواب ﴾

﴿ قسطنطينية ﴾

سنة

١٢٩٩

﴿الواسطة في معرفة احوال مالطة وكشف المخبا عن فنون اوربا﴾

﴿لصاحب الجواب﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لحمد لله الذي احصى كل شيء كتابا * واعد للمتقين جزاء حسابا * واليهم ابن
نم ان يضرب في الارض ويكدح لنفسه كدحا * ويجوب مناكب البلاد ويسعى
يدرك نجحا * والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي يهتد آيات نبوته
لناظرين * وبرزعت شمس دينه فافل منها سها الكافرين * ونادى بالحق فزهق
لباطل وامحى ظلمه * وانذر فارهب وبشر فارغب وطاب مقاله ومقوله ومقوله *
خير من دعا وامر * ونهى وزجر * ووعد فأنجز * وقال اطنب او اوجز *
ارشد فهدى * واجدى من اجتدى * صلاة وسلاما دائمين * متلازمين متلائين *
على آله وعترته * واصحابه وعشيرته * ما سرى السارى * وطلعت الدرارى *
﴿اما بعد﴾ فان الاسفار طالما ذكرها الذاكرون * وبالع في وصفها الواصفون *
فدحها من علت مروته * وسمت همت * وذمها من قصر عنها * ولم يحن
نمها * فنتهم من شبه صاحبها بدر ان لم ينقل لم يكن في النجبان منضودا *
ويهلل ان لم يسلم يصير بدرا مشهودا * ومنهم من زعم انها الحاملة على
الذل * المضطعة لحسب الرء والموقعة له في الضل * والجمول وعدم الشكل *
وان الشيء اثما يرزن اذا كان في مستقره * حتى عرفوا الظلم انه وضع الشيء
في

في غير مقره * ومعلوم ان محل العرب ميسرين لمحل العجم * فكان ان احد الفريقين اذا جاوز محله فقد ظلم * الى غير ذلك من تناقض العبارات والاعتبارات * كما جرت بذلك عادة البلغاء في المحاورات * اذ لكل حكم وقضية من القضايا الجارية اطالوا فيها المقال * وجالوا فيها من حيث لا مجال * كما عثر الى الناس والانفراد عنهم * والمخالطة لهم والاختذ منهم * فيعضهم آثر الاول * وود لو يقضى عمره على قنة جبل * وبعضهم شبه الزحام * بمنهل عذب لذى الاوام * وامثال ذلك لا تحصى * ولا تعد ولا تستقصى * فكان الركون الى ما قالوا * والمول على ما فيه جالوا واطالوا * غير هاد وحده سبيلا قويا * ولا شاف كايما * الا اذا امتحن الناقد اللبيب بنفسه اى الفريقين اصدق قولا * واهدى سبيلا * واضلع على ماذا حملهم على الذم والقذح * والتشآء والمدح * وماز العلم من المجهل * والحال من العضل * فهو حينئذ خير واى خير * غير مفتقر الى ناصح منهم ومشير * والحاصل ان لكل امرئ شأنا يعينه * ومضليا هو مقتفيه * وان ما قضى الله يكون * سواء اذم الذامون ام مدح المادحون * هذا وقد كنت في عنفوان شبابي * وجدة جلابي * وازهار سني * وازدهار ذهني * لهجما بالسفر والاعتراب * والترحل عن الوطن والاصحاب * الى بلد يضمر فيه غرسي * وتطيب فيه نفسي * واقتبس فيه من مصابيح العلم قبسا * والى اذ الدهر لي موحش خليلا يصادقني مولنا * حتى ادثني اعمال حابطة * الى جزيرة مالطة * فالفيتها لا كما املت * وكما كنت منها ما لا يفي بما عنه ترحلت * فعن لي ان اظهر ما بطن منها * واكشف مخبأها لمن رغب فيها او عنها * فالتفت فيها كتابا سميت «الواسطة في معرفة احوال مالطة» ثم لما رأيت ان هذا الشرح لا يروى غليلا * ولا يشفي غليلا * لكونه مقصورا على وصف الجزر * وهى من الصغر بحيث لا يمكن الوصف من ان يطيل فيها من القول مأثوره * او يضيق اليه فوائد تاريخية خطيره * ظل خاطري حائسا على مورد التأليف * وقلبي هائما بسفر طريف * الى ان مكنتني التقادير الممكنة * بعد لبثي على تلك الصخرة الدرنه * نحو اربع عشرة سنة * من السفر الى بلاد الانكليم المتمدة * فاختتمت هذه الفرصة عجلا * وظننت اني

ادركت املا * وعولت على ان اشفع تأليف الواسطة برحلة يعظم وقعها *
 ويعم نفعها * فصرت اقيد ما عن لي من الخواطر في وصفهم وسخ * وتارة
 انقل من الكتب ما ليس فيه للفكر مسرح * وللطرف اليه مطمح * فان
 شؤونهم متشعبة * واحوالهم مستغربة * وانحاءهم شتى * ومقاصدهم تستغرق
 وصفا ونعتا * ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب *
 وادركت فيها من الرغائب * كنت ايدا منغص العيش مكدره * كن فقد
 وطره * وزمنه معسره * لا يروقي نضار ولا نضرة * ولا نعمة ولا مسرة *
 ولا طرب ولا لهو * ولا حسن ولا زهو * لما اني كنت دائم التفكير في خلو
 بلادنا عما عندهم من التمدن * والبراعة والتفنن * ثم تعرض لي عوارض من
 السلوان * بان اهل بلادنا قد اختصوا باخلاق حسان * وكرم يغطي العيوب
 ويستر ما شان * ولا سيما الغيرة على الحرم * وصون العرض عما من هذا الصوب
 يذم * ثم اعود الى التفكير في المصالح المدنية * والاسباب المعاشية * وانتشار
 المعارف العمومية * والى اتقان الصنائع * ونعيم الفوائد والمنافع * فيجفل ذلك
 السلوان * واعود الى الاشجان * وكذا كانت حالة السيد الاكرم المونس * امير
 الامرآء حسين باشا من امرآء تونس * فانه لبث في باريس مدة طويلة *
 وخوابره ببلاده ايدا مشغولة * فكان يلازمه الارق * والهم والقلق *
 حتى مكنته اليوم البارى تعالى من تحسين تلك الحاضرة * واعدادها بالمرافق
 الوافرة * فله الحمد على بلوغ اربه * وحصول مطلبه * فان تبهية الامصار
 الاسلامية * اشهى الى * والله من كل امية * كيف لا وعن المسلمين كان اخذ
 التمدن والفنون في العصر الفوابر * وكانوا قدوة في جميع المناقب والمفاخر *
 والمحامد والمآثر * وهذا التفكير والاسف * والتفكير المستأنف * كثيرا ما جلني
 على الاضراب عن التأليف * لعلمي ان كلامي فيه لا يكون الا دون التاريف
 والتعريف * وانى لمثلي ان يدرك جميع ما عند اولئك الناس من الاختراع *
 والاحداث والابداع * الا ان رغبتي في حب اخواني على الاقتداء بتلك المفاخر *
 هي التي سهلت على هذا الخطب واطالت باعى القاصر * فامسكت القلم من بعد
 القائه مرارا * وتوكلت على البارى المعين ان يكشف لذهني ما عنه توارى *
 ويدني الى فصيحى ما شط عنه مزارا * وحررت هذه الرحلة وسميتها
 كشف



« كشف المخبا عن فنون اوربا » وذلك لاني لم اقتصر فيها على شرح ما عند الانكليز وحدهم من الفنون * بل استطردت الى وصف غيرهم ايضا والحديث في شجون * وليكن معلوما عند القارى * والسامع والدارى * انى فى كل ما وصفت به الانكليز * والفرنسيس وغيرهم من اهل اوربا * لم يجل بى هوى ولا غرض بقضا او حيا * اذ ليس لى حذل مع احدهم ولا ضاع * ولا انحراف ولا ميل ولا ضرر ولا نفع * وانما رويت عنهم ما رويت * وحكى ما حكيت * بحسب ما ظهر لى انه الصواب * فلا يتبغى ان يحمل قولى على ضغن او اغضاب * واعوذ بالله من ان ابغض الناس اشياءهم * فاقعد القول فيما شانهم وساءهم * الا انه لا ينكر ان الانسان محل النقص والمعيب * وانه قل من ينظر الى نفسه بعين المصيب * وكذا كنت اقول للانكليز * فلم يكن احدهم ينكر قولى او ينسبه الى التجبير * ثم اتى بعد الفراغ من تحرير الرحلة المشار اليها عرضت عوارض كثيرة * واحوال خطية * تكرب امريكا و بولاند مثلا * وكريادة فى عدد سكان الممالك او فى اعمالهم مما استعظمه الناس وصار لهم شغلا * من جملة ذلك ما جرى فى الممالك الاسلامية من التحسين والتنظيم * والترتيب والتميم * الا انى رأيت ايداعها فى الرحلة نصبا مستأنفا * وشغلا لا ينتهى

ولا يستوفى * فصرفت عنه صفحا * وصدفت

كثيرا * اذ حوادث الدهر * اكثر

من ان يحصرها ذكر *

او يحيط بها

ذير *



الجزء الأول

فصل في تخطيط مالطة معربا

اعلم ان تخطيط مالطة هو في ٢٢ درجة و ٤٤ دقيقة من الطول وفي ٢٥ درجة و ٥٤ دقيقة من العرض اما موقعها في الكرة فان بعض الجغرافيين الحقوه بافريقية بالنظر الى المكان وبعضهم الحقه بجزائر ايطاليا بالنظر الى عادات اهل مالطة واحوالهم وديانتهم والمراد بذلك انها من اوربا فمن الحقها بافريقية شولوى ومن الحقها باوربا بليوس وسطرابوس ودليلهما على ذلك كونها على بعد ستين ميلا من رأس باسرو وعلى مائتين من كلبه نوميثا اركولى والمحل الاول اقرب الى اوربا والثاني اقرب الى افريقية • قال فاما عرضها فاثنا عشر ميلا وطولها عشرون ودورتها ستون وقاعدتها الآن هي المدينة السماء فالثمة فاما في العصر السالفة فكانت نوتابيلي ويقال لها الآن المدينة وموقعها في وسط الجزيرة في ارفع موضع منها وكان الجزيرة منقسمة بها الى شطرين احدهما يمتد جهة الشرق والاخر جهة الغرب والذي بنى قالته كان احد امرأء الافرنج وسماها باسمه وذلك سنة ١٥٧٦ وهى على ربوة بقرب البحر يقال لها شبراس • قلت زعم بعض المايطيين ان اصل هذه الكلمة شبر الراس وبعضهم انها جبل رأس وعندي انها شعب الرأس قال في الصحاح شعب الرأس شاته الذى يضم قبائله اهو وهو كناية عن اصل الشئ ومجتمعه كما ان قبائل الرأس مرجعها الى الشعب ويحتمل انها سميت بشيب الرأس لان اهل مالطة اذ ذلك كانوا ينامون المسلمين الحرب والثار وكل فريق ملاق من فريقه ما يشيب الرأس • وذكر بوليه المؤلف الفرنسي ان قاعدة هذه الجزيرة سميت باسم الامير لافاليت رئيس طريقة الفرسان ولد في سنة ١٤٩٤ ومات في سنة ١٥٦٨ وكان شهيرا بالباس والاقدام واول ما استولى عليه من الجزيرة عند محاصرته المسلمين بها برج صانت الو ثم قوى عليهم وخرجهم منها • قال المؤلف ثم خلفه باولودل مونتي قائم بناءه في الثامن عشر من ايار وذلك في سنة ١٥٧١ وقبل بنائها كان مقام الزعماء المتسبين الى طريقة مار يوحنا في برملة والبرغو بشرقي فالثمة ويقال للثانية فيتود يوزا اى المنصورة لحرب انتصر فيها اهل مالطة على المسلمين وذلك في سنة

سنة ١٥٥٦ قال وفي ضواحي هذه المدينة قرية اسمها القلوربانة وهي اعمر جميع
 قرى الجزيرة وجنلها اربع وعشرون قرية وهي جديرة بان تسمى امصارا لكثرة
 فيها كائنها وحسن بنائها وكنائسها • وعدد اهل الجزيرة كلهم نحو ١٢٠.٠٠٠
 نفس • ولثلاثة مرسيان احدهما كبير يعد من اعظم المراسي وذلك لسعة
 بحيث يسع عدة بوارج مع الامن ولكونه في وسط بحر الروم فن ثم كانت الجزيرة بهذا
 الاعتبار اعظم محل للتجارة على ان تلك المخازن العديدة والشؤون الرحية المبنية
 عند هذا المرسى تفرى الضائع والمقيم بتعاطي التجارة فيها والثاني صغير وهو
 مرسى المراكب التي ترد من البلاد المشوبة بالوباء ويقال له مرسا مشطو محرفة
 عن مرسى الشط اما هوا الجزيرة فالغالب عليه الاعتدال غير ان ارضها صخرة
 لا تصلح من اصلها للحرث ومع ذلك فان السنبلة الواحدة تخرج في تربتها التي
 ليست بالطيبة ولا الرديئة ست عشرة سنبلة او عشرين وفي عام الحصب ثمانين
 وثلاثين وفي الجيدة احدى وستين واخص اصناف غلالها التي يتجر بها القطن
 وقد يبعث منه الى جهات مختلفة في اوربا مقدار جزيل الا ان بحس منه رغب
 الاهلين عنه الى غيره فصاروا يصرفون همته في تربية التوت فان فيه نفعا
 كبيرا وقد علم بالتجربة انه يتحصل منه حرير اعلى من حرير ايطاليا • قلت وقد
 علم بالتجربة ايضا ان دود القز لا يعيش في هذه الجزيرة والمؤلف انما كتب هذا
 عند الشروع في تربية التوت • قال وفي هذه الجزيرة تنمو الاشجار المثمرة
 لاصناف الفاكهة الطيبة كالرمان والتفاح والعنب والاجاص واعظمها
 الاترج • فاما عدد الاهلين الآن بالنظر الى صغر الجزيرة فانه عظيم جدا ولم
 يبعد من قبل قط انها كانت تحوى هذا المقدار وانما يعلم انها كانت مأهولة
 باسرها الا ان بعض جهات منها خلت عن السكان كما يستدل على ذلك من
 الاكثار الباقية وما وصل اليها من اسماء بعض قرى لا وجود لها وسبب ذلك
 فيما قيل ان المايطين حين كانوا تحت سلطة الارجونيين وجدوا انفسهم
 عرصة لغزو المسلمين المتتابع ولهجوم لصوص افريقية فجعلوا مقرهم شرق
 المدينة صيانة لمرضهم ومالهم واخلوا الجهة الغربية • وذكر بعض
 الجغرافيين ان مالطة كانت تسمى في القديم هيبيرة وقال بعض انه لم يوجد في
 ملاد اوربا جزيرة عرفت بهذا الاسم وانما هو اسم مدينة قديمة في صقلية ثم

حرب حبر، باسم كامرينة ولما استوطن الفينيقيون هذه الجزيرة سموها اوجاجية
وسماها اليونانيون ملبنة واشتهر ذلك في سنة ٨٢٢ قبل الميلاد وسماها المسلمون
مالطة ومعنى ملبنة او ملبنة في لغة اليونان التحل وزعم قوم انها سميت باسم
ملبنة ابنة دوريس على جهة التعظيم وهو مشتق من ملت في السريانية وهو
اسم الله ويعرف في غيرها بمجونو ولا يبعد ان يكون ذلك ايضا في اللغة الفينيقية
قال وروى بعض المؤرخين ان بناء مدينة فوناييلي كان بعد الطوفان بنحو
١٤٠٠ سنة واعظم ما فيه عبرة من مبانيها قبل تاريخ النصارى هياكل جونو
وابروسرين وهركوليس وابولو • فوقع الاول هو بين فيتوربوزة وصانت انجلو
ويحكي ان ملك نوميدية الذي كان دأبه غزو مالطة كان قد اخذ منه
قطعة بديعة من العاج واهداها الى استاذة ففرح بها اولا غاية الفرح ولكن
لما علم انها اخذت من الهيكل ردها الى الملك والتس منه ان يعيدها في محلها •
وموقع هيكل ابروسرين في قلعة تسمى مطرفة وقد وجد فيه آثار • وموقع
هيكل هركوليس في جهة الجزيرة الجنوبية بالقرب من مرسى سير وكو
(اي مرسى الشرق) وهو من بناء الفينيقيين وقد وجد فيه آثار كثيرة •
وموقع هيكل ابولو عند فوناييلي وهو بناء الاغريقين وكان دارونق عظيم
ويقال ان جلته ما انفق في بناءه بلغ سبعمائة وتسعين ستريا وقد علم
ذلك من وجود صنم نصبه له مجلس عام ووجد ايضا آثار حمام في محل اسمه
قرطين • ومن ذكر حكومة مالطة من الشعراء الاقدمين اوميروس واوفيدبوس
ويفهم من كلام الاول ان القبيلة التي يقال لها الفياكنس هم اول من استوطنوا
هذه الجزيرة وكانوا ذوي قوة وبأس ثم خلفهم الفينيقيون وهم من جهات
صور وصيدا وذلك سنة ١٥١٩ قبل الميلاد وكانوا اهل سعي وكسب وتجارة
فلبثوا فيها نحو اربعمائة وخمسين سنة حتى تغلب عليهم الاغريقيون ثم سلخوا
للقرطاجنيين وذلك نحو سنة ٥٢٨ قبل الميلاد ثم جاء من بعدهم الرومانيون
في سنة ٢٨٣ من التاريخ المذكور فافروا فيها احكامهم وسنهم واعظم ما حدث
في دولة الرومانيين مما لا ينبغي ان يهمل ذكره قدوم مار بولس وانكسار السفينة به
وبين كان معه وذلك سنة ٥٨ للميلاد في عهد القيصر طيباريوس في موضع يقال له
الآن خليج ماربولس ومنذ ذلك الوقت تنصر اهل الجزيرة ثم بعد انقراض دولة
الرومانيين

الرومانيين منها استولت عليها قبيلة الفندلس ثم القوث ثم تغلب على هؤلاء
البليساويون وطردوهم منها واخضعوها بحكومة البلاد الشرقية وبقيت كذلك
إلى سنة ٧٨٠ فاختدوا في هضم الرعية فقاموا عليهم وسلوا الجزيرة للمسلمين •
قلت ذكر في كتاب الجمع والبيان في اخبار القيروان ان مالطة قمت في ايام
ابي الغرائيق محمد بن احمد بن محمد بن الاغلب توفي سنة احدى وستين ومائتين
وانما لقب بالغرائيق لانه كان مشغوطا بالصيد روى انه بنى قصرا في السهلين
لصيد الغرائيق اتفق فيه ثلاثين الف دينار فكفى بهذه الكنية وكان في غاية
الجلود الا انه غلب عليه اللهو والطرب والاكل والشرب ولم يزل مقيما على
لذاته طول عمره انتهى فعلى هذا فلا معنى لقول المؤلف وسلوا الجزيرة للمسلمين
قال ثم قام الامير روجر النورماني بعدها بمائتي سنة واسترد الجزيرة واخضعها
بصقلية فبقيت كذلك نحو سبعين سنة ولما تزوج القيصر هنري السادس
قيصر جرمانية ولية عهد صقلية دخلت مالطة في حكمه وذلك سنة ١٢٦٦
وبقيت كذلك اثنى وسبعين سنة وفي اثناء ذلك ولي اخو لويس ملك فرنسا
حكم صقلية ومالطة معا وبعد سنتين تغلب عليه الامير بطرس الاراجوني
ثم آل امرها الى الملك كرلوس ملك صقلية فولى عليها الفرسان من نظام
مار يوحنا برضى الاهلين واتفاق دول اوربا وكان قد جرى هذا النظام عندهم
اولا ثم لما نبغ نابوليون واستولى على البلاد سلمت له الجزيرة على ان يرخص للاهليين
في التصرف بحقوقهم الا ان الفرنسيين لم يلبثوا ان هتكوا بعض السنن القديمة
وانتهكوا حرمة الكنائس فحزب عليهم المايطيون فحزبا لم يخل عن سفك دم
كثير منهم وعن تلف اموالهم الى ان انت الانكليز فسلموها لهم وكان
ذلك في سنة ١٨٠٠ • قلت لما دخلها نابوليون وجد فيها الف ومائتي
مدفع ومائتي الف رطل من البارود واربعين الف بندقية وعدة بوارج
و ٥٠٠ اسير من المسلمين فاطلقهم وذلك في سنة ١٧٩٨ • قال فاما اخذ المسلمين
لها فانه كان من باب المصادقة اولى منه من المغالبة وطاملوا الاهليين اولا بالرفق
والمياسرة ووقروا سننهم واحكامهم وامتزجوا بهم للغاية حتى كأن الجليلين
واحدا كما يتبين ذلك من بقاء لغتهم فيهم • قال اما لغة مالطة فذهب بعضهم
الى انها عريضة فاسدة وذهب آخرون الى انها فيزيقية لان اليونانيين بعد ان

فَقَعُوا الجزيرة لم يخرجوا منها الفينيقيين بل ظلوا فيها آمنين محافظين على لغتهم
وما برحت مستعملة حتى بعد استيلاء الرومانيين عليها و انهما لم تتغير في مدة
القرطاجيين لان لغة هؤلاء ايضا كانت فينيقية ومع ان داب الرومانيين كان
حل الناس على الخلق باخلاقهم والسلوك بسنتهم ابنا ملكوا فلم يجبروا الرعية
هنا على التكلم بلغتهم والدليل على ذلك ان الرومانيين الذين كانوا مع مار بولس
سموا المالمطين بررا ولم يكن يطلق هذا الاسم الا على من جهل اللاتينية
واليونانية قال ثم بقيت في دولة السليين ايضا ولم تتغير وانما دخل فيها بعض
الفاظ اجنبية وبؤيد كونها فينيقية مشابهة بعض الفاظ منها للفتا نحو بير
وصيد فانهما في الفينيقية بروصد وغير هذا كثير مما له لفظ واحد ومعنى واحد
في كلتا اللغتين والحاصل ان مأخذ اللغة المالطية من الفينيقية ارجح من ان يكون
من العربية وان كانت قريبة من هذه ايضا • قلت دليله هذا اوهى من بيت
المنكوت فان البر والصيد ينطق بهما في لغتهم كما في لغتنا سواء ما عدا موافقتها
في تصريف الافعال والاسماء وفي الضمائر وغير ذلك من اساليب الكلام كما
سأني بيان ذلك • ومن الغريب ان المؤلف لا يعرف الفينيقية ولا العربية ولا
المالطية وان كانت لغته ويتعرض للحكم والاستدلال فكيف يحكم على الشيء
وهو يحمله وكيف يقول اولا ان لغة المسايين بقيت في اهل مالطة لسدة الالتحام
الذي كان بين الفريقين ثم يقول الآن انها فينيقية لمجرد وجود كلمتين فيها وانما
جمله على هذا بفضنه وبفضه اهل بلاده للعرب وتبرئة انفسهم انهم ليسوا منهم
بل من الفينيقيين اذ كان هؤلاء كما ذكر ارباب جد وتجارة والعرب عند اهل
مالطة كناية عن الهجج وذلك لجهلهم التواريخ ولا نهم لا يرون الآن الا
صاليك المضاربة والظاهر ان المسلمين الذين فتحوا مالطة لم يكونوا من اهل
العلم والتدني كالذين كانوا في صقلية وغيرها فاني لم اجد فيما قرأت قط من كتب
الادب والتواريخ قال المالمطي والسيوطي رحمه الله لم يقادر في كتاب الانساب
الذي سماه لب اللباب احدا من اهل العلم الا وذكره ما خلا المنسوب الى مالطة •
قال اما جزيرة غودش وتسمى بالافرنجية كوتزو فزعم بعض ان هذه اللفظة
يونانية ومعناها مركب مستدير وهي كأنها ذيل تقطع من مالطة وطولها
اثنا عشر ميلا في عرض ستة و اهلها نحو خمسة عشر الفا و جلته قراها ست
ومدينتها

ومدينتها تسمى الربط (كأنه محرف عن الربض) وفيها آثمار قلعة قديمة وبقول الجزيرة وفاكهتها طيبة جدا وكذا عسلها حتى ان الاقدمين كانوا يفضلونه على بصل جبل هبللا ويردونها الى مالطة قوارب كثيرة مشحونة بالفاكهة والبقل والسك وحكومتها ملحقة بمالطة وكذا كانت في الزمن القديم وزعم بعض ان مالطة وغودش وكونة كانت في الاصل جزيرة واحدة وحدث لها من الزلازل ما فرقتها (انتهى النقول من كتاب مختصر الفقه مكلف في تاريخ مالطة)

واقول قد رأيت جزيرة غودش غير مرة اما اسمها فأنه محرفا عن لفظة اليهودج سماها به المسلمون لشدة شبهها به كما سماوا الجزيرتين الاخرين كونة وقلعة لصغرهما الا ان اهلها ينطقون بها بالعين المجمة لا بالهمزة كما ينطق به اهل مالطة ولا اعلم في لغتهم كلمة غيرها قلت فيها الهاء غينا فاما قلب الجيم شيئا فكثير اما ارضها فاحسن من ارض مالطة ولا سيما كون حنولها مكشوفة للنظر كقول فرنسا وانكثرة لا تحنول اهل مالطة كما يأتي وهي اذكى ثمرا ونباتا واهلها اخلص طوبة وفيها الجير والبغال ضليعة لكنها غير فارحة وبما بيع الجمار منها باربعين ليرة اما شجرها فان التفاح لا يكاد يكون اكبر من العليق في الشام وشجر التين متبسط على الارض وليس فيها من شجر الجوز سوى شجرة واحدة وفيها ايضا نخلة لكنها لا تثمر واسماء قراها ومواضعها كلها عربية محضة وبما اضحكني من خرق اهلها انهم يدرسون الفصح على البهائم من دون نورج وذلك بان يربطوا مثلا كل زوج منها في قرن ويمشوهما على السابل فيثور هذا ناحية وذاك اخرى وكذا هي في مالطة ومن غرابة ارض غودش ان جيع محالها من روعة محروثة الا ما قابل مالطة فكأنه من قيل مراعاة النظير اما كونة فليس فيها سوى بيت واحد وكنيسة وارضها قليلة الجدوى

﴿ فصل في هواء مالطة ومنازلها وغير ذلك ﴾

لما قدمت هذا الفصل من كلامي لاهيته فان العافية خير ما ملك الانسان وان ارضا لتأكل من نازلها الجديرة بان لا يؤكل منها فاقول قد تقدم فيما مر بك موقع هذه الجزيرة وبقي الآن الكلام على هوائها من حيث هو هو فان الهواء لا يعرف غالباً من مجرد نسبة الموقع اما اشتقاق اسمها ان كان عربياً فمن لم ط

ومعظمه يدل على الجرد والخلو أو التجريد والاحلاء فتكون قد سميت بذلك
 لخلوها عن الفياض والجبال و الأنهار وغيرها وفي القاموس ومأطمة
 كصاحبة د (اى بلد) وكان عليه ان يذكر خصوص كونها جزيرة فانه
 كثيرا ما يتقب الصحاح بمثل ذلك فاما قوله اولا ملط شعره حلقه ثم قوله بعد
 فاصل والاملاط من لاشمر على جسده وقوله فى اول المادة الملاط الخبيث لا يرفع
 له شئ الا سرقه ثم قوله عند الآخر واملاطه اختلته فى اختلاط الترتيب فى
 التركيب • وعن ذكر مأطمة ايضا المظران جرمانوس فرحات فى كتابه المسمى
 « باب الاعراب عن لغة الاعراب » قال ومأطمة جزيرة عاصية متقاصية قرب صقلية
 سكانها لصوص البحر • قلت لعل تأليف هذا الكتاب كان قبل سفره الى رومية
 والا لما قال متقاصية او انه جاء بها للجانسة اما قوله سكانها لصوص البحر
 فينبئ بما كان لاهلها حينئذ من الشهرة الذميمة عند اهل المشرق وكان هذه
 الصفة كانت غالبية عليهم حتى انسته ان يقول لغتهم العربية ودينهم النصرانية
 فاما الصحاح فذكر ملطية فى بلاد ارمينية والآن تعد من الممالك العثمانية • اما
 هواء مأطمة فلا يحمد من الف البرور الواسعة لانه كثير القلب فيختلف فى
 الليل والنهار عدة مرار فقد يكون فى الصباح صحو فلا تشعر الا بالقيم قد
 طبق اعتان السماء فيكفهر الجو ويهيج البحر وتثور الزواجر وتزمر الرياح
 فترقص لها الابواب بل قد يكون فى النهار برد وفى الليل حر هذا فى الشتاء
 فاما فى الصيف فلا ترى فى الجو لطخة سحاب ولا غايبة اصلا وفصل الشتاء
 يتبدى فيها من شهر تشرين الاول و ينتهى الى ايار و الباقى صيف شديد
 وان وقع فى خلال ذلك يوم معتدل فتأتى فيه نفحة من الريح باردة واخرى
 حارة او تكون العور وهى من الرياح ما فاجأك ببرد وانت فى حر او
 عكسه وفى الجملة فانها جديرة بان تسمى مخزن الرياح فهى لا تخلو منها باردة
 كانت او حارة واكثر رياحها فى الصيف السافىء تأتى بنبار وتراب دقيق تطيره
 على وجوه الناس وتدخله فى الديار من خصائص ازجاج • ومن القريب ان
 الريح الشرقية التى تكون فى الشتاء زمهريرا نصير فى الصيف سموما فتشتق
 منها اخشاب المنازل وهى مصبوغة وتصرصر بها روافد السقوف ويحف بها
 الزجاج ويتصلب فيكسر بادنى مس ويقرمد بها الجلد والورق بل يتأثر بها
 الحديد

الحديد والححاس والعظم ونحوه وينتق شمع الشمع فتكون الشععة في البيت كالجيفة وقد تبلغ درجات الحر فيها فوق المائة فيقضى الومد حينئذ باللباس الخفيف من الكتان وبالنوم من دون غطاء واكثر اهل مالطة ينامون ليلا على السطوح لكون سطوح ديارهم غير مسمية بخلاف الديار في اوربا واذا مشى الانسان خطوات في الصيف يعرق في عرقه ثم لا يلبث ان تلتحه لفة من الريح فيبني ان يكون احذر من غراب هذا ولما كانت ارض الجزيرة خالية عن الاجم والفيض والجبال والانهار اذهى عبارة عن صحن في وسط البحر فتى اصابتها الشمس مسحتها مسحا على السواء فلا ملط فيها من شئ وربما زاد حرها ايضا بسبب النار التي تخرج من جبل صقلية ومع قربها من ايطاليا فليس في ديارها رخام كبير تونس وليس في شئ منها مياه جارية كديار الشام * ومن جملة الاسباب التي تجعل شتاءها عارما مكروها كون بانها من حجر رطب لوجعل في مقمأة بضع سنين لا كلاً وحين يستخرج اولاً من مقلعه يكون اخضر مائياً ولا يبيض الا اذا نصب للهواء والشمس سنين ومن خواصه انه قابل للنفس فلهذا ترى منه في الديار والكنائس نسمات شتى وقد يبعث منه على سبيل التجارة الى جميع البلاد وكثيرا ما توارى الشمس في فصل الشتاء فلا تطل فيه ولا من شباك فاين هذا من شتاء مصر حين يترحب بالشمس طالعة وتشتع غاربة وفي الصيف يطفو نياها فيرطب الارض وينظم به شمل الاحباب وعقود السرات * واذا اتفق في مالطة يوم صحو في الشتاء رأيت الناس جميعا يعددون محاسن ويصفونه ويلهون عن سوء ايامهم الاخرحين اذ الريح تأخذ بناصية السائر والمياه تهطل من انف كل محاسب والزكام ملازم للانوف والسعال قابض على الحلقوم واشد ما يسوء منها استمرار الريح اياما متوالية من دون مطر فانه قد يأتي دليها من السنين ما لا يغزر فيه المطر والريح مع ذلك لا تهدأ اصلا وقد احتاجوا في بعض السنين الى الغيث غاية الاحتياج حتى فرض عليهم اسقفيهم دعاء للاستمرار في الكنائس مع الصيام والريح مع ذلك تزيد عصوفا فقلت

* ولما لم يطق كانون قطرا * تولى وهو يبحق بالرياح *
 * فيا قوم اغسلوا بالدمع فيه * ووجوهكم وصوموا عن سجاج *

وفي الجملة فإن صيف مألطة وشتاءها شاقان جاهدان بهيجان بفترة فأخر
 ذنب الشتاء معقود بناصية الصيف ذابت كصرو الشام فإن الانسان فيه ما
 يتعود على تخالف الفصول شيئا فشيئا وليس من علامات الربيع شيء بمألطة
 سوى تكاثر البراغيث فهي آفة من الآفات ولا من علامات الخريف سوى تناثر
 اوراق الشجر المعدونات ومع ذلك فإن كثيرا من الانكليز يأتون اليها ليتعضوا
 فيها الشتاء اما عدم المطر فيها في الصيف فسيبه قلة الشجر والقباض فإن
 السحب اذا مرت فوقها لم تجد ما تجذب منه رطوبة ولعل الادوية والعقاقير
 التي تبقى مدة طويلة في مألطة تفسد بالكلية ويحول ما بها من الخاصة فان التبغ
 والشوف والخمر اذا بقيت فيها زمنا يزول طيبها رأسا لان مبلط الديار وحيطاتها
 وسقوفها من حجر نكا مر فاذا وضعت مثلا لمحا في خزانة لا يلبث ان يندى كأنه
 خطاط بالساء وكذلك تعفن المأكولات والمشروبات اذا وضعت في مخدع من خشب
 مصبوغ فإن النداة تسرى الى الصبغ ولذلك كان البديل وهو داء المفاصل
 شائعا في مألطة وقل من يسلم منه وقد اصبحت به اول سنة فكنكت اقوم في الصباح
 موجع الاعضاء لا انشط الى شيء وما زال ذلك يترأى لي حتى لزممت الفراش
 فلما عادني الطبيب ورأى مبلط المنزل اخبرني بالسبب فعظم علي ذلك ثم لما سمعت
 بان أكثر الناس مميون به هان علي ما لاقيت وتأسيت بهم ودواء هذا الداء
 الإقامة في محل مواجه للشمس عند ملوعها وقد كان يملوكتي من اثر النداة
 عطن يلتصق به بعض الورق ببعض ومن جعل مرقده قرب حائط فلا يأمن
 غائلة صداع او وجع اسنان ومن يكثر ذاعة في صدره فاعظم خطر عليه
 التعرض للريح بعد ان يكون في محل دفي مع ان الغالب على اهل مألطة الشدة
 والقوة غير انهم ولدوا على هذه الحال فلا تؤثر فيهم رداء المكان ولا الزمان ومما
 توصي به الاطباء هنا اتخاذ غلائل الصوف المسماة فلاله صيفا وشتاء اما في
 الشتاء فللدفي واما في الصيف فلتنظيف العرق ومنع ضرر الريح النافذة في
 المسام حتى انهم يخشون من الريح على الحيوانات فانهم اذا اوقفوا الحصان
 في سيره اداروا وجهه الى غير جهة الريح وقص على ذلك • اما ارض مألطة
 فانها ملطه صخرة جرداء قليلة الثرى والشجر والنبات ودائرها كله صخر لا يثبت
 فيه شيء الا انه لشدة اجتهد اهلها وفرط كدحهم يثبت فيها أكثر

اصناف البقول والفاكهة لكن غلتها لا تكفيهم أكثر من اربعة اشهر والباقي يجلب اليهم من بلاده فيجلبون القمح والفلاني من مصر ومن بلاد البرك والروم ويجلبون الفاكهة والخمر من صقلية والبنر والضمان والزيت من افريقية وهم جرا وزعم بعض ان ترابها مجلوب في الاصل من صقلية وتري شجر الخرنوب والصبار التي لا تتوقف على كثير من الثرى اعز من شجر الجوز في الشام اما شجر الخرنوب فيكون لاصقا بالارض كأنما هو ازرار واما الصبار فتراه محوطا بالجدران العالية كأنما هو حديقة وينوطون بكل منها ورقة من الثوم منعاً لاصابة العين مع انها مما تنبذ عنه العين واذا سألت احدهم عن قلة الغياض عندهم قال نحن معاشر الافرنج لا نصرف همنا الا الى زرع الارض فما اقل ظلمهم واكثر ظلمهم • واذا ضحيت الى الخلاء وجدت بين كل حقلين جدارا عالياً لحجز رؤية ما دونه فابن هذا من سهول فرنسا وانكلترا البادية للعين على نضرتها وريبعها وعلى كثرة ما فيها من اكاديس الغلال والعشب من دون ناطور يحفظها او حائط يسترها • ويوجد في مالطة اكثر اصناف الاشجار المثمرة والبقول المأكولة وفاكهتهم طيبة في الجملة الا الليمون الحلو وقصب السكر والخيار فاما الصبار فأكثره نوى وكذا الرمان واكثر الفاكهة باع غفاً وقلما يدعونها تنضج خوفاً من اللصوص ان تسرقها وجميع اصنافها ارخص منها بمصر والتين على اصناف متنوعة والعنب لا يدوم أكثر من ثلاثة اشهر اما البردقان فانه يدوم نحو سبعة اشهر ويرسل منه الى بلاد الانكليز وغيرها كالطرفة فلما ما يأتيها من الثمر من صقلية فلأنما هو سداد من عوز وعندهم من الفاكهة اصناف لا توجد في بلادنا منها صنف يقال له الفراولى وهو حب احمر صغير بقدر ثمر العليق حامض يصلح السكر وآخر يقال له نصبلى وهو شبيه بالشمس او بعين البقر ونواه كبير وآخر اسمه زربي وهو اشبه بالزعرور شديد القحبة يجعلونه اعذاقا كاعذاق التمر فينضج منه كل يوم حبات ويدوم العذق بجملة اشهر ولا يعرفون حفظ الفاكهة الى اوان الشتاء كما يفعل في بلاد الافرنج فان العنب والتفاح في فرنسا وانكلترا لا ينقطعان اصلاً اما بقولهم فقير طيبة وذلك لكثرة مايتها فاذا رأيتها في السوق سرك نضارتها ولكن متى طبخت جئات مسبعة حتى ان الهصل والفجل

وما أشبههما مما طبعه الخرافة لا طعم له عندهم لا بل إذا جلبت من بلاد أخرى
يغير طعمها وكذا الكرب والباذنجان ونحوه ولا يكاد يبدو نوع منها
الأو يلفظ ويحسو ومن القريب أن نباتها مع كونه بهذه الصفة فعسلها في
غاية الجودة ومما لا يوجد عندهم من الحضرة الكوسى والقناء والملوخية ومن
غيرها اللبن والتشطة والسمن وإنما يجلبون نفاية هذا أحيانا من طرابلس
القرب وأهل مالطة جميعا يتقززون منه ويطبخون ادامهم بشحم الخنزير •
أما ماؤها فانه ماء المطر مخزونا في الآبار غير سائغ فما شربه ذو تعب أو ظمأ
الواصابه سعال وكثيرا ما يحدث عن شربة واحدة نفث الدم فتنان
بينه وبين ماء النيل الذى يطيب شربه على التعب والظمأ ولا يزيد الشارب
الاصحة ونماء جسم فلا ينبغي لاحد ان يشرب من ماء مالطة الا ترشفا ونقل
عن ارسطو ان الماء الراسد الذى لا تقع عليه الشمس لا يكون الا
ثقلا وتولد فيه مادة طيية • اما حداثتها فاشهرها حديقة صانت
انطونيو مقر الحاكم فى الصيف وهى التى تزل بها الامير بشير شهاب
بأهله اخلاها له الحاكم اجلالا لشأنه وهى نضيرة حسنة الوضع الا انها فى
مختف من الارض وليس فيها مقاعد او مواضع لياكل فيها المتفرج او يشرب
وليس للمالطين عادة ان يأخذوا الى مثل هذه المنزهات طعاما لا فى الاعياد
ولا فى غيرها اتباعا لعادة الانكليز اذ لا يمكن لهم الجلوس الا على كرمى
فغاية حظهم من ذلك انما هو المشى او ان يضع احدهم ذراعه بذراع صاحبه
ويمشيان الخلاء او ان يمشى وحده وهو بصفر ويمكو وعلى تقدير وجود رصف
عندهم او روضة فلا يرفون ككيف ينسطون عندهما سوى بالمشى واعرف
رصفا يسمى البياتا اتقيا جدا ولكن ليس فيه محل للقهوة ولا للملوج ولا مطعم
ولا آلة طرب ولا كرسى يجلس عليه ولو كان مثله فى باريس او فى مصر او
الشام لرأيت من اوله الى آخره مرصوفا بالكراسى والتمكآت ومشتلا على كل ما
تطيب به النفس وفى الجملة فان الانكليز والمالطية جميعا لا ذوق لهم فى مثل هذه
الامور • ثم البوسكت ومعناه الغيضة وهو على بعد ثلاث ساعات من فالتة
وهو سبب التهدر قليل الجدوى فانه عبارة عن شجرات معدودات وزهرات
شعث لا صنعت فى تزييتها الا ان فيه قبوة فيها عين نضاجة وحولها مائة ومقاعد

من حجر يقعد عليها الأكسون فهذا الموضع اتره موضع في الجزيرة وذلك المله
اعذب ماء بها وبقره برج كان في القديم محجن يعذب فيه من يخالف الكنيسة
كما كانت العادة ايضا في اسبانيا وغيرها • ثم المطلب وهو انصر من البوسكت
وابعد لكونه عند اقصى مالملة ماولا • وفيه بركة يعلو ماءها طحلب وكان
الموضع سمي به • ونواعيرهم نحر نواعير الشام ومصر • واهل تونس
وطرابلس يستملون السابية وهي في اللغة الناقة يسقى عليها ويطلقونها على
البستان • والحاصل ان جزيرة مالملة لا تنجب من الافرنج الا القليل وذلك
لانهم اذا جاؤها لم يجدوا فيها شيئا غريبا لا يوجد في بلادهم فان كل ما
فيها ان هو الا نقاية ما عندهم • هذا وليس منهم من يرغب في علم اللغة
المالطية اذ كانوا يعلمون انها عربية فاسنة وليس فيها من الصنائع والفنون
ما يجعله اهل الرستاق منهم فضلا عن المتدنين وانما هي مجاز يجوزون منها
الى الشرق نعم ان بعضا من الظلومين في ايطاليا وخصوصا صقلية
يأتون اليها للاستئان وانها لما كان موقعها بين عدة برور شرقية وغربية
حصلت على هذه الشهرة ولا سيما الآن فانه قد يتعذر السفر الى بعض جهات
الشرق من دون المرور بها • فلما العرب فرموا لا تعجب منهم احدا وذلك
لان اهل مالملة جميعا يكرهون جنس العرب والمسلمين على الاطلاق ومنتهى
الذم عندهم ان يقولوا عربي بسكون الراء على انها في جميع لغات الافرنج بالفتح
ولا يمكن ان يخطر ببالهم ان من العرب من هو نواب وكياسة بل
لا يكادون يظنون ان اللغة العربية يتكلم بها غير المسلمين وحيث كانوا
يعلمون ان الافرنج ينسبونهم الى العرب زادت بغضتهم له فاما احد ممن
الف الحظ في الحمام والبساتين والنباض والمواسم والتأنيق في المطاسع يترك
بلادهم ويأتي الى هذه الصخرة الصماء • هذا ومن يكن من العرب ذا غيرة على
لغته فلا يطيق ان يسمع الكلام المالطي على فسادهم ومع كون هذه الجزيرة
قرية جدا من تونس وطرابلس فابها احدتهما الا عابر طريق قال الشاعر
* واصعب ما يلقى الفتى في زمانه * اذا حل نجم السعد في برج فحسه *
* اقامته في ارض من لا يوده * وصحبته مع غير ابناء جنسه *

هذه المدينة هي مقر الحاكم الانكليزي واعجب ما فيها حصانة اسوارها وحسن
مرسيتها • اما الاسوار فربما كان نصف احدها من صخر وتماه مبنى بناء •
واما المرسى فقد مر ذكره والغالب عليها الرونتق والبيجة حيث كان
بناؤها من الحجر كما مر وطبقاتها من ججة ولا سيما اذا عرضتها من بعد
غير انها خالية من النساير ونحوها فهي بدونها كالهامة القرعاء
واحسن ما يستحب من ديارها ككونها مبنية من الحجر على صف مستو فلا
تري فيها دارا خارجة عن الخط اصلا غير انها متفاوتة الارتفاع وليست مرتبة
في وضع الترف والمساكن فان الدار الكبيرة تكون عبارة عن علية واسعة
طويلة ثم صف حجرات متافئة المدخل فلا يمكن للانسان ان ينفرد بواحدة منها
دون الاخرى فالما الديار الصغيرة ولا سيما القديمة فهي خالية عن الترتيب
اصلا ونحوها بصيغ غالبا في كل سنة وحيطانها ملبسة بالورق النقوش كما في
بلاد اوربا الا ان طاقاتها لاتفي بالمراد فان بين الاهلين حقوقا في المطال
فلا يمكن فتح الطبقتان في جميع الحيطان وما عدا ذلك فان لها رواشن
خارجة من الحائط موضوعة بحيث تمنع النور والهواء وهي عالية لا يمكن لمن
يكون في الحجرة ان يرى منها شيئا الا اذا كان واقفا فيها او جالسا على كرسي
وهي اشبه بما يسمى اهل الشام ككشكا ويقال ان وجود هذه الرواشن بمالطة
هو احد الادلة على كونهم عربا اذ هي لا توجد في بلاد الافرنج الا في ما قمته
العرب منها وربما كان في الدار الواحدة ثلاثة رواشن وقل ان تجد
دارا ذات ثلاث طبقات صالحة للسكنى والاغلب اثنان وان وجد
فالثالثة انما تكون للوازم الدار وقل ان ترى فيها دارا مبلطة بالرخام
حتى ان قصر الحاكم ليس فيه ولا بلاطة منه وانما المستعمل في ديار
كبرائهم البلاط المعروف ولاكن يدهنونه بالزيت مرارا بعد ان يكشط
وحده فصفه له ان كالكه له • كذلك قا ان ترى في الديار التي تكرى
خزائن

خزائن او مخداع او رفوف وانما يلزم شراء ذلك على حدة وليس فيها سوا ولا في غيرها فوارات ولا ساحات فسيحة كديار دمشق ولا اسطبلات ومن كان عنده فرس ربطه في الخارج واقل من ذلك المهارات فانهم يشترون مؤنتهم يوما فيوما بل ربما اذا ادخروها فسدت كما تقدم ويرون ذلك تخفيفا للكلفة فان صاحب العيلة اذا ربي في منزله الحيوان وخزن المؤنة واتخذ الخبر كان له ولاهله شغل شاغل ولعل سبب ذلك في الاصل عدم انتال الاسعار • وما يقع ذكره هنا ان اكثر البيوت الصغيرة ليس فيها مراحض فيرفع اهلها اقدارهم في وعاء ويقذفون بها في الطرق لئلا فيأتى الكناسون للطرق صباحا ويزيلونها وقد كانت العادة من قبل ان المحبوسين لجراثرهم هم الذين يتظفون الطرق بان يخرج بهم شرطى وهم مقيدون والظاهر ان المالكين قبل مجئ الانكليز الى جزيرتهم لم يكن عندهم مراحض وانما كانوا يستقنون عنها بشعوب يتقونها في اسفل الدار وكانوا غير محتاجين اليها اصلا كما قال الشاعر

* من يكن عيشه كعيشك هذا * فلتكن داره بغير كنيف *
وقل ان توجد دار بائناها وفرشها كما في مدن الافرنج ومن شروط الاجبار ان يستأجر الانسان الدار على ثلاثة اشهر فما فوق ذلك ويعطى الاجرة سلفا وقبل انقضاء المدة بايام يؤذن المستأجر ربه باله يريد ان يتنقل منها او يحدد استئجارها فاذا انقضت المدة ولم يتنقل لزمه اعطاء الاجرة غير انه لا يسوغ للمالك ان يرمى بامتعة المستأجر او يخرجها كرها وانما عليه ان يضرب له اجلا ولو شهرا واذا عرشت دار للكراء كتب صاحبها ورقة تؤذن بذلك والصقها ببابها اذ ليس عندهم شيخ حارة تجمع عنده المفاتيح كما في مصر • ومن استأجر دارا فلا بد وان يدخلها مبيضة مصبوغة النجور وصيغ الخشب عادة حيدة قاله ابيه للنظر وابقى للخشب وقد تظهر به الدار بهية في الخارج وربما كان داخلها بخلاف ذلك وهي عكس العادة عندنا فان خارج ديار مصر والشام مظنة للهجمة مع ان داخلها متفوش مزخرف وسبب ذلك ان الحكماء في السابق كانت ايديهم ممتدة لاختد اموال الناس فلم يكن احد من الرعية يتظاهر بالنفي لافي بناء ولا في لباس اما صيغ الزناج في مالطة فقير مستعمل • ثم ليس على عزب اراد ان يسكن بين المترجعين من خرج ولا خرج عليه ايضا في الصعود

الى سطحه ولا يطلب منه ضامن من حيث ادبه وحسن تصرفه ولكن من حيث كونه قادرا على الاداء • والديار آبار يجتمع فيها الماء من المطر فاذا نفذ التمس صاحب الدار من ناظر الاقنية فامده بماء من عين جارية وسواء في ذلك القريب والغريب ومن لا يثر له استسقى من العين المشاعة • وكثيرا ما تجعل المطابخ تحت الارض ولها خروق في سطح الطريق ليدخل منها الضوء فتكون سقفها مساوية لسطح الطريق وكذا هي مطابخ لندرة غالبا • ولا تخلو كل دار عن فمحة صغيرة لقوارير الزهور ومن هذه الزهور ما لا رائحة له ولا وجود له في بلادنا • وفي الديار الكبيرة ولا سيما التي يتبوأها الانكليز اجراس صغيرة مدلاة باسلاك حديد تافئة في الغرف ويتصل بها شرائط من حرير فاذا اراد المخدم احضار الخادم جذب الشريطة فسمع الخادم صوت الجرس من كل جهات الدار وهذا اوفق من التصفيق باليدين وربما كتبوا على صفحة الباب اقرع الباب او اطن الجرس وكذا العادة في بلاد الانكليز • ولكن ليس في الابواب هنا خروق لوضع المكاتب كما في ديار لندرة • اما طريق المدينة فان الماشي فيها ابدا يصعد ويهبط كحيروم السفينة في الامواج غير ان لها درجا يهون من صعبها ويمكن المشي على حافاتها تحت المطر ولكل طريق حافتان عن اليمين والشمال لمر الناس ومرود الخيل والعجلات في الوسط وقد كانت جميعها سابقا مبلطة فكانت قرعة العجلات عليها لا تطاق فاقلعت الانكليز بلاطها من الوسط وجعلوا بدله ترابا وحصى فتال اهل مالطة ان الانكليز دايم ان يجرؤوا بلادهم كما حربوهم من قبل باخذهم مدافع التحاس ووضعهم مكانها اخرى من حديد والحق يقال ان فرش الطرق بالتراب والحصى يجعلها في الصيف مثارا للثبع وفي الشتاء منافع للوحل وانما فعلت الانكليز ذلك مراعاة لرضي بعض الاعيان الذين لهم عواجل فلنفع هؤلاء وحدهم اغمضوا عن نفع العامة وهذا دايم من انهم يراعون خاطر العلية دون الجمهور والباقي من الحجر على الحافتين متى تصبه الشمس في الصيف يصير مسدرا • هذا ولما كان اهل مالطة احرص الناس على ملابسهم واحذيتهم كان خروجهم في الطرق ولا سيما في الشتاء قليلا فبنى الطرق دائما نظيفة فاما في لندرة فان النساء يخرجن صيفا وشتاء وياسن نحو قباقيب تقيهن من الوحل فلهن تكون طرقها وسفحة جدا وقد رأيت كثيرا

كثيرا من الافرنج يجربون بتطافه طرق مالطة و يفضلونها على كثير من طرق المدن العظيمة بأوربا غير ان زوايا كل منها ممثلة قدرا ونجاسة ومنها ما لا يمكن لأثنين ان يشيا فيه معا و في كل زاوية فانوس مـرـكـوز على دعائم من حديد بوقد الليل كله ومثل هذه الفوانيس لا يوجد في لندرة وباريس الا في اضيق الطرق وارداها وقد بلغني بعد تحرير هذا الكتاب ان انوار فائقة تستعمل الآن من الغاز * ثم لا يخفى ان الافرنج دأبهم ان يشنعوا على العرب و الترك ان يلاهم غير نظيفة الطرق ولا مرتبة الاسواق وقد ملأوا الكتب بذلك ولم ار منهم من مدح مدينة ما الا انهم قد افراطوا في ذلك فان أكثر هؤلاء يذهب الى بلادنا مستوفزا و يرقد في الخانات فلا يمكن له مشاهدة ما فيها من الديار الرحبية و المنازة الفسيحة التضيئة فيأذى مما عاى ويحمل ذلك على مناكب البلاد جزافا و بعض النظر عن سيئات بلاده فان حوانيت اهل الحرف والصنائع في فائقة وغيرها ايضا متفرقة في جيع اطراف المدينة قريبا كان دكان الحداد تحت دار قاض او مطران ولا تزال اصوات المطارق بالغة مسامعة وكذا الزواني في كل طريق هنا ترى منهم جملة حتى قدام قصرى الحاكم والمطران وكثيرا ما يتفق ان صاحب العيلة يستأجر دارا بجانب زائية تكون اذ ذاك غائبة فلا يدري بها حتى اذا تبوأ محله اقبلت تجر ذبول عهدها حتى قدمت البحرية سمعت لهم ولهن ضجيجا منكرا ولا تزال تسمع سقلة اهل البلد هنا يغنون في الليالى و يرأطون ولا وازع لهم فهل هذا يعد من الترتيب اما اصوات الاجراس من الكنائس قبيلة كبرى وبالجملة فانه فلما ينهأ الانسان هنا في سكنى دار * ثم انه ليس في فائقة حمام منظور يتطهرون به من نجاستهم فاذا اضطروا الى كسطط الوسخ عن ابدانهم استحموا في البحر نعم انه يوجد محل اطلق عليه لفظ الحمام ولكنه ليس في صفة الحمامات التي في بلاد المسلمين اذ هو عبارة عن مغطس فقط من دون تكييس ولا تكييس ولا عرق على انه غال جدا ونحوه حمامات بلاد الافرنج غالبا من حيث الكيفية لا من حيث الغلاء و المتكثرون من المااطيين يقلدون والهم في اتخاذهم مغاطس من قصدير او خشب في ديارهم و يدعون ان ذلك اسم للجسم وانظف ولعمري ليس السبب في عدم الحمامات هنا الارداة الهوآء فان من سكك ان في محل دق وخزج منه مقابلا للريح لا يأمن ان يبنى بداء

وكننت قد ذكرت يوما بعض الأطباء عاداتنا على الحمام وتنصت لفقده فقال لي لو كان عندنا حمامات لما كان من يستحم فيها وقوله هذا يحتمل معنيين فاما ان يكون قد اراد ان المالمطين لا يستعملون ذلك او ان الحمام بيت الناس حتى لا يعود احد يدخله وهذا دأب هؤلاء في الاعتذار عما لا يوجد في بلادهم فانهم يقولون انه غير نافع او غير موافق كجواب آخر وقد سألته عن وجود رفائين الجوخ و الشال الكثيرى فقال نحن الافرنج لاننى بمثل هذه الصنائع مع انهم اعظم الناس اقتصادا وتوفيرا واكبرهم هنا برفع سراويله من دبر ويمشي كذلك من دون رداء يستر رقعته • وليس في هذه المدينة كلها مصطبة يقعد عليها فلا يمكن للانسان الجلوس الا في بيته او في محل قهوة نعم انه يوجد مصطبة عند قصر الحاكم ولكن لا يقعد عليها الا الاوباش فان القعود عند الانكليز على هذه الصفة عيب وتابعهم المالمطيون على هذا ويقال انه كان في المدينة سابقا عدة مصاطب فازالها الانكليز الخافا لها بلندرة • فاما محال القهوة في قالة فانها عبارة عن مخازن مظلمة ليس فيها شيك يطل على البحر او على حديقة واذا اطلت الجلوس جاك الساقى ومصح المائدة قدامك اشارة الى انه ينتظر غيرك او كأنه يقول بلسان الحال لقد ابرمت بي فتي تفارق • ولا يمكن لاحد ان يقعد ناحية البحر ساعة واحدة لانها جميعها قدرة ولا يمكن له في المطال المرتفعة الكاشفة على البحر ان يأكل او يشرب او يدخل احتراماً للنساء الانكليز • وفي شواطئ البحر حيث يعوم الناس مدة خمسة اشهر لن ترى كنا او عرشا او خيمة وانما ينصب الساج حر وجهه للشمس فيحترق قبل طلوعه من السماء • وفي الحقيقة فان الانكليز جعلوا مائدة خالية عن المنازع والمنازل السارة اصلا • ومن اعظم اسباب الخلل عند المالمطين الذهب في القوارب ليالى الصيف ليغسلوا في البحر فتذهب الرجال والنساء معا ويقضون هزيعا من الليل بالسباحة والغناء • والقوارب في مرسى قالة كثيرة جدا وكلها مصبوغ ظريف ولكن ليس فيها مقاعد كتنج مصر ولا زراى او زخرفة كقوارب الاستانة الا ان هذه خطر على راكبيها فانها لحقتها تجمد من ادنى شيء • ولقاتل ان يقول ان المالمطين هم مثل الانكليز في كونهم لا يلاحظون في لوازمهم سوى مجرد المصلحة بقطع النظر عن الترفه والطلاوة

والطلاوة فان متكأتهم ورواشينهم وكراسيهم وقواربهم وسروج خيلهم ليست
بمحمولة الا لقضاء الحاجة فقط • واغرب من ذلك حوائثهم فان التاجر لا يزال
واقفا من الصباح الى المساء وقل من كان عنده كرسي له او للمشتري وفي هذا
الآخر خالفوا الانكليز • ويقولون للتسارب « دعيصة » وكأنه تصغير دعيصة
الرمل شبهوه بها لاستدارته وصغره وهذا داب العرب في انهم يسمون الاشياء
الغريبة عنهم بما الغوه في بلادهم • فان قلت اذا كان هذا داب العرب فمن
اين للمالطيين ذلك قلت لا ينكر احد ان اللغة المالطية هي عربية وان المسلمين
حين استولوا على الجزيرة كما مر هم الذين سموا هذه الاشياء وانما لم يقولوا
قارباً مع كونها عربية فصيحة لان في اللغة المالطية اشياء كثيرة عدل بها عن
استعمالها الاصلى واستعبر لها اسماء مشابهة لها او مجاورة فيقولون مثلاً
للذليل قيت وللكثير سقى وللحصان زامل بالامالة وهو ما كأنه يطلع من
الدواب لتشاطه وللقربة رحل وهو في اللغة مسكن الرجل وما يستحبه من
الاثاث وغير ذلك • ومن ذلك اى الخط عندهم التاشى امام قصر الحاكم
حين يعزف بالآلات الطرب العسكرية فيذهب الى هناك جميع المتشبعين المتكيسين
فتنزل الرجال الى النساء وتدل النساء على الرجال • ومن ذلك الاعياد الكنائسية
وهي كثيرة جداً فان لكل قديس عبداً مختصاً به في زمن مخصوص ومكان
معلوم فيرحل اليه عند اقترابه المتلهون ويقضون ما تيسر لهم من اللذات
وسماع الموسيقى ورؤية لعب النار وما اشبه ذلك ولا بد للاوباش في هذه الاعياد
ان يسكروا ويفحشوا ما أمكن • ومن ذلك حلبة السباق وقد تكون في الخيل
والجمل والقوارب والسابق يفوز بالخطر • ومن ذلك زحلوقة لهم يحضرها
الوف من الناس وهي انهم يربطون خشبة طويلة كصارى المركب الى سفينة
ويدهنونها بما تنزل عنه القدم وينصبون امامها غرضاً ثم يمشون اليه على تلك
الخشبة فمن زل عنها وقع في البحر • ومن ذلك ثلاثة ايام في المرفع ويعرف بالكرنيقال
وهي الاحد والاثنين والثلاثا يلبس فيها الرجل كالمرأة والمرأة كالرجل ويتزيون
بهيات متنوعة واشكال مختلفة ويفطون وجوههم بجلود على هيئة الوجه
ويطوفون في المدينة حيارى سكارى ويسمون هذا التشكيل مسكرة

وكأنه محرف عن المحفرة ولا ينحاشون في هذه المدة شيئا من الخلاعة
والقصف والنتكرات ويومئذ تنص الطرق بالناس والمراكب فاذا أصبح يوم
الاربعاء ذهبوا الى الكنائس ونزوا الرماد على رؤسهم اشعارا بالانابة ومن ثم
يقال لهذا اليوم اربعاء الرماد وهذا الاسم باق عند الانكليز مع الفاء هذه العادة
عندهم ومعنى الكرنيسال رفع اللحم اى ازالته ومما جرت به العادة في هذه
الايام ان الحاكم يولم وليمة فاخرة ويدعو اليها وجوه اهل البلد بتذاكر يرسم
فيها بقدمهم بملابس مسخرة فيلبونه ويستأجرون هذه الثياب من الحوايت
فيقف لهم في غرفة في قصره وكلما قدمت عليه عيلة انحنى له فاحتفل بها
فاذا انقضى السلام شرعوا في الرقص وكلما رقصت النساء قليلا اخذهن
الرجال الى المائدة لياكلن او يشربن ما شئن ثم يعذن الى الرقص حتى مطلع
الفجر فتفرق الاصحاب وربما اتخذ بعض جشعي الساطنين من تلك المائدة
خبة وهى ما يحمل من الطعام في الكم وكنت اذهب الى تلك الدعوة
يزى المألوف فيخالوننى من الساخرين وكانوا يسألوننى هل في بلادكم مثل
ذلك فاجيب مغالطا ان لم يكن عندنا هذا فغير منه ولعمري قبيح بالرجل
الفاضل ان يرى راقصا كالولد • ومن اعظم مواضع الحفظ واللذات
الملهى وهو المسمى عندهم بلقطة الثياطر او الثياطرو وليس في قالة كلها
سوى ملهى واحد وجل اللاعبين فيه من ايطاليا ولكن ليسوا من
الطاراز الاول وسأنى الكلام بالتفصيل على ذلك ان شاء الله تعالى فأتى
الترمت ايجاز الكلام على هذه الامور في مالطة ليكون مناسباً لاحوالها
اذ جيع ما فيها ان هو الا مختصر من بلدان اوربا والظاهر ان المسلمين كانوا
يطاؤون على هذا الموضع اسم الملهى فقد كتب عمرو بن العاص الى عمر
ابن الخطاب ما نصه اتى فحمت مدينة المغرب ولا اقدر ان اصف ما فيها
غير ان فيها اربعة آلاف حمام واثنى عشر الف بقال يبعون البقل الاخضر
واربعة آلاف يهودى يؤدون الجزية واربعمئة ملهى اه غير ان هذا القدر
كثير على اى مدينة كانت فان باريس وما ادراك ما باريس لا تحوى الا ثلاثين
ملهى ويحمل ان المراد بالملهى هنا كل موضع يكون للهو فيدخل فيه موضع
الحكايات والنشى والاجتماع ونحو ذلك واما قول بقال ففي القاموس في ب ق ل
والبقال

والبقال لياع الاطعمة عامية والصحيح البدال ونحوه قوله في ب دل غير انه
فسر القربق في باب القاف بانه دكان البقال فليحذر • ومن القريب ان احد
المشعوذين الطالبانيين ابدى في مذهبي فالتة من التثيل والتخيل امورا غريبة ثم
اراهم ايضا منشورا من البابا بالرخصة له في هذه الحرفة فصدقه كل من رآه
فهلا كان هذا المنشور ايضا من جملة شعذاته • ومن الباني العظيمة في هذه
المدينة الكنائس وهي حسنة البناء متقنة مزخرفة بالنقوش والدبحي والتماثيل
والصور مزينة بالارجوان والاستبرق وادوات الفضة والذهب وفيها
عشرون كنيسة على هذا النسق واعظمها كنيسة صان جوان وهي مبلطة
كلها بالخام المنقش المصور عليه صور اعيان مالطة الاقدمين المدفونين فيها
وفي صدر الكنيسة تماثيل للمسيح ولصان جوان رافعا يده فوق رأسه (اي
رأس المسيح) يعمده وهما من الحجر يراهما الداخل من الباب اكبر من الرجل
الجسيم وبخارج الكنيسة صفحة ساعة يعلم منها الساعات والايام والشهور
والستون واذا ضرب جرسها سمع صوته كل من في المدينة فيضبطون ساعاتهم
عليها وفي هذه الكنائس من الذهب والفضة والخف ما يغني جبع
صعاليك مالطة ولكل يوم من الاسبوع بدلة للقسيس خصوصية وقس على
ذلك ايام الاحاد والاعياد والاحوال الطارئة كالازواج والعمودية والموت وفي
الحقيقة فان كثرة الكنائس الحسنة في جزيرة مالطة على تحسها لما يجب منه
وفي كل قرية ترى ثلاث كنائس فاكثروا اول اقتضار المالطين انما هو بكثرة
كنائسهم اذ ليس عندهم شيء آخر يتباهى به والتفاخر صفة قائمة في النفوس
واذا سرت الى قرية ما مترها فلا تكاد تصل الا وتحديق بك جماعة ليروك
كنائسهم وجملة ما يصرف على الكنائس والقسيسين يبلغ ثلاثين الف ليرة في
العام ولا يعرفون ضرب الاجراس بالحبال كما يفعل الانكليز وانما يصعدون
الى قبة الجرس ويحركون مطرقته باليد بما تنقبض منه النفس ويشتمر الطبع •
ومن ذلك مدرسة جامعة يعلم فيها الفنون واللغات وفيها كنت اعلم اللغة
العربية الا ان المالطين يتعلمون كل شيء ما عدا لغتهم وفي مدة الصيف
يعطل المعلمون نحو ثلاثة اشهر واجرمهم غير ممنون وعند انقضاءها يعين يوم
لا اجتماع التلامذة ومشائخهم في حجرة في المدرسة وفي الصدر مائة عليها كتب ثم

يقوم احد المشايخ وهو في الغالب صاحب المعاني والبيان فيلقى على الحاضرين خطبة ثم تقرأ أسماء من نبغوا في العلم من الطلبة ويعلمون من تلك الكتب ما يليق بهم وربما حضر الحاكم بنفسه لهذا ولا بد من ان يعطى لكل معلم دفتر يكتب فيه أسماء الطلبة وما يحصلونه من القنون ويشترط عليه ان لا يعلم تعليما مضارا للديانة الكاثوليكية الرومانية • ومن الغريب ان اهل مالطة مع كون لغتهم فرسا عن العربية فليس منهم من يحسن قراءتها والتكلم بها واذا شاء احد ان يفتح مكتبا بمالطة تمنحه علماء هذه المدرسة اولا فاذا رأوه اهلا لذلك اعطى رخصته من الديوان فيه وجلة ما يصرف على هذه المدرسة وعلى مكاتب اخرى في القرى في كل سنة نحو ثلاثة آلاف وثلاثمائة ليرة • ومن ذلك دار كتب موقوفة باللغات الافريقية فن شاء ان يطالع كتابا منها ذهب اليها واستوعبه وان كان من الوجوه يحضره الى منزله وعدة ما فيها ثلاثة وثلاثون الف سفر وليس فيها من الكتب العربية ما تحته طائل • وفي المدينة ايضا عدة حوانيت مشحونة باصناف الكتب ليس فيها خرم ولا نقصان ويمكن ان يقال ان الكتب بلوربا اخص ما يكون لاجرم ان المولع عندهم بالعلوم مع سعة ذات اليد لاسعد الناس لانه اذا شاء ان يتعلم اى فن كان وجد له فيه شيئا ولان الكتب والادوات اللازمة لذلك الفن حاضرة غنية بمجدها باهون سعى ولا يخشى في الكتاب خرمًا كما ذكرنا ولا تحريفاً فكل كتبهم صحيحة ولان المدارس الوقفية تعلم فيها العلوم مجانا او يعطى في مقابلة ذلك شئ زهيد فطالب العلم في مالطة يعطى في الشهر شلين ونصفا وطالب اللغة شلينا واحدا ولعمري ان طالب العلم في لقنتا لو لم يصد عنه المطالعة الا تعذر وجود نسخة صحيحة لكفاه ذلك عذرا فضلا عن نصبه وحرمانه وخوفه • وفي فالتة سبع مطابع احداها للبرى تطبع فيها الاوامر والنواهي التي تصدر من ديوان الحكم والباقي للاهليين وفيها ايضا دار للتحقق الاخبار الواردة من اوربا وداران للصرف توضع فيها الاموال ومنازة فيها فانوس كبير لهداية السفن وعدة مكاتب للصبيان والبنات يعلم فيها القراءة والكتابة والحساب والتطريز والخياطة وغير ذلك غير ان الاولاد تطلب عليهم لغتهم وتمنعهم عن التكلم بغيرها اذ كانت هي اللغة الغالبة والى الآن لم يعلم من نساء مالطة من نبغت في المعارف والتأليف فناية ما يتعلم انما هو ان يقرأ

يقرآن بعض كتب كثنائية وقد كان في السابق دار معدة لثاني النفل وتريحهم
وقد بطلت الدار وبقيت عادة النفل وعادة التبن من التبن وفيها ثلاثة
مستشفيات احدها للعسكر والثاني للرجال والثالث للنساء ومن لم يكن لها مأوى
تأوى الى هذا المستشفى وتكث فيه ما شئت وبخارجها ايضا اربعة اخرى
احدها للعجائين وأكثر جنون اهل مالطة يكون عن وسالوس في الدين وقد
رأيت فيه عجوزا تهذى وتقول اليوم عيد كما امر بذلك القسيس والثاني للمرضى
من العساكر البحرية والثالث للفقراء والرابع للطاعنين في السن العاجزين عن
تحصيل معاشهم المادين لوداع الدنيا يد والغرضين عن درزها ونعيمها عينا قد
اصبحوا من هذه الحياة على شفا جرف هار يعتبر بهم اليبس ويتعظم بهم المستهتر
في حب هذه الدنيا الفرور اذ تراهم كالانهار من الاولاد قد انحلت منهم القنود
لما استوى عندهم داعي الاجل واظلمت منهم الابصار بعد ان اضاء فهم صبح
المشيبي وانحلت منهم القوى بعد ان غلت منهم الافكار والنهى ثم يقضون
ما بقي من ظم حياتهم بكان وصار • وفي فائدة عدة فنادق للسافرين بهية ذات
حجرات مفروشة عتيقة اجرة كل منها في اليوم نصف شلين في الاقل • وفيها من
الذكور اكثر من اثني عشر الفا وخمسمائة نفس ومن الاناث اكثر من احد عشر
الفا وثمانمائة وسبعين جلة ذلك اربعة وعشرون الفا وثلاثمائة وسبعون نفسا
ومن الفناسل اربعة عشرون من التمسسين نحو مائتين وخمسين وسبعة اديار
للرهبان والراهبات • وجلة ما في الجزيرة كلها من الكنائس الكبار سبع وسبعون
ومن الصغار مائتان واربع واربعون ومن الاديار واحد وعشرون ومن
الاطباء مائة وتسعة وعشرون ومن الدوائية والعقاقيرية تسعة واربعون ومن
كتاب الصكوك والعقود مائة واربعون ومن اصحاب الموسيقى مائة وثلاثة
وستون ومن المعلمين في المصنوعات مائة واثنان واربعون ومن المصورين مائة
وثلاثة وتسعون ومن الموظفين في خدمة الميري خمسمائة وواحد وثلاثون
ومن المرتب لهم عمريات ولا شغل لهم ثلاثمائة وستون ومن التجار ستمائة وستة
وثلاثون ومن السماسرة مائة واثنان وسبعون ومن اصحاب الخوايت الفان
وستمائة واربعون ومن المزارعين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وعشرون ومن
الفلاحين ثمانية آلاف وسبعمائة وستون ومن صاغة الفضة والذهب مائتان

و اثنان و ثلاثون ومن التجارين الف ومائتان وثلاثة و ثمانون ومن الاساكفة
الفان واربعائة ومن الفزاليين والفزالات ثمانمائة واربعون ومن النساجين
والنساجات ثلاثة عشر الفاً وستون ومن الخياطين تسعمائة و اثنان و ثمانون
ومن لفاق ورق التبغ تسعمائة و ثلاثون ومن الخدام ثلاثة آلاف ومائة
وعشرون ومن اصحاب القوارب ستمائة و اثنان واربعون ومن الساعائية ستة
وعشرون ومن المتعلمين في المدرسة الجامعة وفي غيرها ثلاثة آلاف و ثمانمائة و ثلاثة
و ثلاثون ومن الديار الكبار احدى وعشرون الفاً ومائتان و اثنان وستون
ومن البيوت الصغار الفان ومائتان و واحد و سبعون ومن الحجرات على حداثها
ثمانية آلاف وثلاث واربعون ومن الدكاكين ثلاثة آلاف وخمسمائة وعشرون ومن
المخازن خمسمائة وستون ومن الشون للقمح خاصة مائة وسبع وعشرون ومن
الذين لا عمل لهم من الاعيان ستة آلاف ومائتان وتسعة وستون ومن العامة
نحو اربعين الفاً و جلة من يزيد عمرهم على الثمانين سنة سبعمائة وثلاثة وسبعون
و جلة ما يولد فيها في السنة اربعة آلاف واربعائة و جلة اهل الجزيرة نحو
مائة الف نفس منهم احدى عشر الفاً وخمسون من الانكليز و سبعمائة وسبعون
من الغرباء

* كثيرون ان عدوا قليلون ان رجوا * فهم دون عد العشر ان توخيها *
و جلة ما يرد اليها في السنة من المسافرين ثمانية آلاف ومائتان وستة عشر وما
يصدر عنها تسعة آلاف وخمسمائة و ثلاثون * وفي قالة سوق تباع فيها سائر اصناف
المأكول فتجد فيها جميع انواع السمك واللحم كالبيتر والضأن والجل والدجاج والطير
اما السمك فانه لذيق جدا واما اللحم فاطيب انواعه الحزوف الصغير يذبحونه وهو
دون ثلاثة اشهر فيكون الذ من لحم الطير وهذه الطريقة النفيسة لا وجود لها
في لندرة ولا في باريس اما الطير فانه قليل جدا ولا عيب على من يشتري نصف
دجاجة بل ربعها او جناحها او راسها بل مصارينها كل ذلك من اقتصادهم
فانهم اعظم اتلق خبرة به ولا عيب ايضا على من يذهب بنفسه ويشتري مؤنة
يومه وان يكن قاضيا بل النساء السيدات يفعلن ذلك ايضا ومتى اشترت شيئا
تحمله احد الاولاد الذين مهنتهم الحبل وهم كثيرون وكذلك لا عيب على من
يشتري

يشترى من البقول والخلب ما قيمته فلس واحد فقط وليس في المدينة جبر فارهة للركوب كحيدر مصر وإنما يذهب الناس في عواجل وهي ليست كمواجل الأفرنج وليس لسائقها مقعد فيها وإنما يمشى بجانبها على رجله الخافيتين ومتى رأى أصحابها أحدا مقبلا ازدحوا عليه ولا ازدحام حارة مصر • وليس في مالطة كلها مصانع للساعات أو الزجاج أو الأدوات الخربية والنفثة وغيرها فاشهر الصنائع عندهم التجارة والخباطة والسكافة والحداثة والنساجة والصياغة واخص أعمال التجارين الكراسى والتكآت والموائد والخزائن والصناديق والاصونة ونحو ذلك وقد يحسنون أيضا إنشاء المراكب وعمل الحداثة مقصور على سرد النوم وما يلزم للبناء وعمل الصياغة من الذهب إنما هو الشنوف والخواتم والسلاسل والاسورة واشكال طيور وزهور والابازيم والابر ونحوها ومن الفضة اللاعة والمصارف والباريق القهوه والشاي والاقداح والادباق والمسارج واوعية السكر ونحوها فاما النساجة فلا تعدى شتى القوط واغطية الفرش وقلوع المراكب ومن هذا الأخير يبعث الى بلاد المسلمين متدار جزيل وليس من اهل هذه الصنائع من يصل الى درجة الانكليز والفرنسيين في الجودة والاتقان الا ان عمل المالطية وثيق متين فاذا اشترت مثلا حذاء أو ثوبا مخيطا بقي مدة لا يحتاج الى تصليح اما عمل الانكليز منها فحسن في الظاهر لكنه لا يبقى على الاستعمال وعمل الفرنسيين ما بينهما ومن الرسوم الحسنة في مالطة انه اذا اراد احد شراء شيء من الفضة والذهب ذهب الى قيم الصنعة وسأله عن قيمته فيرته ويكتب له تذكرة بذلك فاما الجعل فمكول الى التراضي والغالب في مشرى الجواهر ان يكون انقص من التمين • ومما يكره بمالطة كثرة التهاذين والخافهم بالسؤال حتى انهم يقرعون الابواب وقت الغداء ويمرحون مع الماشي ولا يبرحون مستجدين حتى يفوزوا بشيء وهم يرون ان حقا على المومسين ان يواسوهم باموالهم واذا اعطيت احدهم مرة فكأنما قد دون ذلك عليك في الدستور فأنما يرك يلزمك واول كلامهم في الاجتهاد قولهم « عن روح مسيرك » اى ايسك او « عن ارواح البوركاتوريو » اى المطهر وكان بعضهم يقول لى عن روح المحمد تيك والاجتهاد فى باريس وتندرة ممنوع • ومما يكره ايضا ما عدا طنطنة اجراس الكنائس المتابعة اصوات البساعة الذين

يطوفون في الاسواق لبيع الفاكهة والبقول والسمك والحليب والماء فان ضر
افواهم ومط اصواتهم وقطاعة لحنهم على اختلاف معنيہ لما يستأذنه •
كيف لا وهم يقولون لانتاح تفج وللرمان رمين والبطيخ يتيج (بالحاء المهملة)
وللخيار حيار (بالحاء المهملة ايضا) والاجاص ليجاس وللدلاع دليج
وللغبر حبس وللماء للما وللخوخ حوخ (بالحاءين المهملين) وما اشبه ذلك •

فلا يمكن للعربي استماع ذلك ولا سيما اذا كان في اليوم مرارا من اشخاص ذوي
شراسة وقطاعة • وعلى ذكر الخوخ يحسن هنا ايراد ما قاله بعض الادباء وفي
الناس من يبدل الحاء المعجمة حاء مهملة فيقول في خوخ حوح وفي خلخال حلخال
وهي مستحسنة من الغلمان والجواري وكذلك ابدال السين ثاء وعليه قول الشاعر

* واهيف كالنهلال شكوت وجدى * اليه بحسنه واطلات يثى *
* وقلت له فدنك النفس منى * تحز في التواب فقال يثى *

قلت هذه اللفظة ذكرها صاحب القاموس بالضم فقال وبس بمعنى حسب
او هو مسترذل واهل مالطة يبدلون سينها زايًا ويكسرون اولها واهل تونس
وطرابلس لا يعرفونها ويستعملون بدلها لفظه بركة وهي قيمته جدا • وقلت
الا في ملحة مالطية

* بدت في الثياب السود والوجه زاهر * وماست بقدر ينجل الفصن الغضا *
* لهامنطق عذب على قبح لحنه * وفي حسن من تهوا عن لحنه اغضا *

الا ان هؤلاء الباعة ليسوا من هذا الطراز لا جرم ان النطق يؤثر في ذى
الذوق السليم اكثر من الحسن وانه من خصوصيات الانسان والحسن يوجد
في جميع المخلوقات • ولقائل ان يقول ان النظر الى ذى جلال رائع بغنة يدعش له
ويتأثر به اكثر من استماع متكلم بليغ من اول وهله قلنا هذا على اعتقاد الناطقية
فيه فلو فرضنا ان الناظر يرى جيلا معتقدا انه اخرس وقبحا منطيقا لتأثر بالثاني
دون الاول • واشد ما يكره في هذه الجزيرة هو ان الاوباش والافراد يترددون
حيث تتردد الحفاصة وذوو الفضل فقلبا رأيت مكانا خاليا منهم واذا لقوا احدا
من الوجوه سلقوه بالسنتهم ولزوه فعلى الكريم ان يجتنب محضرهم ويتباعد

عن مثابتهم واسوأ من ذلك ان القضاة يعتبرون هؤلاء الانجاس عند الحاق
والخاصم اعتبار الخبيرين من الناس وهذا الذي جرأهم على التهادى في القبايح
وهؤلاء الاراذل اذا شربوا قدسا واحدا من الخمر طافوا الاسواق وهم
زأنطون ضاجون يظهرون بذلك طاقهم على الانفاق وفي ليل الاحاد والاعباد
تفص بهم المسالك فلا يطيق احد سماع غنائهم ولغظهم * هذا وكثيرا ما
ترى الملاحين والبحريين سكارى في الاسواق حيارى واذا صرعتهم الخمر في
الطريق يمر الناس بهم ولا يبالون وربما سرق منهم وهم على هذه الحالة ما بقي
لهم من الحانة او جرؤا عن ثيابهم وهم لا يشعرون وربما تقاى احدهم ثم عاد
الى الشرب الا ان منزلة السكارى من عسكر المدينة اجل من العسكر البحرية
فان اولئك يجرؤون الى مقامهم تجريرا وهؤلاء يغادرون صرعى عرضة للناهين *
ومما يحمد في مالطة عدم العتارب والحيات وسائر الهوام المضرة وان
وجدت فلا سم لها واهل مالطة يزعمون ان ذلك من كرامة مار بولس حين
لقى الثعبان من يده في النار واخبرني ثقة بان الحيات في جزيرة كريد ايضا لا سم
لها واهل ايطاليا يقولون ان مار بولس ازال السم من افواه الحيات فانقل
الى افواه اهل مالطة وزعم بعض من الانكليز ان مار بولس لم يمر بمالطة وانما
كان مروره بمالطية الا انه يكثر عندهم البق والذباب وهذا يؤرخ كل شئ
ايض والعناكب تلقى لعابها بين كل شئين اما العثة فانها لا تلحس الصوف
لحسا كما يقول صاحب القاموس وانما تسترطه استراطا وفي معنى العناكب
قلت

- * غدا بيتي كثير الفرش لما * تزلزل فيه نسج العنكبوت *
* فلا عجب اذا ما قلت يوما * لكيد الناس اني نوبوت *

﴿ فصل ﴾

﴿ في عادات المالطين واحوالهم واخلاقهم واطوارهم ﴾

عادة اهل مالطة التشبعين في اللباس كعادة الافرنج الا ان نساءهم
يلبسن وشاحا من الخريز الاسود وعلى رؤوسهن غطاء منه ايضا من دون برنيطة

واقف شيء في الصيف رؤية هذه الثياب السود وقد يحسكي بعضهم
فساء الانكليز في الزى ولكن متى ذهبين الى الكنيسة لبسن زيهن الاصلي
توهم ان اللون الاسود البق بالكنيسة واولى بالثبوت وهو كوههم الجهلة من
نصارى الشام ان من يلبس سراويل فوق ثيابه لا يلبق به ان يتقدم الى محراب
الكنيسة • اما اهل القرى فان الرجال منهم يتقبون آذانهم ويتقرطون باقراط
من الذهب ويرخون سوارف مجمعة من افواههم الى طلاهم وهاتان صفتان
من صفات الاناث ويلبسون طرايش مختلفة الالوان مسدلة على اكفافهم
وهي شبيهة بالاجربة ويمشون حفاة ويتخزمون باحرمة ومنهم من يتختم بعدة
خواتم من ذهب ويحمل ازرار صدرية منه او من الفضة ويحمل سترته على
كتفه ويمشي حافيا مشية الفراح البطر وان الجرار منهم او الخمار ونحوهما
ليخرج في الاعياد وفي اصابه عشرة خواتم من الذهب او الفضة اما النساء فان
ساعته وفي صدرية ازرار كثيرة من الذهب او الفضة اما النساء فان
من كان لها حذاء لا تلبسه الا اذا جاءت المدينة وهي مقيمة به حتى اذا خرجت
منها تأبطه وجميع الاعيان في مالطة يخرجون في الصيف من دون اريدة
تستر ادبارهم خلافا لعانة الافرنج في اوربا والتكيس الغساني منهم هو الذي
يزنق سراويله على فخذه واليتيه حتى لا يعود يكتنه النقاط شيء من الارض فاذا
صعد في درج ونحوه استعمل الحيلة حتى لا تنمد من دبر واكثرهم يغمم فخذه
ومؤخره بمحشو في السراويل ويستتر كل عظم ناتي في بدنه ويبدى ما ينبغي ان
يستتر فاذا مشى احدهم على هذه الصفة نظر الى عطفه كالزوزك والى سراويله
وحذائه معجبا بما لديه • وللنساء زهو وعجب اذا مشين اكثر من زهو الرجال
فترى المرأة تخطو كالعروس المزفوفة الى بعلها وهي ممسكة بطرف الوشاح باليد
اليسرى وبطرف غطاء راسها باليمنى فتكون على هذه الحالة اشغل من ذات
اليمين فتى اوين الى يوتهن لبسن اخلق ما عندهن من الثياب وسوء في ذلك
الفقرء والاغنياء و الرجال و النساء وهذا هو احد الاسباب التي حبيت الى
الماعطين منجى المعاشرة والمخالطة وربما عدت المرأة التي تبق في منزلها بلباس
حسن من التبرجات واذا زرت احدهم فلا يستحي ان يقول مهلا فان زوجتي
تبدل ثيابها لتحضرين يدك ومنهن من تبق في بيتها بغير حذاء ثم اذا
خرجت

خرجت في يوم الاحد لبست جوارب من حرير وكفوفاً منه وتيهرجت غاية ما يمكن فان المالمطين يتفخولون في الاعياد كل التفخول بخلاف الانكليز هنا فانهم يقولون على حالة واحدة • وفي الجملة فان هم هؤلاء الناس كله مصروف في التفاخر بالرياش وهو شان حديث النعمة • ومتى كانت احدى نساء مالطة حاملاً مشيت الحياء ورفعت بطنها ليراها كل من مر بها ومتى ابصرت ذا شوهة رسمت شكل الصليب على بطنها تعودا من سريان الشوهة الى الجنين واذا شمت في الطريق رائحة طيبخ وتوجت عليه بعثت تستهدي منه • اما حلّى النساء فالذهب غالباً للاغنياء والفضة للفقراء الا انه قل ان ترى امرأه من دون حلّى من ذهب واصناف الحلّى الشنوف ويقولون لها مسالت وفي لغة اهل الغرب مصالت والاسورة يلبسها فوق الاكمام والابر والخواتم والسلاسل والساعات ويندر جداً تحليهن بالجواهر النفيسة وانما تعلى بها الخواتم في الرقص والولائم وقد يمزى عنها الجزع وفي الجملة فليس لساء مالطة ولا لنساء الافرنج جيها كثير من الحلّى كما لساء مصر والشام وانما اعجابهن مقصور على نظافة الثياب واتخاذها بحسب الزى وكما ان لباس رجال الافرنج لا يخلو من اخلال بالحيا • كذلك كان لباس نسائهم ادعى الى الحشمة والتصاوان من لباس نساها فاما تغير الزى عندهم فانه نافع لاصحاب التجارة ومضر بعامة الناس فانه يقضى بمصاريف حديثة غير ضرورية ومنشأ هذا التغير يكون في باريس قطيع صورته على اوراق وترسل الى جميع البلاد وهذا داب الناس من انهم اذا رغبوا عن رذيلة اقبلوا على غيرها فان الافرنج لما رغبوا عن المزرعكش والمرقس من الثياب وعدوها من داب الصبيان اولعوا بتغير الشكل هذا ولما كان لباس الافرنج في الشتاء لا يتعدى اللون الاسود من الجوخ وغيره وفي الصيف لا يتعدى الثياب البيض لم يكن لاسواقهم ومواسمهم بهجة وليس ما تسر رؤيته الا ملابس المسكر وبعض النساء ولا شك ان حب الالوان الزهية طبيعي لانا نراه في الاولاد وهم يقولون ان الميل اليه من طبع الهيج وانما ميلهم الى الالوان مقصور على فرش ديارهم واثانها والحق يقال ان ملابس الافرنج اوفق للعمل وادعى الى قلة المصروف فانها ما عدا كونها منقمة وهو اصل في الاقتصاد فهي طرية عن كلغة الرّم والوشى وربما كانت ادعى الى الكثافة ايضا

ومن عادة الانكليز هنا الاكثار من الثياب البيض والاقفال من الجوخ ونحوه فان الفنى منهم لا يكون له اكثر من ثلاث جبات او اربع ولكن قد يكون له ستون قميصا وعشرون سروالا من الكتان وعشرون ملاءة للفريش وقس على ذلك • وقد رأيت كثيرا من الاعيان هنا لهم جبب قد تلبد على ازيائها الوسخ والعرق لا سيما ان منهم من يرخي شعر راسه حتى يصل الى قداله فتراه اذا نزع برنيطته تتطاير هبرته على ككتفيه ومع ذلك فهم يحلقون شواربهم بدعوى النظافة ومن الانكليز من يلبس كل يوم قميصا ويحلق في كل صباح وربما فعل ذلك في النهار مرتين وذلك مطرد سواء كانوا في البر او البحر ومنهم من يحجل صدر القميص او طوقه واطراف كفيه منفصلة عنه فيغيرها في ككل يوم وبما محمد عند الافرنج استعمال النشا في الثياب البيض حين تغسل فانهما تأتي بهما جديدة والغسلات في مالطة لا يغسلن الا بالماء البارد فان وضع اليد في الماء السخن ومقابلة الريح بعده يعقب ضررا وصابونهم احسن من صابون فرنسا ودونهما صابون الانكليز وعندي ان احسن صابون في بلاد اوربا هو صابون قسطنطينية في اسبانيا والظاهر انه من صنعة العرب فان اهل تونس لا يزالون يصنعون شيئا منه على لونه وهيئته ولكن شان ما يبتدعها واجزة غسل القميص بمالطة صامدي واحد وفي باريس ثلاثة وفي لندن اربعة او خمسة • اما عانة المالطين في الاكل فلهوسرين الشورية في الغداء واللحم والخضر والخمر وفي العشاء السمك والسلطة واخر شيء عندهم لحم الخنزير الا انهم لا يكثرون منه ومن غيره كما يكثرون من اكل الخبز بخلاف عادة الانكليز اما الفقراء فان احدهم لياكل رطلا من الخبز من ارطالهم بخمس حبات من الزيتون او بقطعة من الجبن او بعصاة والزطل المالطي هو نحو رطلين من ارطال مصر وعنه نحو قرش ولهذا كان المالطيون جميعا كثيرى اللهج بذكر الخبز فاذا زارك احد مثلا وسأله عن اهله قال لك كلهم طيبون يأكلون الخبز او كان يقول الطيب هو من ياكل الخبز واذا اردت ان تشتري شيئا من احد التجار ولم توفقه فقل له انا قائم بؤنة عيلة تاكل الخبز واذا رايت احدا ياكل بعيدا عنك رفع اليك ما في يده وقال لك يعجبك اى ان يك يعجبك وان كان يعلم ان اقتراك منه محال ثم لا يخفى ان خبر الافرنج يكون

كبيراً جاهضاً يقطعونه بالسكين والحكمة في ذلك الاقتصاد فان الأكل اذا قطع منه شيئاً وابتقى منه ما ببقى فلا يكون الحرص على الباقي عبياً وربما جئى بالفضلة منه الى السائدة مرات بخلاف عادة الشرقيين فان الرغبة اذا قطع منه شئٌ فلا يؤتى به الى السفرة وهو ناقص فذلك يعد لؤماً وبخلًا غير ان جعل الرغبة كبيراً يوجب عدم تضييع له فتحب اهل مالطة يكاد له وهو الجزء الأكبر منه يتعصر فلا يمكن اكله الا بعد يوم وهو اردأ خبز في بلاد الافرنج فانه ما عدا كونه معجوناً بالارجل حامض وغير مرئٍ غير انه فيما اظن ليس مخلوطاً باجزاء كثيرة كخبز الانكليز * وعندهم نوع من الخبز مستدير مثل خبزنا يسمىونه الفطائر وباكلونه على نوع التفكه وقد سالت عن سبب قلته وعدم بيعه في جميع الحوانيت فقالوا انه موجب لزيادة المصروف لطيبته وهم اذا جاعوا اكلوا منه ما يكسر الجوع فقط * وعامة المالطين يطبخون الدم ويستبقون الى اكله وكنا اذا اردنا ان نذبح دجاجة اخذ الذابح دمها وهولنا من الشاكرين وهم وجع الافرنج ياكلون السلاحف البحرية وحيوانات اخر مما تنزف نحن منه * وقد بلغنى ان من المالطين من اذا لجم بشئٍ نجاة اكل فاراً او ضفدعاً لازالة الدهشة وكيف كان فان اخس الفلاحين بمالطة يعرف من انواع الطيخ ما لا يعرفه أكبر تاجر في بلاد الانكليز فانهم يطبخون اللحم مع جميع البقول والتوابل ان الافرنج لا نطافه لهم في الطيخ من حيث كانت خدماتهم ادا مكشوفات الرؤس فينساثر شعرهن في الطيخ ولانهم قليلاً ما يبيضون آية الطيخ حتى ان هذه الصنعة في مالطة تكاد ان تعد من المفقود وأكثر آية الطيخ عند الانكليز من الحديد وهو اسم عاقبة واهل مالطة مثل غيرهم من الافرنج في كونههم ياكلون الخنوق وزادوا عليهم في اكلهم الميتة من الدجاج ونحوها واذا دعوت احدا منهم الى مأدبة لم يكن منه في خلال التهامه ما بين يديه الا الثناء على نفسه بانه قليل الاكل وعلى ذلك قولي

* لثام اذا ما زرتهم في بيوتهم * كرام اذا زاروك ما امكن اللبس *
* ولو وسعت افواههم غير ما بها * لكان لكل بين انسابه فاس *

✽ وقلت ايضا ✽

* لجارى ثغر اللهم القرى * وذم الوردى منهى حده *

* فلا شيء أسهل من قبحه * ولا شيء أصعب من سده *

وكلمهم بأكلون الثوم والبصل نيثا فلا تزال رائحة أفواههم منتشرة • أما مراقدهم فانهم يرقدون غالبا على سرر من حديد والمتكثرون منهم يتخذون في الصيف سررا منه وفي الشتاء من الخشب وفرشهم متعددة وثيرة وقد سمعت ان غير الاغنياء يتخذون فرشاً عالية ولكن لا يرقدون عليها وانما يتصدون لها للفاخرة والمباهاة والاطباء هنا يقولون ان الرقود على فرش القطن مضجع للجسم وان حبل الليف او التبن اذا نفث كان خيرا منه وفرش الاغنياء من الصوف • وعامة المالمطين يحملون اقدارهم في وعاء تحت السرير فلا طاقة لاحد على ان يدخل مراقدهم في الصباح ولا بد من ان يرقد الرجل مع زوجته وان تقادم عليهما الزواج وهرما فيه واروحا فاما الاوباش والسفلة فتراهم راقدين في الهاجرة على حافات الطرق كبا على وجوههم وقد جاء في الحديث نوم الشباطين على وجوههم واذا زرت موسرا منهم بادر الى ان يريك ما عنده من الفرش والاثاث وقبل كل شيء يريك فراشه ولم تجر العادة عندهم ان يتخذوا فرشاً للزائرين كما في بلادنا • ومما حرم منه اهل مالطة من اسباب الترفه والاستراضة الاستواء على الارائك والزرابي الوثيرة فلا يقعدون الا على الكراسي نعم انهم يتخذون متكآت من خشب ولكن من دون ثمة عليها ولا حشية ونأهيك بمن يقعد يومه كله على كرسى خارج منزله او يظل واقفا كالبحار ثم يأتي منزله ليقعد على كرسى فكأنما لسان حالهم يقول ما قال ابونواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * او ما قال الاعشى

* وكاس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها *

او ما قال ابن دريد في مقصورته

* حيا هي الداء واحيانا بها * من دائها اذا يهيج يشق *

او ما قاله الجعفي

* تداويت من لبي بلبي في الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر *

فائدة يحسن استطرادها هنا وهي « ان مداواة الشيء بنظيره لا ينقبضه ليس من مخترعات اطباء اوربا كما شاع فقد ذكر العلامة الدميري في كتاب حياه الحيوان عند ذكر الحل ما نصه روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي سعيد الخدري رضى الله

الله عنهم قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بعتنه
يقال اسقه عسلا فسقه ثم جاءه فقال يا رسول الله انى سقيته عسلا فلم يزد الا
استطلاقا فقال عليه السلام اسقه عسلا ثم جاء الثانية والثالثة والرابعة فقال عليه
السلام اسقه عسلا فقال قد سقيته فلم يزد الا استطلاقا فقال صلى الله عليه وسلم
اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ * قال النعمري * اعلم انه قد
اجتمعت الاطباء في مثل هذا العلاج على ان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت
الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية واما حبسها فضرر عندهم
واستجبال مرض اه * اما عاذنهم في الزواج فهو ان يعاشر الرجل المرأة قبل
ان يتزوجها مدة طويلة وربما اقام على ذلك ثلاث سنين فاكثر * وعندى ان
الزواج من دون مشاهدة البنت ومعرفة احوالها من اضر ما يكون ولا سيما
عند النصارى لعدم اباحة الطلاق عندهم غير ان طول العشرة ايضا لا خير
فيه لان البنت لا تزال مع خطيبها على احسن الاخلاق حتى اذا تزوجت وعرفت
ان لا فراق تخلفت بالاخلاق التى تعجيبها ولا ينحني ان النساء في بلاد الافرنج
هن اللواتي يهين الرجال فالاعتناء من المسالطين يعطون الزوج نحو مائتي
ليرة والذين هم من الوسط يؤثثون له منزله من فرش وكراسي وموائد وآلات
الطبخ ويتقدمونه شيئا من الدراهم والفلاحون يعطونه دجاجة وبيضا ونحو
ذلك وعلى الزوج ان يهادى جاء باخذية * وعندى ان لكل من الغريبين
الذين يهرون الزوج ومن الشرقيين الذين يهرون المرأة وجهها وذلك ان
الشرقيين ينهمون على الزواج وهم غير محنكين ولا مادة لهم فيحتاج ابو البنت
الى ان يأخذ من الزوج مهراتعة بانه قادر على القيام بما تعرض له ولان الرجال
هم قوامون على النساء * اما الافرنج فلان رجالهم غالبا يتهاشون الزواج لما
يعقبه من التكاليف الشاقة لان مؤنتهم غالية ونساءهم متشبهات بالرجال اخلافا
ولاستغنائهم عنه بكثرة الواجرات فوجب على المرأة في هذه الحال ان تساعد
الرجل * واهل مالطة اشد الخلق تهافتا على الزواج فان الرجل منهم ليتزوج
وكسبه في اليوم قرشان وهما لا يشعانه خبرا واداما وانما يثق بان
زوجته تساعد على الشغل وتكسب مثله * وآفة نسائهم حسن
الخلق دون حسن الخلق فان المرأة تجري وراء من به صباحة دون مبالاة بالعواقب

فلا يههما كون الرجل فقيرا او جاهلا او شريرا غير ان النساء هنا لا يحترمن ازواجهن فكثيرا ما تعارض المرأة زوجها وتخطئه وتسفهه بمحضرة الناس وكاهن اذا تكلمن يرفعن اصواتهن الى حد يبقى الغريب عنده مبهوتا وكانت عادنهن فى القديم ان لا يتبرجن للشبان ولا يخطرن فى الطرق ولا يتعلمن القراءة والكتابة ومتى خطبن اخبين عن الاخطاب وربما كان الرجل يخطب بنتا بواسطة امه واخته من دون ان يراها اما الآن فقد تخطمن باخلاق نساء الانكليز فى مخالطة الرجال ومماشاتهم والذهاب معهم الى المرافق والملاهي وكثيرا ما تهرب البنت من حجر والديها وتكث مع من تهوى وكثير من النساء الفتيات الطاعنات فى السن يتزوجن القتيان البطالين فيمكث الرجل مع زوجته طامعا كاسيا والذي عليه حكمة النساء هنا ايثار الاقارب على الزوج فانهن يقنن ان الزوج اذا مات يعوض بمشله ولا كذلك الاقارب وهن كنساء الانكليز فى انهن لا يتزوجن الا من كان فى سنهن الا انهن يخالفنهن فى كونهن يتزوجن على صغر واذما مشى الرجل مع زوجته مشيا متحاذيين لا متساككين بالاذرع كالافرنج اذ لا بد للمرأة ان تمسك ثيابها كما ذكرنا آنفا • وكثيرا ما تخرج الرجال وجدهم و يغادرون نساءهم فى البيوت • واكثر اهل الحسانات بمالطة متزوج والبيب منهم من يتزوج حسناء لتسقى الشرب وتنادمهم فيجتمع عندهما من الصاكر البحرية والبرية زمرا شتى • والفجار من اهل مالطة الذين دابهم كسب المال بلى وجهه كان يتظاهرون بانهم طالبون للاحصان حتى اذا حصلوا على المهر فروا به الى البلاد البعيدة ثم ان المتعة او التسرى امر مستفيض عند جميع اهل مالطة وقد تترك المرأة المتزوجة بعلمها وتهوى فى اثر من تهوى وكذا الرجال واعرف كثيرا من العيال قد فارق منهم الزوج زوجته واقام مع اخرى واقامت هى مع آخر وتسرى ابوه بنساء واقامت بناته مع رجال او صرن بغايا والبغايا فى هذه الجزيرة لسن ذوات ثروة ولا جبال رائع الا ما ندر فلا تجدد لاحدها من دارا على حديثها او خادما لكنهن فى العناب غير وقحات ولا متهاقات على الرجال بل هن لعمري اصون لسانا من المتزوجات واكثر ماء وجه اذ لا يمحض فى الرجال كالمتروجات ولا يتندن السمحة والزى ولا يتشبن مثلهن بالنعمة ويزددن على الكنائس كثيرا وليس منهن من تريد ان تموت

في الذنوب كما هي عبارتهن وحين يأتين الفاحشة يغطين وجوه صور القديسين التي في جرحهن أو يقلبتهن تأديبا وتورعا • وفي الجملة فإن اهل مالطة جميعا رجلا ونساء يغلب عليهم الشبق والسفاح • اما عاداتهم في آداب الجناسه فكعانة الأفرنج في انهم لا يقيمون المائمه على الميت فلا تعرف ان احدا من الاهلين مات الا من صحف الاخبار وهي عانة جيدة فان العويل والتعيب فضلا عن كونهما لا يحيان مائتا ولا يردان فائتا او كما قال الشاعر • ولم يرجع الموتى حين المائمه • يلتصقان الهم والعرب في قلوب السامعين وانما يلبسون الحداد على الميت مدة طويلة ويدفونه بعد اربع وعشرين ساعة وربما ارسلت الجيران الى اهل الميت وضيفة كفا في بر الشام اما علية الانكليز هنا فلا يدفنون الميت الا بعد اسبوع في الاقل كما في بلادهم واذا مات لاحد المالطين طفل صغير اقبلت عليه الاصحاب تنهيه قائلين نفرح لك بالبنسة ومتى ولد لهم ولد وضعوا تحته التبن ليكون سقوطه عليه تشبيها بالسبح واذا مات احد من ضباط العساكر شيعت جنازته وآلات الموسيقى معزوف بها وراآها والجند مصاحبة لها فاذا فرغوا من دفن الميت اطلقوا البنادق دفعة واحدة اشارة الى انه مات بمن دولته وسلاماته • اما خلق المالطين فالغالب عليهم السمره والربعية في القوام وسواد الشعر والعيون وغلظ الجواجب وشدة البنية وهم في الغالب اجل من النساء وكثير من النساء هنا لهن شوارب او عوارض او عناق ومتهن من تحتها ومن الأفرنج من يستحب ذلك فيهن • وقد اسفلت لك زهوهن وعجبهن بما يتحلين به من الالباس والحلي • اما اخلاقهم فالغالب على اعياضهم لين الجانب والبشاشة فاذا سألت احدا منهم عن شيء اجابك وهو باش بك مستأنس اليك • ومن طبعهم جعسا الكدح والتدبير والاقتصاد فلا يتحملون ضنك العيش محافظة على عادات قديمة ضارة • ولا يتجشم احدهم استخدام نفر اظهر لشانه ورفقه ولا النفقات الزائدة في الاعياد والزواج ولا تتغلد نساء الاغنياء منهم قلائد من الالاس وغيره وان الماجد منهم يزور صاحبه بدون احتفال والغنى يذهب الى السوق صباحا ويشترى مؤنة يومه وان الماجدة تزور صاحبته ولا تلهى احدهما عن الشغل وذلك بان تأخذ معها شيئا تشتغل به وهي التي تقوم بتدبير البيت فلا تكل افوده الى الخادمة

واكبرهم من عنده خادم وخادمة وقد شاهدت رئيس اطباء المستشفى
غير مرة ينصب الجبال على سطحه وينشر عليها الثياب المفولة قطعة قطعة
ومتى نشفت الثياب حلوا الجبال ووضعوها في محل مصون ورايت ايضا بعض
القبائل ينصب رايته بيده والفقراء منهم لا يوقدون سراجا في الليال
المقمرة واكثر الرجال يسلون مصروفهم ليد نسائهم حتى انهم يحتاجون
بعدها الى ان يطلبوا منهم ثمن التبغ ونحوه وجميع نسائهم مقتصدات
ونشيطات الى العمل وقل منهن من تتعاطى التجارة • ومن طبعهم جملة
وتفصيلا الفضول والتلوى بالاسفاف من القول والعمل فاذا اكب احد مثلا
لانتفاط شئ من الارض ازدحت عليه زمر ولا يزال احدهم يجري من جهة
وآخر من اخرى حتى تفص بهم الطريق ولا يبرحون ذاك كرين للشئ يحدث
اياما حتى يجد غيره ومتى جرى امر عرفت اصله ومبدأه وغايته من الجائنين
والذاهبين ولا بد لكل من طغاهم ان يقص قبل رفقده كل ما جرى له
اثاء النهار وربما اخبر به غير مرة وزور ورقش حتى يخال نفسه بعد ذلك
صادقا وان يتطلع وهو سائر في الطريق الى كل من يمر به فتراه كأنما يسلم
على الناس ذات اليمين وذات الشمال وكثير منهم دابهم الحضور في
الحكمة لاستماع الدعاوى فاذا خرجوا بثوها في كل موضع ولا يمكن
ان يقلوا حديثا الا ويزيدون فيه فاذا لم يعين انسان قذى قال انه عى
ويدهون الرجل بان يقولوا له قد رأينا زوجتك تنظر من الشباك او تحدث
فلانا او فلانة ويقولون للمرأة في حق زوجها مثل ذلك واذا اشترت من
احدهم شئنا يخبر اهلك به ومتى رأوا غريبا نظروا اليه متفرسين وتنصتوا
لاستماع كلامه ليمرفوا باى لغة يتكلم ويصفون حاله في وجهه بان يقول
احدهم للآخر « هذا الرجل من بلد كذا وقد اطال المكث هنا ولعله لا
يمكث بعد فانه كان اولا سليما وكأنه الآن مريض » فيقول الآخر « والى اين
يذهب أعساه يجد بلدا خيرا من بلدنا وقد صار متصد الواردين والصادرين »
وربما دعت احدى النساء صواحبها لرؤيته وهى تلمكرها وتومى اليه ولا
تكاد تخاطب احدا في الطريق الا وترى زمرة قد احذقت بك ولا يكاد احد
يأتى امر الا ويتساقطه الرواة ويستثون الظن في متزوج عاشر حزبا او في

عرب دخل دار متزوج ولا غرو فان هذا شان من لا يرى في بلده شيئا يشغل
 الخاطر من الامور الخطيرة ويكون محصورا في صخرة قرعاء راسبة في البحر فان
 حصير الفطن يكون من حصر العطن • ومن طبعهم التكشف وبث ما هم
 فيه من الاحوال والاستقصاء عن حال المخاطب فاذا صحبت منهم احدا لا يلبث
 ان يطلعك على كية دخله وخريجه وكيفية عمله ويقول ليت لي مال فأنعم به ولو
 كنت من المترئين لاكلت اطياب الماكول وابست افخر الملبوس فيا سعد من عاش
 عيش المترفين فاخبرني انت ما دخلك وكيف عيشك ومن اين تشتري ثيابك
 وحاجتك ومن يزورك وهلم جرا • فاما حبهم لكسب المال فهو بحيث لم
 يغادر لشيء سواء قيمة ومنهم من يسافر الى البلاد الشاسعة ويعرض نفسه
 للامتهان والابتذال حتى اذا احرز المال رجع الى وطنه متبذرا متشعبا يرحل في
 الاسواق مريح من ازدهته النعمة وابطره الحظ • ولا شيء يعجبهم في الدنيا مثل
 بلادهم ولا تزال تسمعهم يتجشعون بها وباحوالها واذا سألت احدا منهم عنها
 اجابك بلسان ذلق عما كانت عليه من القبطة والسعادة وآلت اليه من سوء الحظ
 وهم في محبتها كاليهود في محبة صهيون • ومن القريب مع هذا التفاخر انك
 اذا ذكرت لاحدهم افراد قومه لم تلقه رانسيا عن احد منهم فاول نعمت
 ينعت به قوله هو ابله او شحيح فكان قوله نحن المالطين شائنا كذا يريد به
 وجدة نفسه • اما مفاخرتهم بالالقباب فاكسى لهم من اللباس قفل ان ترى احدا
 منهم ممن يقرأ ويكتب الا وله لقب داييب او فقيه او بارون او مركيز او دكتور
 على انهم لا يملكون به مسكة من العيش • ومن طبعهم التعقب للزلات
 والتعنت والاعتياب فيتعقبون الناس في مشيتهم ولبستهم واجتهتهم وسعتهم فلا
 يكاد يعجبهم شيء واما من خصلة جينة الا ويحملونها فيحة فاذا كان الانسان
 كريما قالوا انه مبذر وان كان مقتصدا قالوا انه شحيح • ولا يبرحون مبررين
 على الانكليز ومتظلمين منهم ويدعون بانهم من بعد قدومهم الى جزيرتهم
 ضاقت عليهم مذاهب العيشة وغلت الاسعار حتى اضطروا الى ان يهاجروا
 من بلادهم التي يصفونها بانها حبيثة مع ان لدولة الانكليز في هذه الجزيرة
 عدة سفائن حرية نفقة كل منها في اليوم نحو مائتي ليرة وترى عساكرها لا
 يبرحون يخرجون من حانة ويدخلون اخرى حتى ينفقوا آخر فلس معهم حتى

صار معلوما عند الجميع ان الاسعار انما تفلو بوجود هذه السفن ثم اذا سافرت
اخذ الذين افوا البيع لها في الدمدمة والتسخط من كساد ما عندهم فان الاهلين
كلهم لا ينفقون ما تنفق سفينة واحدة منها هذا وان الانكليز قد انشأوا فيها
جولة مصالح ومعالم لم تكن للمالطين في حسيان فقد كان بعض اصحابي
بالاسكتندرية كلفتي بان اسأل ناظر الديوان عن تركة والده وقد توفي بمالطة
وهل كان تحت حاية الانكليز او لا فلما سأله اجابني بعد البحث بان ديوان
مالطة قبل قدوم الانكليز لم يكن له دفاتر صحيحة يرجع اليها وانما كانت عبارة
عن اوراق يومية غير منظومة على ان المالطين انفسهم يقرون بان حكمهم في
القديم كانوا ينالون من عرضهم لانهم كانوا قد حرموا الزواج على انفسهم حتى
انه يجمع في دار معدة للذبول نحو الف ولد ين في كونهم اولادهم فكانوا
يقولون فيهم انهم على قسيسين يورون بذلك ان الحكماء المشبهين بالقسيسين
يكفلونهم لكونهم آباءهم او ان الاولاد يصيرون قسيسين وان كان دأب اهل
الجهالة ان يستطيعوا الماضي على الحاضر ويطمعوا في ان الآتي يكون خيرا
منهما ومن ذلك كراهيتهم للغرباء ولا سيما العرب ولن يقدر احد ان يستخلص
منهم شيئا وما يكون له بين ظهرائهم صديق الا اذا كان يرى جرو كلب
ولهمى لو ان مالطيا افترى على غريب وخاصة لتألبوا على الغريب من كل اوب
من دون ان يعلموا السبب وهم مائلون بالطبع الى البطش والفتك وان كثيرا منهم
لا يمشون الا ومعهم سكاكين يخفونها في ثيابهم ومدخل العتاب بينهم مسدود
فالويل سبهم قولهم يحرق دين القديس تبعك ومن جهلهم انهم لا يفهمون
ما المراد بالدين هنا فان مرادفه عندهم في غير السب منقول من الطلياني
والظاهر ان المسلمين حين ولايتهم عليهم كانوا يتلقونهم بهذه التحية فتداولوها
هم من بعدهم ومنهم قوم ينتصون الى ما يجري بين المرء وصاحبه او زوجته
من الحديث فاذا صح لهم جر منفعة من ذلك انتهزوا فرصتها فورا واختلقوا
عليه اكدوبة وللمالطين جميعا لهجة واحدة واشارات واحدة فالرجال اذا
وقفوا يهزون افخاذهم من الورك الى القدم واذا وصفوا احدا بالتحول رفعوا
السبابة وامالوها يمينا وشمالا واذا اشاروا الى امر معتدل سوى رفعوا الكف
اليمنى ورجفوها واذا ارادوا الكثرة ضموا الاصابع على الابهام وحركوها عليه
وانا

واذا ارادوا النفي امروا الانامل من تحت الذقن واذا اشاروا الى حسن امرأة
 جمعوا الكف وامروها على الصدغ اشارة الى تجسيد سوالفها واذا ارادوا وصف
 شئ بالعلية ارخوا اليد اليمنى ونفضوها مرات واذا سألوا الرجل عن زوجته
 قالوا له كيف المرة واذا زار احدهم صاحبه فاول ما يحكي به صاحب المنزل ويجعل
 تحية الست الاخيرة واذا ذكروا اسم ولد صغير ذكروا اسم الله عليه واذا اوقدوا
 المصباح في المساء قالوا تحية المساء والفلاحون لا يصمرون بعدد سني سنهم
 فيقولون مثلا اربعون وعشرة ولعل ذلك واصل اليهم من اليهود فان العدد
 عندهم فيما اعلمه مكروه • ومن العجب هنا ان الناس يحبون التكاثر في كل شئ
 حتى في القبايج والزنازل الا في العمر ولا يتحاشى احدهم اذا زارك ان يحكي معه
 بواحد او اثنين جريا على عادة العرب ويادرون الى تهنة النساء حال وضعها
 وتزدحم عليها الجيرة حتى العذاري وتأتي اصحاب الآلات ويعزفون امام
 البيت وهي آخذة في الطلق ويزأطون عندها كما يزأطون في الاعراس • اما
 تحمسمهم في الديانة ففوق خمسم اهل ارلاند وقد مر بك عدد الكنائس
 والقسيسين وثروتهم وملابسهم الكنائسية وكما ان اهل ارلاند يسكرون
 ويفعشون في عيد صان يامرك كذلك المايطون يسكرون ويفعشون في عيد
 صان باولو بل في سائر الاعياد واذا استأجر مالطي دارا كان قد سكنها
 يهودي فلا يدخلها الا اذا رشح عليها القسيس الماء المبارك وكذلك لو
 انتقل مثلا مراكب ونحوه من ملك مسلي او انكليزي الى ملك احدهم فلا بد وان
 يعمده وهم يعمدون ايضا اجراس الكنيسة جميعها وكذا الاجراس الصغيرة التي
 يتمس بها امام القربان ويقمون لها كفلاء من الرجال والنساء مما عرف
 بالاشايين وقد عمدوا مرة جرسا في كنيسة صان باولو وكان كفيله الحاكم
 وزوجته لكونه كان كاتوليكيًا ويقولون ان دعوة الجرس مستجابة فاول ما يحدث
 رعد او برق يادرون الى الضرب به ويعمدون المولود من اول يوم ولادته
 ولو كانت في شدة الزمهرير ولا بد من ان يكون ذلك في الكنيسة لا في البيوت
 ومن يقف ينظر الى القربان وهم طائفون به من دون ان يسجد له فقد عرض
 نفسه للخطر وقيل انهم قتلوا مرة رجلا من بحرية الانكليز كان قد مر بهم
 ولم يسجد له فناولوه ضربا ووخزوا خمل قتلا ومرة اخرى وقف بهم احد

ضباط العسكر وظل واقفا فهم عليه قبض ورعى بغطاء رأسه فشكاه للحاكم
فاخبر الحاكم الاسقف بذلك فحبس القسيس في داره مدة ثم اطاعه فذهب
القسيس الى رومية فآكرمه البابا واعاده الى الاسقف وامره باعلاء درجته
فلما بلغ الحاكم ذلك نفاه من البلاد ويقولون ان شكل الصليب مخلوق في
جثة كل انسان وذلك بان يسط يديه وهو رافع رأسه وان اسم مريم
الغذراء مرسوم ايضا في كل كف فان خطوط الكف الاصلية تشبه حرف الميم
باللاتينية ونحو من هذا ما وجدت في بعض الكتب العربية من ان اسم النبي
صلى الله عليه وسلم مكتوب في كل جثة فان الميم تشبه الرأس والحاء تشبه الصدر
والميم تشبه السرة والدال تشبه الساق • وفي ايام الصيام وفي يوم الاربعاء
والسبت لا تصرح باعة الحليب باسم ما يبيعونه وانما يقولون هون تا الابيض
ولفظة تا معرفة عن متاع بمعنى صاحب كما يستعملها اهل تونس وطرابلس وفي
غير هذه الايام يقولون حليب ومع شدة تحمسهم هذا فانهم يبيعون ويشترون
ايام الاحاد والاعياد كما في غيرها والمدين منهم من يفتح فيها دكانه الى الظهر فقط
وقد رأيت كثيرا من مدن ايطاليا ولم ار فيها تماثيل عديدة في الطريق كما يرى
في مدينة قاتنة • وقد كانت هذه التماثيل في الزمن القديم ملاذا يقتصم به اهل
الجبايات فكان القاتل اذا فر ولطئ تحت غمائل منها ينجو من قصاص الشرع
وقد بطلت الآن هذه العادة وينبغي هنا ان نذكر ان المالطين يأنفون
من ان يطلقوا اسم النصارى على الانكليز واذا تزوج انكليزي مالطية على يد
قسيس انكليزي فان زواجه غير شرعي

﴿ فصل ﴾

﴿ في الانكليز وحكومتهم بمالطة ﴾

لما كانت هذه الصخرة البحرية عزيزة على الانكليز لموقعها في بحر الروم كما لا يخفى
كان لهم في حكومتهم بها من التسهل والتسامح ما ليس في بلادهم ويمكن
ان يقال ان الحكم هنا مالطي وان يكن الحاكم انكليزيا فان القضاة وفقهاء
الشرع وكتاب الصكوك والتوظفين في الدواوين وشرطة الدبوان جميعهم
مالطيون وليس على الناس مكس ولا ضريبة ولا يدفع مكس في الكرك

الاعلى الخطة والمسكرات والبهائم وهو قليل جدا • ومن اقنى مركبا او
خيلا او استخدم خدمة فلا يؤدى على ذلك شيئا وكذا الذين يبيعون بقول
الادب وعرها وليس لخزنة الدولة من ايراد هذه الجزيرة ولا فلس واحد وانما
يصرف جميعه في لوازمها وجلته تبلغ تقريبا ١٠٤٢٠٠ وتفصيلها من ديوان
الكرك نحو ٦٥٧٠٠ ومن الدكاكين ١٦٠٠ ومن المحاكم ٢٧٠٠ ومن
بوسطة المكاتب ١٨٠ ومن تقييد الصكوك ١٣٠ ومن خراج الارض
٢٣٧٠٠ ومن المزداد ٢٠٠ ومن الكرنينة ٣٣٥٠ ومن المراكب
٣٩٠٠ ومن مصالح اخر ١٧٠٠ • يصرف منها مرتب وظائف وسنويات
٤٣٠٠٠ منها ٤٠٠٠ له الحاكم ولخديفته ٤٠٠ ولكاتب سره وهو من الانكليز ١٠٠
وللكاتب الثانى ٥٠٠ ولناظر الخزنة ٣٥٠ ولدير الحسابات ٦٠٠ ولستوفى
الاموال ٥٠٠ ولناظر الكرك مثلها ولكبير القضاة ٦٠٠ ولكبير
الشرطة ٤٥٠ ولناظر المرسى ٤٠٠ ولناظر الكرنينة ٣٠٠ ولتيسير الحاكم
٥٠٠ وللاسقف مالطة ٢٠٠٠ وللصروف على المستشفيات وغيرها من
الافصال الخيرية ٤٤٠٠ وعلى المدرسة الجامعة وقد تقدم ذكرها
٢٧٠٠ وعلى المرتزقين والمتعدين ١٣٢٥٠ اما مصاريف عسكر الانكليز
وهم ثلاث مكاتب فن خزنة الدولة وللعسكرى فى اليوم نحو شلين
ويقال ان ايراد مالطة منقسم الى ثلاثة اثلث لاصحاب الاملاك • فقد تبين لك رفق
لدولة الانكليز بحال المالطين جبر ولو ان جزيرتهم كانت اكبر مما هى الآن
بمائة مرة لما كان ايرادها كله مكافئا لمكس صنف واحد فى انكلترة وحسبك
ان مكس المالط وحده هناك ينفى على خمسة ملايين ليرة • ومن نساھلهم
معهم انهم يرخصون لهم فى التطواف بالقربان وتماثيل القديسين سواء كانت
من خشب او جص او غير ذلك مع انه مضايير لعقائد كنيسة الانكليز لابل
يطوف معهم جوقفة من العسكر وهم عازفون بالآت الطرب امام التماثيل ولا غرو
فان الدولة فرضت لصلنم فى بلاد الهند اسمه جوجرنوت ٥٦٠٠٠ روية وهى
عبارة عن ٢٦٠٠٠ ريال وغيره ايضا من الاصنام مرتب وافر وليكهان الهند
وظائف يرتزقونها من الديوان فى كل عام • قبل ويوجد فى الهند نحو

١٤٨٥١ م محلا مخصوصا لعبادة الهنود يبلغ مصروفها من طرف الدولة المذكورة نحو ٣٥٠٠٠ ليرة وقد صرف مرة على اقامة عيد من اعيادهم ٤٠٠٠٠ روبية. معمازم لهيكل الصنم وفي هذه الاعياد الكبار تطلق المدافع من السفن والتلاع ويمشى امام الصنم طائفة العازفين من الجيش * وفي عيد القسا جوز الكوكو في نهر الهند ينزل ذوا الامر والحكم من الدولة ويأخذونه من الكهنة بعد ان يصلى عليه ثم ياتونه في النهر وحيث تشر السفن راياتها المتلونة وتطلق المدافع منها ومن الابراج وكذلك يفعلون في الالهة اظهارا لشعائر الاسلام وكل ذلك دليل على ان الدولة لا تبالي ببيان المذاهب والاديان في ممالكها اذا كانت هذه الاديان غير مائعة من اناء ما يلزم اداؤه للخرقة من المال والتساج من الطاعة وقد حاول مرة حاكم مالطة وكان على مذهب البروتستانت ان يبطل عادة السخرة يوم الاحد في المرفع على ما تقدم ذكره فان الانكليز يحترمون هذا اليوم غاية الاحترام كما ستعرفه واذا بالمالطين جمعهم تألبوا عليه وماجوا بطوفون وهم يسبون ويهجون عليه بالغاب سمجة واشارات منكرة حتى ان بعضهم حاكاه في زيه وهيبته وجعل على رأسه قروناتم احدقوا بكثيرة الانكليز وهم عاكفون على العبادة وزاد ضجيجهم ولغطهم هناك حتى لم يسمع الحاكم وحشيه غير الفرار الى حديقته خارج المدينة وما زالوا منذ ذلك الحين يلحفون في طلب حاكم من مذهبهم حتى صدر امر من الدولة بعزل الحاكم المذكور فجاءهم حاكم من اهل ارلاندا اكثر تحمسا منهم وهو الذي وقف شاهدا على معمودية الجرس ومن سنن الانكليز في بلادهم ان تغلق جميع الخوانيت في يوم الاحد الا دكاكين العقاقير والخانات التي تباع فيها الجعة والشراب الا ان هذه تغلق ايضا عند اقامة الصلاة فاما في مالطة فلا حرج على احد منهم ان يبيع ويشترى فيه اى شيء كان ثم انى لست ممن يتصلون الى تبديل القوانين والاحكام ولا ممن يعرضون بالاحكام مخافة ان يعزلوني عن ولاية قلبي ولا يتأتى لرجل مثلى ان يصلح شريعة دولة قديمة ولا سيما شريعة الانكليز فانها عندهم لا تقبل التبديل ولا التحريف وكل عادة من عاداتهم تقوم مقام سنة الا ان يبدل اصولهم واحكامهم تظهر لبصرى الكليل القاصر في غاية البعد عن الادراك اما اول فلان قصاص كثير من الاساتات والجنائات

والجنايات يفتدى عندهم بغرامة لليرى فاذا افتدى مثلاً لثيم على كريم ولطمه
 بحضرة الناس او هتر عرضه غرم شيئاً من الدراهم للخرقة وخرج من بين
 يدي القاضي على اشر خلق مما كان عليه فتكون مصلحة الحكم على هذا ازدياد
 الخفصام والشر بين الناس لان خيرهم انما هو من شر الطعام فيا ليت شرى ما
 نفع الكريم بعد ان يسب ويفترى عليه ان يرى غريمه مؤدياً لليرى ثمن عرضه
 وشرفه وكيف تصح التسوية بين العباد والله تعالى لم يسو بينهم بل فضل
 بعضهم على بعض فجعل اللثام يذلون ماء وجوههم ويمتهنون انفسهم في
 تحصيل معيشتهم وجعل ذوى الادب والعرض يزهون انفسهم عن الشين والمنكر
 فهل من العدل ان لا يجعل بينهما فرق في الاحكام والمعاملة والا لزم ان تقول
 ان من يساوى بينهما وهو الحاكم ينبغي ان يكون مساوياً لمن فرض عليه الحكم
 فلو تعد رجل مثلاً لا علم الحاكم على وجهه وعو جالس على كرسى الحكم أفعساه
 كان يفرم دربهما من الخزنة الدولة وهل من العدل ان ترى لثيماً يترزع كريماً
 على شيء هو ادنى من ان يخطر بباله نعم تصح التسوية بين غريمين تجهل
 حالهما فاما الحاكم الشرعى الذى يعرف اهل بلاده ويخبر فاضلهم من مفضولهم فلا
 ينبغي له ان يسوى بين كل مدع ومدعى عليه كما انه لا ينبغي ان يوزن الذهب في
 ميزان الخشب وفضلاً عن ذلك فان من ضرب مثلاً مرة لا يصح ان يجرى عليه
 حكم من دابه ودينه الضرب والا لزم ان تقول ان اهل اللغة اعتل واحكم من
 اهل الشرع حيث فرقوا بين الضارب والضارب والضروب هذا ولا كان
 الظاهر من حكم الانكليز انه مبنى على التسوية كانت الاوباش من اهل مالطة
 مثل اهل الفضل منهم في انه لا يقبل للقاضل كلام على المفضول ولا يفضل
 بين اللثيم والكريم منهم غير الشهود وان كان اللثيم معروفاً بلوؤه ورذائله وربما
 طالبت باعة الساكولات في شيء قيمته درهم عشرة دراهم فلا يمكن للشترى ان
 يعارضهم بشيء واذا ابى ان يشتري لم يخل من تناول البائع عليه وقس على
 ذلك اصحاب القوارب والجمالين وغيرهم من السفلة فإى انصاف هنا ان
 يرخص لهؤلاء في هذا التعدي والطغيان ثم يقال ان ذلك تسوية ثم اى انصاف
 ان يرخص للباعة في ان يخلطوا الموانع وان يضعوا السمك والمجم الذى تشم في
 الحوم في الثلج حتى يتطرى وفي ان يبيعوا الفج من الاثمار وان يجعلوا سعر

الشيء الواحد متفاوتا على قدر تفاوت الساعات وان تطوف السكرى في الاسواق ضاجين زائطين بالغناء واللفظ ثم يقال ان ذلك حرية لعمرى ان فلق المحتسب في بلادنا خير من هذه الحرية لان الحرية انما تكون حيلة مفيدة ما اذا روى فيها مصلحة عمومية على اخرى خصوصية لا بالعكس فتبا لحرية تقضى الى تسويد اللثيم على الكريم وهذا الفساد الحاصل في البيع والشراء في مالطة هو بعينه في لندرة كما سذكره في محله وسببه انه لما كان ذووا الاحكام هنا وهناك لا يأكلون سوى اطيب المأكول ولا يشربون سوى افخر المشروب غفلوا عن مصلحة الجمهور وظنوا ان سمنهم موجب لصحة جميع عباد الله ومن فساد الاحكام هنا ايضا انه اذا كان لاحد حق على آخر واراد معجزة لزمه ان يقوم بمؤنته وان يكن المديون ارضا او متعلبا وكان الحق عادلا فاضلا ولا ينبغي ان في ذلك حظرا للثقة والائتمان لان حبس الغريم لا يرفع الدائن شيئا وان السجن لكثير من الاشقياء الناحيس خير لهم من خصاصهم ولما كان هؤلاء السفلة مفراطين في التباغ والشورور على ما ذكرنا كان من اهم الاشياء على الحر ان يتجنبهم ما امكن وليس عليه ان يحترز من الاعيان وذوى الامر والنهي فانهم لا يتناولون على احد لما يعلمون من قضية التسوية بخلاف العادة في البلاد الشرقية فان اصحاب الناصب هم الذين يتخفى باسهم وشرهم ومن فساد الاحكام ايضا ان القضاة تقبل شهادة اى شاهد كان سواء كان سكيرا او شريرا وكذا شهادة النساء والاولاد مقبولة في قبال الشاهد الصليب مضت شهادته والانكليز يحلفون على الانجيل ومتى اقيمت دعوى حشد الناس لاستماعها وان تكن من الامور التي كتمها اول من اذاعتها وهنا ايضا انكر التسوية لانه اذا حدث مثلا امر مرة بين والد وولده او رجل وامراته وكانوا من ذوى الفضل وافضى ذلك الى الحكم لا ينبغي ان يجعل بمنزلة دعوى رجل على آخر بانه سرقه او شتمه ثم ان من الاصول المقررة عند الانكليز ان كل من يدخل ارضا تحت حكومتهم يصير حرا وتجرى عليه احكامهم وقد جاء مالطة كثير من كان لهم عبيد واماء فاجبروا على تحرير رقيقهم ومن يقيم خمس عشرة سنة ويعلم انه كان في خلال ذلك حسن التصرف والسلوك حق له ان يطلب الحماية الجنسية ولكن يلزمه اداء نحو عشرين ليرة وهذه الحماية هي انفع من

حماية الانكليز التي تعطي من بلادهم كاسنين ذلك وللحاكم عشرة مشيرين من اعيان الاهلين يشاورهم في المصالح العائدة الى بلادهم وفي كل خمس سنين يعزل وربما اقام اكثر اذا طلبت الرعية ذلك وفي قصره ستة عشر الف بندقية وعشرون الف مزراق واربعة آلاف درع والفسا طنجية اما اخلاق الانكليز هنا فهي مغايرة لاخلاق جنسهم في بلادهم فلا يصح لمن رآهم ان يحكم بان جميع الانكليز مثلهم فان هؤلاء متكبرون صلفون مع البخل والشح وبئس الكبر والشح اذا اجتماعا وما احد منهم الا ويظن بانه هو فاتح هذه الجزيرة بياسه وسيفه ولا سيما ضباط العسكرية فانهم على قبة الصلف والتبذخ واذا دخلت على احد من هؤلاء الفساحين وهو يأكل فلا يتكلف ان يدعوك الى طعامه بل ربما غضب على جيع اهل داره على عدم منعهم اياك من الدخول كما قلت

- * اذا زرت ارحبهم دارة * توهم غولا قد اغتالها *
- * يطلق ابوابه ان نوى * فطورا ويحكم اقفالها *
- * ومن كان فيهم له خادم * يظن المصالي قد طالها *
- * اذا تتبوا كرسيه * وبثك من زوجه حالها *
- * يرى انه محسن مفضل * وان الماكر قد نالها *

واذا زرته واقف عنده الى وقت غداؤه وارث الذهب فلا يدعوك الى الطعام معه ومن طبعهم حب الانفراد والعزلة فان احدهم ربما اقام شهرا تاما من دون مشاهدة الناس استغناء عنهم برؤية ما عنده من فاخر المتاع وبقراءة صحف الاخبار اما عندنا فلاخبار لا تعرف الا بالنقل والرواية فلم يكن لنا بد من الاجتماع ليلا ومن سوء ادب بعضهم هنا انهم يحملون في اعناقهم شريطة فيها زجاجة فكلما لمحوا امرأة فزعوا الى الزجاجة ليستبثوها بها وفي ليال الرقص عندهم ترقص بنت الرجل منهم مع عدة زيرة وهوناطر الى ذلك بعين شكري من الابتهاج ولا سيما حين يخاصرونها وكما ان الرجال هنا ليسوا براموز حسن على اهل انكلترة كذلك كانت النساء مخالقات لمن في بلادهن فانهن هنا يعزل من الحسن والجمال واكثرهن قعم وشوه ومن الغريب انه مع ترفههن وركوبهن الخيل في كل يوم غالبا فلسن يرى فيهن بادنرة ولا فضيلة لهن الا في كونهن يحسن القراءة

والكتابة ويؤسسن العلم في اولادهن على صغر فأن الولاد لا يبلغ هنا خمس سنين
الا ويكون قادرا على القراءة اما عندنا فيذهب سن الصبا باطلا في اخذ بعد ذلك
في التعلم وجده بعيد المأخذ صعب المرتقى واشهد لو ان نساء بلادنا يرشحن في
المعارف على صغر لفضلن نساء جميع الافرنج فضلا باهرا فانهن ارق اذهانا
واسرع فهما والحاصل ان الانكليز هنا رجلا ونساء ليسوا من خيرة بلادهم وان
كبرهم وعنوتهم وجشعهم جعلهم مبغضين عند جميع المالطين لما من مالطي
تسخر له فرصة لاذي انكليزي الا وينتهزها فاما المتوظفون منهم في خدمة الحكومة
فالناس هم راضون عن اصحاب السياسة لا عن افراد الانكليز المجاورين لهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في موسيقى اهل مالطة وغيرهم ﴾

قبل الدخول في هذا الباب الحرج يشي ان اسأذن اصحاب اهل الفن في
التطفل على هذا النحو وان كنت لا اعد من جلنهم غير اني علمت منه
ما يـكـنـي ان اعرف المستقيم منه من غير المستقيم فاقول قال بعض الفلاسفة
ان فن الموسيقى فضلة من المنطق اخرجها العقل بالصوت لما يمكن
اخراجها بالقياس فن اول المنطق بالاصطلاحى قال معناه ان ارى مكان هذا
الفن ذهنية بناء على ان المتقدمين كانوا يتعاطونه بالسمع والذوق فيرسم
السامع ما يسمعه من الاصوات في مخيلته وذاكرته دون مشاهدته لدلالة وهكذا
يتلقاه التلميذ عن معلمه بالرسم عن ظهر القلب والاتباع مع الملكة التي ترسخ في
مخيلته تلك الترجيعات ولهذا كان المعول عليه في تحصيل هذا الفن ملكة
الذوق اما الافرنج فقد جعلوا الآن ترجيع الصوت وايضا تحت حس
المشاهدة فدلوا عليه بنقوش ورسوم معلومة كما دلت الحروف على المعاني فلم
يكن تحصيله متوقفا على ذاكرة وعظيم معاناة كما في السابق فن كان منهم عارفا
بخارج النغم ورأى تلك العلامات امكن له ان يخرج عليها اى صوت كان من
دون ان تتقدم له سابقة فيه واذا اجتمع منهم عشرون رجلا وكانت امامهم تلك
النقوش رأيت منهم متابعة واحدة ويرد على هذا التأويل انه لو كانت الموسيقى
فضلة من المنطق لكانت واحدة الاستعمال كما ان المنطق واحد الضوابط على
ان

ان الناس متقارون فيها تغايرا شديدا فان الحسان العرب لا تطرب غيرهم بل هؤلاء ايضا مختلفون فان اهل مصر لا يطربون لالحان اهل الشام والحسان الافرنج لا تطرب احدا من هؤلاء وعلى تأويل المنطق بالمعنى القوي وهو المراد هنا فقد جاء في شرح رسالة ابن زيدون لسلطان المتأدين ابن نباتة ما نصه والذم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشمته النفس وحن اليه القلب والمعاد بالترجيع لا التقطيع ان يكون الصوت متدا ينجى به لا متقطعا كاصوات الهجاء فاذا كان فن الموسيقى والحالة هذه فضلة من المنطق على هذا التأويل لم ان تقول ان لكل جيل من الناس محاسن في النساء مقصورة عليهم فقط فان لكل لغة محاسن وعبارة لا توجد في غيرها والواقع بخلاف ذلك فان لغتي الصين والهند مثلا تشتملان على محسنات لا توجد في غيرها الا ان انعامهم خالية من ذلك اما الحان الافرنج فلا يطرب لها منا الا من الفها وهي عندهم على اربعة انواع الاول وهو احسنها ما يتغنى به في الملاهي مثل الموشحات عندنا مع مد الصوت وترجيعة وخفضه ورفع وتريفة وتغنيمة وترجيعة وفيه تدخل حاسة وتحرير وتذمير والثاني وهو يشبه ما يرتل به في الكنائس ولا يكاد يكون به ترجيع والثالث ما يتغنى به في الحزنان واليأس وفي هذا النوع يستعملون غناء رقيقا اشبه بالنجوى فن يسمعه لحن ما المراد به وان يكن جاهلا باللفظ كما اذا رايت شخصا مجهشا للبكاء فذلك تعلم اجهسا به بالبديهة وان لم تعرف سببه والرابع ما يتغنى به في المضحكات والمحاورات وهذا يقل فيه الترجيع ويكثر فيه التبر وتطريبه انما هو من حيث انهم يصلونه باشياء كثيرة وحركات مضحكة فيضحكون فيه ويهقهون ويكونون يثأبون ويعطسون ويحاكون به قيق الدجاج وصداح المصافير وغيرها وفي كل من هذه الانواع يستعملون المساجلة وهي مطربة جدا وأكثرها في النوع الاخير ويوقعون عليه الفاظا مولدة خفيفة وكما ان لهم غناء مضحكا كذلك لهم رقص يحمل النكلى على التهفة اما العرب فانهم يقولون ان الرصد اشجى والسيكا يفرح واليبا يحزنان والمجازي ينمش وينفش وهم جرا والفرق بين القريقتين من عدة وجوه  احدها ان الافرنج ليس لهم صوت مطلق للانثاء من دون تقييد بتلك التوش فلو

اقترحت على احدهم مثلاً ان يغنى بيتين ارتجالاً كما يفعل عندنا في القصائد والمواليات لما قدر وهو غريب بالنسبة الى براعتهم في هذا الفن لان الانشاد على هذا النوع طبعي وقد كان عندهم من قبل ان تكون القموش والعلامات فيما لبث شعري كيف كانوا ينشدون قبل ان نغ غويدو دارينسو في ايطاليا ﴿الثاني﴾ انه اذا اجتمع منهم عشرة مغنين وارادوا اخراج موشح اخذ بعضهم في بعض اركانه من مقام وبعض في البعض الآخر من مقام غيره فان كانت الاغنية مثلاً من الرصد غنى واحد جزءاً من هذا المقام بصوت جهير وآخر جزءاً من النوى بصوت رقيق وآخر جزءاً من الجواب بصوت عال فيسمعه السامع من عدة مقامات ويسمى ذلك عندهم هرموني اي ان الاصوات تتألف على الفناء وفي هذه الطريقة فوائد ومخاسر اما الفوائد فلان السامع يسمع في وقت واحد موشحاً واحداً من عدة مقامات باصوات مختلفة فهو كمن يسمع قصيدة واحدة من جميع بحور العروض واما المخاسر فلان السمع لا يتمكن كل يتمكن من ادراك جميع مخارج تلك الاصوات المتغايرة وهذه الطريقة عندى على الآلات احسن منها على الاصوات ﴿الثالث﴾ ان غناء الافرنج هو مثل قراءتهم في انه لا يخلو عن حاسة وتهيج فضلاً عن التشويق والتطريب والترقيص فنغناء الحماصة والتهيج هو الذى يكون به ذكر القتال واخذ الثار والذب عن الحقيقة فاذا سمعه الجبان ولا سيما من الآلات العسكرية هانت عليه روحه اما الغناء العربي فكله تشويق وغرامى واجد به ان يكون جامعاً لمعنى الطرب وهو خفة تصيب الانسان من فرح او حزن فاذا سمع احد منا صوتاً او آلة شغف قلبه الفرام فبدت صباهته وخت نفسه كما يحن الالف الى الفه حتى يصير عنده آخر الفرح ترحاً ولا غرو ان سعد هذه الزفرات واذرف العبرات فان السرور اذا تغلق امره وتكامل بده دب فيه محاق الشجن واختلط به الحزن حتى يستغرق صاحبه في بحر من الوجد ويشغل بنار من الهيام وعلى ذلك ورد قولهم طربه وشجابه من الاضداد ﴿الرابع﴾ ان الافرنج لا يقرر لاصواتهم الا على الرصد نعم ان جميع الانعام يوجد لها مقامات في آلاتهم بل توجد انصافها وارباعها الا مقامين منها لا انصاف لهما الا انهم لا يقرون الا على المقام الاول وقد سمعت منهم الرهاوى والبوسليك والاصفهانى اما غيرها فلم اسمعه قط بل قد سمعت منهم بعض

بعض اغان من اغانينا اوقفوها على آلاتهم فكانت كلهم رصدوا وقد والله طالما وقفت السمع على ان اسمع منهم انغامنا فنجبت حتى اعترتني الحيرة فأتى من جهة كنت ارى آلاتهم بديعة الصنعة على كثرتها وافكر في ان العلوم انتهت اليهم والفنون قصرت عليهم وان عندهم في هذا الفن بدائع كثيرة فأتينا على ما سبق ذكره ومن جهة اخرى ارى ان براعتهم كلها انما هي من مقام الرصد نعم ان هذا المقام هو اول المقامات وانه يغنى منه في مصر وتونس اكثر مما يغنى من غيره الا ان فضل الصبا والبيات والمجازي لا ينكر ايضا ثم اعود فاقول لا غرو ان يكون قد فاتهم ايضا بدائع في هذا الفن كما فاتهم في غيره اشياء اخرى وذلك لكثرة بحور العروض عندنا وكيفية محسنات الكلام وكالجمع في الكلام المنشور اذ ليس عندهم سوى المنظوم وهو في الانشاء كالصوت المطلق في الغناء فان الجمع مقدم على النظم ولا يجوزهم ايضا عن لفظ الاحرف الخاتية وقد سألت مرة احد اهل الفن منهم فقلت ان المقامات موجودة عندكم وعندنا على حد سوى وكذا انصافها فبقي الكلام على استعمالها فانا لو استعملنا مثلا نصفنا من الانصاف مع مقامه وانتم تستعملونه مع مقام آخر بحيث يظهر لنا انه خروج فن اين تعلم الحقيقة فما كان منه الا ان قال ان هذا الفن قد وضع عندهم على اصول هندسية لا يمكن خرمها فلا يصح ان يستعمل مقام الا مع مقام آخر على اتي كثيرا ما سمعت منهم خروجا فاحشا على شغفي بلخانهم وقد شافني يوما وصف المادحين الى سماع قينة بلغ من صيتها انها غنت في مجلس قصر الروس فلما سمعتها طربت لرخامة صوتها وطول نفسها في الغناء الا اني سمعت منها خروجا بحسب ما وصل اليه ادراكي ولو يتقن ان الحان الروم التي يرتلون بها اليوم في كنائسهم هي كما كان يتغنى به في ايام الفلاسفة اليونانيين لكان ذلك دليلا آخر على قصور الحان الافرنج فان انغام الروم مقاربة لانغامنا ﴿ الخامس ﴾ ان اكثر اصحاب الآلات عندهم لا يحسنون اخراج انصاف النغم وارباعها ما لم تكن مرسومة لهم الا صاحب الكعجة فاما الناي ففيه خروج شتى غير السبعة لكل اثنين منهما طباقا اذا سد منها منخر جاش منخر غير ان الصنعة في احكام سدها واستعمالها تقارب صحة تغيير نقل الاصابع عندنا وهذه

الانصاف والارباع في النغم مثل الروم والاشعاع في النحر وفي الجملة فان للافنج حركات في هذا الفن خارجة عن ذوقنا واخرى لا يمكن محاكاتهم بها وعلما من تفصيله تعلم ان انشادهم في الحماسة والفخرات غير معروف عندنا واما مطلق الصوت عندنا غير معروف عندهم ومن الغريب انه مع كثرة ما عندهم من الآلات والادوات فقد فاتهم العود على محاسنه والناى من القصب فان ثابهم هو بئزلة الزمر عندنا على ان اكثر العلماء قرر ان اصل الموسيقى مأخوذ عن صوت الريح في النصب وقال بعض انه عن صداح الطير وغيره انه عن خرير الماء وآخرون انه عن اصوات مطارق طوبال قين واول من ضبط اصول هذا الفن يوبال وذلك في سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد وكان اختراع الناي في سنة ١٥٠٦ ونسب الى هيجينس وعلى ذكر مطارق القين فقد ورد في شرح مقامات الحريري في ترجمة الخليل ان اول من استخرج العروض وحصر اشعار العرب به الخليل بن احمد ابو عبد الرحمن الفراهيدي الازدي وكان سببه انه مر بالبصرة في سوق التصارين فسمع الكندي اي المطرقة باصوات مختلفة سمع من دار « دق » وسمع من اخرى « دق دق » وسمع من اخرى « دقق دقق » فاعجبه ذلك فقال والله لاضعن على هذا المعنى علما غامضا فوضع العروض على حدود الشعر الخ واشجى آلة من الآلات الافرنجية هي « الكنشرينة » وهي فرع من فروع الارغن ونحو من المنفخ يفتح ويطبق وهي من مخترعات وينسطون ومن المعلوم انه كلما رقت طباع الناس ولطفت اخلاقهم كانوا الى المحاضرة في مضمار الطرب اسبق ولشذا غيره انشق فان المولع بغير المعاني ونكات الكلام لا يسمع الا لحن الا ويتصور معها من الحسن ما يهيم به ويجدا قبل ان يشعر الفني بمجرد معرفة كونها غناء ولا سيما اذا كان الانشاد معريا والوقت مجبيا وقد جاء في شرح لامية النجم للعلامة الصفدي من لم يحركه العود واوتاره والربيع وازهاره فهو فاسد المزاج بعيد العلاج وقال اخلاطون من حزن فلا يسمع الاصوات الطيبة فان النقص اذا حزن خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشعل منها ما خمد وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي شر الغناء والشعر الوسط لان الاعلى منها يطرب والدنى يضحك ويحبب والوسط فلا يطرب ولا يضحك اه ومن الغلط البين ان يقول

يقول احد ائى لم اطرب لهذه الالخان الجملى باللغة فان اصل الطرب انما يكون
عن الصوت لا عن الكلام المتغنى به • اما اهل مالطة فانهم فى الغناء مذبذبون
كثا فى غير اىضا فلا هم كالافرنج ولا كالعرب فاهل القرى منهم ليس لهم الا اغنى
قليلة واذا غنوا مطوا اصواتهم مطا فاحشا تنفر المسامع منه فضاهااتهم للافرنج
هى فى اقتصارهم على الرصد وللعرب فى انهم اذا اجتمع منهم طائفة للغناء
لم يخرجوا اصواتهم الا من مقام واحد ويقوم احدهم يشد ويرد عليه الباقي
اما الاعيان منهم فانهم يتعلمون الالخان الطليانية • واكثر العيان بمالطة صنعتهم
العزف بالآلات فحتى قدم احد من سفر او ولده او ولد او زوج او عمد ولده او
ترقى الى رتبة او كسب مكسبا جزيلا يادروا الى قهنته ولا يتغنى عنهم شئ
مما يحدث فى بلدهم ويقال ان احدى بنات الاعيان فحرت مرة وكنت حبلها
عن اهلها ثم غابت اياما حتى وضعت ولدها فلما رجعت الى بيتها اقبلت زمرة
منهم يعزفون امام الدار فسألهم ابوها ما سبب ذلك فاجبروه بوضع ابنه فقطن
حينئذ لفيها • والذي يظهر لى ان الانقسام الذى كان يتغنى بها فى ايام الخلفاء
كانت ائبه بقاء المغاربة الآن منها بقاء المشارقة واللازمة التى تستعملها
المغاربة فى غنائهم هى دى دى كقول اهل مصر والشام يا ليل وكقول الترك امان
وفى القاموس ما كان للناس حذاء وضرب اعرابى غلامه وعص اصابعه فغنى
وهو يقول دى دى اراد يا يدى فسارت الابل على صوته فقال له الزمه وخلع
عليه فهذا اصل الحذاء اه • واسماء الانعام عند المغاربة محالفة لاسمائها
عندنا وهم يزعمون انهم نقلوا هذا الفن عن اهل الاندلس واهل تونس اكثر
ترسلا منهم والظاهر ان الموالى من خصوصيات اهل مصر والشام وكذلك
النسب والقانون والصلاب فى من غنى صوتا واجاد ان يظن ان لم يبق ذو اذن
واعية الا وسمعه واذا لم يجد النى لنفسه عذرا وذلك بان يتخنع او يسعل فيحيل
القصور على شئ طرا عليه هذا اذا كان المتغنى غير متخذ الغناء له صنعة
فاما من درب فيه فقل ان يعرض له خروج لان الصوت كالآلة كلما زاد استعمالا
زاد جلا • وكما ان غناء اهل مصر اطرب واعلى من غناء جميع العرب كذلك كان
غناء الطليانيين اعلى من غناء سائر الافرنج وذلك لكثرة ما فى لغتهم من الحركات
فهى مثل لغتنا صالحة للغناء والعروض ولكون اصواتهم صادرة عن صدورهم •

أما لغة الانكليز فلكثره السواكن فيها لا تطاوع على الغناء الذى فيه مد وترجيع
 الا بتحويل الالفاظ عن وجهها وخرم قواعد النطق بها وانما يحسن بها الاغاني
 المضحكة واصواتهم كلها من ازوارهم وكن أن الغنى منهم يغنى وقد غص بلقمة
 وجيع الافرنج يقولون ان غناء العرب من خياشيمهم وعلى فرض تسليم ذلك فما
 يكون منافيا للاستحجاء والتعريب فان اللغة الفرنسية لا يتكلم بها الا مع الغنة
 وهى مع ذلك اشجى لغات الافرنج جيبا وربما طرب لها من سمعها اول مرة من
 عمره وقد رأيت من الافرنج من كان يطرب للانغام المصرية ولاكن غب طول
 مكث بمصر وكان فى اول امره بأنف منها ويقول انها مخزنة ولا يخفى ان العادة
 تأثرا فى جميع الاحوال وخصوصا فى النطق والالخان وناهيك ان الاطفال عندنا
 وعند الافرنج ترقد على الغناء فتعاد عليهم مذ الصبي فاذا امتزج بامرجتها كان
 سماع غيره ضد المألوف واهل مالطة يرقنون اطفالهم على ما هو اشبه بنواح
 الندابات فى بلادنا ولولا العادة لما عجزت الافرنج مع حكمتها عن النطق باحرف
 الحلق وهى التى وقت حق نساءهم جزافا وبخست نساءنا حقهن

﴿ فصل ﴾

﴿ فى لغة اهل مالطة ﴾

اعلم صالك الله عن الزلل * وسددك الى صواب القول والعمل * ان اللغة المالطية
 فرع من دوحه العريضة وشيصة من ثمرها وهى يتكلم بها فى جزيرتى مالطة
 وغودش وسواء فى ذلك العامة والخاصة غير ان هؤلاء يتعلمون ايضا الطليانية
 والانكليزية لاحتياجهم الى الاولى فى المعاملات والتجارات وكتب الشرع
 وغيرها ولثنافسهم فى الثانية لكونها لغة ارباب الحكم وذلك لان اللغة المالطية لم
 تدون فيها علوم ولم يشهر فيها كتب فهى عبارة عن الفاظ يتداولونها فيما
 هو من مقتضيات الاحوال الساقطة دون ان تنى بمحاجتهم فيما يقصدونه من
 وصف او نيب او وعظ فاذا ارادوا ذلك فزعوا الى الطليانية وهو دليل
 على سفالة طبعهم حيث لم يحافظوا من اللغة الا على المبتذل واذا اخذوا من
 الطليانية ما مست الحاجة اليه ملطوه والحقوه بتركيب لغتهم كقولهم مثلا
 « ما برنثيش » اى ما يوافق و « كوثشيه » اى عرفت فى الاول بلاء المضارعة
 والشين

والشين التي يزيدونها بعد النني كما تزداد ايضا في اللغة المتداولة الآن في مصر
والشام وهى مختصرة من لفظة شئ وفي الثانية ضمير المتكلم والغائب وكقولهم
«عندى يباشير» اى سرور فيجعلون الظرف خيرا مقدما والكرة مبتدأ مؤخر
فهو جار على قواعد العربية وقد قلت فيها

- * تبا لها لغة بغير قراءة * وكتابة عين بلا انسان *
- * تبلبل الالباب في تركيبها * ويكل عنها كل حد لسان *
- * اذناها ورؤوسها عربية * فسدت واوسطها من الطلياني *

فان قيل ان الاذنان والرؤوس هنا كناية عن اوائل الالفاظ واواخرها كاداة
المضاربة وال التعريف ونون الوقاية وهذه باقية على الاصل فلم وصفتها
بالفساد قلت ان اداة المضاربة مكسورة عندهم على كل حال وكذا اداة
التعريف والضمير غير ظاهر فانهم يلفظون به كالواو ويحتمل ايضا ان يكون
«فسدت» دعاء في المعنى ومع كثرة ما بقى عندهم من مفردات العربية
وجعلها وتأليفها ولا سيما في الامور المتعارفة كما ذكر فقد ذهب عنهم مرادف
الاب وانما يقولون «مسار» بالامالة وكأنها محرفة عن «موسيو» بالفرنساوية
فان حق اللفظ بها ان يكون «مونسيور» وكذلك ذهبت عنهم كلمة التحية
صباحا ومساء فيقولون «بون جورنوعليك» ولعل سبب ذلك ان المسلمين لما اقتنعوا
جزيرتهم كانت التحية بينهم «السلام عليكم» وكان استعمالها مقصورا
عليهم كما هو في بلادنا فلم تعرف بين الاهلين وليس هذا باعجب من ذهاب
تحيات العرب العاربة عن المستعربين وقولهم الآن «صباح الخير» الظاهر
انه مولد ومن الغريب ان بعض اعيان المالطين يحاكون الافرنج في
اطوارهم وهيتائهم حتى اذا نطقوا بلغة انفسهم زال عنهم ذلك الرواء وانجلي
ذلك الابهام واذا تكلموا خلعلوا بجلة ايطالية باخرى من لغتهم لكن هذه
هى الفالسة فانها لغتهم في الطفولة وقد اخبرني احد فضلائهم انه اقام مدة
طويلة في ايطالية فكان حيثذ يقدر خواطره وافكاره بلغة اهلها ثم لما رجع الى
مالطة لم يلبث ان عاد الى تقديرها بلغته فصدق عليه قول الشاعر

- * كل امرئ راجع يوما لشيته * وان تخلق اخلاقا الى حين *
- واغرب منه ان المالطين يأتفون من تعلم العربية بصبب المثلية يبهتسا ويبن لغتهم

وهو عين السبب الذي يوجه عليهم كونههم والحالة هذه لا يعانون في تعلمها مشقة وعناء ومع ان الذين يعاملون منهم اهل العربية كثير والقاطنين في بلادهم هم اكثر فغا احد منهم يهمه ان يتعلم العربية قراءة وكتابة على انك تجد في جميع بلدان اوربا افرادا يدرسونها حتى دراستها * ثم ان اراء الناس لما كان من شأنها التفاوت والتباين في جلاء الحقائق ولا سيما اذا كان محل البحث غير متسق على وتيرة واحدة وكانت اللغة المالطية تشتمل على الفاظ من لغات مختلفة اختلفت فيها الاقوال والاحكام فزعم بعضهم انها فينقية لوجود كلمتين فيها وهما الير والصيد كما مر بك في اول هذا الكتاب وزعم آخرون انها حبشية لوجود لفظة واحدة فيها وهى النبر فان معناها عندهم الكرسي الذي تلد عليه المرأة كما هو في الحبشية وهو وهم على ما تحفته من اهل اللغة المذكورة وعلى فرض صحة ذلك فلا ينكر ان كثيرا من الكلام العربي الذي بقى في اهل مالطة مستعمل بطريقة المجاز اما بذكر اللانم وارادة الملزوم واما تخصيص العام وتعميم الخاص كقولهم مثلا وحلت للوقوع في الامر الصعب واصله الوقوع في الوحل خاصة ونحو الطلاب للتكفف وهو اسم فاعل للبالغة من طالب في كل امر ونحو معلوب للخبف وهو اسم مفعول من غلب وهو لازم له غالبا وفيت اى قليل وهو من فت الشيء اذا كسرتة وصخرت جرمه واشياء ذلك لا يحوج الى برهان فيكون النبر على هذا مما عدل به عن وجه استعماله تجوزا كما انه عدل به ايضا في العربية الفصحى من التعميم الى الخاص فان معنى النبر في اللغة الارتفاع فالنبر على هذا آلة الرفع او محله ثم خصص عند قوم بمحل الخطبة وعند غيرهم بكرسي الولادة وانما قلت آلة الرفع او محله فقد قال الامام الحنفاجى في شرح درة الفواص ما نصه هذا تحقيق بديع لما فيه من الفرق بين اسم الآلة التى تناول باليد وغيرها فيتميز كسر الاول الاشذوا فيفتح بعض من الثانى كرقاة ومشارة لانه من وجه آلة ومن وجه مكان وهو فرق لطيف قل من تنبه له اوتيه عليه اه والاصل انه لا شك في كون اللغة المالطية عربية ولكنى لست ادرى اصل هذا الفرع أشلى هو ام مغربي فان فيها عبارات من كلتا الجهتين والغالب عليها الشابة غير ان الالفاظ الدينية من الاولى فيقولون مثلا القداس والقديس والتقرين

والقربن والاسقف وما اشبه ذلك مما لا يفهمه اهل المغرب ومن المالمطين من يقر بان لغتهم غير فينيقية ولا حبشية ولكن لا يكادون يقرون بانها فرع العربية مكابرة وعنادا ولا يخفى ان كل لغة في العالم لا بد وان يخلطها بعض الفاظ اجنبية اما للحاجة اليها او لتقارب اهل اللغتين واختلاطهما كالعرب والفرس مثلا والرومانيين واليونانيين في الزمن السابق وهذه اللغة العربية مع سعتها وغزارة موادها وكثرة تصاريغها لم تخل عن الفاظ بعضها من الفارسية وبعضها من اليونانية وبعضها من الحبشية والهندية والسريانية والعبرانية ولم يقل احد ان العربية فرع عن هذه اللغات فكيف لقلاء مالطة ان يقولوا ان لغتهم فينيقية بسبب وجود كلمتين منها فيها واقبح من ذلك انهم يظنون ان فساد لغتهم وانعكاسها عن اصلها العربي ليس من العيب في شيء قياسا على ان العلمانية انفسخت عن اللاتينية واستقلت بصيغ خاصة بها دون الاصل وهو مدفوع بان العربية لم تنقض دولتها كما انقضت اللاتينية حتى تستقل المالمطية بقليل موادها وبان المالمطية لم يؤلف فيها شيء الى الآن من كتب العلم والادب ولم يتكلم بها اقوام فالفرق واضح والحاصل انهم لا يرون فسادها ولا يشعرون بفجتها ضرورة انهم لم يطلقوا على محاسن اصلها الذي حلثوا عنه نعم ان اهل الشام ومصر والحجاز وغيرهم قاصرون عن اللحاق باهل العربية الفصحى ولكن ما منهم الا من يشعر بقصوره عنها ويدري عظم التفاوت بين الطرفين وكل يود لو يصل الى درجة الكمال في معرفتها وكنت ذات يوم سائرا مع جماعة منهم فاخذ احدهم يصف لغتهم وجعل من محاسنها اجتماع الالفاظ الجمجمة فيها كأنه يقول انها انتفت ماشاق وراق فخلها مثل العجوز التي رأت زوجها يزني * ولشدة تعصب المالمطين على اهل اللغة العربية وتشنيعهم عليهم اذ كان منتهى السب عندهم ان يقولوا عربي كان الانكليز وسائر الافرنج اقرب منهم الى تعلمها غالبا ولو كان عند اولئك ركن منها عظيم وذلك ان المالمطي العنيد اذا سمع في العربية مثلا لفظة خرج وكانت عادته منذ نطق ان يقول خرج فلا يرى في ذلك كبير فرق ولا يرى ان نقطة صغيرة تقوم المعنى او تفسده بخلاف من يتعلم من اول الامر ان يقول الكلمة على حقها وكانوا اذا سمعوني وصاحبي نتكلم قالوا ليس من فرق كبير بين اللغتين الا بمجدة

في لغتهم يعنوننا ولا يحطرون لهم ببال ان لغة لم تضمن بطون الاوراق ولم تضبطها الاحكام النحوية لا تكفي النوع الانساني وقد تصدى مرة احد مؤلفيهم الى تأليف كتاب نحو فيها فكتب بعد طالعته الفا بتو اللغة الماطية ثم ذكر العين بعد الالف فكان خلفا لان جميع اللغات التي يتسدى بهذا العنوان تكتب فيها ابياء بعد الالف فلما وقفت على ذلك كتبت له

* يا قائل الفابتو وبعدها الف عين * ان كان ذا البدء مينا فكل ذا النحوسين * ويقال ان جميع اللغات القديمة والحديثة تبدأ بالالف الا الحبشية فانه فيها الحرف السابع عشر والظاهر من ترتيب حروف المعجم في العربية والسريانية والعبرانية انها اى العربية لا ارتباط بينها وبينهما * واهل مالطه يلفظون العين ايما وقعت عيناً والخاء والفاء والظاء منهم يلفظون الفاق همزة ويشمون الالف في نحو قال وباع الضمة وهو غريب فان الضم ايضا عند الهمج من اهل الشام وينطقون بالصاد دالا وبالطاء تاء ولا يلفظون العين اذا كانت متطرفة اصلا فيقولون تلا اى طالع وسما اى سمع ويقال انهم كانوا في القديم يلفظون التاء على حقها * وبما يضحك منه ان الفلاحين اذا خدموا اهل قاننة غيروا لهجتهم فلفظوا العين عينا والخاء حاء توهم ان لغة هؤلاء هي الفصحى * واهل غودش يملون الالف في نحو فيها ومنها والجميع ينطقون بالجيم نطق اهل الشام الا في قولهم جدى فانهم يلفظونها كاهل مصر والظاهر ان حق النطق به ان يكون قريبا من مخرج الشين كما في لغة اهل الشام * ففي الزهر في القاننة الخاصة من النوع التاسع وهو معرفة الفصحى ما نصه قال الشيخ بهاء الدين في عروس الافراح قالوا التناسر يكون اما لتباعد الحروف جدا او لتغايرها فانها كالطرفة والمشي في القيد نقله الخفاجي في سر الفصاحة عن الخليل بن احمد وتعبه بان لنا الفاظا حروفها متقاربة ولا تنافر فيها كلفظ الشجر والجيش والقم وقد يوجد البعد ولا تنافر كلفظ العلم والبعد ثم رأى الخفاجي انه لا تنافر في البعد وان افراط بل زاد فجعل تباعد الحروف شرطا للفصاحة اه وقال الاشمونى عند ذكر الابدال الشين ابدلت من ثلاثة احرف الكاف والجيم والسين فالكاف نحو اكرمك قالوا اكرمته وهى كشكشة تيمم كما تقدم والجيم كما في قوله اذ ذاك جبل الوصل مدمش اى مدمج قال ابن عصفور ولا يحفظ غيره وسهل ذلك

كون الجيم والشين متفتحين في المخرج اه الا انه يظهر ايضا ان الجيم كثيرا ما تبدل من القاف والكاف مما يؤيد مذهب اهل مصر فن ابدالها من القاف قولهم قف العشب وجف والمقذاف والمجذاف وقله وجمه واقثم والجشم وشق وشج والفرقس والجرجس وقص وجز وتلف الحوض وتلجف والشرق والشرح ونظائر ذلك كثيرة ومن ابدالها من الكاف قولهم كد وجد وكهد وجهد واكن واجن وكرع وجرع وكابة الزمان وجلبته والمكحلة والمجحلة وعكر به وعجر والرأس والرأس وما اشبه ذلك * فعلى هذا يكون استعمال اهل مصر له صحيحا ويؤيده ما ورد في المزهري في النوع الرابع عشر قال المهمل على ضربين ضرب لا يجوز اثنان حروفه في كلام العرب البتة وذلك بكيم تؤلف مع كاف او تقديم كاف على جيم وكعين مع غين او حاء مع هاء اه وايضا فانهم يعربون مرة بالجيم واخرى بالقاف مثال الاول الدبج والنيرنج ومثال الثاني الرستاق والفرزدق وربما ابدلت من الحرفين معا كقولهم سهجه وسهكه وسحقه والذي يظهر لي ان ذلك لغة لبعض العرب غير ان اهل الصعيد والغاربة واهل الحجاز ينطقون بالجيم كاهل الشام * ثم ان اهل غودش ينطقون بالاحرف الخالية على حقها الا انهم يكسرون ما قبل الواو الساكن فيقولون مكسور ومتفوح ويضمون ما قبل الالف نحو قاعد وهم جرا ويقولون منكم وعليك بكسر الكاف وهي لغة ربيعة وقوم من كلب كما في المزهري في النوع الحادي عشر وتسمى الوكم ويقولون ايضا منهم وبينهم وهي ايضا لغة كلب ومن سفهاء الماطيين من يدعى النظم بلقنهم هذه الفاسدة ويقال له عندهم التقيبيل فن ذلك قولهم

* بن حنين سائر نسافر * سائر نسافر ما نأخذكش معي *

* مور وهيا بالسلامة * الله يظلمك في المحبة نعي *

وبقي هنا حل ما اعجم من الالفاظ المتكررة قوله بن جعني انا وحنينا بمعنى حبيب منادى محذوف منه حرف النداء ومن الغريب هنا ان المنادى اذا كان عظيمًا خطيرا يدخلون عليه اداة النداء من العالمية فيقولون أو مولاي واذا كان حقيرا ادخلوا عليه اداة النداء من العربية فيقولون يا تفاح يا عنب وقوله سائر نسافر هو مثل قول عامة مصر والشام راجع اسافر وما اللطف هنا عبارة الامام الزنجبيري في شرحه لامية العرب اذ قال واما المستبيل وان كان مقدوما في الحال ولكن هو مازالى الوقوع

والنون في نسافر علامة للمفرد المتكلم لا يجمع فانه نسا فرو وهي لغة اهل المغرب
والشين في نأحدكش لازمة عندهم بعد النى والاستفهام كما في العربية الدارجة
ومن اهل الشام من يراها ايضا لازمة ولو بعد الجملة فيقولون ما هو كثيرش
فكان ابرازها ضربة لازب ومبغى اصله معي ومور فعل امر من مار اى
ذهب وهو في اللغة كذا وهيا اسم فعل بمعنى اقبل وذكره صاحب القاموس
مكررا وقصره بانه زجر وهو غريب ولا يبعد ان يكون اصله حى ويطربنى
ما روى عن ذلك الاعرابى الذى سمع رجلا يدعو آخر بالفارسية يقول له زود
فقال لاصحابه ما يقول قالوا يقول يحجل فقال ألا يقول حى هلك وعلى حى هلك
تخرج احجية بدية ويظلمك اصله اما يزمك او يضمك وما قبل الضمير المنصوب
مضموم وهذا من بعض آثار محاسن العربية القديمة في هذه البلاد والباء من
الحجة مفتوحة قحمة مشبعة وكذا في كل مكان به علامة التأنيث نحو
طيبة وكبيرة وهي ايضا من تلك الآثار واحسن من الامالة فاما تبيى فقد
خبط فيها بصراؤهم خبط عشواء وذلك لانهم يدخلون بين المضاف والمضاف
اليه لفظلة تا فيقولون مثلا الدار تا الطبيب فذهبهم من زعم انها من الطليانية فان
المضاف فيها يفصل عن المضاف اليه بلفظة دى ومنهم من زعم انها من
السريانية فانها فيها كذلك ثم اذا اضافوا تا الى الضمير برزت معه العين فيقولون
تاعنا فلهذا لم يدركوا اصلها والصحيح انها محرفة من متاع فان اهل المغرب
يدخلونها كثيرا في الاضافة ويتبدئون بالميم ساكنة على ما اتهم من الابتداء
بالساكن وتقصير اللفظ وربما قالوا ناع بالنون ساكنة ايضا فاما العين فان
المالطيين لا يكادون ينطقون بها اذا وقعت آخر الكلمة فيقولون تلا وقلا
في طلع وقلع كما ذكرنا آنفا ويحذفونها ايضا اذا اتصل بها ضمير فيقولون
طليت وقلت جريا على حذفها بغير اتصال الضمير وقلب العين الفا او همزة
من اساليب العرب كما في تفصى وتفصص واقفى واققع والشمع وتكأ كأ
وتكمكع وزقأء الديك وزقاعه وزأزأ وزعزع اى حرك وبدأ وبدع وامرأة
خبأء وخبجة اى تخنئ تارة وتبدو اخرى والخبأء والخباع والخبء والخبع
ونظائر ذلك كثيرة حتى انهم قلبوها متوسطة كما في تأرض وتعرض
ودام الحائض وتذعمه فاما تليين الهمزة الفا فاشهر من اليينة عليه ومن حرف
ايضا

ايضا لقطعة متاع اهل مصر قلبوا الميم بآء وهي لغة لبعض العرب كما في درة
الفواص فيقولون با اسمك في ما اسمك واعلم ان فصل المضاف عن المضاف اليه
باداء اسلوب حسن يفيد التخصيص وذلك ما اذا كان المضاف منعوتا بنعت صالح
لان يعود على المضاف اليه ايضا كما في عذاب الله العظيم بخلاف ما لو كان
بينهما فاصل والارجح رجوعه الى المضاف كما في الغني ومن نظم المالطين ايضا
وهو معنى حسن ولكنه مكسوف بفتح اللفظ والسبك

- * المحبوب تا قلبي سافر * ليلى ونهارى نكيج *
- * جطلتو بدموعى البحر * وبالتهدات تا قلبي الريح *

وهو يشبه قول لسان الدين الخطيب

- * والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبلع الزفير وترسل *

ومثله قول الناضى الفاضل

- * كأن ضلوعى والزفير وادمعى * طولول وريح عاصف وسيول *

وقول ابراهيم بن سهل الاشبلى

- * اذا انت ربكنا تكفل شوقها * بنار قراء والدموع بورده *

ومثله ما ذكره على بن ظافر في بدائع البدائى * شراهما من فؤادى وبحرها
من دموعى * وبقي هنا اصلاح فاسد اللفظ فتقول قدمر شرح تا انها
تكون بين المضاف والمضاف اليه و نكيج الحاء مبدلة من الهاء وهي لغة
للعرب ايضا فيقولون الملبى والملج والهاضوم والخاصوم والمده والمدح
وتا، وتاح وشقه النخل وشقها وقوله البحر محركة جار على القياس من ان
الاسم الثلاثى الذى اوسطه حرف حلق يجوز الفتح فيه نحو شعر وشعر ونهر
ونهر قال الامام الخفاجى في شرح درة الفواص قال ابن جنى في المحتسب قرأ
سهيل بن شعيب السهمى جهرة وزهرة في كل موضع محركا ومذهب اصحابنا في كل
حرف ساكن بعد قح لا يحرك الا على انه لغة فيه كالتنهر والنهر والشعر والشعر
ومذهب الكوفيين انه يجوز تحريك الثانى لكونه حرفا حلقيا قياسا مطردا كالبحر
والبحر قال وما ارى الحق الا معهم اه وما انشدنيهم احدهم بمحض رجاعة

- * بنا اشتقت نجى فوق سدتك * نجسى شبيهه تا عصفور *
- * نطقى المصباح بجوانحى * فخطيك بوسه وزرجع غور *

قلت له لو قلت تأخذ بوسه لكان أولى لأن من يأخذ هنا خير من يعطى فلم يفهم واستعادنها فأعدها عليه فلم يفطن لها لا هو ولا هم أيضا لأن المصاريف والمطارات عندهم في كساد عظيم والمراد بالسدة عند المالطين نفس الفرائش وهو في اللغة باب الدار وعندى أن قدماً المالطين كانوا هجلاً يرقدون على الأبواب فسعوا كل مرقد سدة كما أنهم سعوا كل مكنسة مسلحة وهي في الأصل آلة للسلح وهكذا كانوا يستعملونها ثم اطلتوها على كل ما ينظف به المكان ولهذا نظائر كثيرة إلا أن أهل طرابلس الغرب يستعملون السدة أيضا بمعنى الفرائش وقد ذكرت يوماً لأحد من يتوسم فيه الأدب من أهل مالطة سعة العربية في البديع وخصوصاً التورية فقال وكذا هي المالطية وذكر هذه الجملة وهي عندك تيناتا اللحم فقال تيناتا هنا يحتمل أن تكون مضارطاً من تينة يريد من آيته أو اعطيت ونا اللحم يحتمل أن يكون معناها ما يخص اللحم أى عذته وعندك هنا اغترأ وعلى المعنى الثانى يحتمل أن تكون لفظة تيناتا مفرد التين ونا اللحم مضاف إليها أى تينة اللحم والمعنى عندك تينة لحم كناية عن الاستواغترأؤهم بعند ليس على القياس فانهم يدخلونها على الأفعال خاصة ومن سخر توراتهم أيضاً قولهم علاه من غير ماء يؤهمون به غلاء السعرو وما بقى عندهم من فصيح العربية قولهم دارنادية وحفها ندية ولكنها أفصح من قول أهل مصر والشام ناطية وقابلة أى دابة وخطر ومخاطرة أى رهان وغرفة أى عليه وقولهم فى الدعاء عمروا وتمروا وبدأ لى أى عن لى ويطاولو ويشرف وصيدو ويطعماء وتجالدوا وهو أفصح من تعاركوا وزفن أى رقص ووقالو وهى أفصح من قول أهل الشام شربة أو نغارة ويمارى أى لا يقع بالحق ويشرق بالماء ويستقصى وفرصاد للتوت وسفود وأهل الشام يقولون سنج وشيش وقد ورد فى كلام النابغة الذبياني بقوله سفود شرب نسوه عند مقتاد وتقرز أى تلبعد من الإنسان وعسلوج للقضب وجلوز وهو البندق الذى يؤكل ولكن هذه الألفاظ كلها مستعملة فى الغرب وبهذا يترجح عندى أن أصل المالطين من المغاربة ومن ذلك ضمهم آخر الفعل المضارع أحياناً نحو محسبك وبذلك وقولهم وعنة وزنة وهما اسمان من وعد ووزن لا مصدران ولذلك سلم فأؤهما كما قال الجاسى

* وإذا أتى من وجهة بطريفة * لم اطلع بما وراءه خبايته *

قال الشارح ومن روى من وجهه فغناه من سفره الذي توجه اليه ويرى لم اطلع
 ما إذا وراء خبايته ومعنى البيت لم اعرض نفسي عليه متعرفا ما جاء به من سفره
 ليسر كنى في طرفه ويجعلنى اسوة نفسه • وما يضحك من كلامهم قولهم هذا رجل
 من الكلاب وامرأة من الحجر يعنون ذكرا وانثى لانه ليس عندهم لفظ مرادف
 لهما فيضطرون الى هذا التعبير التبعي ويقولون عمل اللحية اى خلق وجهه
 وكذلك اذا خلق شعر عاتيه ايضا ويقول احدهم للآخر عند الابانة والافصاح
 بن نكلمك بالباطى فكأنه يقول ان هذا الكلام قد بلغ من البيان بحيث لا يبق
 للسامع محل للشك فيه ويكثرون من جملة قال لى يكررونها فى اثناء الكلام
 مرارا واذا قصدوا توكيد خبر كرروا اللفظ خمس مرات فاكثروا فيقولون ما
 ريتوش قط قط قط قط وما كان ليش فلوس خلاف دا بز بز بز بز
 اى بس وخانه اى اخذه كله كله كله كله وما يسوى شى شى شى شى شى
 ونحو ذلك ومن اوزان كلامهم فاعلة للمصدر فيقولون علمته بالواقعة او بالقاعدة
 قال شارح الشافية اعلم ان مجئ المصدر على وزن فاعلة اقل من مجئها على وزن
 مفعول كالعافية نحو عافاه الله عافية والعاقبة نحو عقب فلان مكان اية عاقبة
 وكالباقية كقوله تعالى فهل ترى لهم من باقية اى بقاء وكالكاذبة كقوله تعالى
 ليس لوقعتها كاذبة اى كذب اهـ واهل الشام يقولون يطلع بالطلع وينزل بالنازل
 ومن ذلك وزن فعل بالضم نحو سدد وصرر وهو نادر والاسماء الثلاثة التى
 اوائلها ضمة يتبعونها ضمة اخرى نحو عمر وشغل وهو ايضا جار على القياس
 وكذلك التى اوائلها كسرة يتبعونها كسرة اخرى نحو مجل ورجل ومن قبح عاذتهم
 فى الكلام هم وسائر الافرنج توجه ما يسوء من القول للمعاطب بدون محاشاة
 فيقولون مثلا اتى احبك ما دمت انت حيا وهذا الحريق تلك وهذا النبات يقطع لك
 مصارتك اى مصاريتك وهذا التراب يعميك واذا مت جاء الطيب وشرح جسمك
 عضوا عضوا او يقول لك العائد لاله عن دائك فانه قتال وغير ذلك مما يقتضى
 فيه الاطلاق ألا ترى ما قاله سيد الفصحاء والبلغاء حبك الشئ يعمى ويصم ولم
 يقل يعميك ويصمك وان يكن المعنى عليه • فلما امالة صوتهم عند الكلام وهى
 التى تسميها الافرنج امفازس فغرية على من لم يعود سماعها فان لهم مدا فى

الصوت وخفضا غير مألوف لاهل العربية حتى ان الانكليز المولودين بمالطة
يجرون هذه الامالة في لغة انفسهم اعداء من المالطين وقد يعد هذا النوع عند
الافرنج من لوازم الفصاحة ولكن ليس كذلك الذي يجريه المالطيون فانهم فيه
مشطون وهو يكاد ان يكون في العربية مفقود الاسم والسمى او لعله هو اللهجة
وقد لاحظت في اثناء قراءة المشايخ انهم كانوا يبدون صوتهم عند التباس
المعنى ترويا فيما يستقبلون فكان هذا المد ضرب منه * ومما يضحك ايضا ان
للمالطين لازمة في الكلام يكررونها وهي سيمش محرفة عن سمعت فعلا ماضيا
والشين لازمة عندهم بعد الاستفهام كما هي بعد النفي ولما كان الانكليز يسمعونها
منهم مرارا جعلوها علما على من يجهلون اسمه عند النداء وعلى الولدان الذين
يخدمون على الطعام ثم ان بقاء اللغة العربية في جزيرة مالطة ولو محرفة مع عدم
تقييدها في الكتب دليل على ما لها من القوة والتمكن عند من تصل اليهم من الاجيال
ألا ترى ان مالطة قد تعاقبت عليها دول متعددة ودوا لويحملون اهلها على التكلم
بلغاتهم فلم يتهيا لهم وبقوا محافظين على ما عندهم منهم خلفا بعد خلف وهؤلاء
الانكليز يزعمون ان لغتهم ستكون اعم اللغات جميعا واشهرها وما تهيا لهم ان
يعموها عند المالطين نعم ان الخاصة منهم يتعلمونها ولكن ليسوا عليها بطبوعين
فان محاوراتهم بين اهلهم انما هي بالمالطية لا غير وليس الطابع كالتطبع
ولا الكحل كالنحل ويقال ان الذي تحصل عند اهل مالطة من العربية مما
هو مأنوس الاستعمال وغير مأنوسه يبلغ عشرة آلاف كلمة مع ان الذي جمع ذلك
جرب على طريقة الافرنج من انهم يقيدون في كتب اللغة جميع اللفاظ المشتقة
كاسم الفاعل والمفعول والالكة والاسم المنسوب ونحو ذلك والا لكان هذا القدر
باعتبار له مواد كافية في المحاورات للافصاح عما في خاطر قاما في الكتب فلا
ولا احسب الكلام المستعمل الآن في بر مصر والشام يزيد على هذا القدر غير

* ان اهل الشام فيما اظن اكثر مواد من اهل *

* مصر كما ان هؤلاء احسن منهم *

* نسق عبارة والله اعلم *

* تم الجزء الاول المسمى بالواسطة الى معرفة احوال مالطة *

* ويتلوه الجزء الثاني المسمى بكشف المخبا عن تمدن اوربا *

الجزء الثاني

﴿ المسمى بكشف المخبا عن تمدن اوربا ﴾

اقول بعد الحمد لله انه في الساعة العاشرة من صباح السبت الموافق لثاني يوم من ايلول سنة ١٨٤٨ سافرنا من مالطة الى انكلترا وبعد نحو ساعتين غابت عنا ارضها ولكن لم اقل كما قال الشريف الرضي

* وتلفت عيني فخذ خفيت * عنا الطلول تلفت القلب *

وبعد خمس ساعات ظهرت لنا ارض جزيرة صقلية وفي نحو الساعة الثامنة من صباح الغد ارسنا في مرسى مسينه وكان فيه يومئذ بوارج ملك نابولي لحصار البلد فكانت تطلق المدافع عليه ويأتيها جوابها من القلعة فلذلك لم نغم بها الا بعض دقائق * ويقال ان سكان صقلية الاقدمين كانوا من اسبانيا وكان يقال لهم سيكاتي ثم قدم اليها الاطروسكان من ايطاليا في سنة ١٢٩٤ قبل الميلاد ثم استوطنها الفينيقيون واليونانيون ثم جاء القرطاجنيون واستولوا على الجزيرة كلها الى ان اخرجهم منها الرومانيون في سنة ٨٢١ للميلاد فتحها المسلمون وجعلوا مقر الحكومة في بالمو ولبثوا فيها مائتي سنة الى ان اخرجهم منها الامير روجر الروماني وفي تاريخ الرومانيين لغيبون انها قهت في زمن المأمون في سنة ٨٢٣ وزعم بعض المؤرخين انها كانت متصلة بالارض ففصلتها الزلازل المتتالية وفي نحو الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين بلغنا نابولي وهي مدينة ظريفة مشهورة بكثرة العواجل والملاهي والخط والمتنزهات الزهية والفاكهة الرخيصة الطيبة * وفيها عدة كنائس حسنة واحسن طرقها حيث الحوايت العظام الطريق المسمى توليدو * ولولا ان مملكة نابولي عرضة للزلازل لكانت احسن بقاع الارض لحصنها واعتدال هوائها * ثم سافرنا منها في ذلك اليوم فوصلنا الى شيقنا فكيه في صباح الثلاثاء فالتقنا فيها ساعلت وليس فيها شيء يقر العين * ثم سافرنا منها يوم الثلاثاء وقد تزودنا ببعض فاكهة فوصلنا الى ليفورنو في صباح الاربعاء * وظاهر هذه المدينة للناظر دون ظاهر نابولي لكنها من داخل اكبر وطرقها اوسع وبنائها من الاجر

المحكم وديارها شاهة الا انها ليس لطرقها ممشى على الجوانب للناس وكذا هي مدينة نابولي ومرسى ليفورنو حسن وفيها ملهى وعدة اعلام ومدراس لليهود يقال انه اعظم مدراس لهم في اوربا ومكتبة موقوفة وهي ذات اشغال وتجارة واهلها نحو ٧٦٠٠٠ وفي القرن الثالث عشر لم تكن الا قرية حقيرة • ثم سافرنا منها الى جينوى فبلغنا بحر الخميس وهذه المدينة مشهورة بكثرة الصروح العالية والديار الشاهة جدا • وفيها قصور كثيرة من الرمر وبساتين ناضرة وفاكهة طيبة وهي في نجوة من الارض متفاوضة الوضع وطرقها اضيق من طارق ليفورنو ولهذا كانت عواجلها اقل من تلك الا ان الشمس لا تستحكم في مسالكها لكثرة شرفات الديار المائلة فكأنها مبنية من اصلها لحجب الشمس • وفيها حوانيت بهجة ولا سيما حوانيت الصاغة ولها قنطرة قديمة شاهة جدا اذا نظرت منها الى الحضيض هالك ارتفاعها • وفيها الفاكهة الطيبة والخبز النظيف ومحل قهوة في غيضة اتيقة وهي في الحديقة نزهة للناظرين وما اشبهها الا بدمشق وليس على من يدخلها ان يدفع شيئا كان تأسيسها في سنة ٧٠٧ قبل الميلاد وكانت في زمن دولة الرومانيين حافلة غناء وفي القرن الحادى عشر امتدت تجارتها بحرا وبرا وفي مدة الحرب الصليبية وذلك نحو سنة ١٠٦٥ صارت مضاهة لفينيسية في النى والثروة حيث كانت موردا لاساكر التى كان يراد تجيريدها الى البلاد الشرقية ثم وقع فيها من الفتق والحرب ما اضعف دولتها فدخلت في حاية دولة فرنسا ثم في عهدة شارل كان (اى كارلوس الخامس الشهير) فاستخلصها من الفرنسيين وصارت تعزب مع اسبانيا عليهم وفي سنة ١٧٩٦ استولى عليها الفرنسيين ايضا وفي سنة ١٨٠٠ حاصروهم فيها الانكليز والروس وعساكر اوستريا حصارا شديدا فاضطروا الى تسليمها ثم رجعت الى عهدة فرنسا وفي سنة المهادنة وهي سنة ١٨١٤ سلت الملك سردينية • ثم سافرنا منها يوم الخميس بعد الظهر فبلغنا مرصية في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة واهذه المدينة مرسى عظيم يسع الفا ومائتى سفينة ولا يزال شحونا بالبواخر ولكثرة ورود المراكب اليها قطعوا خليجا من البحر ووصلوه به وفيها عدة مكاتب وملهى بعد من احسن ملاهى اوربا وبستان للنباتات ومكتبة موقوفة ومصرف فسيح اعنى بورس وفي ضواحيها

ضواحيها أكثر من خمسة آلاف دار ولها نجارة واسعة مع المشرق وافرقة
واميركا وانكلتره والبحر الاسود كان تأسيسها في سنة ٥٩٩ قبل الميلاد
وكانت في الزمن القديم ملحقة بولايات الرومانيين ومنها وصلوا الى قبح فرنسا
وفي هذه المدينة محال عظيمة للقهوة مفضاة حيطانها وسقوفها بالرايا والنقوش
والتماثيل وامامها مصاطب يقعد عليها الناس وان لم يشتروا شيئا منها واهل
المدينة يصرفون فيها أكثر اوقاتهم كل طائفة منهم تلتاب منها محلا خاصا
وفي بعضها ترى قيانا حسانا يغنين وهن كاشفات الصدور وعند ملهاها عدة
ديار تسكنها المومسات يدعون الغادى والرائح وهي وسخة الحارات والاطراف
لكنها بهيمة الحوائت والديار مبلطة الطرق وليس في ديارها مر احيص وانما
يجمعون اقدارهم في وعاء الى ان يأتي رجل معه عجلة وعليها برميل كبير
فيأولونه الوعاء فيفرغه في البرميل وما يجمعه فيه فانه يبيعه لتدمل الارض ولا
اعرف مدينة اخرى بهذه الصفة ومنهم من يقذف بالاقدار امام البيوت ليلا
فلهذا يشم الماشي في اكثر طرقها رائحة كريهة ومائها في بعض الديار
اجاج ولعدم الاكتفاء به نهروا اليها نهرا كبيرا من مسافة نحو ستين ميلا
فاحوج ذلك الى ان يتقبوا له بعض الجبال ثم بنوا عليه جسرا عظيما يشتمل
على ثلاثة صفوف من القناطر بعضها فوق بعض وفي كل صف خشون قطرة
وارتفاع اعلاها من الخضيب نحو مائة وعشر اذرع وعرض الماء الجاري
فيه تسع اذرع ونصف في علو مثلها وجميع اجبار هذا الجسر ضخمة جزيلة
وبعد اجراء هذا النهر كثرت عندهم الخياض والعيون ووفرت القاصكة
والبتول وصارت بساتينها في غاية الزرع والنضارة وفي هذه المدينة عدة عرسات
محفوفة بالشجر يتشى فيها الناس وتضرب فيها آلات الطرب العسكرية وفي احد
هذه الماشي حوائت تقم خمسة عشر يوما في السنة تجمع اليها جميع الخف
والطرائف وأكثر الباعة فيها بنات حسان فاذا مررت بمحانوت حرت بين ان تنظر
الى البائعة او الى الباعة وفيها يوجد ايضا محال للعب والقتاء واللهو ومشاهدة
غرائب الاشياء مصورة على خارج المحل دليلا على وجود اعيانها في داخله
وقد اخبرني من يوثق به انه شاهد فيها امرأة ورجلا قد عصب على عينيها
بتدليل لكيلا تبصر الحاضرين ثم جل يأخذ من بعضهم خاتما ونحوه ويجعله في

كفه مطبقة عليه ثم يسأل المرأة عما بيده فقبيبه ولا تخطي • وانه اخذ مرة درهما قيمته عشرون فرنكا وسألها فقالت في يدك درهم قيمته عشرون فرنكا فقال ويحك ليس في هذه البلاد درهم على هذا الضرب فقالت بلى ولكنه من ضرب الصين وكان كذلك وسألها مرة اخرى عن درهم فرنساوى فاجابته بانه يساوى كذا وقد ضرب في عام كذا فلما سمعت ذلك اعظمته لما انه كان اول مرة طرق مسعى ثم لما شاهدته عدة مرار برأى العين في باريس ولندرة سقط اعتباره من بالى اذ تحققت ان مع السؤال الذى ياتيه الرجل على الغمض العينين يذمه على نوع ذلك الشئ المستول عنه بلحن من القول لا يدركه الا هو وعلى كل حال ففي التلتمين والثامن حذق ودربة • وفي الجملة فان مرسلية انما يستحسنها من قدم اليها من البلاد المثربة لا من باريس ولندرة • ثم سافرا من هذه المدينة في الساعة الرابعة يوم الاحد في سكة الحديد فكان البحر عن شمالنا والجبال والقباض عن يميننا فلم يكن منظر ابلج منه واظن ان بلاد فرنسا اكثر بلاد الدنيا غياضا وحدائق وكثيرا ما كنا نسير في حافلة المجد نحو ساعة ونصف بين الاجم والسبب في تكثيرها احتياجهم الى الوقود بخلاف بلاد الانكلية فان اكثرها سهول ومروج وحقول لاستغنائهم عن الخشب بفحم الحجر وفي فرنسا الجنوبية تبت جميع الاشجار المعروفة عندنا وذلك كالنخيل والبرقان والعنب والزيتون والليمون مما هو معدوم في بلاد الانكلية غير ان كروم العنب عندهم لا تبلغ في النمو والكبر كروم الشام وفي مسافة الطريق دخل الزل في قبوة مظلمة متقورة في الصخور فسار فيها نحو عشرين دقائق فكان امرا عظيما لمن لم ير مثله من قبل ثم بلغنا مدينة ليون بعد سفر نحو اربع ساعات لم يغب فيها عن ابصارنا ذلك المنظر الاتيق وهذه المدينة وسخة الطرق والازقة غير انها حسنة الموقع وحوالياتها واسعة عظيمة وفيها معامل لثياب الحرير والقمماش وحريرها مشهور فاما الشريط ونحوه فانه يصنع في صنت اتيان ولها ماش حسنة وملهى عظيم ومكاتب عديدة ومدرسة ملوكية ومحكمة جليلة هي من فاخر البناء ومكتبة موقوفة ومتحف وبستان للنبات وعدد اهلها نحو ٣٣٠.٠٠٠ وفيها يجتاز نهران احدهما يقال له رون والثاني صون تسير فيهما بواخر مشحونة بالبضائع والميرة وتغر على جملة مدن من بلاد فرنسا ثم يلتقيان ويصيران نهرا واحدا

بمدا الى بحر مرسيلية ولا تكاد تمضي سنة من دون ان ترزح شواطئه على الارضين وقد طغى في هذه السنة حتى كانت الناس تسير في شوارع المدينة في قوارب فبهيم كثيرا من البيوت والجسور واهلك كثيرا من المشاة والناس واتلف الغلال فيما جاوره فانتهى سائر سكان فرنسا الى امدادهم واغاثتهم واقدى بهم الانكليز ايضا وعلى هذا النهر جمور من حديد وحجر وعدة مغاسل للنساء * ثم سافرنا منها في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء في حافلة المجدد المعروف بالدليجانس فبلغنا رجا في الساعة السادسة من اليوم الثاني ومنها سافرنا في سكة الحديد الى باريس فوصلنا اليها في الساعة الرابعة من صباح الخميس وسياتي وصف هذه المدينة بعد فراغى من وصف انكلترا ان شاء الله وانما اقول هنا انما وصلنا اليها كانت السياسة جمهورية اذ كانوا قد خلعوا الملك لوى فيليب عن الملك ففر بنفسه واهله الى بلاد الانكليز ملجأ القارين ومأمن القارين ومعا حصل فيها وقتئذ من الشعب وسفك الدماء فلم يكذ الانسان بغير الفجوع من اهلها من القبوط فان منزهاتها بقيت غاصة بالناس ثم بعد ان لبثنا يومين في باريس سافرنا في سكة الحديد الى كالى او كاس وذلك في الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الاربعاء الواقع في السابع والعشرين من ايلول فبلغناها بعد الساعة السابعة مساء وكالى هذه احدى فرض فرنسا المقابلة لانكلترا وهي دون بولون وكانت سابقا تحت استيلاء الانكليز ايام حروبهم مع الفرنسيين وبقيت في ايديهم مائتين وثلاث عشرة سنة ثم استرجعها الفرنسيين في عصر الملكة ماري سنة ١٥٥٨ فلما بلغها الخبر اظهرت من الحزن الشديد ما قيل انه كان سبب موتها وقالت امدوت وفي قلبي اسم كالى مكتوبا فكانت كالى عندها اخت حتى عند الفراق وبقيت نورماندى وانجو ومين وطورين وبواتو وبرتاني وغيرها بيد الانكليز نحو سنة ٢٩٢ واوفق لنا ان وجدنا باخرة معدة للسفر الى لندرة فركبنا فيها وسارت ماخرة بنا واول ما دخلت في نهر التامس انحجبت عنا الشمس واكتسى الجو سحبابا وكان يوما ماطرًا مظلمًا يقضى بالاسف على شمس ماطلة وهذا النهر يختلط بالبحر الملح وتسير فيه الشمس نحو خمس ساعات الى لندرة والسفر فيه يسير من جهة ان السفينة تسير فيه سيرا خفيفا لا اضطراب فيه وترى فيه من البواخر الصاعدة والمنحدرة ما يشغل الخاطر وله عند الانكليز شان عظيم * ويحكى عن الملك جاسم الاول الذي الحق بحكومة

مملكة سكوتلاند بانكلتة انه لما نتم على اهل لندره اشياء انكرها اراد ان ينقل ديوانه منها فقال له ضابط البلد ويقال له بلغتهم مير اذا كان لابد من ذلك فلا تنقل نهر التامس معك وهو كلام يبلغ يشير الى ان اهل المدينة ربما يستغنون عن الملك بوجود هذا النهر لانه من اعظم الاسباب الميسرة للجسارة ولولاه لما حصلت لندره على هذه الثروة والسعة • والماكول والمشروب في هذه السفن التي تنقل الركاب من فرض بلاد فرنسا واكثرها للانكليز غاليلان جدا فان قنينة الشراب في تلك الفرض تساوي فرنكا وفي السفن ستة فرنكات وقس على ذلك ثم لما بلغنا لندره اخذت اثقالنا الى الكمبرك وقشيت فلم يجدوا فيها ما يوجب الاداء الا انا ادينا على كل صندوق وكل حاجة مستقلة نحو خرج وغيره نصف شايلن ثم تبوأنا محلا في احدى الديار وبعد ان استرحنا سافرنا منها في سكة الحديد الى بلدة وير بقصد المسير منها الى القرية التي يسكن فيها الدكتور لى الذى اعتمدته الجمعية لان يكون معارضنا ترجى بالاصل الذى اترجم منه وكان للمذكور شهرة عظيمة عند الانكليز في معرفة اللغات الشرقية وكان في مبدأ امره نجسارا لكنه اكب على العلم وقد فات الثلاثين سنة فحصل معلومات غير يسيرة غير انه لم يتمكن من اللغات التي حاولها وسباني ذكره بعد هذا وحيث كان اسم القرية المذكورة مكتوبا على اثقالنا فلما بلغ الزنل اليها وضعوها في الموقف ونحن لم نشعر بذلك وبقينا سائرين فيها حتى اذا وقف الزنل مرة ثانية سألتنا عنها فاجبرنا باننا تجاوزناها بنحو ثلاثة اميال فرجعنا اليها مشاة فوجدنا حاجاتنا سالمة فسررت في طلب شئ لالاكل فلم اجد فيها مطعمها فقلت لاحد الوقوف الانجد طعاما هنا قال هلم معي فاخذني الى الجزار وذلك لان مرادى لفظه الطعام عندهم يستعمل غالبا في اللحم قلت انى اريد شيئا اكله فدلاني على حاثوت بقربه فتوجهت فلم اجد الا الخبز قلت ما الخبز وحده اريد فدلاني على دكان آخر فذهبت فوجدت به الفطير فقط فعدت خائبا ولقيت بعض الشرطة فقلت له ألا تهديني الى محل للاكل فدلاني على موضع زعم انه شهير بقصده جميع المسافرين فتوجهت فوجدت صاحبة امرأة ضخمة فظلة تحاول اظهار السيادة والامارة في وجه قاصديها فساألتها هل عندك ما يؤكل قالت ما عندي سوى البيض فبلغنا بما عندها ورجعنا الى الموقف حتى جاء الزنل الذى يسير الى رويستان وهى قرية جامعة وقد ذكرت هذه الحادثة

هنا دليلا على ما يرى من الفرق بين بلاد الانكلترا وفرنسا فان القرى المحاطة في هذه ولا سيما التي يقف فيها المسافرون يوجد فيها كل ما يشتهي الانسان من الأكل والشروب وحين كنا نساخر فيها وتقف حافلة المجد كنا نرى النساء يتسابقن الينا حاملات لاطباق الفاكهة الطيبة ويعرضنها على السفر وكنا نجد ايضا في المطاعم كل ما نشتهي الانفس ثم سرنا الى رويستان ومنها الى قرية پارلى وهى على بعد ثلاثة اميال منها فبلغناها في الساعة الحادية عشرة ليلا فخرجت الى دار الدكتور لى فوجدته مستعدا لتلقى الاحلام السعيدة فقال لى قد كتبت الى الجمعية تخبرنى بقدمك فينبغى ان تذهب الليلة لتبيت في خان القرية فيتنا فيها وفي القد كتبت الى الجمعية يخبرهم بأنه اصكرم مثواى وعنى بازالى منزلا مريحا فشكروا على عنايته وكانت مدة سفرى من مالطة الى هذا النقي ثمانية وعشرين يوما

ثم قبل الشروع في الترجمة وفي ذكر شئ من احوالى ينبغى هنا ان اقدم كلاما في احوال انكلترا على وجه الاختصار فان تفصيل ذلك مرجعه الى مكتب التاريخ والجغرافية فاقول ان الرومانيين كانوا يسمونها برتانيا وفي اللاتينى المتعارف تسمى انكليا وفي لغة اهلها انكلاند ومعنى لاند ارض وحين يذكرون برتانيا فلما يعنون بذلك انكلترا والاس وارلد وهى منقسمة الى اثنين وخمسين كونيا اى ولاية منها اثنا عشرة ولاية هى الاصول واشهر منها دوفر وزويز وهل ونيوكاسل وليفربول وبرستول وفلموث وليموث وبورتسموت واكسفورد وبرمتهم ومنشستر وشفيلد ونوتنهام وكبريج وبورك وبث وشتلنهام • وهى كثيرة معادن الحديد والفحم والقصدير والرماس والحيواناتها ضليعة حسنة الصورة وبها مراعى واسعة ومروج نظيرة وفيها نحو خمسين نهرا تصلح للسفر اشهرها التامس وجبالها قليلة لا يبلغ اعلاها اكثر من مائة ذراع وطول الجزيرة كلها لا يزيد على ثمانمائة ميل وعرضها في بعض الجهات ثلاثمائة وفي بعضها اقل • وقبل فتح الرومانيين لها لم يكن عنها خبر يعتمد على صحته وقد غزوها مرتين وذلك في سنة ٢٦ و ٥٥ للميلاد وكان عدد اهلها حينئذ نحو مليون وفي سنة ١٨٥١ بلغ عددهم ٢٦٢٠٤٥٢ و ١٧ وعن غيبون ان الرومانيين كانوا يحبسون برتانيا

مفاصل اللؤلؤ وهو الذي دعاهم الى قحها وبعد حرب اربعين سنة استولوا على
 اقصى اطراف الجزيرة • وعدد من ولد فيها وفي والس في سنة ١٨٥٤ بلغ
 ٦٣٤٥٠٦ نفس وعدد من مات ٢٣٨٢٣٩ وفيها ١١٠٧٧ ابرشية •
 ويقال انها كانت في الزمن القديم متصلة بارض فرنسا • ونقلت من جرنال
 التيس انه يوجد في انكلترا وارلاندا اربعة وخمسون قاضيا في المحاكم العليا تبلغ
 وظيفتهم ٢٤١٨٠٤ ليرة وثلاثمائة وخمسة وتسعون قاضيا في المحاكم الادنى تبلغ
 وظيفتهم ٢٩٢٦٦٣ ليرة فتكون جلة القضاة ٤٤٩ وجلة وظائفهم
 ٥٣٤٩٤٤٧ ليرة قال ولكبير القضاة عشرة الاف ليرة في كل سنة ولقاضي محكمة
 الاستدعاء ستة آلاف • ويوجد في بريطانيا ١٨٥٨٦ من القسيسين المنتمين الى
 الكنيسة المتصلة و٥٨٥٢١ من قسيسي الكنيسة المتفرعة وسأني يان الفرق
 بينهما و١٠٩٣ من قسيسي الكنيسة البابوية و١٤٧٧ من طلبة علم اللاهوت
 والمدرسين فيه فتكون الجمة ٣٠٦٤٧ وعدد فقهاء الشرع ١٨٤٢٢ ما عدا
 ١٦٧٦٣ مابين وكيل دعوى وكاتب صكوك ونحو ذلك وعدد الاطباء ١٨٧٢٨
 ما عدا التلامذة الذين دخلوا في سلك المتطيين و ١٥١٦٣ مابين جراح
 ودوائى ويضاف اليهم أكثر من الف ومائة من معالجي الاسنان و ٤٣٠ صانعا
 لآلات الجراحة فاصحاب هذه الحرف الثلاث اعنى القيسية والفقهية والطبية
 ومن يتعلق بهم وينضم اليهم يلافون ١١٠٧٣٠ وعدد المؤلفين واهل
 الادب ٢٨٦٦ منهم اربعمائة وستة وثلاثون مؤلفا يكتبون لنا شري الكتب
 و ١٣٠٢ مابين كتاب وناشر • وعدد اهل الصنائع الظرفية ٨٦٠٠
 من جلتهم الرسامون وعدد المدرسين في العلوم اربعمائة وستة وستون وعدد
 المهندسين ٣٠٠٩ وجلة المشتغلين بالتعليم والتخريج ١٠٦٣٤٤ منهم ٣٤٣٧٨
 رجالا و٧١٩٦٦ نساء وفي عداد الاول ٢٣٤٨٨ يعملون في المكاتب و ٤٣٧١
 يعملون مطلق التعليم و ٣١٤٩ يعملون الموسيقى و ١٥٣٠ يعملون اللغات
 و ٥٥٤ يعملون الهندسة وفي القسم الثاني اعنى النساء ٤١٨٨٨ يعلن في
 المكاتب و ٢٥٩٥ يعلن مطلقا و ٢٦٠٦ يعلن الموسيقى ويوجد أكثر من الفين
 من اللاعبين واللاعبات في الملاهي فن الرجال ١٣٩٨ ومن النساء ٦٤٣
 ومن اهل الموسيقى الرجال ٣٦٦٨ ومن النساء ٤٣٢ وعدد الذين هم في
 الخدمة

الخدمة المدنية ١٩١٩ ر ٧١ من سن عشرين سنة فصاعدا منهم ٣٧٦٩٨ في خدمة الادارة المدنية و ٢٩٧٨٥ في خدمة دواوين الميرى و ٣٧٦٨ في خدمة دولة الهند ومقامهم في برتانيا * ثم اتى اخذت في ان اذهب الى الدكهرلى في كل يوم لارجم التوراة ثم اعود الى منزلى ملازما له فلم تنص على ايام حتى عيل صبرى لان هذه القرية التى قدر الله ان اسعد الناس بترجى فيها كانت من انحس قرى الانكليز على ان جميع قراهم لا تليط بقلب الغريب لما سأتى * ولم يكن فيها للاكل غير اللحم والزبد المخلوطة بالجزر والخبز المخلوط بالبطاطس والجن واللين المذيق والبيض والكرنب وذلك بنى عن ذكر ما هو معدوم فيها على ان هذه اللوازم انما كانت نفاية ما يوجد في المدن ومن عادة الانكليز ان يكون لهم بالقرب من القرى بلدة يباع فيها ما يلزم لهم من المأكول والمشروب والملبوس والاثاث فيذهب اليها الفلاحون مرة في الاسبوع ويشترون ما يلزمهم وقد يمر على البيوت ليلا رجل ينفع في البوق تنبها على ذهابه الى تلك البلدة فن شاء ان يشتري شيئا كلفه به وجزاه على ذلك وقد يمر ايضا تجار بعجلات فيها نحو البن والشاي والسكر او يكون معهم راموز هذه الاشياء ليعثوا منها للمشتري من حوائثهم وبمثل هذه الاسباب المتنوعة والصعوبة المبرحة يحصل الانسان ما لا بد له لقوام عيشه * اما محار البحر والسرطان والانكليز وهذا الذى يسمونه البسترا وهو اطيب ما يؤكل عندهم وهو في شكل البرغوث واكبر من السرطان فلا وجود لها البتة واما السمك فلا يرد منه الا مرة في كل ثلاثة اشهر على ان جميع اصناف سمكهم مسيخة الا صنفا منها يقال له سم وهو طيب لكن لا بالنسبة الى سمك بلادنا وقد يضعونه في الثلج ليلا ويعرضونه للبيع نهارا فربما كان عمر السمكة بعد صيدها اطول منه قبله ولكن ريب الثلج هذا لا وجود له الا في المدن ومن قدم الى لندرة ورأى فيها تلك الحيوانات العظيمة والاشغال الجمة والغنى والثروة حكم على جميع الانكليز بانهم اغنياء سعداء ولكن هيئات فان اهل القرى هنا كاهل القرى في الشام بل هم اشد قسفا وكثيرا ما تقرأ حكايات تدل على بؤسهم وقشف معيشتهم مما لا يقع في بلاد اخرى * فن ذلك حكاية عن حائك شكاه الى احدى النساء الخدومات فقال يا سيدتى اتى حائك وان لى امرأة وثلاثة اولاد بقوا من

عشرة فجعت بهم ودخل من كدى الليل والنهار لا يزيد على سبعة شلنات في الاسبوع ولكن على ان اعطى منها شلينا واحدا لاجل النول واربعة في الشح الذى اسهر عليه قتالت له وكيف تعيش على هذا الدخل القليل قال على قدر الامكان ألا وقد مضى علينا سنة اشهر لم نشتر فيها رملا واحدا من اللحم بل لا تقدر على مشترى الحليب الا بالجهد فجل طعامنا انما هو الشعير وحساء الماء وقد يكون لنا في بعض ايام الآحاد ادم من البطاطس اما انا فلا ابالي فأتى قد الفت اليؤس والضنك ومذتين عديدة لم اعرف شيئا من الدنيا سوى الكد والكدح المبرح على قلة الاجرة ولكن همى بالاولاد وباهم الحيفة اه قفوله انه لم تقدر على شراء الحليب مع كونه في الريف ارخص الاشياء بالنسبة الى غيره يغنيك عن مزيد البنان فيما يكابه هؤلاء الناس وكثيرا ما تقرأ ايضا في صحف الاخبار عن اناس تركوا اولادهم من الاملاق او ماتوا من الجوع والبرد او النوم على الاماكن الندية القذرة او اعتقدوا فأتوا جوعا نعم انه يوجد مستشفيات وملاجئ يقوم بها الاهلون امدادا للفقراء والعاجزين ونحوهم الا انها ربما كان عدد من فيها لا يقبل الزيادة او كان الالبث فيها ضنكا او الدخول اليها صعبا ونحو ذلك وقد يبلغ من فقرهم انهم يتركون اطفالهم بغير معمودية مثلا يعطوا القسيس مصروفها واعرف في القرية المذكورة اولادا كثيرين لم يتعمدوا مع انهم من اتباع الكنيسة المتأصلة التي توجب المعمودية ولا تأذن لمن مات غير معمد ان يدفن في مداقها فنزله منزلة المتحرر •

وسبب فرط فقر الفلاحين هنا هو كون الارض قد دحاها الله تعالى لان تكون ملك الامراء والاشراف فقط فيستأجرها منهم اناس مأمونون ويستخدمون بعض الفلاحين في حرثها واستغلالها فلهذا ان نجد في القرية احدا ذاروا ورياش الامساكج الارض وقسيس القرية على انه لا يلبى شيئا من امور اولاده الروحانيين سوى الخطبة فيهم يوم الاحد لانه يستخدم تحت يده قسيسا يعطيه نحو ثمانين ليرة في السنة ويلي عليه احوال الكنيسة وهذا المبلغ هو دون وظيفة طباطخ الاسقف في بلاد الانكليز فعلى هذا القسيس ان يعمد اولاده الرعية وان يدفن الموتى منهم ويزوج احداثهم ويعود مرضاهم وغير ذلك •

وعند ملاك الارض في انكلترا نحو ستين الف عيلة لا غير وقلما ينفق هؤلاء المساكين

المساكين اللحم فحل اكلهم الخبز والحب فجزار القرية لا يذبح شاة او بقرة الا مرة في الاسبوع ولا يبيع من اللحم الا نصف رطل او ربهه واذا ذبح شاة فلا يسلمها ويحجز لحمها الا بعد يوم والبقرة بعد يومين او ثلاثة نعم انه قد يرى احدهم خنزيرا في دويرته و يذبحه و يتخذ لحمه كالتورمة التي تتخذ في بر الشام ويطعم منه في ايام الاحاد ومن كان ذا يسر قليل اشترى قطعة لحم في يوم السبت وطبخها وبيع بها عامة الاسبوع باردة اذ ليس تسخين الطعام مألوفا عندهم فهم احرى ان ياكلوه بانثامذ ايام من ان يسخنوه ولما طالبت من المرأة التي كنت نازلا عندها تسخين طعام بقي لي من الغداء لم تكذب تفهم مني الا بعد شرح وتفسير وراح كل منا يتعجب من صاحبه • وليس في القرى مواضع للهو والحظ واذا ارادوا اللهو عمدوا الى اجراس الكنيسة يضربونها فتوم عندهم مقام آلات الطرب ومن الحظ عندهم ان يجلس الرجل مع امرأته ينظران الى الخنايص التي يريانها او الى ما يزرعانه من خسيس البتول في عرصته فان لكل منهم في الغالب بضع اذرع من الارض امام بيته يزرع فيها نحو الفجل والكرب وما اشبه ذلك ولولا ذلك لكانت عيشتهم شرا من عيشة البهائم وقد ترى في القرية دكانا فيه نفاية ما يباع من الشمع والصابون والسكر والبن والشاي وبيتا حثيرا يباع فيه شيء من البصل والبطاطس والحلويات الرديئة والنفاح المسبخ تنظرها من طاقفة البيت ولو اشتريت ذلك جميعه لما بلغت قيمه خمسين قرشا وفي اوان الشتاء لا يمكن للانسان ان يخرج من منزله لاستنشاق الهواء وذلك لكثرة الوحل في الطريق فقد يمكث عدة ايام رهين بيته وليس في القرى خيل او حير او بغال او عواجل تكرى فلاس الا مراكب النعل وقد يكون لبعض المتشبعين بحيلة يحركونها بارجلهم اذا ارادوا ان يذهبوا من قرية الى اخرى فيجري بهم من دون حصان ولا حمار وبعضهم يكون له عاجلة صغيرة مفتوحة يجري بها حصان صغير فثل ذلك لا يدفع عليه شيء للميرى فاما العواجل المعتادة والحيل فلا بد من الاداء عليها كما سيأتى بيانه في محله وكنت كلما اضطررت الى المؤنة ذهبت الى البلدة ماشيا ومرة اضطررت الى ان اذهب في التسابوت الذي يقل فيه الدمان لكنه كان فارغا وعلى فرض ان يسكن غنى احدى هذه القرى فلا يمكنه ان يتعم بغشاء اذ لا يجد فيها الا ما يجده الفقير الا ان يجلب مؤنته من

لندرة وغيرها ويعلم الله انى مدة اقامتى فى تلك القرية المشؤمة لم يكن لى هم
الا بتحصيل لوازم المعيشة فكنت اجلب بعض القطان من كبريج وبعض
القل من رويستان والمزر من لندرة فى سكة الحديد ولكن لما وجدته غاليا
اقتصرت عن جلبه فاستولى على ضعف المدة ووهن فى ركبى لم احس به فى
عمرى قط فان مزر القرى ردى اذ ليس منه الا ما ينبط بالنبطة دون الرعى فى
زجاج وهو كالدواء سواء الا انه غير نافع وقد غشى على مرة فى دار الدكتور لى
وانا اترجم فامر خادمتى بان تداركنى بكسرة خبز مشوية • اما الصيف فانه وان
يكن غير مزهق الا انه منقضى لعدم وجود البتول المرطبة فيه ولعوز الفاكهة
كما ستعلم ولا سيما ان اكثر شرب اهل الريف انما هو من منافع من ماء المطر واكثرها
يعطوه الطحلب فاذا نضفت عمدوا الى الآبار وهى قليلة يدخرونها الى الحاجة وهى
ايضا من المطر الا ان الانكليز قلما يشربون الماء فانهم يستخفون عنه بالجمعة وقد
مضى علينا فى الصيف نحو شهرين لاندوق فيها شيئا من الفاكهة والخضرة
الا ما ندر وفى شهر نيسان انقطع عنا المذيق الذى كنا نشتره لاجل القهوة
لانهم كانوا يستقونه الخنازير ولا يدعونه فاضطررنا الى ان نتوسل باحدى النساء
لتشفع فينا عند صاحبة البترة فى امدادنا كل يوم بما يكفى للقهوة فقط ففعلت
ثم جاءت مبشرة لنا بتبول خالص شفاعتها فى المذيق وان صاحبة البترة رضيت
بان تبيعنا كل يوم بنصف بينى تفضلا وتكرما فافسناها شكرا وثناء ومطأأأة
رأس وانحناء وفى هذا الشهر المبارك لم يكن يوجد شئ من الفاكهة ولا من
البقول وكانت البصلة الصغيرة تباع بينى مع ان الحفول كلها كانت ناضرة زاهية
فالار فيها هو كراكب البحر وهو طامى واكثر ما يزرع الانكليز فى حقولهم انما
هو القمح والشعير واللفت والبطاطس واصل جلب هذه اليهم من اميركا فى
سنة ١٥٨٦ فاما البقول فيزرعونها فى عرصات الديار لمؤتتهم فقط وهى قليلة
جدا ولما كان جل علف البتر من اللفت كان لجمها ولبنها لا يخلوان من طعمه
واذا زرعوا البقول فلا بد وان يضعوا معها شيئا من الملح والجير ويكثر من
تدليلها فلهذا لا تكون زكية الا انها تنمو غموا فاحشا فان القول قد يعلو
مقدار قامة الربعة وكذا اللوبياء والقمح والشعير والرشاد يبلغ اطول من
ذراع وتحو ذلك الحس والنساع والكرفس وقد تبلغ الكرنبة قدر الجرة
الكبيرة

الكبيرة وتكون التفاحة او الاجاصة نحو البطيخة الصغيرة وقس على ذلك
 الرطل والكراث حتى ان الحيوانات البرية والبحرية تكبر عندهم غاية الكبر
 فان السرطان يكون في قدر رأس الأدمى وقد وزن مرة ديك حبشى فبلغ اربعين
 رطلا ورطل الانكليز نحو ١٥٠ درهما وكان ارتفاعه ثلاثة اقدام واصل جلب الجزر
 الى هذه البلاد كان من هولاء ولم يثبت هنا قبل سنة ١٥٤٠ ولكنه لم يكن اولا
 في هذا الكبر واصل جلب القنيط كان من جزيرة قبرس وكان منذ ستين سنة يرسل
 من هنا الى بلاد البرتغال على سبيل الهدية والطرفة ويحترثون على الخيل والبقر
 جميعا وحين يزرعون القمح وغيره يمدون خيطا من اول الحقل الى آخره حتى
 تأتى الانلام مستقيمة وفي كثير من البقاع يخافون عليه من آفة تعرض له من
 الدود فيزرعون بينه حشيشا سميا ليقتل الدود فاذا حصدوا القمح حصدوا
 معه الحشيش ايضا وباعوه على حدته وربما اخفئ فيقرب مختلطا بالقمح وطحن
 معه فقد قرأت في كثير من صحف الاخبار ان كثيرا ماتوا من الحبز وهذا هو
 ايضا سبب وضعهم الملح مع البقول فاعجب لقوم يطبخون طعامهم بلا ملح
 ويملحون مزروعاتهم ويسخنونها وما لا يثبت عندهم شجر البردقان والليون الحلو
 والحامض وقصب السكر والوز واللوز والفسق والتين والشمس والخوخ
 والدراق والصنوبر والتر والمان وهذا الاخير لا يعرفون ماهيته والصبار
 والآس والزيتون والبطيخ والقثاء والبادنجان والبابايا والملوخية والحمص والعدس
 والماش وقل وجود الخرشف والخيار والسفرجل وشجر التوت لا يرى الا للفرجة
 والطيب من فاكهتهم انما هو الاجاص والتفاح وقد يكبران حتى تملأ الواحدة
 منهما الكف وهذا الاخير يدوم الشتاء كله في المطامر ولكن يباع في القرى
 على قلة واصل جلبه اليهم كان من بر الشام وذلك في سنة ١٥٢٢ فاما
 البردقان فيرد الى المدن الكبيرة من اسبانيا والبرتغال وكذا العنب وقديرون
 شجرهما في بيوت من زجاج ويسخنونها بالنار لان حرارة هوائهم لا تكفي
 لانبائهما ولكن يكون سعره اغلى من سعر المحلوب اليهم وما يثبت في غير هذه
 البيوت من العنب قلته يبقى حترأ وهو ما لا يوفع ويبقى حامضا صلبا وعندهم
 ثلاثة اصناف من الثمار او اربعة كعب الآس عندنا وهي قليلة الجدوى ولا سيما
 كونها لا تقوى على الرياح فقل نسمة تذهب بها وكذلك عندهم ثلاثة اصناف

او اربعة من البقول لا توجد عندنا وهى ايضا نافعة • ويحق لى ان اقول بعد الاختيار والحرى ان جميع ما يبت فى بلاد الانكليز هو دون ما يبت فى فرنسا فى الطيبة والزكاء وجميع ما يبت فى هذه هودون ما يبت فى بر الشام وما ارى العلة فى ذلك سوى كثرة المرقين فى الارض وقلة الحرارة فى السماء نعم ان جميع ما يبت عندهم هو اكبر جرما مما يبت عندنا كما تقدم ولكن شتان ما بين الكبر والطعم الا ان الانكليز يتنافسون فى كل شىء ضخم • اما انواع الرياحين والزهور والاشجار غير المثمرة فكثيرة عندهم وعنايتهم بها اشد من عنايتهم بالبقول المأكولة على ان جل ازهارهم لا عرف له غير انى رأيت عندهم جملة انواع من الزهور ذكية الرائحة مما هو فى مالطة لا رائحة له اصلا وكثيرا ما يذكرها المؤلفون منهم فى كتبهم وتلجج بها النساء فى محاوراتهن حتى ان احداهن سمجت مرة فكانت صواحبا بها دينها بباقات من الزهر وفى اعياد ميلادهن يطرفن به فيخفى ذلك عن طرف القماش والجواهر فى الواقع صلة الرحم وسبب الوداد واذارقصت امرأة فى ملهى وأعجبت الحاضرين تقطوها بباقة وعلى ذكر التفتيح يعجبنى قول ابن المعتز فى ملهى جدر

* يا قرا جدر لما استوى * فزاده حسنا فزدنا هموم *

* كأنما غنى لشمس الضهى * فتنطت طربا بالنجوم *

قلت واهل الالة اهلوا هذا الحرف بهذا المعنى والضمير فى زاده يرجع الى التجدير المفهوم من الفعل وهو رد على الحررى حيث منع ان يقال جدر بالتشديد لكونه ليس للتكثير • اما ارض انكلتر فكها سهل محروث مزروع تشبه ارض البتاع فى الشام فلن ترى فيها بقعة واحدة بورا فكأنها جميعها لرجل واحد ذى عيال فى كونه لا يغادر منها محط قدم من دون منفعة فلا ترى الا غياضا وحقولا ومزارع ومروجا وديارا والظاهر ان بلاد الانكليز اعظم حرثا واعمر من بلاد فرنسا وكل شىء فيها من نام وحوان تراه فى غاية الربيع والنمو وكنت قبل حضورى اليها احسبها كلها جبالا لما كنت اسمع من شدة بردها فاذا هى قاع صفصف وقرأت فى بعض الاخبار ان قيمة ما تحصل من غلالها فى سنة ١٨٤٧ بلغت ٥٤٠٠٠٠٠٠ ليرة وقس على ذلك سائر السنين واحسن بقعة فى الارض يغادرونها مرعى للضأن ومسرعا فلهذا كان لم الضأن عندهم فائرا

فاخرا جدا ومع شدة عنايتهم بتربية الماشية فانهم يحتاجون الى جلب الجلود من
الروسية والغرب الاقصى وثن ما يجلبونه منها يبلغ في السنة ١٥٠٠٠٠٠ ريرة يذهب
نحو نصفها في عمل الاحذية والباقي في غير ذلك وفي بعض الصحف ان في كل
من انكلترة وفرنسا يربي نحو خمسة وثلاثين مليوناً من الغنم ومن كل من البلدين
يحصل قدر من الصوف منساو الا ان غنم فرنسا يحصل من لحمها اقل مما
يحصل من تلك وقد يبلغ الحاصل من اقليم شستر من الجبن مبلغ وافر
وما يحصل من لبن البتر في فرنسا يبلغ مليون لير ثمن كل لير نحو عشرة صتيم
وما يحصل من لبن البتر في انكلترة يبلغ ضعف هذا القدر وياع بضعة قيمة ذلك
والانكلز يربون ثمانية ملايين من الماشية في احد وثلاثين مليون جريب والفرنسيس
يربون عشرة ملايين في ثلاثة وخسين مليون جريب • وجزاروا فرنسا يذبحون
في السنة غالبا اربعة ملايين من الماشية تبلغ خسين مليون كيلوغرام والانكلز
يذبحون مليونين ولا يذبحون من الجبل قدر ما يذبح عند اولئك • والحاصل في
فرنسا من الحليب مائة مليون فرنك ومن اللحم اربعمائة مليون ومن الحرث مائتا
مليون والحاصل في انكلترة من الحليب اربعمائة مليون فرنك ومن اللحم خمسمائة
مليون فيكون الحاصل من كل بقرة في انكلترة من اللبن واللحم فقط اكثر من
الحاصل من البقرة في فرنسا من اللبن واللحم والحرث معا هذا ما نقلته وفيه نظر ومع
خصب ارضهم وكثرة غلالهم كما يتناه آفقا فانهم يجلبون كثيرا من المأكول والمشروب
من البلاد الاجنبية فقد قرأت انه في مدة سنة اشهر جلبوا من البقر ١٢٢٣٧
رأسا ومن الغنم ٢٩٢٦٨ ومن البيض ٥٦٤٥٤٧٤٥ بيضة وفي سنة ١٨٥٠
جلبوا من الجبن ٢٧٠٠٠ طن وفي سنة ١٨٤٨ جلب من ارلاندا من البقر
اثنان وثمانون الفا وخمسمائة واثنان وتسعون رأسا ومن الغنم مائة الف
وثلاثمائة وستة وستون ومن الخنزير ثلاثمائة واحد وثمانون الفا وسبعمائة واربعة
واربعون وقيمة ما جلب من البطاطس في عام واحد بلغت نحو عشرين الف ليرة
وقس على ذلك الزبدة والفاكهة والقطاني وبهذا يتبين لك ما يلزم لاعالي هؤلاء
القوم واسألهم وفي الحقيقة فان انكلترة قد ضاقت باهلها ولهذا بهاجر منها
في كل سنة نحو مائتي الف وخسين الفا واحسن اقاليمها في النضارة والريع
اقليم كنت وفي كثرة اشجار الفاكهة دوقشير واذا دخلت حتى شتير فهرول •

اما حيواناتهم فعلى نسق يقولهم من الكبر والضخامة منها الخيل وهى بوعان ضليع ضخم وهو ما يستعمل فى جر الاثقال فترى الحصان كالبرج الرصوص ويحمل اربعة مائة رطل من ارطالهم وثمة مائة ليرة والثانى خفيف ممشوق وهو للركوب والسباق او لجر عواجل العظماء وربما سار فى الساعة ثمانية عشر ميلا ويقولون ان خيلهم اعتق من خيل العرب وان يكن اصل بعضها من تلك ويقال انه فى زمن الملكة اليصابات لم يكن فى جميع مملكة انكلترا اكثر من الف فرس وبقرهم تعظم فى عظم جواميس مصر ولحمها طيب الا انه كثير الدم وهى حسنة الخلقة والشكل وكذلك فئتهم تسمن سمنا فاحشا وهى ايضا مليحة ولكن ليس لها الايا كفنم الشام ولعلها هى النوع الذى يقال له القهد والهز عندهم طريف وهو احرى بان يخلق الحواجب على فقهه من هر قدماء المصريين اما الجير فانها قبيحة وغير فارهة على قلة وجودها ولا وجود للبالغ عندهم وتدر رؤية المعزى •
ومما من الله به على هذه البلاد ان ليس فيها حيات ولا عقارب ولا رتيلا ولا سوام ابرص ولا ابن آوى يعوى فى الليل ولا نمس يأكل الدجاج ولا بعوض يزعج من النوم ولا براغيث فى الربيع الا نادرا ويكثر عندهم الجرذان تسمع شقشقتها وهى تجرى تحت مخشب البيوت وكذا البق لكثرة الالواح فى منازلهم • قال فى ايجدية الاوقات هذا الجرذ الاسمر الذى يسمى جرذ نوردى غلطا هو اعظم رزية فى ديارنا واصل بجيئة الينا كان من بلاد العجم وبعض البلاد الجنوبية فى اسية كما هو الظاهر من كلام بالاس وغيره حيث قال انه فى سنة ١٧٢٩ زحفت اسراب جرذان لا تحصى من البرارى الغربية الى اسطراخان حتى لم يمكن ردها بوجه ما وفى اوسط القرن السادس عشر زحفت حتى دنت من باريس الا ان كثيرا من جهات فرنسا لم يزل خاليا من هذه البلية

﴿ فائدة فى عمر الحيوان ﴾

قال بعض ان الحصان يعيش من ثمانى سنين الى اثنين وثلاثين سنة والثور ٢٠ والبقرة ٢٣ والحمار ٣٣ واصل تناجد فى بلاد العرب والبغل ١٨ والشاة من الغنم ١٠ والكنكش ١٥ والكلب من ١٤ الى ٢٥ والخنزير ٢٥ والعزى والحمام ٨ والقط ١٠ والوز ٢٨ والبيغا من ٣٠ الى ١٠٠ والپيام من ٥٠ الى ٢٠٠ •
هكذا

هكذا نقلته وهو غريب فان الحمام واليمام من جنس واحد • وقال آخر الدب يعيش ٢٠ سنة ونحوه الكلب والنذب والثعلب من ١٤ الى ١٦ والاسد بنحو ٧٠ والتط في الجملعة ١٤ والارنب ٧ سنين والفيل قد يعيش ٤٠٠ سنة والحزير ٣٠ والكركدن ٢٠ والفرس من ٢٥ الى ٣٠ والجمل نحو ١٠٠ والبقرة ١٥ والضان قلا يجاوز ١٠ سنين والوعل يعمر طويلا والدلقين ٣٠ والسرقد يعيش ١٠٤ سنين والغراب ١٠٠ والسلمعة ١٠٧ ونوع من الحيتان اسمه والس ولعله الدخس يعيش ١٠٠٠ سنة

اما بناؤهم فن الاجر الاجروالايض وقد يصنعون خارج الديار او يكلسونه ثم يرسمون عليه خطوطا تبديده كأنه حجارة مربعة متساوية لا يدركها الا من دنا منها ورسمها وتيق على ذلك سنين بخلاف بيوت لندرة فانها لما كانت هذفا للدخان والضباب لم تلبث ان تسود كما سذكر ذلك ان شاء الله ولهم في تجديد الابنية مهارة غريبة وذلك انهم اذا ارادوا مثلا هدم دار هدموا اول اسفل جدرانها واستندوا القائم منها بعمضاء ثم بنوا الاسفل فرجا بنجز الهدم والبناء في وقت واحد وبعض البيوت يتنون خارجها كالسفينة من قطع خشب يعارضون بعضها ببعض ثم يطينونها وربما كانت تلك الاخشاب قديمة وفي الجملعة فان بيوت الفلاحين حسنة مهندسة غير ان القديم منها ربما يكون اصغر من سلطحه فان السلطوح عندهم على ثلاثة انواع الاول من الواح المكاتب التي يتعلم عليها الخط وهي للديار الكبيرة والثاني من الخرف وهو للبيوت الوسط والثالث من التبن فهذا يكون قبيح المنظر وهو يرفع كما يرفع الثوب ويقولون انه احسن من غيره شتاء وصيفا فانه في الشتاء يمنع البرد ويرد الثلج وفي الصيف يمنع الحر ولا يكون السلطح عندهم الامستما والغاصل بين الواح الزجاج في الشبايك اكثره قضبان رصاص بدلا من الخشب وربما كان الزجاج قطعاً صفاراً كالنصف مربعة ومخمسة فيكون للعين ايتسا وحيث كان في السابق ضريبة للميرى على الطيقان اذا زانت على ثمانية كان الناس يحاشون من مجاوزة هذا القدر ولكنه الآن ابطل تعماينور الله وهوائه ولكن قام مقامها ضريبة اخرى وكل دار لا بد وان يكون فيها عدة واقف للنار واسرهم كلها من خشب لا من حديد والغالب ان ارض منازلهم تكون مفروشة باللبد او البسط من الزرابي واثاثهم بين بين وقل ان ترى عندهم من الصور الا صورة كبير العائلة وصورة الخيل

في السباق او صورة ارناب و كلاب اما بيوت الاغنياء والمترفين فلا شيء اجل
منها لاحكام بنائها وحسن ترتيبها وحيطانها من داخل مغطاة بالورق الفاخر
المنقش وطبقاتها محكمة الوضع كبيرة قطع الزجاج وهو يقارب البلور في الصفا
والبريق ودرجها وارضيتها من الخشب المتين ولهم اسراف زائد في الاثاث فان
اسرتهم وموائدهم واصوتهم وكراسيهم وخزائن كتبهم كلها من الخشب المسمى
بالماهيكون وقد تبلغ قيمة ذلك في الجملة نحو ٥٠٠ ليرة ومع ذلك فلن ترى لسيبة
الدار حليا من الالماس او شالا من الكشميري وهي عكس عادتنا * ومن اسرافهم
ان يغطوا الدرج بالجوخ المنموش او الزرابي الفاخرة وفوقها الكتان النفيس
يدوسون عليه * ومراحيضهم في غاية النظافة والترتيب حتى ان الفرنسيين
اذا ذكروا مرحاضا على هذه الصفة قالوا انه مرحاض انكليزي وكنت
مرة ضيفا لاحد بخلاتهم فلما اصبحت طلبت الكنيف فذلت عليه واذا هو
في غاية الزخرفة والاحكام حتى اني اجتمعت عن قمحه واستعماله وخطر بيالى
حينئذ ما قاله بعض الخرفاء في بخيل انفق على كنيف له سبعمائة درهم قد
استدانها ليتشعري ما الذي يريد ان يخرأ فيه * واجارة المسكن للغيرب اما
تكون بالاسبوع ولا بد ان يخبر اهل المنزل قبل خروجه باسبوع فاذا علموا
ذلك نهانوا في خدمته واذا استأجر احد مسكنا في دار من مستأجر الدار
وفرشه وكان المستأجر لا يؤدي غلة الدار الى مالِكها حق للمالك ان يستولى
على كل شيء في الدار ثم ان البناء في الاصل كان من الخشب والطين ثم من
الاجر ثم من التجارة غير المهندمة فلما تمدن الناس وتجرأوا في الصنائع صار
من المرمم والبناء من الحجر عرف عند اهل صور من القديم ثم اشتهر عند جميع
الاجيال ولم يعرف في انكلترة قبل سنة ٦٧٠ وكان المحدث له راهبا اسمه
بناديكتوس واول جسر بنى منه في هذه البلاد كان في سنة ١٠٨٧ اما البناء من
الاجر فلما عرف عن الرومانيين وفي سنة ٨٨٦ امر الفريد ملك الانكليز
باستعماله وفي سنة ١٥٩٨ استحسن تعميره وكان بناء لندرة اذ ذاك من الخشب
غالبا واما الزجاج فيقال ان اول من تعلم صنعته اهل مصر فانهم اخذوها عن
هرمس وقال بلينيوس بل كان اختراعه في سورية وكان له معامل في صور من
القديم وقد ذكره الرومانيون في عهد طيبيريوس وعلم من اقتاض بمباي ان الزجاج
كان

كان في طياتها سنة ٧٩ قبل الميلاد واول ما اشتهر اتخاذه في اوربا كان في ايطاليا ثم عرف في فرنسا ثم في انكلترة وفي سنة ١١٧٧ استعمل في ديار بعض الاعيان ولكنه كان مجلوبا وبغهم من كلام فلير ان اول من شهره في بلاد الانكليز رجل من فرنسا وذلك في سنة ١١٨١ وفي سنة ١٥٥٧ انشئ له معمل وفي سنة ١٦٣٥ اكسب رونغا وصفا وفي زمن وليم الثالث اتقن الى الغاية ومن سوء التدبير في بلاد الفلاحين انه لا يقام في القرية من الشرطة الا واحد فلذلك يكثر فيها الحريق والسرقة فان اهل القرية اذا لم يستخدمهم مستأجر الارض يبقون معطلين مترعين الى ارتكاب كل شرفيعمدون الى احراق اكاديس القمح والحشيش المكسدة في الحقول في ليلة ذات ريح قسرى النار الى بعض البيوت وليس من يطقها ثم لا تلبث ان تلاشيه بالكلية وتسرى الى غيره فربما احترقت القرية كلها في ليلة واحدة وفي مدة شهرين من اقامتي بتلك القرية وقع خمس عشرة حريقا في اكداس الغلال وكان سبب ذلك من هؤلاء المعطلين عن الشغل تشفيا من غيظهم من مستأجر الارض ورأيت آثار قرية كانت تشتمل على خمسين بيتا احترقت باجعتها في ليلة واحدة بل ان كثيرا من هؤلاء الفجار ينهبون الكنائس وقد يدخلون البياض من مداخن المواقد النافذة الى السطح ويسرقون ما قدروا عليه وفي كل ليلة قبل النوم يوصى الخدم بخادمه والخدم بخادمتها باطفاء النار والنور اما العاجزون والسقط فانهم يكتفون في المستشفى ويقوم بفتحهم القادرون من الرعية فان الحكومة لا تنفق شيئا على المستشفيات ولا على نصليح الطرق ولا على ترتيب الشرطة ايضا الا ان اكثر الناس يستكفون من المكث في المستشفى كما ذكرنا سابقا وقد تقرر عند الانكليز جميعا ان التصديق على الفقراء يحملهم على الكسل والتواني فما يعطون فقيرا اذا مروا به ولو كان عربا اعتمدا على وجود هذه المستشفيات ويمكن ان يقال ان اكثر فقرهم هو من انهماكهم في شرب المسكرات فالك ترى منهم فقراء كثيرين باخلاق من الشيا وبهما يكسبهون ينفقون في الجعة ولا يزالون يكرعون منها حتى يجمع عيونهم وتعتقد السنهم عن الكلام ولا يزالون يلهجون بذكرها فهي عندهم في الشتاء للتسخين وفي الصيف للترطيب ومع ذلك فهم بالنسبة الى اهل المدن الجامعة اصحى واعف كما انهم أسخى منهم

واكرم وهذه خطة عامة في جميع البلاد فان اهل المدن لما كان احتياجهم الى اسباب المعيشة والزفاهية اكثر كان الكرم فيهم اقل وذكر الطيب بوخان انه عرف في زمانه نساءً يعن اولادهن بالجمعة * ثم ان الانكليز طالما افترضوا بهن ان العيش داخل ديارهم وهو عبارة عن امرين احدهما التمتع بكل ما يلزم للانسان في معيشته والثاني ترتيب وضع الاشياء الممتع بها وهو ان يكون لكل شئ موضع خاص به ولكل موضع شئ فن غسل يديه مثلا في طست على مائدة ثم تناول المنشفة من جانب المائدة من دون ان يغادر موضعه ويقش عليها فقد انصف بانه منهي وقس على ذلك والحق يقال ان الانكليز في ذلك اعظم الناس ترتيبا واحكامهم وضعا للاشياء وكأنيهم انما ورثوا هذه الخلة كابر عن كابر ومن تعود على هذه الحال عندهم فلا يمكنه ان يتها بعددها في معيشته في البلاد الشرقية قالوا وعلى هذا الاصل بذت يوتنا بحيث اذا تبرأها احد لا يجب ان يخرج منها ولا سيما وضع موافدهم فانها تسع من الفهم ما شئت وبذلك يحصل لهم الدفء في الشتاء وهو من الزم ما يكون عندهم نحو ثمانمائة الف دار مفردة يقال لها كوتاج لا يمكن لغيرهم من الناس ان يعيش في مثلها حالة كونها متفردة فاما دعواهم بان مبالغهم مربعة غضة بحيث تكفي لكل ما يلزم لهم وان اتاهم وادواتهم وافية بالمراد حتى لا يمكن للشهواني ان يقترح شيئا زائدا عليها فليست في محلها فقد مر بك ان كثيرا من البتول والفاكهة لا يثبت عندهم ويمكن ان يقال ان ذلك غير ضائر من لم يتعود عليه فاما من جهة الاناث فان جميع سكان أوروبا المتدينين مشتركون فيه على انهم محرومون من كثير من الملاهي والفرج هذا وكما ان ارض انكلترا كلها محروث عامر كذلك كانت شطوطها باجمعها مرصعة بالنابر والاعلام لهداية السفن فان في سواحلهم مائتي منارة لا تزال انوارها متقدة الليل كله وجلة المنابر التي في سواحل فرنسا الشمالية والغربية ٨٩ والتي في هولاند ٢٦ ومصاريف منابرهم تؤخذ من رسم يجعل على السفائن المشحونة التي تمر بها وهو يختلف وقد يبلغ في السنة مائتين وخمسين الف ليرة بنفق نحو ثلثيه في لوازمها ويدخر الباقي لاجل ترميمها واعظم منارة بذت في انكلترا مما يجدر بان يعد من عجائب الدنيا منارة ادسطين وذلك في سنة ١٦٧٠ ولكن طم عليها الماء في احدى السنين فابادها رأسا فلم يبق منها سوى قطعة سلسلة

من حديد واول منارة عرفت في الزمان القديم المنارة التي بنيت على صخر فاروس
قبالة الاسكندرية وكانت من الرمرر الابيض العجيب الصنعة وذلك في عهد
بطليموس فيلادلفوس ملك مصر سنة ٢٨٢ قبل الميلاد فكان النور يوقد في
قبتها دائما لهداية السفن الى مرسى المدينة المذكورة حتى قيل انها كانت ترى
من مسافة مائة ميل وهو مظنة للانكار ويقال ان مصاريقها بلغت ٣٠٠٠٠٠
ليرة انكليزية بحساب ان الدراهم كانت من ضرب مصر وقد عدت من عجائب
الدنيا الفع وبلغت من الشهرة والعجب بحيث ان اسمها اطلق على كل منارة
بنيت بعدها الى يومنا هذا تقريبا وفي تاريخ مصر لعبد اللطيف البغدادي ان
بعض ذوى العناية ذكروا ان طولها ٢٥٠ ذراعا وان بعضهم قاسها فوجدوا
٢٣٣ ذراعا وهي ثلاث طبقات الطبة الاولى مربعة وهي مائة ذراع والطبة
الثانية مئة وطولها ٨١ ذراعا ونصف ذراع والطبة الثالثة مدورة وطولها
٣١ ذراعا ونصف ذراع قال وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر اذرع ♦
وعجائب الدنيا فيما عده بعضهم ما عدا ما ذكره اهرام مصر والموزليوم وهو
قبر بناء ارطيمسيا لموزلوس ملك قاريا وهيكل ديانة اينة جوبيتر في افوس واسوار
مدينة بابل وحدائقها المتدلية وصنم الشمس من نحاس في رونس ويقال له
قولوسوس وصنم جوبيتر وقيل ان جوبيتر هو هبل عند جاهلية العرب قلت ومن
العجب في هذه العجائب انهم لم يعدوا منها سد الصين فقد قال فليتر ان دورته
مسافة الف وخمسمائة ميل مرتفعا على جبال شامخة ومنحدرا في اماكن وعرة المرتقى
وعرضه في جميع هذه المواضع عشرون قدما وارتفاعه اكثر من ثلاثين وهو
اعظم من اهرام مصر في القدر والمنفعة بناء اهل الصين حاجزا بينهم وبين التتر
وذلك في سنة ١٣٧ قبل الميلاد ♦ اما هواء انكلترا فانه كثير التغلب يختلف في اليوم
الواحد مرات ويتما يكون الجو معجيا والسماء نقيه اذا بالقيم قدامق الافق وتراكم
حتى تحسب انه لم يكن شمس قط وقد يبلغ درجات الهواء في يوم ثلاثين وفي
ضده خسين ومع ذلك فلا يصح ان يحكم عليه باله وخيم ولا سيما على من الفه
فان الغالب على بنية الانكليز الضلعة والسدة وان كثيرا منهم يعمرن
فوق المائة سنة وفي مدة ثلاث سنين مات في انكلترا ووالس ٢٦٦ شخصا وعمرهم
من المائة فصاعدا ومات رجل في كورة هولي وود وقد بلغ من العمر مائة

وثلاث عشرة سنة وبقي متمنا بجميع حواسه واوصى وصية مينة ولم يعرف المرض الا قبل موته بساعة واحدة ومتى تم لهم صحو يوم تلم رأيت الناس جميعا يلهجون بحاسته ويذكرون بهجته فهو عندهم عيد وموسم وفي الحقيقة فانه اذا انجلي الغيم وظهرت الشمس لم يكن شيء ابهج من ذلك فان بلادهم كلها مروج وغياض كما ذكرنا سابقا وقد ترى في الاشجار المتصافة النوانا مختلفة وترى الحقول كأنها بسط من سندس اخضر ولا يخفى ان هواء الرستاق والريف اصح واسلم من هواء المدن الكبار التي يكثر فيها الدخان والعفونات والاقذار الا انه لا يمكن الخروج في الريف شتاء حين تكون المسالك وحلة فلهذا يمكن ان يقال ان اهل المدن اكثر حركة ورياضة من اهل الارياف وبذلك تحصل الموازنة ما بين طيب هواء هؤلاء ووخامة عند اولئك وقد سبقت الاشارة اليه فاما من ابتلى بالسسل والربو او ضيق الصدر فلا يصح له مقام في هذه البلاد ايا كان وكما ان ليايلهم في الشتاء تكون طويلة جدا فان النهار اذ ذاك عبارة عن ثمانى ساعات كذلك تكون في الصيف قصيرة جدا فان النهار في شهر حزيران يكون ست عشرة ساعة ونصفا فيكون الليل كله كالشفق الا ان يلبس الجو الغيم والدكنة ولذا ذكر لك جملة من الكلام على الهواء هنا لتتخذها قانونا تقيس عليه فاقول انه في الثاني عشر من شهر تشرين الاول احوج البرد الى ايقاد النار وكننا نرى اهل القرية كلهم يصطلون فخذونا حذوهم وبقيت الشمس اباما عديدة لا ترى الا النحا وكانت تطلع في الساعة السادسة وتغرب في الخامسة ولا يكاد يكون بعد غروبها شفق وفي الواقع فان النار عندهم تقوم مقام الشمس فانهم ينشفون عليها الثياب وينلذذون بالنظر اليها ولا سيما اذا كانت ذات لهب وقد بانفت منهم القتهم بها بحيث اذا جلسوا في الصيف حين يستننون عنها يطوفون بالموقد ويؤثرونه على الجلوس عند الشبايك الا انه من يجلس عند الموقد فلا بد له من ان يفسل يديه ووجهه في اليوم مرارا حتى ان غلاته تنسخ من اثر الفحم من تحت ثيابه وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور كانت الشمس تطلع في الساعة السابعة وتغيب قبل الساعة الخامسة وفي السادس من تشرين الثاني كانت تطلع عند الثامنة وتغيب بعد الرابعة وفي هذا الشهر يكثر وقوع الضباب فيأخذ بالكظم اذ المشى فيه

لا يخلو من بعض اذى بالبحر ويسمون هذا الشهر فجار الاعناق وقبل عيد الميلاد كان صحو عظيم فكانت الشمس ترى علمة النهار ولم يكن البرد يهوج الى الاصطلاء وانما كنا نوقد النار لمجرد الارباج لرؤيتها كما هي عادتهم وفي السنة الثانية قبل العيد المذكور اصحبت السماء مدة يومين كاملين فظهرت الشمس فيها من ساعة شروقها الى غروبها ولكن وقع برد شديد جدت منه المياه حتى في الآنية فلم يكن كب السلخانة مانعا له كما قال صاحب القاموس وكانت الاولاد تطفر على المنافع والبرك كما تطفر على الصخرة الصماء واذا كسرتها تشقت عن الواح كلوح الباب والترحلق على الجليلد عادة شائعة عند جميعهم حتى ان البرنس البرت زوج الملكة يطفر مع خواصه في موضع خاص به وحين يترحلون يلبسون نعالا كالتباقيب وهو عندهم من الامور الرياضية وكنا نرى الصقيع على وجه الارض كانه ملح مرشوش وكان الماء يجمد ايضا اما المطر فلم يقع الى وقت الميلاد الا اذا وقلما يزل في غيره ايضا سحبا كما يزل في بر الشام ومالطة واذا انقطع عنهم شهرا فاكثرا لا يستسونه بالايدي كما يفعل الماطيون لان ثراهم لا يزال نديا من المطر السابق واكثر وقوعه في الخريف والربيع فاما الرعد فقد مضى الشتاء كله ولم نسمع له قصفة وانما سمعناه في ايار والشمس حارة وكان شهر نيسان ابرد من اذار وفي اواسطه سقط ثلج وبرد شديد وكان آخر اذار ابرد من اوله فقد احتجبت فيه الشمس اياما متوالية وفي اوائل العام الثاني غطي الثلج وجه الارض والسطوح ورؤوس الشجر ولم يكن البرد شديدا كما يكون عند سقوط الصقيع ويقال ان كثيرا يهلكون في الطريق حينئذ اذا لم يكونوا خيرين بما فيهمون في مهواة على حين غفلة فيعطون وربما سقط الثلج على الشاة في الحقول فضل الطريق وقد سمعت ان امرأة سقط عليها الثلج وهي تحت شجرة تستدري بها فلم يمكنها التحول من موضعها فلبثت فيه بضع ايام حتى جاء من اخرجها منه وقد سقطت اصابع يديها ورجليها وبقيت بعد ذلك حية ويقال ان بقاء الثلج في المزارع اياما نافع للزرع ولا شيء اشق على الماشي من الماشي عليه حين يذوب بخلاف ما اذا كان متلبدا • وللاكلير لهج

عظيم في محاوراتهم وكتبهم بحاسن ايار لانكسار حدة البرد فيه الا انه في الواقع من انحس الشهور وذلك لانقطاع الفاكهة واليتول فيه الا ما ندر وفي اوله تدور الصبيان والبنات يغنون ويحتدون من اهل البيوت والمارين في الطريق وكان قدماء الانكليز يرقصون فيه في الحقول والمزارع ويحطلونه يوم مسرة وطرب حتى ان السفلة في لندرة يعيدونه الى الآن فينخنون نحو شجرة ويرقصون حولها في الشوارع وفي اوائل شباط يطوف الاولاد ايضا يغنون لغالن تين وهو يوم تزواج الطيور وفيه تنهادى الشبان والشواب بالرسائل والاشعار على طروس مزخرفة * ومن اول شهر حزيران الى العشرين منه حصل حر يقرب من حر مالطة فكانت الشمس تبدو من اول النهار الى آخره ثم اكفهر الجو ودهم البرد ووقع المطر الغزير وحين يشتد الحر يبلغ ثمانين درجة (انكليزية) وغاية البرد عشرون وبارد الرياح عندهم هي الشرقية ثم الشمالية اما الغربية فلا تكاد تاتي من دون مطر والغالب حينئذ ان تنكسر سورة البرد ويعقبه دفء مغرب الكسل والحجز حتى يود الانسان ان تعود الريح الباردة وان اطارت عنه الثياب وبما مر بك من تقلب الهواء عندهم تعلم انه لا يحسن ان يترجم الى لغتهم قول بعضهم من قصيدة يمدح بها الملكة وهو

* تلوى الرياح مثاني الرمل عاصفة * حتى تصيب اراضيها فتعتدل *
وهو نظير قول المتنبي

* اذا انتهت الرياح الهوج من بلد * فانهب بها الا بترتيب *

لكن بيت المتنبي سالم من الضرورات وقلت انا من قصيدة طويلة
* ما ان يحيل حوول في هوائهم * هوى نفوسهم عن مذهب الخير *
اشارة الى ان تقلب الهواء عندهم لا يغير طابعهم عن فعل الخير والخير بالعكس الكرم والشرف والاصل والهيئة * وفي الحقيقة فانه عند شدة البرد هنا لا يفكر الانسان الا في الاصطلاء ولا تزال تسمع من كل من تلقاه لفظة البرد واذا تفوه بها فرك يديه وتأفف ليل على صدق ما يقول ولا سيما النساء حتى انهم ربما قالوا ذلك في يوم لا برد فيه فكان السنتهم مرنت على ذلك وكثيرا ما ترى ايضا وصف البرد والنار في كتبهم ويسمون المرأة رفيقة الموقد

الموقد والاضافة بتقدير عند وقد جرت العادة عندهم بله لا يحرك النار الا من كان من اهل البيت او من طالت الفته بهم وفي الجملة فان النار اليهم مدة ثمانية اشهر في السنة وبهذا تعلم انهم لا يرون في وصف الجنة نعيما لان الانسان اذا كان مفرورا لا يشتهي ان يسمع بذكر المياه والظلال والاشجار بل كانوا يقولون تلك الجنة نيرانها مضطربة ومواقدها محترقة وحطبها منضد وخمها مؤيد ومسعرها مخلد فهنيئا للمصطلين وطوبى للمستدثنين أليس ان عبادة النيران في بلاد الفرس نشأت عن البرد كما قال ابن صاره في المعنى

* احل لنا ترك الصيام بارضكم * وشرب الخمر وهو شئ محرم *

* فرارا الى نار الجحيم فانهما * ارق علينا من شلير وارحم *

* لئن يك ربى مدخلى في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم *

ثم انه لا يخفى ان اهل البلاد الحارة يكونون اذكى ذهنا واسرع فهما من اهل البلاد الباردة الا انهم لا يكون لهم جاد على الاعمال الشاقة لفلة الترهل عابهم ولا عظم همة لمباشرة المساعي الخطيرة ولا يمكن ان يلحقوا اهل البلاد الباردة في العز والغنى الا ان يكون لبعض البلاد مزية خاصة بوجود المعادن وغيرها كبلاد الهند مثلا اما سكان البلاد الباردة فيتحملون مشاق الاعمال ويستطيعون اتمان السعى ويعمرون أكثر ولهذا كان جل الفاتحين والغازين من الشمال وكان جزيرة العرب مستثناة من هذا الحكم الا ان ايامهم في الشتاء تكون قصيرة جدا فيضطرون الى العمل ليلا وربما كُتبت ايديهم من شدة البرد وفي كتاب منسوب الى ارسطو ان اهل البلاد الحارة يعمرون أكثر من اهل البلاد الباردة لان الحرارة الطبيعية يتأني حفظها في الاولى أكثر من الثانية ولا ارى قوله مطابقا للواقع الا ان يحمل قوله البلاد الباردة على معنى المفرطة في البرودة والبلاد الحارة على معنى المعتدلة في الحرارة • ولتعم الكلام على ميزان الهواء بما لا يخلو من فائدة فتقول ان اصل اختراعه فيما علم كان في ايطاليا وفي سنة ١٦٢٦ الف صنطوريا الطبيب في يدوى كتابا وادعى فيه انه مخترعه وادعى ايضا هذه الدعوى رجل من هولاند اسمه كرنيليوس دريل وبعد البحث والتدقيق علم ان الاول سبق الى الدلالة على اتخاذه وان الثاني عرف خواصه من قبل ان يسمع شيئا عن ذلك • ونقلت من بعض الكتب

انه حسبت ايام السنة في مدينة وياه على مدة خمس وسبعين سنة فكان في
 خلال السنة من ايام الصحو ١٢٧ يوما ومن ايام الضباب ٧٥ ومن المطر
 ١١٠ ومن الثلج ١٣٥ ومن الرعد والبرق ١٩ واقول ان هذا القدر من ايام
 الضباب هو اكثر مما يقع بلندة فان جله هنا انما يقع في شهر تشرين الثاني * اما
 معادن انكلترة فاشهرها القصدير والصفير والحديد والفحم وهذان الاخيران
 اقنى وانفع لهم من سائر المعادن النفيسة اذ لولاها لم يأت لهم انشاء الوف
 من البواخر ومن سكك الحديد ومن الغاز وغير ذلك وليس كل البلاد التي
 فيها معادن الذهب والفضة اغني من غيرها فان من المعادن ما تقوم نفقة
 استخراجها بفائده فلا يحصل منه نفع الا مجرد الافتخار بوجوده وانما العمدة على
 سهولة ايشائه وقلة مصروفه * واكثر ما يوجد الذهب في افريقية ويايان
 وجنوب امريكا وهذا الاخير عثر عليه الاسبانيول في سنة ١٤٩٢ ومن ذلك
 التاريخ الى سنة ١٧٣١ جلب منه الى اوربا سنة الآف مليون شذرة قيمة كل
 منها ثمانية ريات اميركانية ويكثر وجوده ايضا في جبال اورال بالروسية
 ويوجد منه معدن في كورنول وفي وكلو بارلاند واكثر ما يأتي الانكليز من
 الذهب فلما هو من اوستراليا وكاليفورنيا قبل انهم يجلبون منه في كل سنة
 عشرين مليون ليرة واول من اطلع عليه في الاولى ادورد هرغافس وذلك في
 سنة ١٨٥١ فاطلع ارباب الحكم على ذلك طمعا في الجائزة فاجازوه وولوه خولية
 ارض الميرى ومن جلة ما وجد فيه قطعة ذهب ابريز بلغت مائة وستة ارطال
 ووجد ايضا في موضعين منها الى غاية تشرين الاول سنة ٥٢ ٢٥٣٢٤٢٣
 لوقية انكليزية او مائة وخمسة اطنان اى طنلاته وبلغت قيمة الذهب الذي بعث
 منها الى الخارج نحو تسعة ملايين ليرة ومن ذلك الوقت تابع وروده الى بلاد
 الانكليز ويحتمل ان في اوستراليا معادن اخرى كثيرة وكنوزا جزيلة لم تكشف
 الى الآن فني كشفت تكون داعية ليجب اهل الدنيا وهذه الجزيرة هي اكبر
 جزيرة في المسكونة واصغر ارض قارة فانها دون امريكا بنحو ستة اضعاف
 وكان استعمار الانكليز اياها بعد انفصال امريكا عن بلادهم وفي سنة ١٨٥٤
 بلغ

بلغ عدد اهلها ٢٣٦٧٩٨ نفسا وهي اقل بلاد الدنيا اثنا (١) • فاما اميركا فاؤل من كشفها رجل من جينوى اسمه كرسوفر كولبوس وذلك فى سنة ١٤٩٢ قيل اذا صارت مملكة الدول المتحدة باميركا مأهولة كهولاند فتكون تسع تسعمائة مليون من الناس وهذا القدر هو نصف قدر سكان المسكونة واهلها الآن سبعة وعشرون مليونا (٢) وحين كان الانكليز يبنون مجلس الشورى بلندرة كان الاميريكايون مشغولين بتمدين بلادهم فانشأوا سبعة وعشرين الف ميل وخمسمائة ميل لسكة الحديد (٣) بلغت نفقتها نحو ثلاثمائة مليون ليرة وفى غضون ذلك انشأ الانكليز تسعة آلاف ميل كلقتهم نحو المبلغ المذكور والنزى ورد الى خزنة الدول المتحدة فى سنة ١٨٥٧ من جميع موارده بلغ نحو ثمانية وعشرين مليون ريال ونصف مليون وكان المبلغ الفاضل فيها نحو عشرين مليونا وبلغت مصاريف الدولة سبعين مليونا وكانت محال البوسطة فى سنة ١٨٢٧ سبعة آلاف فصارت فى سنة ٣٧ ١١١٧٧ وفى سنة ٤٧ ١٥١٤٦ وفى سنة ٥٧ ٢٦٥٨٦ وكان مواضع اتدادها طولاً فى سنة ٢٧ ١٠٥٣٣٦ ميلاً وفى سنة ٣٧ ١٤١٢٤٢ وفى سنة ٤٧ ١٥٣٨١٨ وفى سنة ٥٧ ٢٤٢٦٠١ وفى المملكة المذكورة تسعة آلاف رتل لسكة الحديد وهو عبارة عن اجراء رتل واحد لكل ثلاثة اميال ووجدت فى كتاب آخر ان طول سكك الحديد فى اميركا كان فى سنة ٥٧ ٢٤٤٦٦ ميلاً وانه فى سنة ١٨٢٨ وهى اول سنة ابتدأوا فيها بهذه المصلحة لم يكن عندهم الا ثلاثة اميال فانظر الى هذا الفرق • اما كاليفورنيا

- (١) وفى سنة ١٨٨٠ بلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠٠٠ نفس
(٢) فى هذه السنين تقدمت اميركا تقدما غربيا حتى بلغ عدد سكانها الآن ٥٢٠٠٠٠٠ نفس
(٣) وفى سنة ١٨٨٠ صار طول سكك الحديد فى اميركا ٩٠٠٠٠ ميل وايراد الدولة فى السنة المذكورة بلغ ٣٣٣٠٠٠٠٠ ريال والمصاريف بلغت ٢٦٠٠٠٠٠٠ ريال وعند دواوين البوسطة بلغ ٤٠٨٥٥ فانظر الى هذا الفرق وتجب

فكان كشفها في سنة ١٥٣٥ وكانت في سنة ١٨٤٦ تابعة لآعمال مكسيكو تحت استيلاء دولة اسبانيا ثم استولت عليها الدول المتحدة وكان كشف الذهب فيها سنة ١٨١٧ وقبل انه كان معروفا قبل هذا التاريخ لبعض اشخاص ولكن كانوا يكتفونه وهذه النقطة محرفة عن لفظتين في اللغة الاسبانية معناه القرن الحامى ولا يبعد ان يكون ذلك عريسا فان كالى محرف عن قالى من قليت اللحم ونحوه وفورنيسا من القرن وقيمة ما يخرج من هذا الصقع في السنة يبلغ خمسة ملايين وبلغت قطعة الذهب من ذلك الى خمسة وعشرين رطلا فكان الرجل يسعد من كده وقيصه لم ينسخ ويحكي ان الدول المتحدة لما بلغتها خبر وجود الذهب في هذا الاقليم ارسلت حاكما اليه فاك كان منه بعد وصوله الا ان حل المعركة واقبل يحفر عن الذهب مع الحافرين • قال بعضهم اما معادن انكلترة فكثيرة وغنية فقد عثا طاطيوس من جملتها الفضة والذهب وفي عهد الملك جامس الاول كشف معدن رصاص استخرج منه كثير من الفضة ويوجد في كورنول أكثر من خمسين معدنا للنحاس وتقلت من بعض الاحصائيات الصحيحة ان جملة ما خرج من معدن الذهب من بلاد الانكلترة من سنة ١٨١٦ الى سنة ٤٦ بلغ خمسة وتسعين مليونا وقيل ان اول ضرب الدنانير عندهم كان في سنة ١٢٥٧ واول ضرب الدنانير الرائجة المحكمة كان في سنة ١٣٤٤ وكان ضرب الجيني في سنة ١٦٧٣ وكان مبلغ ما ضرب من النقود في ايام الملكة اليصابات ٨٣٢ر٠٠٠ ليرة وفي ايام جامس الاول ٢٥٠٠ر٠٠٠ وفي ايام جورج الثاني ١١٩٦٦ر٥٧٦ وفي ايام جورج الثالث ٥٨٦ر٥٠١٧٤ وفي ايام جورج الرابع ١٠٨٢٧ر٦٦٣ وفي زمان الملكة فيكتوريا وذلك من سنة ١٨٣٧ الى سنة ٤٨ ٣٩٨٨٦ر٤٥٧ ويقال ان طابع الدراهم والدنانير من مخترعات اهل ليديا (من بلاد الاناطول) وذلك في سنة ٨٦٢ قبل الميلاد اما الفلوس فقد ذكرها اوميروس في سنة ١١٨٤ قبل التاريخ المذكور والذهب الانكليزي فيه اثنان وعشرون قيراطا من الذهب وقيراطان من النحاس ويقال ان حبة الذهب يمكن تقسيمها الى ثمانية عشر مليون جزء ظاهرة ويمكن ايضا تطريقها ومدها حتى تصير خسا وستين اصبعاً مربعة وان الصفحة تصير الى جزء من ثلاثمائة من اجزاء الاصبع وينهب بها حتى الى جزء عشرة ملايين واول استعمال خيوط الذهب كان في ايطاليا وذلك سنة ١٣٥٠

ولما كان هذا الجوهر البين جيع الجواهر واصفاها كان لا يستعمل الا مخلوطا
بالصفر او الفضة • ونقلت من جرنال التمس سنة ١٨٥٢ ان مبلغ تقود
الفضة والذهب في الدنيا باسرها قيمته اربعمائة مليون ليرة منها مائتان
وخمسون مليونا فضة والباقى ذهب ونقلت من غيره ايضا ان مبلغ الذهب
الذى كان متداولاً في سنة ١٨٤٨ في الدنيا باسرها كان ستمائة مليون
ليرة وان الامداد السنوى كان من ثمانية ملايين الى تسعة وانه لسبب كشف
معادن الذهب في اوستراليا وكاليفورنيا صار الذهب المتداول الآن يبلغ أكثر
من ثمانمائة مليون فن كاليفورنيا خرج من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥٣ خمسة وستون
مليونا وتسعمائة الف ومن اوستراليا خمسة وثلاثون مليونا وذلك من سنة ١٨٥٤
الى سنة ١٨٥٦ • اما معدن الفضة فقيل ان احسن ما عرف منه ما كان
في لا باز وذلك سنة ١٦٦٠ فكان مر ليه وحسنه يقطع كالبلور وفي سنة ١٧٤٩
ارسلت قطعة منه الى بلاد اسبانيا فبلغت ٣٧٠ رطلا وحفر عن قطعة في معدن
بنورويج وارسلت الى متحف كوبنهاغن فبلغت ٥٦٠ رطلا وقيمتها ١٦٨٠ ليرة
وكانت آية الفضة نحو الاقداح والمخاريف تعد في سنة ١٣٠٠ في بلاد الانكليز
من الاسراف ووجودها في البلاد المذكورة انما يكون مختلطا بغيرها من الجواهر •
اما معدن النحاس فقد مر ذكره في كورنول ويقال ان اعظم معادنه في مملكة السويد
ويقال ايضا ان الحبة من هذا الجوهر اذا حلت في ملح النشادر تجزأت الى أكثر من
اثنين وعشرين الف جزء • اما معدن الحديد عندهم فيستخرج منه في كل سنة أكثر
من ثمانمائة طن ويقال انه اول ما عرف وجود الحديد كان على جبل ايداي وذلك في
سنة ١٤٣٢ قبل الميلاد وزعم اليونانيون انهم هم اول من عثروا عليه كما ان اهل فينيقية
اول من عثر على الزجاج الا انا نعلم من التوراة ان اول من قان الحديد طوبال
قاي • وقال آخر ان تجارة الحديد عند الانكليز كما هي الآن من ابداع هنري
كورت لانا قبل سنة ١٧٨٣ كنا نجلب جل لوازمنا من الحديد المصنوع من
سواحل بحر البلتيك ولم تكن طريقة لصنع هذا الجوهر الذي يصدق عليه ان
يسمى جوهر الجواهر سوى طريقته بمطارق ضخمة ثقيلة بعد اجائه في فرن
وهو اسلوب قديم يجرى مع قدم ايلم الخرافات وما عدا ما كان يتبعه من التعب

والكلال فكان يلزم له اجم كثيرة لتنى بالوقود اللازم لاجائه وحيث لم يكن عندنا منها ما يكتفى كان لابد لنا من استجلابه من الروسية والسويد حيث الاجم كثيرة والحديد يسهل صنعه بالنسبة الى هذه الديار والى سعره فيها فكانت معادتنا الجزيلة تبنى معطلة الى ان قام هنرى كورت المذكور واعمل فكره الثاقب فى اختراع طريقة تكثر بها منافع هذا المعدن وتقل الصعوبة فى صنعه فاداه الاجتهاد والتجرب الى احدث فرن هوآء بواسطة لهيب النار المنبعث من فحم الخبث فكان يحمى به الحديد وهو تبر ويصفيه ثم يجعله قضباناً مسبوكة من دون فحم ولا مطرقة ولكن لم يتهأ له اتقان هذا الحبل الا بعد ان اتفق عليه عشرين الف ليرة ومنذ ذلك الوقت استغنيا عن حديد السويد والنرويج ثم لم تمض اربع عشرة سنة حتى صار ما يصنع منه فى بلادنا قدر ما كنا نجلبه من بحر البلتيك ثم صار ما يصنع منه على هذا المتوال موازاً لما تبنى الف طن منها نجسونا الفاترسل الى الخارج وهذا القدر هو ما كنا نفتقر الى جلبه سابقاً من البلاد الاجنبية وقد صنع منه فى سنة واحدة من هذه السنين التأخرة فى معمل بوالس اكثر مما كان يصنع منه قديماً فى جميع المملكة بضعفين فاعظم به من اختراع يعد من اعظم الاسباب الموجبة لثروة هذه البلاد واستقلالهم باعمالهم اذ لولاهم يأت انشاء سكك الحديد والبواخر وغيرها ولا يخفى ما فى ذلك من المنافع فهو لنا بمنزلة ابرة المقتطيس لكشف الدنيا الجديدة فما اجدر بمخترعه بان يحسب ندّاً لواط وما اخلق بلادنا بان تظهر كونها ممنونة له على ممر الايام الى ان قال ومع انه اتفق فى هذا العمل الجليل عشرين الف ليرة ومهد لبلادنا طريقة فاقت بها على جميع الممالك لم تجازه على ذلك بل عاملته بالكنود على انه تحقق وثبت ان ما اكسبها من فوائد هذا الاختراع يبلغ ستمائة مليون ليرة وافاد ايضا مؤنة ستمائة الف من الصناعاء وقد كان الرومانيون فى الزمن القديم يصحفون قعور سفنهم بالرصاص وكان ثمنه اذ ذاك اغلى مما هو الآن باربعة وعشرين ضعفاً ويقال ان احسن صبغ للشعر هو ما يتخذ من الرصاص لكنه فى نفس الامر سم • اما فحم الخبث فان اهل بريتايا الاقدمين كانوا يستعملونه وان لم يذكر ذلك الرومانيون فيما ذكروا من احوال هذه الجزيرة واول كشفه كان فى نيوكاسل سنة ١٢٨٤ وزعم بعض انه قبل هذا التاريخ وكان

وكان قد منع اولاً من استعماله بدعوى انه مضر بالصحة حتى ان الحدادين كانوا لا يوقدون الا الحطب وفي سنة ١٣٨١ اتخذ كانه صنف من اصناف التجارة فصارت الناس تجلبه من المحل المذكور الى لندرة ثم عم استعماله فيها وذلك في حدود سنة ١٤٠٠ فاما في جميع انكلترة فلم يعم قبل سنة ١٦٢٥ ويوجد منه معدن في نورثبرلاند في سهل فسيح امتداده ٧٢٣ ميلاً مربعاً وقريب منه سائر الاماكن والموجود منه في والس فقط يكتفى انكلترة على المعدل الذي يتفق منه الآن الى سنة والنصرف منه في بريطانيا في كل سنة ٢٥٠٠٠٠٠٠ طن وفي سنة ٥٧ وصل الى مرسى لندرة نحو ١٥٠٠ سفينة مشحونة بالفحم وبلغت كمية ما ورد اليها منه بحراً وبراً ٣٦٨٧٠٨ طن واستخرج منه من درهام ومن نورثبرلاند يبلغ في السنة ١٤٠٠٠٠٠ طن يصرف منها في لوازم لندرة ٦٠٠٠٠٠٠ وفي لوازم البلاد الخارجية ٢٥٠٠٠٠٠ وقد ر ذلك لاجل الغاز والباقي في مهمات اخرى • وقال آخر يوجد في انكلترة وارلاند ٤٠٠٠ ميل مربع تحتوي على معادن فحم لم تكشف بعد ومسافة جريب واحد سمكه ثلاث اقدام يوازي ما يخرج من فحم ١٩٤٠ جريباً من الاجم والياض ومعادن الفحم المفتوحة الآن في دربي تبلغ ٢٤٠ معدناً يعمل فيها ٢٠٠٠٠ نفس ومعادن يوركشير تبلغ ٣٤٣ معدناً ويوجد ايضاً في سكوتلاند معادن كثيرة منها محفور ومنها غير محفور • وقيل ان اصل استخراج الفحم كان في بلجيك في سنة ١١٩٨ ثم عرف في انكلترة والذي يخرج منها يبلغ خمسة اضعاف اكثر مما يخرج من غيرها من اى ارض كانت وما يحصل من مسافة ١٢٧٥ كيلومتر مربعاً من بلجيك يبلغ ٥٠٠٠٠٠ طن وما يحصل من مسافة ٢٥٠٠ من القياس المذكور في فرنسا لا يزيد على ٦٠٠٠٠٠ طن وكان النصرف من الفحم في فرنسا سنة ١٧٨٠ ٤٠٠٠٠ طن وفي سنة ١٨٤٥ ٦٠٠٠٠٠ (١) اما القصدير فوجوده في بلاد الانكليز من قديم الزمان واول من اجر فيه معهم اهل فينيقية لانهم هم اول

(١) وفي سنة ١٨٧٨ بلغ مقدار الفحم المحجى الذى استخرج في فرنسا

١٧٠٩٦٥٢٠ طن

من عرف خاصية ابرة المغنطيس ومن قبل ان غزا القصر بوليس هذه الجزيرة كان الرومانيون واليونانيون يسمعون بوجود جزيرة جهة الشمال توجد فيها معادن هذا الصنف وكانوا يسمونها كستريدس اى جزيرة القصدير وبقيت هذه التجارة مقصورة على الفينيقيين احقبا عديدة وكان اليونانيون كثيرا ما يعثون اليهم جواسيس ليتعرفوا اى بر ينزلون فلم يقدروا والذي يبعث من هذا الصنف الى البلاد الخارجية يبلغ في السنة الفا وخسمائة طن غير مصنوع وثمان المصنوع والصفايح منه ٤٠٠.٠٠٠ ليرة (٢) اما استعمال ابرة المغنطيس في هداية السفن فلا يعلم بالتحقيق فى اى عصر ابتداء وانما يعلم ان خاصية ما فى جذب الحديد والقولاذ كانت معروفة لقدماء اليونانيين وان استعماله فى السفر كان معروفا لاهل الصين من عهد بعيد فانهم كانوا يهتدون به فى اسفارهم الى يابان والهند وجزيرة العرب ولا يعد ان اشتهاره فى اوربا كان كاشتهار صناعة الطب فى كونه اخذ عن العرب اذ لم يعرف شأنه فيها الا بعد ان فتح المسلمون غوثا باسبانيا الا ان العلم به لم يكن تاما ومجتمعا ان العرب اخذته عن اهل الصين ويقال ان علم هؤلاء به فى ارجح الظن كان سنة ٢٦٣٤ قبل الميلاد وهنا محل للبحث الا ان اليسوعيين الذين جعلوا دابهم التتميز عن علوم اولئك التوم وعن عاداتهم وكذا كلابروت النمساوى العالم البارع ومستر دافس كلهم حكوا ما يدل على استعمال اهل الصين هذا الحجر فى ذلك التاريخ ثم لما كانت الافرنج تسافر الى بلاد المسلمين مدة الحرب الصليبية كانوا يذكرون وجود هذا السر الغريب فى تلك البلاد وكان من جلتهم الكردينال فترى وقنسنت دوبوفالى قبل وكانت العرب تهتدى به فى البر ولم تشهر معرفة استعماله فى اوربا الا فى سنة ١٢٦٩ فاما الانتفاع به فلم يشهر الا فى القرن الرابع عشر واول من اجرى ذلك رجل من نابولى اسمه فيلافوجوجا وقال آخرا حجر المغنطيس لم يشهر ذكره فى كتب الانكليز قبل ايام ادورد الثالث وكان يسمى حجر السفر واول سفينة سارت بهدايته كان فى سنة ١٣٣٨ اما رسم النقط فلم يعلم مخترعه

(٢) وفى سنة ١٧٨٩ بلغت قيمة القصدير المصنوع الذى ارسل من انكلترا الى الخارج ٣٥٠٠.٠٠٠ ليرة

وزعم الفرنسيون انه من مخترعاتهم وان رسم النقط الرابع الاصلية انما هو رسم
 عما يقال له فلور دولي اي زهر السوسن ولكن هنا بحث فان زهر السوسن انما هو
 زشم عما يسمى بالعربية موسالا (لعلها مسلة) وكانت العرب تتخذها لدلالة الامة •
 فاما اختراع اداة الابر المسماة عند الافرنج بالكومباس فانه كان من رجل من فينيسيا
 يقال له مركوس باولوس وذلك في سنة ١٢٦٠ وبعضهم عزاه الى فيلافوجيو جيا
 المذكور وزعم آخرون انه كان معروفا في الصين في سنة ١١١٥ قبل الميلاد وكان
 ذلك سهو نعم انه كان عندهم آلة تتحرك بنفسها مصوبة الى الجنوب لهداية المسافرين
 برا وبحرا فظننها الناس الآلة المعروفة قال وقد ثبت ان المذكور هو الذي
 استنبط تعليق هذه الامة كما راها الآن وذلك سنة ١٣٠٢ فاما وضع الصندوق
 لها وكيفية تركيبها به فن اختراع احد قسايس الانكليز ويقال له ولیم بارلو
 وذلك سنة ١٦٠٨ • ولتختم كلامنا على المعادن بذكر الالماس فتمول انه وجد
 في معدن هذا الجوهر ببرازيل حجر زنته ١٦٨٠ قيراطا وارسل الى ديوان
 البورتوغال فقوم بمائتين واربعة وعشرين مليوناً من الريالات وقومه بعضهم
 بستين مليوناً لا غير وزنة حجر الالماس الذي عند قصر الروسية ١٩٣ قيراطا
 واشترى ملك فرنسا حجرا كانت زنته ١٠٦ قيراط وفي سنة ١٨٥٠ جلب
 الانكليز حجرا من الهند زنته ٨٠٠ قيراط الا انه لجهل الرجل الذي قطعه
 نقص حتى جاء ٢٧٩ قيراطا وقدره كالبیضة يتوقه مليوناً ليرة وفي هذه الايام
 الاخيرة جلب حجر من برازيل زنته ٢٥٤ قيراطا يذهب نصفه في القطع •
 اما مصلحة سكك الحديد في بلاد الانكليز فهي اعظم المصالح التي شغلت منهم
 خواطر الاغنياء والمستثمرين والمستنطين فان مجموع رأس المال الذي وضع
 فيها يبلغ مائة مليون ليرة ومجموع رأس المال الذي وضع في اشغال القطن
 اربعون مليوناً والذي في اشغال الصوف ثمانية عشر والذي في الحديد احد
 وعشرون والذي في الحرير ستة عشر مليوناً ومجموع رأس المال الذي وضع في
 اشغال الحديد في بلاد البول التحية ثلاثون مليوناً • ويحكى عن رجل من
 الانكليز انه كان في اول امره يزاها خاملاً قعاطى اشغال هذه السكك
 فحصل له توفيق فيها ونجاح وما زال يزيد نجاحا حتى استغنى غنى لم يذكر
 مثله في التواريخ قط فيقال له صار يتولى اشغال خمسين ألفاً من الصناعات

فيها بلغ مائتين واثنين وعشرين سكة تجرى اسلاك التلغراف في ثلثها وفي سنة ١٨٥٠ تحصل من ايراد هذه السكك في جميع اوربا ٢٣٣٠٠٠٠ ليرة وكان نصف ذلك من ايراد سكك بريطانيا وهذا جدول اطوال السكك المعروفة في الدنيا

ميل	ميل
في بريطانيا ٧٨٠٣ الى سنة ٥٤	في ايطاليا ١١٥ الى غاية سنة ٤٨
في امريكا ٣٨٠٠ الى غاية سنة ٤٨	في الدنمرك ١٠٦
في جرمانيا ١٥٧٠	في كوبا ٨٠٠
في هولاند ٢٠٠	في الروسية ٥٥٢
في بلجيكا ١٠٩٥	في هند الشرق ٥٠٠
في فرنسا ٢٢٠٠	في مستعمرات الانكليز ١٢٠٠

والميل عبارة عن ١٨٦٠ يارد واليارد عبارة عن نحو ذراع ونصف (١) وفي سنة ٥٦ امتدت سكك الحديد في بريطانيا الى ٨٢٠٥٤ ميلا انفق فيها ٢٨٦٠٠٠٠٠ ليرة ومنها أكثر من خمسين ميلا في صفوف متقورة ومساحة تلك الاميال ٥٥٠ باردا مكعبا ويوجد لهذه السكك خمسة آلاف مرزجية وهي الآلة التي يقال لها أنجن وفي كل سنة تسير الارقال ثمانين مليون ميل ومصرف المزرجات من الفحم في كل سنة مليون طن وفي خدمة الجمعيات القائمة بهذه المصلحة تسعون الفا مابين رئيس ومروؤوس وفي سنة ٥٤ كان عدد من سافر في هذه السكك احد عشر مليونا واستفيد منهم أكثر من عشرين مليون ليرة وهونحو

(١) منذ تأليف هذا الكتاب ازدادت السكك الحديدية في اوربا ازديادا عظيما ففي انكلترة وحدها بلغ طولها لغاية سنة ١٨٨٠ مسافة ١٨٠٠٠ ميل كلفت ٦٦٩٤٦٩٠٣ ليرة وحلت من الـكـاب في ظرف سنة واحدة نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ نفس وفي امريكا بلغ طول السكك المذكورة ٨١٢٢٥ ميلا وفي ايطاليا ٥٠٩٨ وفي جرمانيا ١٩٧٧٣ وفي فرنسا ١٣٨٧١ بلغ ايرادها في السنة المذكورة ٣٦٢٣٥٨٠٨ ليرات انكليزية وقس على ذلك ازدياد السكك في بقية ممالك اوربا

ثلث ايراد الدولة والمصروف من الحديد على تبديل القضبان والادوات في كل سنة
عشرون الف طن ويقطع ايضا للوازمها نحو ثلاثمائة الف شجرة وكل رتل
يحمل في مجمل الحساب مائتي شخص وبلغ ما اعطى لاصحاب الارض تعويضا
لهم عما اخذ من املاكهم نحو سبعين مليون ليرة واسلاك التلغراف بمدة ٧٢٠٠ ميل
ويلزم لها من سلك الحديد ما طوله ٣٦٠٠٠ ميل وعدد المستخدمين في التلغراف
ثلاثة آلاف وكل واحد من خمسين من اهل انكلترا يتوقف معاشه وقوام امره
على هذه السلك • وقال آخر بلغ الحاصل من ايراد سلك الحديد في بريطانيا
في سنة ٥٧ ثلاثة عشر مليونا وذلك بحساب فائدة ٤ في المائة • وقال آخر
كان في اواسط سنة ٦٠ ١٢٧٤٥٠ رجلا مستخدما في سلك الحديد في جميع
المملكة والشروع فيها الآن يستخدم فيه ٥٣٩٢٣ فتكون الجلة ١٨١٣٧٣
وعدة المواقف ٣٦٠١ • ثم رأيت بعد ذلك في بعض صحف الاخبار ان طول
سلك الحديد في مملكة بروسيا بلغ في سنة ٥٩ ٣١٦٢ ميلا وان رأس المال
الذي عين لذلك ٨٠٠٠٠٠ ٤٤٠ ليرة فيكون ١٣٩٤٠ ليرة على كل ميل وبلغ
عدد المسافرين في السنة المذكورة ما عدا العسكر ١٦٨٢٧٩٠٢٧٩ ومقدار
البضائع التي نقلت فيها ١٢٠١٦٧٦١٠٤٩٠ طنا ومقدار ما تحصل منها
٣٩٩٤٤٠ ليرة اعني ١٧٠٧ ليرات من كل ميل • هذا ما تيسر لي نقله من
الكتب ومن صحف الاخبار واقول اني سمعت من غير واحد ان اعظم سكة
في انكلترا هي التي يسافر بها من لندرة الى برستول اتفق في انشائها نحو ستة
ملايين ليرة واربادها في كل شهر مائة وخمسون الف ليرة ثم ان الرتل الذي
يقف في عدة مواضع يسير في الساعة نحو عشرين ميلا فاما الرتل المخصوص
فانه يسير أكثر من خمسين وهو يمر كالبرق الخاطف فاذا نظرت اليه هالك مره
وربما وقفت له الارتال البطيئة خشية المصادمة والمحسوب ان الجمل على كل
ميل في المحل الاول قرش ونصف وفي الثاني قرش وفي الثالث نصف قرش وبما
مر تعلم ان منشئ هذه السلك جماعات يخرجون مالا من ملكهم ويشتركون فيها
دخلا وخرجا فاذا اراد احد منهم ان يبيع حصته فيها اشتراها آخر وليس
المستخدمين فيها كلباس الشرطة بل احسن وفي طول السكة يقيمون رجلا
يتعهدون القضبان ويحافظون على تنظيف الطرق فقد يتفق ان بعض الاعداء

يكسر قضيبا منها فيكون في ذلك هلاك نفوس شتى ♦ وما ينبغي ان يلاحظ
هنا ان الارتال الفرنسية اقل عرضة للمصادمة والخطر من الارتال الانكليزية
فكل يوم نسمع في بلاد الانكليز عن عطب عرض ل احد الارتال ولهذا كانت
الشيخ والبجارت عندهم يأفون من السفر فيها ويؤثرون السفر في بعض مر اكب
البر على قديم عادتهم وسبب كثرة هذه الاخطار عندي هو ان مديري
المزجيات كغيرهم من ابتاء جنسهم في الانهماك في شرب المسكرات فيشربون وهم
باشروا الآلة حتى يعزب عنهم الرشد والصواب في سنة ٥٦ هلك في هذه
السلك في برينانيا مائتان واحد وثمانون نفسا واصيب نحو اربعمائة وذلك
ما بين مجروح وارب وفس على ذلك خطر السفن فقد تلف لهم في السنة المذكورة
على سواحل المملكة قط الف وتسعمائة وتسع وخمسون سفينة والمعلوم من مجمل
الحساب انه يفقد لهم في كل شهر مائتا سفينة ومع ذلك فهم اغنى الناس جميعا
فجيب والاحظ ايضا ان الانكليز اذا علوا شيئا فانما يراعون فيه وجه
الكسب والمصلحة فقط والفرنساوية يضيفون الى ذلك راحة المسافرين
ورونق المحل والتفاخر فان المحل الشاق في ارتال الانكليز لا يشتمل الا على
مقاعد من خشب اذا قعد عليها الانسان بضع ساعات الم غاية الالم فاما عند
الفرنساوية فانها تكون شبه الارصفة يقعد عليها المسافر ما قعد ولا يمل
وقس على ذلك البواخر ومواقف الارتال في فرنسا احسن منها في انكلترة
غالبا وابهج وفي بعضها مطاعم عظيمة يمجد الانسان فيها كل ما يشتهي بخلاف
مواقف الانكليز فان ما في مطاعمها كره ولا سيما القهوة فانها عبارة عن حسا
القطاني ولهذا كان اكثر المسافرين من الانكليز يتزودون من بيوتهم ما يلزم لهم
مدة السفر ويأكلون وهم قاعدون في العواجل وقل منهم من يتفدى في المطاعم
وما اري الحق الا معهم فان تلك المطاعم فضلا عن غلائها ربما اورثت الاكل
هيضة تمتعه عن السفر ♦ وفي كل من هذه المواقف يكون محل للحاجات التي
ربما ينساها المسافرون هناك لسبب العجلة او الذهول فتبقى هناك محفوظة حتى
اذا علم صاحبها ردت عليه في الحال والا اقيت فيه سنتين ثم تباع وبوزع
ثمها على خدمة الموقف ولا سيما الذين اصيبوا منهم في ابدانهم واتفق مرة
لرجل ان نسي كواغدة مالية بمائة وخمسين ليرة فلما عرف اسمه ودت عليه

واتفق لي ايضا اني كنت نسبت خرجا في كالي ولما استقر بي المقام في القرية تفقدته وعلمت بانه بقي هناك فكنت الى مدير الموقف فيها فلم يلبث ان ارسله الى • ويحسن هنا ان تذكر ما يناسب المقام بما اورده البخاري في باب اللقطة من صحيحه قال حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سلمة قال سمعت سويد بن غفلة قال لقيت ابي بن كعب رضى الله عنه فقال اخذت صرة فيها مائة دينار فآليت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عرفها حولا فعرفها فلم اجد من يعرفها ثم اتته فقال عرفها حولا فعرفها فلم اجد من يعرفها ثم اتته ثلاثا فقال احفظ وعاءها وعددها ووكاءها فان جاء صاحبها والا فاستمع بها وروى استمع بها بحذف الفاء قال ابن مالك في التوضيح فيه حذف جواب ان الاولى وحذف شرط ان الثانية وحذف الفاء من جوابها فان الاصل فان جاء صاحبها اخذها وان لم يجئ فاستمع بها والتعريف ذكر اللقطة والضالة وطلب من يعرفها انتهى ملخصا من شرح شواهد التحفة الوردية للعلامة عبد القادر بن عمر البغدادى • فيكون مديروا الواقف على هذا آخذين بهذا الحكم الا ان في الامر بتعريف الضالة من الفضل ما فاتهم

اما خلق الانكثير فالغالب على الرجال الشقرة وتوسط القسامة مع الضلالة والقوة وشدة العصب وزرقة العيون وصغر الانوف والظاهر ان الشقرة لا تتوقف على البرد وحده وانما اخص اسبابها الدم فان اهل جبل لبنان ليس لهم صفاء هذا اللون الذي يرى في هذا الجيل والغالب في عليتهم امتداد القامة والرشاقة ثم ان الحسن هنا في الرجال منقسم الى ثلاثة اقسام • الاول في العسكر فانهم يتجنون ممن حسن وجهها واعتدل قداما ويلحق بهم الشرطة • الثاني في خدام الكبراء والامراء فان السيدات يتنافسن في الفساق ولا يتناولن شيئا الا من يد ملج وان يكن الشيء المتناول قبيحا • الثالث في الكتاب الذين تستخدمهم التجار المترون واصحاب المحرفات والمثابات الحافلة حيث يكثر تردد الخواتين لشرآ وغيره فان ذلك ادعى الى حلهن على الاسراف وما عدا هذه الانواع الثلاثة فقل ان تبصر ملجيا فاما في باريس فلم الحظ ذلك الا في دكاكين اللعابين حيث تنساب الخوازم الشابرات لشرآ اللحم والذي يظهر لي في الجملة ان رجال الفرنسيين اجل من نسائهم ومن رجال الانكثير وان نساء هؤلاء اجل

من رجالهم ومن نساء أولئك • ومن العجب ان الانكليز قد يبلغ احدهم السبعين ولا يخطئه الشيب لا في راسه ولا في عارضه وانما يغلب عليهم في هذه السن الدرم والبرد اعنى سقوط الاسنان وعندى ان اعظم اسباب الشيب في الاصل هو الهم والخوف من ظلم الولاة وذى الامرة فان احد الانكليز اذا كان يملك مثلاً مليون ليرة لم يخش ان اميره بل ماله ينفس عليه بذلك لابل يتباهى به ما شاء لاعتقاده ان غنا، وغنى امثاله موجب لغنى الدولة وشرفها ولا يخشى ايضاً ان يتناول عليه في حقوقه احد ممن هو اعلى منه فان الجميع في الحقوق متساوون وان القاضى والجزاك عتيدان لكل من الغنى والصطوك والتميه والحامل وحسبك ان بعض باعة الشراب اقام دعوى على دوك كبيرج ابن عم الملكة فما وسعه الا الحضور بين يدى القاضى • ثم الغالب عليهم ايضاً الكلوح والبوس ولا سيما اهل القرى وان يكن جوهم اصنى من جو اهل المدن وذلك لان في المدن كثيراً من الملاهي والملاعب ومن العازفين بالآت الطرب ففى سمعت الام الموسيقى اخذت طفلها ورقصته عليها او غنت له فيدرب بذلك فيغرس فيه حب الطرب والخفة والبشاشة فاما البلاد الخالية من ذلك فلا بد وان ترى وجوه اهلها عابسة باسرة وطابعهم بليدة • اما نساء الانكليز فلو فنهن البياض المشرب بحمرة وعبونهن شهل او زرق في الغالب وشعرهن اشود غالباً وان اشتهر خلافه الا في حواجبهن فقل ان تكون حالكة واسنانهن احسن مما يظن في امثالهن ممن ربي في البلاد الباردة وقد زين بشطاطا القوام والذلف اى صفر الانف والبلج وامتلاء الساعدين ولطف اليدين ومشق الاصابع وبالعنق ورقة الشفتين واسالة الحنث وشعر اهدابهن وحواجبهن لا كثير ولا قليل ولا مزينة لهن في الصاوتة على غيرهن وهن احسن نساء الافرنج قاطبة صفاء لون ونعومة بشرة واعضادا ورائب واعتاقا وقد ذكرت كثيراً ممن رآهن ورأى غيرهن فكلهم فضلهن الا انهن جد وطويلات الاقدام في الغالب وغير سود الاجفان واحداقهن غير مرمكة فوق زنبق كما قال ابو الطيب وسبب الاول عندى تعرضهن للبرد في الصفر فان ترائبهن لا تزال مكشوفة وفى الجملة فلم ار شيئاً يصدق على نساء هذه البلاد اكثر من قول صاحب القاموس الشوهاء الجميلة والعابسة ضد ولكن في جعل ذلك من الاضداد نظرو وجع الانكليز يجهون

يحسن الاسنان وهو اول ما يدكرون من الصفات المستحبة ويشبهونها بالدر كما
نشبهها نحن ويعبني قول ابن الزبي فيهما

* وما كنت ادري قبل لؤلؤ نقرها * بان نفيسات اللآلى صغارها *
وقد كرر هذا المعنى بقوله

* ولم ارقبل بمسحه * صغير الجوهر المثنى *

الا انهم لا يخصصون الفلج بالاستحسان ولا يشبهون العيون بالسيوف بل بالاماس ولا الجيد
يجيد الغزال وانما يصفونه بالبياض وربما شبهوه بالمرمر ولا يشبهون الثدي
بشيء وانما يصفونه بالامتلاء والاستدارة ولا يتغزلون بالخال على ان النساء
يضعن امثاله احيانا ولا بالهزمية في الخد وانما يستحسنون التونة في الذقن
ولا يشبهون المرأة بالشمس ولا بالقمر بل بالجمجم وعندى ان اشوق شيئا في الوجه
القم والعينان لكونهما يتحركان فيحركان الوجد ولا ارى الحق مع من
قال احب منها الانف والعينان بل الحق ما قاله الآخر ياليت عينها لنا وفاها
ولعل الرواة حرفوا المصراع الاول او لعل الراجز حكى واقعة الخان ثم ان النساء
في بلاد الانكليز هن اللواتي يباشرن خدمة الديار غالبا اما الرجال فلا يكونون في
خدمة الا عند الكبراء وكثيرا ما ترى جارية حسنة زاهرة تامة الاوصاف
تخدم سيدة من السعالي واذا طرقت الباب وخرجت الجارية لتفتحه حسبها هي
المخدومة وان هشك جمال وجهها عن وجه سؤلها ونساء اخرى خصلة ذميمة
وهي انهن يشرقن بخامتهن وهذه تقابل خصلة نساء فرنسا في الحسن
اصابعهن بعد اكل الحلواء ونحوها ويقابلها من خصال اهل المشرق
التجشؤ وهو حياق المدة غير ان خصلة الفرنسيات اقل اذى لانها لا تكون
الا عقب الاكل ومدتها لا تطول وجع النساء اللاتي استخدمنهن كن يلسن
شعورهن ووجوههن وايديهن وسنخه ويفسلن وجوههن واعناقهن ويمسحنها
بالخرق التي يمسحن بها آنية المطبخ والخصلة الاولى رأيتها في لندرة ايضا وقد
سمعت ان نساء فرنسا المتطرفات لا يفسلن وجوههن بالصابون مخافة ان تجل
بشرتهن وانما يفسلن بماء الخلالة مع ان صابون فرنسا احسن من صابون
الانكليز ويقال ان اهل فرنسا الاقدمين وكان يقال لهم الغال هم اول من عملوا
الصابون في اوربا وكان الناس من قبل ذلك يفسلون ثيابهم بالماء فقط اما بان
مدعكوها بايديهم او بارجلهم ولم يعمل في لندرة قبل سنة ١٥٢٤ والمحبوب
ان

ان كل واحد من اهل بريتانيا يلزم له سبعة ارطال من الصابون في كل سنة
فعلى هذا يكون اللازم منه لاهل لندرة وحدهم تسعمائة طن وجبجج الافرنج
لا يغسلون ايديهم بعد الطعام غير ان الكبراء منهم يغسلون اصابعهم في
صحاف يؤتى بها امامهم على السائدة ثم ينشفونها من دون صابون وربما
تتمضمضوا والقوا فيها الماء من افواههم بمحضرة الضيوف وكذلك تفعل
النساء وهو عندي اقبح من عدم الغسل * ومما يكره في نساء الافرنج تربية
اطفارهن حتى تأخذ حدها في الطول وترك شعورهن في النفا مشعنة
فتي نزع احداهن غطاء رأسها رأيت شعرها كشر الشعر وان احداهن
لعب ببحر وكتب بمحضرة الناس وربما نزل عليها وحس ترابها ووجهها ونساء
الاكابر يستحبن كلابهن في العواجل وعندهن صنف من الكلاب يقعدن في
احضانهن ويسمى كلب الحضان واني احذ من نساء الافرنج عوما ومن نساء
الانكليز خصوصا انهن لا يستعملن الصبغ ولا التزجيج فكما خاتهن الله
يبدون ولا يتباهين بكثرة الحلي والجواهر فتباهي تصنعن انما هو في تصفيف
شعورهن وتغيير ملابسهن بحسب الزى المستعمل فاما نساء الفرنسيات فانهن أكثر
زهوا وعجبا من جميع نساء الافرنج وقد كانت النساء هنا يرسلن على ذلائهن
سواكف مجمدة تفعل ذلك منهن الطويلة الشعر بحجا به فصرن الآن يسويته
منسرحا على افواههن اقتداء بالملكة الاماندر ومثل هذه العادة في القلة عادة
المرافد وللنساء على الرجال منيتان علوية صيفية وسقالية شتائية فالاول
اتخذهن الظلل وقاية لهن من الشمس او ليرائيهن خشية ان تنصل الوانها
وهي في الواقع عبارة عن ظلل والثانية اتخذهن التباقيب ذات الشوع في
النساء فتراهن يخضن بها الوحول والثلوج وهي مصلصلة تحت احذيتهن
وغطاء رؤوسهن البرنيطة وذلك مطرد في جميع البلاد بخلاف نساء فرنسا
فان لكل نساء اقليم فيها غطاء مخصوصا واكثر ما يرمهن من اللباس الجوارب
والاحذية فاما الثياب فالغالب انهما من الشيت ومع ذلك فاذا كان للمرأة اربعة
قطاين منه فهي الخطيئة والحق يقال ان نساء الانكليز على غاية ما يكون من
التعشف والفتاعة فان اقل شيء من الملبوس يرضيهن ومن المصانم يكفين ولا
يستعملن الدخان ولا الشوق كبعض نساء الفرنسيات ولا هن مثلهن ايضا في

كُونِ يَنْكُرْنَ مَرْيَةَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ فَهَذَا تَكُنِ الْمَرْأَةُ شَرِيفَةً مِنَ الْإِنْكَابِ تَعْتَرِفُ
بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الرِّجَالَ قَوَامِينَ عَلَيْهِمْ وَإِذَا أَهْدَيْتَ أَحَدَهُمْ مِنْدِيلًا أَوْ حَذَاءً
أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ اسْتَغْلَمَتِ الْهَدِيَّةُ وَبَالَتْ فِي وَصْفِ مُحَاسِنِهَا وَكَرَّرَتِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ
حَتَّى تَوَهُمَ أَنَّكَ صَرْتَ رَابِعًا لِحَاتِمِ طَلِيٍّ وَهَرَمِ بْنِ سَنَانٍ وَكَعْبِ بْنِ مَامَةَ فَلَمَّا إِذَا
نَظَرْتَ شَيْئًا مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ سَوَاءً أَنْحَفَ بِهِ أَوْ لَا قِيَا لِلحُبِّ وَيَا لِمُنْتَهَى الْإِرْبِ
وَاسْتَغْطَامِ الْهَدِيَّةِ وَلَوْ قُلْتَ صِفَةً عَامَةً لَعَلَّتْهُمْ وَسَفَلَتْهُمْ فَقَدْ كَانَتْ سَيِّدَةً مَا
تَكْرَمْتَ عَلَيْهِمَا بِسِتِّ ثَمَرَاتٍ مِنَ الْخَرْشَفِ فَلَمَّا قَابَلَتْهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي شَكَرْتَهُمَا
عَلَى ذَلِكَ فَقَالَتْ أَنِّي وَزَوْجِي أَهْدَيْنَاهَا فَكَأَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَشْكُرَهُ أَيْضًا
كَأَشْكُرْتَنِي وَالْحَقُّ يَقَالُ أَنَّ ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ أَوَّلَى مِنْ سَكُوتِ الْعَرَبِ عَنْ
نُطْقِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَفْصَحُ عَنِ الشُّكْرِ • وَقَدْ كُنْتُ أَرَى مِنَ النِّسَاءِ الْعَبْلَ الْحَسَنَ
ذَوَاتِ الْبَشَرِ النَّاعِمِ وَالْفَضَاظَةِ الرَّائِعَةِ مِنْ تَنْصَبُ حَرَّ وَجْهٍهَا لِحَرِّ الشَّمْسِ فِي
الصَّيْفِ بَانَ تَنْزِقُ الْحَقُولَ وَتَحْمِلُ الْأَحَالَ الثَّقِيلَةَ وَتَحْصِدُ وَتَبْذُرُ وَتَجْمَعُ الْمَحْصُودَ
وَتَحْتَطِبُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَفِي شَهْرِ حَزْرِيَّانَ حِينَ يَقْطَعُ الْحَشِيشَ تَرَى نِسَاءً
كَثِيرَةً يَجْمَعْنَ وَحِينَ يَحْصِدْنَ الزَّرْعَ لَا يَعْمَلْنَ بِنَصِّ الزُّورَةِ فِي سَفَرِ الْأَحْبَارِ فَانْهَنَ
يَحْصِدْنَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ وَمَعَ هَذَا الشَّقَاءِ فَلَا تَزِيدُ أَجْرَةَ الْمَرْأَةِ فِي الْيَوْمِ عَلَى
نِصْفِ شَلِينَ وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَلَاءِ بِلَادِهِمْ بِقِيَمَةِ قَرَشٍ عِنْدَنَا فَكُنْتُ أَقُولُ فِي
نَفْسِي مَا أَرْخَصُ الْجَمَالَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَمَا أَقْسَى قُلُوبَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَحْجُوجُونَهَا
إِلَى هَذَا الْإِبْتِذَالِ أَوْ لَعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ صَيْغَ هَذَا الْبَيَاضِ النَّقِيِّ يَوْرَسُ الشَّمْسِ
أَوْ سَحْمَةِ الضَّبَابِ

- * فُلُو بَرَزْتَ سَوَاعِدَهُنَّ يَوْمًا * لَشَاعَرْنَا لَا تُنْصَدُ مِنْ ذَهُولِ *
- * بَرِيَاتِ الْحَقُولِ يَحْقُلِي أَنْ * أَشْجَبَ لَا بَرِيَاتِ الْحُجُولِ *
- * وَلَوْ بَرَزْتَ تَرَابُيْهِنَّ لَيْسَلًا * لَصَدَّرَ الدَّوْلَةُ الْقَرَمُ الْجَلِيلِ *
- * لَقَالُ خَنُوا حِظَايَا الْكَرَجِ عَنِّي * فَدَى الصَّلَافَاتِ عِنْدَ ذَوَى الْحَوْلِ *

وَفِي الْجُمْلَةِ فَلَا شَيْءَ أَرْخَصُ مِنَ الْجَسَالِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ • هَذَا وَلَمَّا كَانَ لَوْنُ
الْبَيَاضِ عَامًا فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ كَانَتِ الْمَرْأَةُ السَّمْرَاءُ مُحِبَّةً إِلَى
الرِّجَالِ جَدًّا وَالرِّجُلُ الْأَسْمَرُ مُحِبًّا أَيْضًا إِلَى النِّسَاءِ جَدًّا وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ
عِنْدَهُمْ بِاسْمِ جَبَسَسٍ وَهُمْ صَنَفٌ مِنْ نُورِ بِلَادِنَا وَغَجَرٍ مَصْرٍ لَوْلَا دَنَاءُ نَهْمٍ لَكَانَتْ

عليه الانكليز تصاهرهم وذلك لسيرة لونهم وكل عيونهم وقد كان الدكتور لي
مترجما احدي هؤلاء الجبسيات رآها مرة فاجبها لسرتها واحبته هي لبياضه
فوجدتها بان يتزوجها بشرط ان تنهذب في مذهب النصرانية فاجابته الى ذلك
فتأهل بها • ومن الغريب ان هذا الجيل يعيش في هذه البلاد عيشة النور في
بر الشام سواء اذ ليس لهم مقر معلوم للاقامة فرة يسكنون الغياض ومرة الخصاص
وبعضهم يأوى الى نحو هودج يحرقه حصان فيجعل فيه رحله واثاثه وهكذا
يطوف في البلاد واليههم تنسب سرقة الدجاج والخيول او في الاقل اذئابها والابياء
عن البخت ولهم لسان خاص بهم ويقال لشيخهم ملك الا انهم يخالفون نورنا
يكونهم غير مولعين بالطرب والرقص وما ذلك الا لكونهم مولودين تحت ربيع
الانكليز الكالح ولما كان هؤلاء يعتقدونهم في السكنى تنصر منهم كثير فان قلت
كيف يصرون البخت والانكليز لا يعتقدون بهذه الامور قلت ان عامة الانكليز
على غاية من الجهل فعندهم من التفاؤل والتشاؤم ما عند عامة بلادنا كما سنبين
ذلك بعد • وعن بعضهم ان هولاء الجبسي هم احدي عشائر مصر الذين
خاموا عنهم نيران الطاعة لترك حين غزوا بلادهم حتى اذا فشلوا تفرقوا في
الارض فكان اول ما ظهروا في جرمانيا وذلك نحو سنة ١٥١٧ وحيث كان
الناس اذ ذاك على جانب عظيم من الوسوس والاضاليل وغابوا بهم علم بصر
البخت رحبوا بهم في كل مكان وفي سنة ١٥٦٠ نفوا من فرنسا ومن غيرها
ايضا الا انهم لم يزلوا موجودين في كل مملكة وفي ايام شارلس الاول قتل ثلاثة
عشر شخصا من الانكليز لاختلاطهم بهم واخرب ماواهم في نوروود وذلك
سنة ١٧٩٧ وعولوا معاملة البطلان التائهين وقبل سنة ١٨٠٠ كان منهم في
اسبانيا اكثر من مائة وعشرين الفا ولم يزل منهم في هذه البلاد جماعات كثيرة
ومع اختلاطهم بغيرهم من الاجيال فانهم لم يحولوا عن عاداتهم واطوارهم
وسمعتهم فهم شبه باليهود اه وقال آخر ان اصلهم من الهند وانهم يتكلمون
بلغة من لغاتها وان حقيقة اسمهم زنكان او جنكان انتهى • ثم ان تحقق
الحسن في السمرة او السود في عين الرائي لا يمكن من قريب فاما البيض فاذا رأيت
صفاء منهم عن بعد توهمتهم كلهم ملاحا لان البياض كما قيل شطر الحسن ويمكن
ان يقال ان ذلك بالنسبة الى اللغة النظر وروى ابن عساکر عن خالد بن

سفیان انه قال عمود الجمال الطول وبرنسه سواد الشعر ورداؤه البياض قلت
فعلى هذا فقد اجتمع فى مؤنث جيل الانككبير العمود والبرنس والرداء وقد
تحمل بعضهم لان فضل السود بقوله

* رب سوداء وهى يضاء عندى * فهى مسك ان شئت او كافور *
* مثل حب العيون يحسبها النا * س سوانا وانما هى نور *

﴿ وقال غيره ﴾

* يكون الخال فى وجه قبيح * فيكسو المهابة والجمالا *
* فكيف يلام عاشقتها على من * براها كلها فى العين خلا *

وهذه كلها من مغالطات الشعرآء والحق ما قاله البها زهير

* اسمع مقالة صب * وكن بحقك عونى *
* ان اللبح ملبح * يحب فى كل لون *

﴿ وقال آخر ﴾

* قالوا تحب السواد قلت لهم * احبه فى الشعور والحدق *
* قالوا وتهوى البياض قلت لهم * فى الوجه والمعصين والعنق *

ثم لا يخفى انه لما كانت اسباب الفساد فى القرى الصغيرة صغيرة لم تكن النساء
هنا مائلات الى الفحش والفسق كما هو شان المدن الحافلة ولهذا كان عيش
المتزوج فى بلاد الفلاحين من هذا القبيل اهنأ من عيش المتدينين والذى
اتحققه ان عيش المتزوجين من الانككبير فى كلا الموضعين وان لم يكونوا
يحتفون بازواجههم ويكرمونهن امام الناس كما تفعل الفرنسيس الا انهم اكثر
احصانا منهم لقروجههم واوفر مودة ووفاء لهن فى الحضرة والغيبة هذا فى حق
الازواج فاما فى شان الرجال والنساء مطلتا فان رجال الفرنسيس ارفق واحق
فان احدهم ليؤثر راحة المرأة ايا كانت على راحة نفسه فاذا تبوأ مثلاً مقعداً
فى سفينة او رتل ودخلت امرأة ولم تجد لها محلاً فاضطرت الى القيام قائم من
موضع واجلسها فيه وكذا لو وقع منها مندبل ونحوه يادر حالاً الى تناولها
اياء وعندهم كلمة مخصوصة لمثل هذه الافعال اما الانككبير فلا مبالاة لهم بذلك وكنت
كثيراً ما ارى رجالاً منهم يضبطون النساء والاولاد حتى يسبقوهن الى موضع
يتبأونه فاذا دخلت النساء ظالمن قائمات وحين يسافرون فى الارقال او الحوافل
يتخبرون

يُخَيِّرُونَ أَحْسَنَ الْمَقَاعِدِ وَرَبَّهَا إِدَارُوا ظُهُورَهُم لِلنِّسَاءِ غِلَظَةً وَسُوءَ ادْبٍ ثُمَّ إِنَّ نِسَاءَ الْفَرَنْسِيِّسِ أَكْثَرَ تَكْيِيسًا وَتَطَرُّفًا فِي الظَّاهِرِ مِنْ نِسَاءِ الْإِنْكَلِيرِ إِلَّا أَنْ هَؤُلَاءِ جَلِيدِيَّاتٌ بِالْأَكْرَامِ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٌ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ يُقَالُ أَنَّ زِيَادَةَ تَكْيِيسِ أُولَئِكَ أَصْلَهَا مِنْ زِيَادَةِ الْإِكْرَامِ لَهُنَّ وَإِنَّمَا هُوَ جَفَاءٌ غَرِيزِيٌّ فِي طَبْعِ الرِّجَالِ حَتَّى إِنَّ النِّسَاءَ اعْتَدْنَ عَلَيْهِ وَلَا يَرَيْنَ فِيهِ نَكْرًا إِلَّا إِذَا عَاشَرْنَ الْأَجَانِبَ وَهَذَا هُوَ مَا تَعْنِيهِ الْإِنْكَلِيرُ بِقَوْلِهِمْ نَحْنُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِنَا بِعَوْلَةٍ وَغَيْرِنَا خَيْرٌ مِنْنَا عَشَاقًا وَالْفَرَنْسَاوِيَّةُ يَصِفُونَ نِسَاءَ الْإِنْكَلِيرِ بِأَنَّهُنَّ عَسَرَايَ يَعْمَلْنَ بِالشِّمَالِ تَعْرِيفًا بِكُوفَتِهِنَّ لِسُنِّ صَنَاعَةِ كُنُسَاتِهِنَّ وَهَذَا الْقَوْلُ بِاعْتِبَارِ صُنْعِ التِّمِّ وَالْإِبْرَةِ حَقٌّ فَإِنَّ عَامَّةَ النِّسَاءِ هُنَا لَا يَحْسِنُ الْخِيَاطَةَ وَلَا التَّطْرِيزَ وَلَا الْكِتَابَةَ وَإِذَا كُتِبَتْ أَحَدَاهُنَّ رِسَالَةٌ شَخَّنَتْهَا بِالْقَلَمِ وَالْخَطِّ مَعَ أَنَّ لُغَةَ الْإِنْكَلِيرِ هِيَ الْمُنَاقِبَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهَا وَلَكِنَّ هُنَّ مَعْدُورَاتٌ فِي ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ فِي الْقَرْيَةِ مَكْتَبٌ جَيِّدٌ وَمَعْلُونَ مَا هُمُورٌ وَرَبَّمَا اجْتَزَى عَنْ الْمَكْتَبِ بَانَ يَتَعَلَّنَ فِي الْكَنِيسَةِ يَوْمَ الْإِحْدِ شَيْئًا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ أَوْ شَيْئًا مِنَ الْقِرَاءَةِ مَا لَا يَبْغَا بِهِ وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْوَلَدَ مَتَى ادْرَكَ وَهُوَ نَحْتٌ جَرَّ وَالِدِيهِ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ عَنْهُ لَأَفْهَمَا أَمَّا أَنْ يَسْتَحْبِبَاهُ مَعَهُمَا إِلَى الْمَرْزَعَةِ لِيَعِيشَهُمَا عَلَى عَمَلِهِمَا وَأَمَّا أَنْ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ لِيَهْبِيَّ لَهُمَا طَعَامَهُمَا وَيَحْفَظَ رَحْلَهُمَا وَغَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّ يَكُنْ وَالْحَالَةَ هَذِهِ لَوْمْ عَلَى النِّسَاءِ فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى قَارِبَاتِ الْمَدَنِ وَالْقَرْيَةِ الْجَامِعَةِ بَلِ الرِّجَالُ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ لَا يَرِيدُونَ أَقْبَالَ نِسَائِهِمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ مَخَافَةً أَنْ يَسْمَخْنَ عَلَيْهِمْ كَدُّابُ نِسَاءِ الْفَرَنْسِيِّسِ وَمَا أَحْسَنَ هُنَا مَا قَبِلَ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْفَاضِلَةَ هِيَ الَّتِي إِذَا قَرَأَتْ خَلَّتْهَا لَا تَحْسِنُ الْعَمَلَ وَإِذَا عَمِلَتْ خَلَّتْهَا لَا تَحْسِنُ الْقِرَاءَةَ ♦ وَعَلِمَ مِنَ الْأَحْصَائِيَّاتِ الرَّسْمِيَّةِ أَنَّهُ فِي سَنَةِ ١٨٥٥ كَانَ عَدَدُ الْمَرْتُوجِينَ ٤٧٠ ر ٣١٥٠ فَوُجِدَ مِنْ كُلِّ مِائَةِ امْرَأَةٍ أَرْبَعُونَ قَدْ وَضَعْنَ عَلَى الطَّرَوسِ عَلَامَةَ الصَّلِيبِ بِدَلِّ اسْمَائِهِنَّ وَمِنْ كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ تِسْعَةٌ وَعَشْرُونَ رَجُلًا عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ أَهْ قُلْتُ وَالَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَنَّ يَكْتُبُوا اسْمَاءَهُمْ يَبْغِي اسْقَاطَ ثُلَاثِيهِمْ مِنْ عِدَادِ ذَوِي الدَّرَايَةِ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَحْسِنُونَ كِتَابَةَ رِسَالَةٍ ♦ وَهَذَا يَبْغِي أَنْ يُلَاحَظَ أَنَّ عَامَّةَ الْإِنْكَلِيرِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْأَنْبِيلَ بِلُغَتِهِمْ وَلَكِنْ قَلٌّ مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُهَا وَقَدْ جَرَى مَرَّةً ذِكْرُ ذَلِكَ بِمُحَضَّرَةٍ جَمَاعَةٍ أَدْعَاؤُهَا بِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا مِنْ فَهْمِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَأَنَّ سَعَادَةَ بِلَادِهِمْ وَغُبْلَةُ أَحْوَالِهَا

انما تسببت عن ذلك قلقت لهم اما السعادة والغبطة فليست اباحكم فيهما ولا اسلم لكم بانكم اسعد من غيركم واما الفهم فما اخالكم تفهمون ما تقرأون في التوراة قالوا سلنا عن شيء منها قلنا على شرط ان لا يسوءكم قالوا لا نخش من الاساءة فان هذه البلاد بلاد الحرية قلت ما معنى الحرية حين طالب شاول من داود ان يهر ابنته مائة غلظة من اهل فلسطين فضى داود وقتل منهم مائتين وجاء بفلفهم الى شاول فقالوا لا ندرى قلنا بل لا تدرون ايضا كيف ان الرجل يهر المرأة فان عادتكم بخلاف ذلك قالوا بيننا هذا قلت ههنا نساء واخشى ان افسر لكم معنى اللفظة فتنبض النساء قالوا اذا كان ذلك كلام الله فلا حرج ففسرت لهم حينئذ مضاهيها كان من احدى النساء الا ان اخذت الكتاب ورمت به الارض وقالت معاذ الله ان يكون هذا الكلام كلام الله • اما الخياطة والوشى فقد تقدم ان نساء الفلاحين لا يلبسن سوى الشيت فلا حاجة الى تطريزه واكل واحدة منهن خياطة لنفسها واذا خطن تمت يد تاجر فقما توفي اجرتهم وما عدا ذلك فان كثيرا من الآلات التي اخترعها الانكليز صارت تغني عن اليدين • فاما الطبخ فانهم لا يفتشون فيه طباعا لان احب شيء اليهم منه انما هو الشواء فطباخهم فيه انما هو النار ولما كان وقتهم كله مصروفا في العمل وتحصيل الكسب لم يكونوا يرون ضرورة لصرفه في تعدد الوان الطعام وفي الجملة فان الانكليز يحق لهم ان يقولوا ان بلادهم مبيت النساء ومعدن الأزواج بمعنى ان من تزوج احداهن فقد هنأه العيش وقرت عينه بما يراه من نظافة منزله مع الاقتصاد في النفقة وراحة البال من الاسباب الباعثة على الغيرة • اما اخلاق الانكليز وعاداتهم قالوا يجب ان امهد للقول فيها مقدمة وجيزة لازالة الالتباس فيما يرد من بيان ذلك فاقول ان هذا الجيل ينقسم الى خمس طبقات • الطبقة الاولى ﴿ الامراء والوزراء والنبلاء وذوو المناصب السامية ويلحق بهم الاساقفة ﴾ الثانية ﴿ الاعيان او العلية وهم الذين يعيشون من ارزاقهم واملاكهم لا من معاونة شغل او حرفة وليس لهم جلاء اى لقب تعظيم ﴾ الثالثة ﴿ العلماء والقضاة والفقهاء ويلحق بهم التيسسون والتجار اهل المراسلات ﴾ الطبقة الرابعة ﴿ التجار اصحاب الدكاكين والكتاب وهم الذين يحتاجون الى تحصيل معاشهم بالاحتراف

بالاحتراف والاصطراف ولكن من دون ابتذال ماء الوجه ﴿ الخامسة ﴾ اهل الحرف والصنائع والعملة ويلحق بهم الفلاحون وهم الجمهور الاكبر فسادات اهل الطبقة الاولى ميانة بعض الميانة للثانية ولكن ليس بينها وبين الاخيرة من مناسبة اصلا كما سيأتى وطائفت اهل الطبقتين الثالثة والرابعة متساوية لا اختلاف فيها الا ما ندر اما اهل الطبقة الثانية فان لهم من وجه نزوعا الى الاولى بالنظر الى العز والاستبداد ومن وجه آخر ينزعون الى الباقى بالنظر الى الجنسية والالفة والغالب على جميع هذه الطبقات حب الوطن والمباهاة بما عندهم من الصنائع والاحكام والاذعان للقوانين التى بذبت عليها معاملات دولتهم ودواوينهم ولما كان اصحاب الطبقة الاخيرة هم الجمهور الاكبر كما ذكرنا وهم الحريون بان يقال لهم برتانيون او انكليز لكونهم بقوا على قديم احوالهم واطوارهم ولم يعرفوا غيرهم من الاجيال لا بالعامشة ولا بالمطالعة وجب ان تقدم ذكرهم اولافقول ان اول خلة يراها الغرب فيهم هى عدم اكترائهم له ونفورهم منه فلا يفرحون لفرحه ولا يحزنون لحزنه بل لا يعنى احد منهم بشأن جاره ولا يهجم امر غير امر نفسه فكل ذى حرفة يقتصر على الاشتغال بحرفته مدة حياته ولا يتطاول الى معرفة شئ غيرها فالفلاح مثلا لا يعرف شيئا الا ما آل الى الحرث والزرع والقين لا يدري مما يحدث في بلاده سوى ما يختص برواج سعر الحديد والطلب على الادوات المصنوعة منه وهم جرا الى المهندس والطبيب واذا استراح الرجل منهم ساعة قضاها بذكر ما عمل وما سوف يعمل ويمكن ان يقال ان بهذه الخصلة استتب عز دولة الانكليز وعظمت شوكتها لان الرعية لا تعترض ذوى الامر والنهى في تدبيرهم ولا تتطاول الى معرفة ما تقتضيه ساداتهم واهل شورايم فلذلك قلما يحدث عنهم شغب او فتنة بخلاف اهل فرنسا فان كلا منهم يتعقل على اولياء الامر فيهم وهذا هو السبب في كثرة العساكر هناك وقتها هنا فان جميع ما في بلاد الانكليز من العساكر لا يزيد على خمسة وعشرين الفا فاذا قسمتها على عدد الاهلين وهو سبعة عشر مليوناً ونيف كان كأنه قطرة من بحر وتقاتل ان يقول ايضا ان لذلك اى اعدم الفتنة سببا آخر وهو فقرهم المانع لهم من الاشتغال بغير ما يكسبهم القوت الضروري فان هؤلاء النحل المسالة في خلية الاجتماع الانسانى انما يعملون كما قال بعضهم لتسمين

الزناير البطالة وهم اطوع خلق الله لاولياء امورهم فلو نهوهم عن ان يناموا مع نسائهم لانتهوا ويمكن ان يقال ايضا انهم لعدم اختلاطهم بغيرهم من الناس يحسبون انفسهم وهم في هذه الحالة اسعد خلق الله وان ججع رسوهم واحوالهم مستغنية عن التبديل والتغير وكيف كان فان شتاءهم موجب لسعادة الدولة وقمرهم زائد في غناها واقتصادها واستغنائها عن كثير من العساكر فان مصاريف العسكرية الواحد هنا تبلغ في السنة مائة وسبعين ريالاً وفي بروسيا اثنين وستين وفي الروسية ثمانية وستين وفي اوستريا تسعة وسبعين وفي فرنسا مئة وثلاثة عشر اما في اميركا ثمة واربعة وثمانون ريالاً ويقال انه يلزم لكل نفر من عساكر فرنسا وانكلترة رطلان وربع رطل من الطعام في كل يوم منها نحو ثلاثة ارباع خضرة والباقي لحم وخبز فيبلغ ذلك في السنة ثمانمائة رطل فاذا اضيفت الى ذلك مشروبه من الماء والقهوة والشاي والسكرات يبلغ الفا وخسمائة رطل ويقال ايضا ان اكثر ما تجهز عند الدول من الجيوش في العصر الحالية ما كان فيه لدولة اسبانيا مئة وخمسون الفا ولبريتانيا ثلاثمائة الف وعشرة آلاف ولبروسية ثلاثمائة وخمسون الفا وللدولة العلية العثمانية اربعمائة وخمسون الفا ولاوستريا خمسمائة الف وللروسية خمسمائة وستون الفا ولفرنسا ستمائة وثمانون الفا وهم في هذا العصر اكثر واول من كان عنده جيوش قائمة كما يرى الآن شارلس الثامن ملك فرنسا وذلك سنة ١٤٤٥ وبه اقتدى شارلس الاول ملك الانكلترة سنة ١٦٣٨ وحسب ذلك اولا عند الانكلترة غير شرعى • وبلغ مجموع العساكر الانكلتريية في سنة ١٨٥١ ١٧٨٠٦٤٥ وبلغت مصاريفهم ١٥٨١٣٧٢١ ليرة (١) وكانت العادة قبل حرب القرم اعنى الحرب التي وقعت بين الدولة العثمانية ودولة الروسية في سنة ١٨٥١ ان يستخدم النفر من عسكر الانكلترة طاول عمره فكان كثير منهم يتقدمون انفسهم و بعد خمس عشرة سنة يدعون بان لهم حقا في ان يسرحوا والآن فرض على

(١) وفي سنة ١٨٨١ بلغ عدد عساكر انكلترة المستوطنين فيها ٦٠.٠٠٠ نفر وجملة عساكرها النظامية الذين فيها وفي الخارج ايضا ما عدا عساكرها بالاقطار الهندية ٣٠٧.٠٠٠ نفر وهذا العدد قليل بالنسبة الى قوة عساكر بقية الدول

الشاة خدمة اثنتي عشرة سنة وعلى الفرسان خدمة عشرين سنة ويوجد في
عساكر الانكليز نحو سبعة آلاف ومئة ضابط بشهرية وافرة وللنفر من حرس الملكة
نحو مئتين في كل يوم ولكل من الفرسان شلين وثن للمشاة شلين وثن رتبة
امير الالاي في الحرس تسعة آلاف ليرة وذلك ان هذه المراتب في العساكر البرية
معرضة للبيع عندهم وهو من جملة الاحوال المختلة التي يجب اصلاحها
ومصاريف العساكر البرية تبلغ في السنة سبعة ملايين ليرة ونحوها مصاريف
البحرية ومصاريف ديوان المهتمات الحربية ثلاثة ملايين (١) ومن طبع الانكليز
الرت وهو البلادة وقلة الفطنة فلا تكاد احداثهم تفهم شيئا من كلام الغريب
ينهم بل الكهول ايضا لا يعون ما يلقي عليهم الا بعد الروية والتأمل وشتان
ما ينهم وبين الفرنسية فان الحدث من هؤلاء يتندر الى الجواب كأنما قد درسه
ودراه من قبل سؤالات اياه ولوقلت ان البريتاني الفح ليس له من نوعي العقل
سوى نصف المكتسب ونصف الغريزي لما اخطأت وتلك صفتهم من القديم
فقد روى عن شيسرون انه قال ان ابله الاسرى الذين يجي بهم الى رومية هم
الذين اخذوا من برتانيا والتمس من صديقه اطيئوس الا يشتري فيما بعد منهم
احدا وذلك لبلادتهم وعدم اهلهم تعلم الموسيقى وغيرها من الفنون وروى ايضا
عن قيصر انه قال ان اهل برتانيا جبل جاف متوحش اكثر ما يكون وان
معظمهم امير الخنطة في عمره قط وان قوتهم انما هو اللحم واللبن لا غير ولباسهم
جلود الحيوانات اه قلت ليس معنى قوله قوتهم اللحم انهم كانوا يطبخونه بل انما
كانوا يأكلونه نيئا مملوحا كما يظهر من رواية اهل التاريخ فانهم قالوا انه علم من
دفتر حاكم زنجبار سنة ١٥١٣ ان اهل الحاكم المذكور كانوا يقتاتون باللحم المملوح
فكانت جل طعامهم وكذلك حشمة لم يكونوا يأكلون طول السنة سوى اللحم
المملوح ونذر معه البقول او الحبوب فن زعم ان البيف ستك اعني شواء البقر
الشرح كان مستعملا بانكلترة من القديم فقد وهم فان هذا الغذاء الرئ لم يهد
قبل شارلس الثاني لانه كان يحب الشواء من ذاهر البقر • قلت والي الآن هم

(١) وفي سنة ١٨٨٠ بلغت مصاريف العساكر البرية ١٥٤١٣٠٠ ر ١٥

ليرة انكليزية ومصاريف العساكر البحرية ٩٣٥٠ ر ١٠٤٩٢ ليرة

يحبون هذا الشواء غير ناضج وربما قطر دمه في الصحفة ويستطيونه على سائر
الوان الطعام ولـكن من رأى اهل جبل لبنان يقطعون الهبر من الضان
ويأكلونه نيشا كف عن لوم الانكليز • هذا ومع تكرر ذكر مدن الشام على
سماعهم من المنابر في كل يوم احد ومع كثرة قراءتهم للثورة والانجيل فلا
يكادون يعرفون اين موقع دمشق مثلا من الاسكندرية ولا يتذكرون شيئا عن
صور وصيدا ويبروت وجبل لبنان مع انها مكررة في الكتايب المذكورين
بما لا مزيد عليه والظاهر ان مصر اشهر عندهم وعند الفرنسيين ايضا من
الشام وقد سألتني مرة في اكسفورد رجل له سميت وروا فقال من اى البلاد
قلت هو ولقطة هو استفهام بلقطة فقال آه من هو معتقدا ان هو اسم علم على
مدينة ثم قال أتعرف في هو فلانا وسمى رجلا قلت انا لست من مدينة هو وانما
انت سألت سؤالا مبها يصلح لان يخاطب به اى انسان كان فاذا اردت الآن
ان تعرف اسم بلادي فهى سورية فقال احد الجلوس بعد طاول تأمل هل سورية
مدينة كبيرة الا ان بلادتهم هذه مقرونة بشيء من سلامة الصدر وخلوص النية
كما ان فطنة الفرنسيين مقرونة بالكر والمحال وكما ان عامة الفرنسيين يحسبون
كل غريب فيهم من اسبانيا ولا سيما اذا كان اسمر اللون كذلك عامة الانكليز
يحسبون كل غريب فيهم فرنساويا سواء كان اسمر او اسود وسواء كان على رأسه
طربوش او طرطور هذا ولما كانت خلة الجهل ابدا ملازمة للفظاظاة والخشونة
كان لهؤلاء القوم منها الحظ الاوفر فانهم يحدقون في وجه الغريب ثم يبعونه
بفهمة ويسخرون منه ولا سيما اذا لم يكن يحسن النطق بلقطة على انهم هم انفسهم
لا يحسنون النطق بها نكلادهم كله لحن وخطأ • اما غنائهم فلا يمكن لذى ذون
سلم ان يطرب به وقد سمعت اغاني الفرنسيين وسائر الافرنج فوجدت بعضها يطرب
ويشجي لان فيها مدا وترجما فاما اغاني الانكليز غير التى يتلقونها من الطليانيين
والفرنساويين فى الملاهى فكلها نبر ودرج • ومن طبعهم انهم لا يتراورون
ولا يسهر بعضهم عند بعض وكيف يسهرون وهم انما يرقدون فى الساعة التاسعة
ويقومون صباحا فى الساعة الرابعة كل ذلك حتى يأكلوا الفقع اعنى البطاطاس
ويشربوا التفاح وربما بنى الرجل سنين ولا يعرف جاره وكذا اهل المدن وغاية
محاورتهم اذا تلاقوا فى الطريق ان يقول احدهم طيب بطرس فيقول الآخر طيب

يوحنا وكنت اذا مررت باحدهم يقول لى صباح حسن فاقول له كالصدي صباح حسن وكنت احسب ذلك تحية لان تحية الصباح عندهم صباح طيب فظننت انهم يعيرون لفظه مقام لفظه حتى سألت الدكتور لى فقال لى ليس ذلك من التحية فى شئ وانما هو مجرد اخبار عن حسن الصباح واذا اجتمع المتعارفان منهم وتساءلا فلا بد وان يتدبأ احدهما اولا بوصف الهواء وصحوه او برده ثم يخبره بما عرض له من وجع فى كتفه او ثلث فى رجله او اختلاج فى عينه فيقول السامع يحزننى ذلك جدا ومتى اجتمعوا للمنادمة وذلك لا يكون الا فى الترى الجامعة ملاؤا كوبا كبيرا من البجة وجعل كل منهم يكرغ منه كربة ويدخن فى قصبة من الطين ثم يصفق فيلاؤن المكان بصاقا وقذرا وفى خلال كل محاورة يجردون وصف الهواء وذكر البرد ولا يكاد احدهم يضحك ضحكا طبيعيا وانما هو عبارة عن قهقهة ثم يعقبها السكت والعبوس فاكان الضحك منهم الاقوة من القوى فهم يكتمونه ما امكن مخافة ان تخرج معه تلك التوة • ومن طبعهم ايضا ان لا يمتروا الشخوخة من حيث هى شخوخة ولا تهاب الاولاد والديهم كما تهاب الاولاد عندنا ولا يحزن الوالدون ايضا على اولادهم كما عندنا ولذلك يقع كثيرا ان الاب يقتل ولده والولد يقتل ابيه وامه كما باتى بيان ذلك وقد يحدث عندهم مضاجعة الاب ابنه وهو عند الفرنسيس اكثر ولكن لم يلغنى ان ولدا ضاجع امه وفى المدن الجامعة قد تتواءم الام وبنتها على الفحش والفساد والاخت واختها • ومن منكر عاداتهم التى لا يمكن ان يحاولوا عنهام مع علمهم بان جميع الافرنج خالفوهم فيها حلتهم لحاهم وشواربهم حتى ان عساكرهم لم تحمل بالشوارب الا فى الحرب الاخيرة فليت شعرى كيف يرى وجه الجندى مخفوقا منتوفا كوجه المرأة ثم ليت شعرى اى حسن للشاب اكثر من الشوارب واى حلية وكال للشيخ اكثر من الحية واذا حسن للشاب حلق شواربه فلم لا يحسن حلق حاجبيه واغرب من ذلك ان القضاة واولى الامر فيهم اذا جلسوا لفصل الامور وضعوا على رؤوسهم شعرا ابيض عارية وارخوا منه نحو ذنب معقود على قذلهم فاخبرونا ايها الناس كيف يكون الحسن والهيئة فى ذنب ولا يكونان فى حلية لعمرى ان الشيخ بلا حلية وشوارب اشبه بالقرود منه بالانسان والشاب بلا شوارب اشبه بالانثى والخنثى منه بالرجل فانها من علامات الرجولية ومما خلقه الله فى

الوجه من المحاسن الطبيعية وان يكن من عذر للعامة في خلق لحاهم فلاس للتبسين
وغيرهم من اهل الكنيسة من عذر ابدأ فان رسل المسيح كانوا كلهم ملتحين
وكانوا يشربون عين الكأس التي يشربها هؤلاء فكيف كانوا يفارون غير اني
لا اقول بتوك الحية على حالها فالاحسن ان تخوف حتى تكون مستديرة قال
العلامة الشريشي وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ من لحية من طولها
وعرضها بالسواء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحية و يأخذ ما زاد منها
على قبضته قال الحسن بن المثنى اذا رأيت رجلا له حية طويلة ولم يتخذ حية بين
لحيتين كان في عقله شيء قال الشاعر

* اذا عظمت للفتي حية * فعالت وصارت الى سرته *
* فتمصان عقل الفتى عندها * بمقدار ما زاد من لحية *
ونظر يزيد بن مزبد الشيباني الى رجل ذي حية عظيمة وقد تلافقت الى صدره
واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك في مؤنة فقال اجل ولذلك اقول
* لعمرك لو يعطى الامير على الملحى * لاصبحت قد ايسرت منذ زمان *
* اذن لشقني حية من عصابة * لهم عنده الف ول مائتان *
* لهادرهم للدهن في كل جمعة * وآخر للحناء يتسدران *
* ولولا نوال من يزيد بن مزبد * لصوت في حاجاتها الجالان *
وقال يعقوب الكندي الجارية كان يهاها اني ارى فرص الاعتراضات من
التوقعات على طالبي المودات مؤذات بعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا حية
طويلة فقالت ان الملحى المسترخيات على مسدور اهل الركاكات محتاجات الى المواسي
الحالقات • وكان المأمون جالسا مع ندمائه بمقداد مشرفا على دجلة وهم
يتذاكرون اخبار الناس فقال المأمون ما طالت حية انسان قط الا ونقص من عقله
بمقدار ما طال من لحية وما رأيت عاقلا قط طويل الحية فقال له بعض جلسائه
ولا يرد على امير المؤمنين قد يكون في طول الملحى ايضا عقل فبينما هم
يتذاكرون هذا اذ اقبل رجل كبير الملحى حسن الهيئة فاخر الشياح فقال
المأمون ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخريجب ان
يكون هذا قاضيا فقال المأمون لبعض الخدم على بالرجل فم يلبث ان اصعد اليه
ووقف بين يديه فسلم واجاد السلام فاجلسه المأمون واستطلقه فاجاد النطق فقال
المأمون

المأمون ما اسمك فقال جدويه قال، والكنية قال ابو عليوه ثم قال ما صنعتك قال انا فقيه اجيد مسائل الشرع فقال له نسألك مسألة فقال الرجل سل عما يدرك فقال له المأمون ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل فلما تسلمها المشتري ضرطت فخرج من استنها بكرة فقأت عين رجل فعلى من نجب دية العين قال فتكت باصبعه في الارض طويلا ثم قال نجب على البائع دون المشتري فقال المأمون وما العلة التي اوجبت الدية عليه دون المشتري قال انه لما باعها لم يشترط ان في استنها فنجبتا فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه وضحك كل من حضر من الندماء وانشد المأمون

* ما احد طالت له لحية * فزادت اللحية في لحية *
* الا وما ينقص في عقله * أكثر مما زاد في لحية *

وكانت عائشة رضي الله عنها تقسم وتقول لا والذي زين الرجال بالحلي وجاء انه قسم الملائكة قالت وانا اقسم واقول لا والذي زين النساء بعدم الحلي انتهى الكلام على اللحية غير انه علق بي منها شيء وهو انه ذكر في الصحاح ما نصه وفي الحديث انه امر ان تحق الشوارب وتغنى الحلي فكيف التوفيق بين هذا القول وبين قول الشريشي ان النبي كان يأخذ من لحية من طولها وعرضها بالسواء • ومن الانكليز من يرد فوق اذنيه خصلًا من شعر رأسه فترى عينيه بارزتين بين قرني شعره وقذاله يشبه جبهة الثور الناطح • فاما اتخاذ العارية من الشعر الابيض فاصله فيما قيل ان لويس الرابع عشر كان ردى الشعر فأتخذله عارية يستر بها عوار رأسه وكان اذ ذاك شيخا فاقدت به امائل البلاد وسرت هذه العادة السخيفة الى الانكليز وهم في اكثر الاشياء مقادنون للفرنسيس وقد وهى استعمالها الآن بالنسبة الى الاول الا في دواع معلومة واحوال مخصوصة منها يوم مبايعة الملك او تقيده في ذلك اليوم تحلى كبار دولته بهذه العارية ويقابلونه بها ومنها وقت جلوس القاضي على كرسى القضاء لتنفيذ الاحكام الشرعية كما مر وفي محال اللعب والملاهي حين يحاكى اللاعبون واللاعبات من سلف من الملوك والملكات ترى هذه العارية على رؤوس الاحداث من الرجال والنساء وكأنها تزيد الحسن حسنا فكأنها مصداق على قول الشاعر • كل شيء من الملعج ملعج • ثم لما اخذت هذه العادة في العقم نتج عنها ذرور الرماد الابيض

على رؤوس خدمة الامراء والعظماء واصل هذه ايضا فيما قيل ان بعض
المغنين كانوا يغنون في موسم صان جرمان بخارج باريس وبهم قرع فكلوا
يبيضون رؤوسهم ليضعوا الناس ثم انتقلت هذه العادة كغيرها من العادات
من العامة الى الخاصة وشاع استعمالها عندهم في سنة ١٦١٤ وفي سنة
١٧٩٥ جعل عليها ضريبة وكانت حينئذ قد بلغت التهمة فجعل على كل
رأس جيني ولم تزل الى الآن والحاصل ان اعظم الاسباب التي تبتى استعمال
هذه العادات السخيفة انما هو حصول النفع منها لخزينة الدولة فانه حينما
وجد الربح وجد السداد والرشاد ولوان الديوان ضرب طسما على الحى
والشوارب لما وسع الناس الا ان يقولوا ان يد الرب على قلوب الملك • ومن
عادة العامة الملاكمة ويقال لها البوكس وفي محفوظى ان رفعه بك رحمه الله
ذكرها في فلاءد المفاخر بلفظة البوكس وذلك اذا تخاصم اثنان او تكاذبا فيزع
كل منهما رداءه ويشر عن ذراعه ويصوب الى وجه قرنه جمع كفه ثم يأخذان
في اللكام حتى يغلب احدهما وحينئذ ينهض الغالب المغلوب ويأخذ بيده ويشريان
الشراب كالتوادين والملاكمة للعامة بمنزلة المسابقة للعلية غير ان هذه محظورة
يجب فيها الحد وتلك مسكوت عنها وقد كانت سابقا بمنزلة الملهى في اجتماع
الناس للتفرج عليها وفي اواخر القرن الماضى كانوا يحلون في المكاتب • ومن
طابع الانكليز عموما التهافت على الشهرة والنباهة بين اقرانهم باى سبب كان
ولا سيما في اسباب المعارف والعلوم فان من يعرف منهم مثلا بعض كلمات من اللغة
العربية ومثلها من الفارسية او التركية فاذا الف كتابا بلفظه ادرج فيه ككل
شيء يعرفه من غيرها ليوهم الناس انه لغوى وما عليه ان يكتب تلك الالفاظ على
حتمها او يخطئ فيها وفي عنوان كتابه تعلق عليه جلاجل من الالفاظ الطنانة
فيكتب له انه من اعضاء جمعية كذا ومخلص كتاب كذا ومحرر نبذة كذا وخطيب
مثابة كذا وهم جرا ولو عصرت كتابه كله لما بليت منه صدى مسألة وذلك
لانهم لا يأخذون اللغات عن اهلها فهم لا يحطرون بها في تأويلها يقتضوا به
جزافا من دون تخرج ان ينسبوا اليها ما ليس منها انظر الى ريشردصون الذى
الف كتاب لغة يشتمل على لغته وعلى لغتى العرب والفرس فاقسم بالله انه لم يكن
يدرى من لغتنا نصف ما ادريه انا من لغته لابل سولت له نفسه ايضا ان ترجم

العربي فخلط فيه ولفق ما شاء فخلل للاضافة بقوله قدح فضة وملك كسرى ورأس امان والفالب عجم وغالب عجم وكتاب سليمان ونصرا عقبه وفسرها بافهما مثني مضاف الى العقبة ونصروا عقبه والنصرا عقبه والنصروا عقبه واورد حكاية من كتاب الف ليلة وليلة عن ذلك الاحق الذي قدر في باله ان يتزوج بنت الوزير فلما بلغ الى قوله ولا اخلى روجي الا في موضعها ترجها بقوله لا اعطى الحرية لنفسى اى لزوجتى الا في حجرتها وقوله ايضا ولا ازال كذلك حتى تتم جلوتها صحف جلوتها بجلدتها فقال ولا أكف حتى يتم ذلها وعند قوله حتى يقول جميع من حضر كتب في الحاشية حظر وحضرة بمنزلة السمو في الانكليزية وقس على ذلك واذا ترجم احدهم كتابا رقه بما عن له وسبكه في قالب لفته فقد قرأت كثيرا مما ترجم من كلامنا الى كلامهم فاذا هو مسبوك في قوالب افكارهم مما لم يخطر ببال المؤلف قط وقرأت ترجمة منشور صدر من الملك في الحوض على الجهاد من جلته ليس لبياد النبي من خلاص في هذه الدنيا ولا في الآخرة الا بجهاء الكفار فنظر ان كمان المسلون يقولون ان النبي معبود وما رأيت احدا تخرج من هذا التلقيق والافتراء والترقيع غير مستر صال الذي ترجم القرآن ومستر لان الذي ترجم حكايات الف ليلة وليلة ومستر برسطون الذي ترجم نخسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري اما الاول فقد ذكر فلتير انه مكث بين العرب سنين عديدة واخذ عنهم علم العربية حتى نهيا له ترجمة القرآن ولست من ذلك على ثقة اذ الظاهر من مقدمته للترجمة انه لم يخاطب العرب وكيفا كان فهو من المحققين واما الثاني فانه لبث في مصر وطاشر علماءها وادباءها واما الثالث فانه كان قد سار الى الديار الشامية واستحب بعض اهاليها وما عدا هؤلاء الثلاثة فكما قال عقيل بن علقمة لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه

* خذا بطن هرشى او قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن طريق *
فان احدهم لا يبالي ان يؤدى معنى الترجمة باى اسلوب خطر له فلو قرأ سبا في كلامنا مثلا بان قال بعض السبايين لاخر يحرق دينه ترجمه بان دينه ساطع متلهب من حرارة العبادة والغيرة بحيث انه يحرق جميع ما عداه من الاديان اى يغلب عليها فهو الدين الحقيقى القاهر كما ورد ان الله نار آكلة وهكذا فليس

مضى علم لغتنا عندهم سوى باب يتوصل به الى النذف من غيرها كالعبرانية والسريانية فان هاتين عندهم اهم وانفع وانهما ان دخل مدرس العبرانية في كبريخ الف ليلة في السنة ودخل مدرس العربية سيمون ليلة فقط ومتى عرف احدهم شيئاً من لغتنا تابعه على غيره من تلك الالة واستخرج منه فائدة تختص بالمطابق عليه * وقد جرى مرة بحضرة الدكتور لي ذكر احد النمساويين فقلت انه ذو دعوى لكونه نظم ابيانا في لغتنا وشعرها في كتاب مطبوع مع انها كلها لحن وزحاف فلو كان ذا ادب لما تكلف النظم من دون معرفة قواعده وهو بعيد عليه بل على جميع الافرنج الذين لم يأخذوا عن العرب قال وكيف ونحن ن نظم الشعر باليونانية واللاتينية ولم نخاط اهلها فلت ههنا فرق وهو ان هاتين اللغتين كالاصل للغتك فتعلمونهما على صغر اما العربية فهي اجنبية عتكم قال ان الانسان ليكنه ان يتعلم اى لغة شاء كما يعلمها الغفل قلت ما هذا مذهبي واتى اعطى كتيبي كلها لاي افرنجي كان اذا نظم بالعربية يدين صححين بلغيين قال انا انظم لك الالفة ثلاثة ابيات فلما قابلته في الغد اذا به قد نارلني رقعة كتب فيها

* ألم تر يا صاح بهذا علامة * بان صار الاجنبي يجري كرامة *
 * وان لم يكن هذا عروضاً صحيحاً * فلا تعطه اسفارك عامة *
 * فان كان ذا اذا صحيحاً وسالماً * ستسلمه اجرا اسفارك رامة *
 فلما قرأتها قلت له فيها زحاف وخطأ فسكت ساعة ثم قال أتدري ما الالف التي في قول امرئ القيس * فقال ليك من ذكرى حبيب وموئل * قلت هي الف التثنية عند بعض فان الشاعر خاطب صاحبين له وذلك مستفيض في كلامهم وعند بعض انها متأوبة عن نون التوكيد قال هذا كاه تغل وتعسف وانما هي متأوبة عن الهاء من العبرانية فان اليهود يلحقون الهاء بفعل الامر والنهي دلالة على الطلب والتوسل ثم يثبت له بعد ذلك خطأ آياته فاذا كان منه الا ان قال ان لغة العرب ليست مطبوعة كسائر اللغات بل هي لغة مصنعة متكلف فيها كثرة القواعد والضوابط بخلاف لغات اوربا وطفق يبين انه يجوز في اللغة اللاتينية ان تقام حركة طويلة مقام حركة قصيرة نحو ان تجرى لفظة ماد تجرى مد وغير ذلك ثم سألتني كيف تغفلون بال في قولك الدين فانه اجتمع

اجتمع فيها ثلاث سواكن وانتم تقولون انه لا يصح اجتماع ساكنين قتلت
 ابن السواكن الثلاث هنسا قال الالف واللام والدا لى يوما أتدرى من
 ابن اشتقاق الزنا، قلت لا قال من العبراني فان زنى فيها بمعنى باع فتأت
 الزانية تباع نفسها للرجل وسألني مرة أخرى أتدرى ما اصل المدة في نحو
 آمن قلت لا فقال هي الف من السرياني وقرأ يوما قوما بطلين فقال البطال
 عند الصوفية في ثاني مرتبة العابد قتلت الاولى البطال وقال ايضا ان
 يومنا في قول العرب الى يومنا هذا من السرياني وهو يومنا وقد جرى
 لي معد وقت الترجمة عدة مناقشات ومجاذلات لابس بارانها هنا وان طال بنا
 الكلام فانها عنوان على معرفة التوم لغة الشرقيين وخصوصا العربية •
 منها انه كان يحايل استعمال كلمة هوذا في كل موضع يجدها في الاصل
 اعني العبراني فانه لا يمتنع فيهما ان يقال مثلا لان هوذا او وهو هوذا
 وكان هوذا رجل وكان يظن ان اذا في قولنا خرجت واذا زيد بالباب
 لا تعني مثناة هوذا • ومن ذلك انه كان ينكر قولنا مثلا احد الرؤساء يدل رئيس
 ومن ذلك انه كان يريد المحافظة على الاصل باللاتيان بقائلا بعد قال فانه يقال
 فيه قال قائلا مع ان هذا التركيب في لغة الانكليزية منكر ولذلك كنا نجد في
 توراتهم وتكلم قائلا لا قال قائلا وفي مثل قولنا ضرب لهم مثلا كان يدل
 ضرب يقال لانه كان يترجم في عقله لفظ ضرب الى لغته فلا يجد له معنى سوى
 اتصال الالم وكان يدل علم اعتقادهم برأى اعتقادهم وزعم انهما ابلغ في المعنى
 وان الاعتناء ليس بمزلف للايمان فانه انما ينظر الى اصل اشتقاقه وهو العقد
 وهو غير مفيد معنى الايمان وكان يدل ماء البحر بياه البحر وهذا لا محذور منه
 الا ان تبديله هوس وجزم بان قولك في السؤال ما يكون لنا ابلغ من ما عسى
 ان يكون لنا وان من ثم ان يؤتى بها السببية غير كثيرة الاستعمال ولا تسد
 مسد ولهذا وكان يزعم ان لفظة المجزات ليست من كلام التنصاري حتى
 وجدنا ما في نسخة رومية ومن اشد وساوسه تجنبه للجمع والتركيب الفصح غاية
 ما امكن حتى انه زعم ان ما في الترجمة من قوله خرجتم الى بعضي كلص سجع
 وحاول تغييرها فلم يقدر فتركها وهو آسف وكذا وهمه في ناث خير اليك في حياتك
 وفي وكان هناك قطع من الخنازير كبير فكان يقول هو من السجع الذي ينبغي

مجانته في كلام الله تعالى وكان كلما رأى جملة تنهى بالواو والنون او بالياء والنون يقول انها مضاهية لكلام القرآن فيدلها حتى انه رأى هذه الجملة وهي وانتم على ذلك شهود فقال ان هذا الوقف يشبه وقف القرآن فن ثم بدلها بقوله وانتم شهود على هذا ووجد عبارة اخرى وهي وما اولئك بعابرين من هناك البنا فقال هذا التركيب فصيح فبدل عابرين يعبرون ولم اتعجب من تغييره وانما تعجب من انه شعر بحسن هذا التركيب وزعم ان قولك مثلا وكان رجل اسمه فلان اخصر من قولك يسمى وكلما رأى في الاصل عبارة كثيرة الالتفاظ مما لا داعي له قال ان ذلك للتقوية واذا رأى فيه اجماعا ولو مع اخلال المعنى قال ان فيه حذفا للبلاغة وكان يحاول ان يقال واتفق انه قال واتفق انه افكر فقلت له هذه لا يصح استعمالها مع الافعال التي لا تقتضي الندرة في الاستعمال فلا يقال مثلا جاني فلان واتفق انه جلس فانه لا ندرة في الجلوس بعد المجيء فقال واين انت من المحافظة على الاصل والذي ظهر لي من احواله انه فضلا عن كونه شديد التعصب للتوراة فانه كان يتقن لوم خصمائه فانه كان ذا خصوم كثيرة الا انه لا حق أكثر من ان يترجم من لغة الى اخرى بعين الالفاظ والتركيب اذ لا يتصور بالبسال ان لغة تطابق اخرى في التعبير فكيف يمكن ان يقال بالعربية خرج الدخان من مناخر الله كما يقال بالعبرانية او احشاء الله كما يقال باليونانية وقد ذكرت ذلك لعدة من اهل المعارف منهم وانه من التعبير الغير اللائق بمجالاته تعالى فكلهم قائم على وجه الله وعين الله ويد الله من دون فرق بين نسبة الاعضاء الحفيرة اليه وبين غيرها • ومما اضحكتني من الدكتورلي مرة انه دعاني للقاء يوما وكان ذلك في نحو الساعة الخامسة قيل المغرب فقلت له قد تغدبت في الساعة الحادية على ما اعتدته فقال هذا لا نسبه نحن غداء وانما نسبه عجالة فقلت هذا عندك لاثك تغدو وقت العشاء فاما عندى فهو الغداء بنفسه وعينه والدكتورلي هذا كان يدرس العربية في كبريج ولم يكن يحسن التكلم بها ولو بجملة واحدة وكان ذا اجتهاد لا ملل معه فكان يقعد على الكرسي للمطالعة اربع ساعات ولا يتحلىل عنه وما اخل احداه غيره اشتهر بما اشتهر به في علم اللغات الشرقية وتوظيفه في كبريج هو السبب الذي حداقني الى الحضور الى هذه البلاد لان الجمعية لما استأذنت حاكم مالطة بواسطة وزير الامور

الامور الخارجية في احضاري لاجاور الموما اليه ظننت ان مكثي يكون في تلك المدينة وهي وان تكن لا تشوق احدا للسكنى فيها غير من يقصدها للتعقه في الضون الا انها على كل حال احسن من القرى وذلك كنت ادريه من قبل الا ان البواعث الحالية والدواعي الكونية اوجبت على الدكتور ان يعدنى عن وظيفته فيها ويلزم قرينه وان يكون قطع انف عرفة يوم الكلاب سبيا في سجن مستلى جان بن بشر قاضى بغداد ولم يكن شئ يسلىنى في تلك القرية سوى رقب الشهر الذى يسافر فيه الدكتور المذكور الى برسطول لاسافر معه حيث قدر على ان اكون معه في كل مكان وزمان غير ان المذكور لوفى وانا ياربس واعفانى الله تعالى من السفر معه الى تلك الدار فعفا الله عنه بذه وكرمه ثم لما حان الذهاب الى برستول مرت باكسفورد وقصدت ان ارى خزانة الكتب فيها فسألت بواب المدرسة عن شيخ العربية ليهدينى لها فاخذ يطالع في فهرسة المعلمين فلم يهتد الى اسمه فقلت لم كيف وانت ملازم لهم لا تعرفهم فقال ان شيخ العربية لا يدرس بنفسه ولا يقرأ ولكن له قارئ فاذا قرأ القارئ شيئا يأخذ الشيخ في شرحه اى في توجيهه الى وقائع تاريخية تتعلق بذلك الموضوع وفي تطبيقه على بعض الامانات كما سايين لك عن قريب ثم بعد طول بحث ومعالجة اهتديت الى دار الشيخ فقابلته وسألته ان يرينى المكتبة تفضلا وتكرما فاجاب الى ذلك وسرنا معا واول كتاب فتحه كان بالخط الكوفي واذا في اول الصفحة لفظة ألقراها الا وفسرها اذها الله فتعجبت كيف انه اتخذ فهمه لسمعه لانهم جميعا يلفظون اسم الجلالة مرققا هكذا * وسألنى مرة استاذ آخر أنعرف لم دلت في على الظرفية فقلت لا قال لانها مشتقة من القم الذى اصله قو، وهكذا يخمنون ويخترصون على معاني الافردات والمركبات في لغتنا وهالك مثالا على علم هؤلاء الاساتيد وعلى شرحهم لكتبنا تطفلا فتصور مثلا ان قارئاً يقرأ على الشيخ قول ابى تمام

* همة تطمح النجوم وجد * آلف للعضيض فهو حضيض *

فيقول الشيخ بلغته البطاح يختص بالحيوانات التى لها قرون كالثور والتمس والوعل ونحوها وقد ذكر في التوراة مرات كثيرة ويمكن ايضا ان ينسب الى ما ليس له قرن فقد روى ليناوس الذى قدمه جنس الحيوان الى سبعة اقسام ان

الحيوانات الجساء تنطاح بجباهها وقد اطلقت العرب اسم الكبش على آلة من آلات الحرب لما انها تنطح الجدار والنجوم معروفة وقد كانت العرب تهتمدى بها في اسفارهم قبل ان عرفت خاصية ابرة المغنطيس ولما كانوا مشتغلين بالعلوم الفلكية والطبية لم يكن في اوريا من يشم لها رائحة ثم لما فتحوا اسبانيا او جزيرة الاندلس وذلك سنة ١٠٠٠ اخذ عنهم العلم بعض من الافرنج ومنهم سمرى في سائر بلدان اوربا وكان انقراض الملك من فرداية سنة ١٠٣١ بعد ان دامت العرب فيها اصحاب امر ونهى وسيادة نحو مائتين وخمس وسبعين سنة اما الالف واللام التي في النجوم فهي اداة التعريف وهي في اللاتينية والاسبانية الى للمذكر ولا للمؤنث واللغة اللاتينية ليس فيها اداة تعريف فاما اليونانية ففيها عدة ادوات و يوجد في لغتنا الفاظ كثيرة مبدوعة بهذا الحرف منها ما هو عربي وذلك نحو الكتنا (الحنساء) والكحل والتسأد والجبره (الجبر) والقرآن والتلى والترثيم او الكرزم ومنها ما هو من لغة اخرى فاما اللغة الاسبانية ففيها من هذا النوع الفاظ لا تعد فاما عدم النطق باللام من النجوم فلكون النون من الحروف الشمسية ثم ان اول من قرر طريقة سير النجوم حول الشمس وسير النجم حول الارض ونسبة بعضها الى بعض وعلة المد والجزر والنور والجاذبية والاعتمادية الفيلسوف اسحق نيوطون ولد في سنة ١٦٤٢ ومات سنة ١٧٢٧ وكان ذا جد و مثابة على العلم لا تنظر اما قوله جدد آلف للحضيض فالحضيض هنا معناه الارض من تسمية الكل بالجزء ووروده في التوراة كثير وفحوى البيت انه اى الممدوح ذو عناية بالارض اى بحرثها واحيايتها وانشاء المدن فيها وتسوية الاحكام بين اهلها لان الارض كثيرا ما تذكر ويراد بها سكانها وذلك ايضا مستفيض في التوراة حتى ان هذا الممدوح صار ارضا وخصبا لقاصده فاما ان كان هذا الشيخ قد تلمذ لشيخنا الاكسفوردي المشار اليه فانه يقرأ الحديد بدل الحضيض وحينئذ فيكون تأويله عنده وجداً اى حظ او اب فان الجدي ذكر ويراد به الاب وبالعكس كما ورد في التوراة آلف لاستعمال السلاح وقهر العدو فان الحديد يراد به السلاح كله وهذا الاستعمال ايضا وارد في التوراة وهكذا يمشي على انكاس البيت بهذا العصد هو وتلامذته وبعد انقضاء ساعة ونصف على تأويل هذا البيت يقومون وهم ساعدوا الرؤوس عجا وفجرا ويظنون ان شيوخ الجامع الازهر والاموى والزيتونة

هم دون هذا الحرير الذي عرف مولد نيوطون ووفاته واستيلاء المسلمين على
الاندلس وقد استبد هؤلاء الاساتيد بهذه الدعوى بحيث انهم لا يوظفون الغريب
في هذه المدارس وانما يسمحون له بان يعلم اشخاصا على حدتهم فلا هم يتعاون
حق التعلم ولا يأذنون لغيرهم في ان يعلموا حق التعليم وهذا البناء فاش ايضا في
مدارس فرنسا مع استتباب المصالح فيها ولا بد لتشيخ العربية عندهم ان يكون
مطلعا على اللاتينية حتى اذا جهل شيئا من تلك عمد الى هذه فتور منها رقعة •
واعلم ان كبريج و اكسفورد هما مدينتان في بلاد الانكليز كل منهما يحتوى على نحو
عشرين مدرسة والى طالب في الاولى تعلم الهندسة والرياضيات والالهيات
وفي الثانية علوم الادب والفقه والمنطق والفلسفة الا ان منطقتهم ليس كمنطق
المتقدمين في علمه وتعليلاته ولا يمكن التعلم فيهما الا بنقطة زائدة وما احدى يقصدهما
الا اولاد الكبراء والاعنياء ولا سيما اكسفورد فهناك ترى طالب العلم شامخا
بأفقه مصعرا خده كأنما هو طالب ملك الصين والهند واكثرهم يصرف همه
في ركوب الخيل واللذات وينبذ العلم ظهريا ففى حان يوم الامتحان عرف ما يريد
الشيخ ان يفتنه به من المسائل اذ هي محصورة معنونة فيجتهد في حفظها
وترسمها فاذا سردها عليه واحسن سردها اجازة بصك يذكر فيه انه نال مرتبة
المعلمين وهي عندهم مشوعة ولكل من هذه المدارس اوقاف يعيشر منها
التسعينون الملازمون لها ويقال لكل منهم فلو وربما كان ايضا من غير
التسعينين فان كل من شيخ في علم من العلوم اجري عليه الرزق من الوقف فتتبع
من له مائتة ليرة في السنة ومنهم من له اكثر ولكن بشرط ان لا يتزوج ففى
تزوج انقطع عنه رزقه الا انهم لا يتزوجون غالبا الا بعد ان يحصلوا على
معاش من خدمة احدى الكنائس وفي يوم معلوم من كل سنة يحصل
نزاع ولكام بين طلبة العلم وبين الاهلين وربما غلبت فيه الطلبة على قائلهم
ويسمونه يوم الكون والتون وذلك لان الطلبة يلبسون ثوبا اسود كالقفظان
ويقال له كون والبلاد بانتمهم تون وفي كل من المدينين مكتبة عربية غير
ان كتب اكسفورد اكثر وعدة ما فيها من الكتب العربية وغيرها نحو
ثلاثمائة الف كتاب واعظم ما سرني فيها نزول في محل كان يسكنه
شكسير كذا قيل لي والله أعلم • وفي مدة اقامتي كلها في كبريج وهي

أكثر من سنة لم اسمع ولم ار من اللهو الا قردا وقرانا يلاعبه وصكان
 القرد يضرب بالدف والنساء والاولاد يل الرجال يحجرون ورآه ولم ار احدا
 منهم اعطاء شيئا ومرة اخرى رأيت امرأتين تعزفان بألة طرب فرميت لهما من
 الشباك بنصف شلين فاستكثرته ثم ان أكثر القاتم بخدمة هؤلاء المدارس
 نساء وأكثرهن حسان فتأتى المرأة فى الصبح الى محل احدهم وهو فى فراشه
 لتوقد له النار وفى الليل تحضر له الشاي وكنت ذات ليلة عند احدهم فاقبلت
 امرأة كأنها البدر الطالع وقالت له هل دعوتنى يا سيدى قال لا ثم دعاها لتحضر
 له الشاي فتأملتها على النور واذا هى نور آخر وقد ذكرت ذلك لبعض
 المتورعين منهم فافقر بانه غير لائق وانما جرت به العادة ولا سيما ان هؤلاء النساء
 متزوجات ولا يذهبن الى ازواجهن الا عند نصف الليل وفى هاتين المدينتين
 عادة قبيحة فى المبيع والشراء بخلاف عادة الانكليز وهى ان الباعة يبعون
 الطلبة نسيئة ويتقاضونهم ما هو فوق القيمة فاذا اراد غريب ان يشتري شيئا
 تقاضوه قيمة النسيء الا ان يكون الشارى عارفا باحوالهم فيقول انما اشترائى بالتقيد
 وقل من يذكر له ذلك وحيث كان هؤلاء الطلبة من ذوى الايسار والاسراف
 كانت هاتان المدينتان اغلى من سائر بلاد الانكليز • اما ما عندهم من
 الطيرة والتفاؤل فقد ذكر صاحب الجرنال السمى باخبار العالم عدد ٦٧٤
 ان الانكليز يتطيرون من لقاء المرأة الحولاء ما لم تبادر بالكلام فيخثذ نزول الطيرة
 ومن السفر يوم الجمعة وان يكون المدعو فى عيد الميلاد رابع عشر
 شخصا وان يعارض سكينان وقت الغداء وان يمشی احد تحت السلام وان تبقى
 اغصان الميلاد فى البيت بعد عيد كندللاس والا فان ابليس نفسه يأتى ويأخذها
 قلت اغصان الميلاد هى اغصان يقطعونها ويزينون بها الغرف والبيوت
 ليلة عيد الميلاد ويقال لها ميرتو وهى عادة قديمة من عادات اعياد الدرويس
 وهم حكماء اهل بريتانىا فى القديم وسألتى ذكرهم قال واذا رمى بخلين باليتين
 خلف من خرج من المنزل لمصلحة يرومها كان ذلك فلا نجاحه وتوفيقه وهذا
 استعمله خصوصا عليه الناس فى بعض البلاد ولا سيما عند الاعراس واذا قص
 الانسان شعر رأسه مدة نحو القمر نما وجثل ويتطيرون ايضا من رؤية الهلال
 من شباك او زجاج ونحوه فاذا رأته فى القضاء فاقبل ما فى جييك من
 الدراهم

الدرهم او الفلوس ومن خيرا في الشهر القابل تنه وان يضع احد ملها في صحفة غيره وكذا لو قلب احد وطاء الملح على المائدة واصل ذلك ان بعض المصورين الطليانيين صور العشاء الاخير ويهودا مبددا للملح قلت عادة اهل بلادنا اذا ابصروا الهلال ان يبرزوا له درهما ويقولوا جعلك الله شهرا مباركا فاما قلب الملح فهو عند العرب كناية عن الغدر والخيانة وحفظه كناية عن حفظ حقوق المودة والعشرة وقسمهم بذلك لتعظيمه قال العلامة الخفاجي وعليه قول في خاتم الاخوان

* لا يعرف الخبر ولا الملح اذ * يأكل في غيته لحم اخيه *
كذا نقلته ولعله قال يأكل لحم الاخ في غيته ليرزن البيت واذا انقلبت الكرسي برجل عذب كان دليلا على انه لا يتزوج في تلك السنة وهو غريب فانهم شبهوا المرأة بالكرسي وهو عين ما عنته العرب بقولهم قعيدة الرجل امرأته واذا تأجج لهيب النار وسمع له حس استدل بذلك على نزاع وتصار يقع بين اهل البيت واذا طارت جرة من النار ووضعها عند اذنك وسمعت لها صوتا دل ذلك على قبضك درهم ورؤية نحو عسكر متقسم الى اجزاء في قدح دليل على سفر طويل ومشاق ووقوع سكين على الارض دليل على قدوم غريب واذا عزم الانسان على سفر واكل نصف بصلة وترك الباقي كان دليلا على عدم توفيقه وحك العين اليمنى دليل على البكاء والبسرى على سرور غير متوقع ومعه ضحك واذا اخجلت الشفة العليا واحكت كان ذلك علامة على قبلة او الذقن فعلى لحم طرى او النحر فعلى اتخاذ منديل او الاذن اليسرى فعلى مدح يثنى عليك به احد وبمكس تلك الاذن اليمنى او الانف فعلى شئ يغبطك وكأنه ملحوظ به معنى الانفة من الشئ وهو غريب او الكف اليمنى فعلى قبض درهم او انخص الرجل فعلى مخاطبتك رجلا اجنبيا او الكوع فعلى رقدك في غير فراشك ووضع مفتاح البيت على مائدة ونحوها مؤذن بالشؤم فالاولى ان يعلق في مسمار او وند واذا مات احد وتيبست اعضاؤه حتى لم يمكن ليها كان الموت مقردا والا فلا بد من ان يأتي على آخر ونجاح الكلب بما يشبه العواء تحت الشباك دليل على الموت وكذا اذا حاولت هرة ان تدخل من الشباك او دبت الخنافس على الموقد او وقفت الساعة بحيث تكون نظيفة الاثاث واذا عزم

احد على ادارة مصلحة وهيت الريح في غد يومه من الشمال فانه يفوز وينجح
واذا كسب ديناراً كسباً هيناً بصق عليه ووضعته في كيسه وكذا يصق
عليه اذا كان اول دينار مكسوب صبيحة يومه واذا اهدى محب الى محبوبه
سكناً او مقصداً فلا يلبثان ان يفترقا فلا يقبل ذلك منه الا ان يضعه على مائدة
ونحوها او ان يطبخه في مقابلة الهدية فلما ووضعت المنبخ على كرسى او مائدة
مورث للزناح وازدهار النار مساءً دليل على قدوم صاحب المنزل مسروراً
وعثار انسان وهو مرتق في الدرج يدل على الزواج والاكثار من الضحك
يعتبه الكبي وصرف دينار بدراهم من دون قبض قطعة من الذهب دليل على
اتفاق الدراهم عبثاً وسقوط مشاطة شعر النساء في الماء يورث تساقط الشعر
بإتلاف ما لو وقعت في النار والنظر في المرأة ليلاً مكروه الا عند الاضطرار وهو
مشهور عندنا ايضاً وابتلال ثياب المرأة وهى تفصل تطير بان زوجها يصير
سكيراً والشامة في العضدين وبركة واذا اجر وجه الانسان كان علامة
على ان احد محبيه يذكره واذا شرق احد بشئ قالوا له في معرض الكلام قد
ارتكبت سرقة او خيانة ونحوهما وهذا مستعمل ايضاً عند اهل الشام وهو
دايحي وتأويلهم للاعلام قريب من تأويلنا فللم بكب دليل على صديق وبجبة
امارة على عدو وبامرأة سيئة دليل على شر ومصيبة وقس على ذلك وفي اول
ليلة من ثشرين الثاني تشتري البنات جلوزاً ويشوينه ثم يكسرنه فاذا
خرجت اول جلوزة مزوجة استشرت صاحبها بالزواج في تلك السنة يفعلن
ذلك ثلاث مرات والا فلا ونحو منه انهن يشتري رصاصاً ويذهبن في ملقعة من
حديد ثم يفرغنه منها ضمن حلقة مفتاح الى ماء فيه ماء وكيفما تشكلت قطعة
الرصاص في الماء استخرجن منها فلا على حرفة من يخطبهن وفي تلك الليلة
يملائن افواههن ماءً ومعه شئ من حب شبيه بالمخص ويمتنعن من الضحك
ثلاث ايام يخرج الماء ثم يخرجن الى الطرق واول اسم يطرق مسامعن فهو اسم
الشخص الذى يقدم على الزواج وحينئذ يحججن الماء واذا شاء احد ان
يعرف اخلاص قلب انسان عليه يضع مفتاحاً في الانجيل ثم يربط الانجيل
بخط على شكل الصليب ويجعل حلقة المفتاح بارزة منه ثم يتلو الآيتين
السادسة عشرة والسابعة عشرة من الفصل الاول من سفر راعوث فاذا

دار المفتاح كان ذلك دليلا على اخلاص قلب الشخص المضمر والا فلا والزواج في شهر ايار شؤم وإذا اراد احد ان يفتح دكانا او يتعاطى مصلحة مهمة فلا يبدأ به يوم الجمعة بل يوم الخميس او السبت وهذا التطير فاش عند جميع رؤساء المراكب وفي السنة الكبيسة لبس النساء ثوبا احمر تحت القفلان وكلا اكثروا من اصناف الحلوى في رأس السنة زاد استبشارهم بخيرها وبركتها وفي عيد الميلاد يصنعون نوعا مخصوصا من الحلوى يسمى كرسس يودن ويقون منه شواية في الصوان تبركا بها وإذا مضى عليهم هذا العيد من دون اكل هذه الحلوى اوجسوا النقص والقلة ستمهم كلها وإذا كانوا غائبين عن بلادهم ولم يقدرُوا على انخاضها بشوا الى اهلهم يستهدون منها لمناظرة فيبعثون لهم في كتاب بمثل قلامة الظفر وفي ليلة ذلك العيد يوقدون شموعا كثيرة ونارا متأججة ويزنون الغرف بتلك الاغصان التي تقدم ذكرها ويظهرون الفرح والابتهاج وإذا مشت امرأة من تحتها حق للرجال ان يقلوها وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر ابول ويسمونه ميكلس اي عيد ميكل يأكلون الوز وفي السادس من كانون الثاني يصنعون كعكا مخصوصا يسمى كعك اليوم الثاني عشر • ومن اوهامهم ايضا الاعتقاد بظهور روح الميت عند قبره وهذا الوهم فاش حتى عند عامة سكان المدن فقد كنت ارى في كل ليلة بلندرة جمعا عظيما واقفين عند احدى المقابر لما شاع عندهم من ان روحا تراءى فيها لبعض المارين في هيئة بشر بلباس ابيض فاوجب انحسائهم هذا احراق وجد المقبرة بالجير لئلا يردد الروح اوله له كان حيلة في منع اجتماع الطعام لانهم حينما اجتمعوا اجتمع الشر ويوجد في لندرة موضع اسمه هاتن كاردن فيه عين ماء يزعمون انه يجرى منها دم في كل يوم عند نصف الليل ولها قصة طويلة لا يمكن ايرادها هنا • ومن ذلك اعتقادهم بانه متى احتضر شخص حضر في منزله روح اسمه رصد اليه فيسمع له قرع على الباب او الخائط او صوت نحو صوت جرس السلاسل او طنين الجلاجل فاذا سمع ذلك منه ثلاث مرات كان الموت بعدها لا محالة • ومن النوادر هنا ان رجلا كان يماشي زوجته في بستان وهما يتحدثن وفيما كان يكلمها احست بكرب وانه باض فقالت له تمع عن هذا للمكان فاني اظنه محضورا فتعفى عنه ثم سأل عنه بعد ذلك فلم انه عند تحادثهما

كان بالقرب منها رجل يقتل نفسه • وقرأت في بعض صحف الاخبار ان رجلا قتل ولدا صغيرا فقصي عليه بالموت ولما سئل عن سبب قتله اياه قال كنت اريد ان اتخذ من حجمته مصباحا سارا حتى ادخل البيوت ولا يراى احد • واتفق في بعض السنين ان ظهر في السماء نور ابيض امتد من المشرق الى المغرب خفيف المر وكان كأنه هباء ثم انتشر في عنان السماء كله وظهرت عقب ذلك حرة في الافق ثم كثر وعظم فطفق اهل الدار التي كنت فيها يكون ويضجون ويستغيثون فسألته عن سبب ضجيجهم فقالوا اذها آية على الماعم والحروب قلت كلا بل هي آية على فساد البطاطس فانقلب يكاؤهم ضحكا وكانت تلك السنة رابع سنة مشومة على غلة هذا النبات في ارلان فكان الناس في هاجس عظيم لذلك لان جل طعامهم بل طعام الانكليز ايضا اما هو منه ثم اعقب تلك الآفة حبات ووباء فأتت اناكس كثيرون ورثي لهم كثير من الدول فنجاءهم امداد منها وامدهم مجلس مشورة الانكليز بعشرة ملايين ليرة • واعلم انه قد يتشأيم الانسان من مكان او زمان ويتفأل بغيرهما ويكون ذلك مجرد وهم مثله ان يكون في محل لم ينتفع فيه الابوعد واما في قيل منه وينقل اني آخر فحقق فيه امانيه فيرى ان ذلك من بين الانتقال مع انه لو بقي في المحل الاول لصحت له • وفي بلاد الفلاحين بل وفي المدن الجامعة ايضا نساء يدعين علم الغييات بطرق مختلفة منها التأليف بين اوراق اللعب المزوقة وذلك بان تصف احداهن منها ثلاثة صفوف كل صف يشتمل على سبع ورقات ثم صفا رابعا من خمس ورقات او خمسة صفوف كل منها يشتمل على خمس ورقات ثم صفا آخر من اثنين وتضم ان احدى المزوقات الحمر كناية عن امرأة واحدى السود كناية عن رجل اسم وتنسب لكل من الورقات المنتطة خاسية من البحث وضده وتقابلها بتلك المزوقات التي عليها الاضمار ثم تستخرج من تلك المقابلة دلائل على ما يحدث بعبارة لا تخلو من الابهام والتوجيه وقد اتفق وانا مقيم في بيت قسيس من فضلاء الانكليز ان حضرت عنده امرأة من هؤلاء فقال لي ها هي الشيطان وذكر الاسم بالعربية فقالت كلاما انا شيطان بل مبصرة البحث فسألته ان تبصر لي بخفي فالت بين تلك الاوراق ثم قالت ستكون سيبا في تسفير رجل اسم الى بلاد بعيدة وان امرأتك تأخذ في سفر طويل ويكون حديث في شائك

شأنك بعد مدة وتحصل على هدية من اللباس وتذهب الى جماعة عظيمة ويدعوك رجل من سادة الناس قسافر اليه ويحصل توفيق لولئك وينال هدية وان امرأة سمراء تساعدك على نوال اربك وان رجلا اسمر يستدعيك اليه وتعدل امرأتك عن السفر ويحدث لك سفر غير متوقع مع رجل ابيض وامرأتك تأخذ هدية وان رجلين اسمر وابيض يشتركان في تسفير امرأة وان سيدة زهرآء يكون لها مداخلة في امرك ولك صديقة من النساء سمراء • وقد وقع ذلك كله الا هذه الثلاث الاخيرة فاني لم اتحققها وكثيرا ما تذهب النساء المتهنئات بالخدمة والمحتشات بالعشق الى هؤلاء العرافات ويسألنهن عن احوالهن ويعطينهن نصف ما تملك ايديهن وانفق ان امرأة سافر عنها زوجها وانقطع خبره عنها مدة طويلة ثم بانها خبر وفاته فتزوجت آخر فأتيت عرافة فقالت لها العرافة تعالى اخبرك بما لائعين ثم ذكرت لها من جملة كلام ان زوجها الاول حي وانه عازم على الرجوع فدخل الزعب في قلب المرأة فأتت نفسها في النهر وقدر لها ان بصر بها رجل كان على الشاطئ فبار اليها وانجاسها من الفرق واخرى جنت من تهويل عرافة عليها فكانت تقول في حال جنونها مبصرة البخت الورق مبصرة البخت الورق • ومنهن ايضا من تبصر البخت برؤية الكف وقد رأيت كتابا مطبوعة في علم الكف والهيئة فيها من الاحكام نحو ما في كتابنا • ومنهن من تدعى احضار الغائب وتشخيصه لعين السائل في مرآة ونحوها كما في مندل مصر • وفي اخبار العالم عدد ٦٩٤ من شاء ان يعلم ما يجري عليه في المستقبل من الشغل او السفر او الزواج او تعاطي مصلحة فليد ان يسأل النجم داود ستلا المقيم في ادورد ستريت ماذنلان بحيث يوقفه على يوم ميلاده وعلى جنسه ويرسل اليه اثنين وعشرين طالبا فانه ينبئه بالتفصيل عن كل شيء سواء كان بالكتابة او مشافهة وكذلك النجم ملقب وجوابه عن المسائل يكون فظما وعلى السائل ان يرسل اليه اثني عشر طالبا وفيها من كان دابة الشغل ومعه بعض شلينات ورام ان يتعلم حرفة مكسبة في اسبوع واحد فقط فليد بالنجم كورتني فانه يهيئ له وجها للعمل بما عنده من التليل حتى يمكنه ان يكسب من بعد ذلك من ثلاث ايرات الى عشر وهو على هين • وهذه الحرفة هي من اكرم الحرف وقد يشرها النجم منذ سنين وغبط بها فانك بعرضها على الطالبيين بحيث يحرمز منهم ثلاثين طالبا • وفي بعض

الآخبار ما نصه قد صار اهل لندرة الآن جديرين بان يكونوا ضحكة لاهل
الريف لا يعتمدهم بالسحر والشعوذة ولم يبق من داع الى الذهاب الى بلاد
الفلاحين لتسمع ان النساء اللواتي لا عيب فيهن سوى الفقر والهم يستعلن
على ان يمنن البقرة عن الحلب ويعطلن المزارعين عن اعمالهم ويحرون الرقاد
من فراشه من غير ان يدوس به فان هؤلاء المدجلات المدلسات يوجدن الآن في
لندرة مع كونها معدن المعارف والنور وليس المترددون عليهن من سفلة الناس
بل من اهل النباهة والايثار وحسبك دليلا على ذلك ما جرى منذ ايام في ديوان
كلد هال حيث احضر بعض الشرطة امرأة من هؤلاء لتكونها كتبت رفاع
وعيد وتهديد الى بعض التجار من ذوى الشأن قال ولما دخلت حجرتها وجدت عندها
اربع نساء مترديات باللباس الفاخر احدهن من بنات التجار فلما سألتها عنهن قال
انما قصدتني لعلهن ياتن ابصر البخت * وقال آخر شكيا بعض الناس الى قاضي
سرى بان احد معارفه يسمع في الليل ضجيجا وضحيجا وضرب مطارق فلا يقدر
ان ينام قال فلما سرت اليه سأله عما يقاسى فقال ان الناس يفيضون في حديث
فلانة امرأة فلان قلت وما بينك وبين زوجي قال لا شيء الا كلمات دارت بيننا
منذ سنة قلت وما يصنع بك الآن قال يبحث الى اناسا يضربون بالمطارق
ويضجون ويرأطون الليل كله لما يدعى اجمع ولا احدا من الجيران ينام قلت
أتعرف اسماءهم قال نعم ولكن زوج المرأة هو الذى يغريهم بهذه الاذية قال
فاحضرت الزوج واخبرته بشكوى الرجل فقال جزاء واقل جزاء قلت كيف قال
لانه يأتى كل ليلة الى بيتي ويخطف امرأتى من الفراش ويخرج بها من الشباك
ويضبطها عنده الى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ثم يأتى بها منهوكة مدهوكة
قلت ألا تحجل من ان تقول هذا الكلام وانت شيخ وانى لما لقيتك آخر مرة قلت لى
انها عليه فهل افادت الآن قال لا ما دام الرجل يخطفها فلن تنفيق ابدا قلت
قل لى ما يفعل وعلى عقوبة قال واى عقاب لمن له تسعة اعمار كالهر قلت هل
رأيت عينا يأخذ امرأتك قال لا لاني اكون راقدا قلت هلا ربطت يديها الى عنقك
حتى تستيقظ عند ذهابها قال لن ينفع في هؤلاء الناس حذر قلت ما السبب
الذى جعلك على سوء الظن بهذا الرجل قال ذلك الرجل المبارك الذى ارانى
وجهه قلت من هو قال هو الذى شفاها بعد ان عجزت عنها الاطباء قلت كيف اراك

وجهه قال اخذ نعل فرس واجاها حتى صارت كالجرثم اغلق الشباك ووضع النعل في ماء قدّر وقال لي اي وجه ترى في الدخان واشهد انه كان زوج المرأة •
 فاما ما يحدث في بلاد الانكليز من تسعيم الأزواج بعولتهن والوالدين اولادهم وقتلهم وبالعكس ومن الانتحار اعنى قتل الانسان نفسه فامر بهول وشرحه يطول نعم ان الانتحار يحدث ايضا في غيرها واعظم اسبابه العشق والحرمان الا انه بالنسبة الى هذه البلاد لا يذكر ولتورد لك نبذة من ذلك لتفيس عليها • حكى صاحب اخبار العالم ان رجلا ذبح ثلاثة اطفال له بالموسى في وقت واحد وكان اصغرهم رضيعا ثم ذبح نفسه فلما سئلت زوجته عن ذلك قالت اتى غادرته مع الاولاد سليما معاني فلما رجعت وجدتهم ثلاثين جثثا مطرحة وزوجى الى جانبهم ولا اعلم سبب ذلك وزعم بعض معارفه انه قتلهم خوف الاملاق • ومنها ان امرأة شكت بانها قتل اصغر اولادها فعند الامتحان علم انها قتل من قبله سبعة • وانه كان الثامن مع انها كانت تتظاهر بالصلاح والتقوى وتذهب الى الكنيسة في كل يوم احد وتلازم دراسة التوراة ولما سئلت عن ذلك قالت قد قتلهم خوف الاملاق • ومنها ان رجلا كان له امرأة واربعة اولاد منها وكان الرجل والاولاد منتظمين في سلك جمعية من اصولها انه متى يميت احد من اعضائها يدفع لوارثه خمس ايرات فطمعت المرأة في نيل الدراهم حتى سميت زوجها وكان ابن خمس وخمسين سنة واظهرت انه مات حتف اناء فقبضت المبلغ المذكور ثم سميت ابنها الاكبر وله من العمر ست وعشرون سنة فماتت وقبضت المبلغ ثم سميت الثالث وسنه احدى وعشرون سنة فماتت وقبضت المال ثم سميت الرابع فرض واستدعى بطبيب فلما اتى الطبيب علم انه مسموم فعند ذلك حصل البحث والتحقيق ونبشت جثث اخوته وشرحت فثبت انهم كلهم ماتوا مسمومين • ومنها ان بنتا سميت امها لتستولى على امتعتها ثم احرقتها ولما كانت باركة على صدرها جعلت امها تناشدها وتضرع اليها ان تبقى عليها فقالت لها البنت لقد عشت اكثر مما يحق لك ان تعيش • ومنها ان قسيسا من اهل الكنيسة التفرعة اسمه فوزستر في مدينة دكنهام كان يقضى الفرائض الدينية لاحدى النساء الخدومات فلما رآته غير اهل لوظائفه صرفته فرض فاخذ الى المستشفى ثم شفى ورجع الى بيته وسكان له امرأة وولدت منه نحو ست سنين فقامت المرأة

صباحا تهيم له الفلور وتركت الولد مع ابيه في الفراش ثم بعد قليل رأته زوجها خارجا الى الطريق فلما ابطأ عليها ذهبت لتتظر ولدها فاذا به مذبح بجوسى • ومن ذلك ان رجلا ذبح ابنته وواراها في حفرة ثم ذبح اخاها وواراه معها ايضا وظل يأكل بذلك السكين الذى ذبحهما به مدة ثم علم امره ولا قضى عليه بالقتل فرح جدا • ومن ذلك ان امرأة من لبث قتلت طفلا لها وله ثلاث ستين ونصف واخوته وهى بنت سنة ونصف • ومنها ان امرأة ذبحت ابنها فلما سألتها القضاى قالت انما قتلتها صغيرا ليأكل سعادة السماء وهذا كاف • ومن العجيب ان مجلس المشورة ببلدة قد اصدر امرا مبرما بصدى الحيوان غير الناطق وبأن يذب من يرتكب ذلك او تفرجه وقد بلغ عدد الذين اذوا الحيوانات في العام الماضى ٤٦٤ شخصا وبلغت غرامتهم نحو ٥٧٤ ليرة وارسل منهم عشرة نفر الى دار التأديب اذ لم تقبل منهم غرامة ورؤى مرة رجل من بلبانة الفرنسيين يفرى كلبه بمطاردة هرة ففرمه الحاكم عشرين شلينا ومع ذلك فلم يمه حذر بيع السم منعاً لهذا الشر المتفاقم على الحيوان الناطق وان الولد اذا اخذ حاجة ليرهنها وهو دون البلوغ او دون خمس عشرة سنة لا يقبلها منه المرتهن ولكن اذا ذهب الى دوائى ليشترى سما او مسببا باء على ان يبع السم في فرنسا ومالطة ومحظور على اى كان الاباذن من الطبيب فكأن الجماعات انفع للدولة من بنى آدم وما ارى لذلك سببا سوى هذا الاصل الفاسد الذى يعبرون عنه بقولهم حرية التجار اولزوم السم للفلاحين في قتل الهوام كما سبق ذكره الا ان مراعاة الجاناب الاقوى في الامر الذى يكون منه مضلة ومصلحة الزم واهم وهذه الحرية في التجار هى التى سهلت للناس ان يفسدوا كل شئ من المأكول والمشروب وكل ما يصنع فيه البيع والشرء كما سيأتى بيانه حتى ان صاحب الذوق السليم يؤثر المقام في بلاد التهيج بحيث يدوق شيئا مما تنبئه الارض على حاله على ان يمتك بين قوم يعاون عدد نجوم السماء ورمل البحار وهم مع ذلك يأكلون ما يضر اليهائهم فضلا عن البشر وكل شئ جاوز القدر اضر واقبح من ذلك انه كثيرا ما يحكم القضاة او الجورى على مرتكب القتل بالجنون اعفاء له من القصاص فتذهب الحكمة سدى في ولكم في القصاص حياة او في القتل اننى للقتل والجورى هم اثنا عشر رجلا يقع عليهم الاختيار فيجتمعون

مع القاضى لفصل الدعاوى وهم على قسمين خاص وعام فالخاص مؤلف من
 الفقهاء وذوى الوجاهة لفصل الامور الخطيرة ولكل منهم ليرة على كل دعوى
 والعام مؤلف من اصحاب الدكاكين والحرف لفصل الامور الخفية ولا يراد
 لهم وقيل ان كلا منهم ياخذ ثلثي شلين بحسب ما تقرر فى السابق اعنى عند
 رسم هذا الامر ومن امتنع منهم عن الحضور لزمه غرامة واصل الجورى عرف
 فى ايام الصكصوينين وذلك انه كان حدث نزاع بين واحد من الانكليز وآخر من
 اهل والس فعين ستة نفر من هؤلاء وستة من اوتك للنظر فى امرهما ثم اثبتت
 اقامة الجورى فى المجلة التى يسمونها مكنا كارتا كأنها من اعظم اسباب العدل
 والحرية وللقاضى ان يبط الجورى عن الاكل والشرب وان يمنعهم التور الى ان
 يتواطأوا على فصل ما وقد غرم بعضهم لوجود فاكهة فى جيبه من دون ان
 يثبت عليه اكلها واتفق مرة ان بعض المسافرين فى سكة الحديد طلب ارشا
 فحكم الجورى بان يعطى ربع بنى وهو عبارة عن خسة افلس فانكر عليهم
 القاضى هذا الحكم واعادهم الى النظر فيه فعادوا ولم تنفق كلهم حتى مضى
 عليهم اربع وعشرون ساعة لم يطعموا فيها شيئا ثم خرجوا وهم يظلمون من
 الجوع • قال صاحب التيمس ليس من العدل ان يترك الانسان اشغاله وبأنى
 لسماع ما يحدث بين الرجل وامرأته من التناقر والتهازاه فقد عرفت ان
 هؤلاء الذين يأتون لاجراء العدل هم انفسهم مظلومون وقد يكون حكمهم
 ايضا على غيرهم زائفا فقد قرأت فى جرنال التيمس ان امرأة اسمها اليصابات
 جان وود عليها طامة الخشمة والاعتبار وعلى ذراعها طفل رضيع ادعى عليها
 بانها سرفت شلينين ونصفا فى احدى العواجل فثبت عليها الذنب وحكم
 عليها بحبس ستة اشهر وفيه ان امرأة طاعنة فى السن ثبت عليها انها سرفت
 ساعة وسلسلة قيمتهما خمس ليرات فحكم عليها بحبس ثلاثة اشهر مع الاعمال
 الشاقة واذا كان للمدعى عليه خصم من افراد الجورى فله ان يستبدله
 فاذا تواطأوا جميعا على الحكم بقتل واحد ودونوا ذلك فى صك قال القاضى
 للمحكوم عليه قد حكم عليك الجورى الذين هم من اهل بلادك بانك مستوجب
 للقتل فموجب شرع هذه المملكة تؤخذ من هنا ويجعل فى عتقك حبل وتشتق الى
 ان تخرج روحك ثم تدفن مع امثالك اه ويوم شق المقتضى عليه يكون فرجة للنساء

فيه عن صباحا من يوثقون لمشاهدته حتى تنص بهن الطرق وهو دليل على شدة قلوبهن وجرائتهن وقتل القاتل عندهم لا يكون الا بهذه الصورة وفي احوال كثيرة يقوم التغريب مقامه واذا اذنب احد في بلاد الفلاحين حبسه الشرطي الى ان يمر القاضي بذلك فيقيم هناك مدة وترفع اليه الدعاوى وفي انكلترا والاس سنون قاضيا ونحو ستمائة دار لانتضاء وثلاث وثلاثون خزنة مال وقد مر في اول الكتاب عدد القضاة ومرتبهم ومنع القصاص بالقتل في بعض الجرائر كان مما احده سر روبرت ييل في سنة ١٨٢٤ ثم منع على اى جريمة كانت ثم عمل به في بعض الاحوال قال الفاضل غولد سميت انه يوجد في بلادنا من المفضي عليهم في سنة واحدة اكثر مما يوجد في نصف اوربا فلا ادرى هل سبب ذلك كثرة قوانينها او تعدى اهل بلادنا ولعل ذلك مسبب عنهما معا فان احدهما ينتج الآخر • وفي بعض صحف الاخبار انا نرى الجرائر الان قد تكاثرت وسبب ذلك الدماء بالشبهات فان الذين يثبت عليهم القتل وتقب الديار يعاقبون بالنفي لا غير فاذا انقضت مدتهم رجعوا شرا مما كانوا من قبل على ان المصروف على تغريب هؤلاء المنفيين في كل سنة يبلغ نحو اربعة وخمسين الف ليرة قال وعدد اصحاب الجرائر التي دربوا فيها من قتل وسرقة مما يوجب سجنهم عليها نحو ثمانين الفا وهو اكثر من عدد العساكر ومصروفهم ضعفا مصروف هؤلاء قلت وفيه نظر • واعلم ان شرع الانكليز هو اطول الشرائع احكاما واكثرها قيلا وقالا واوسع من علم العريضة قلبا واعلا لا فان بعض الدعاوى التي تستدعى دهاء الفقهاء ومحالهم ربما يدوم خمسين سنة فاكثروا وقد اتفق مرة في دعوى اقيمت على رجل اسمه بالمر ٧٥٣٢ ليرة وقد وقع بعد تحرير هذا الكتاب ان اقيمت دعوى على شاب من الاغنياء بعدم رشده حظرا له عن التصرف في املاكه فلزم لاثبات ذلك احضار شهود من الروسية وغيرها فكان المصروف على كل ساعة مائة وستين ليرة وبعد ان بلغ ستين الف ليرة خرج الحكم برشده ويمكن تقسيم شرعهم الى اربعة اقسام ﴿ الاول ﴾ ما تناقلوه من احكام الرومانيين والنرمانديين والصاكسونيين الذين فتحوا بلادهم ويدخل في ذلك امور من قبيل العادة وفي الحقيقة فان جل عاداتهم سنة لهم لما اجدرهم بان يكون لهم من لقنا لفظة الدين فانها بمعنى الديانة والعادة فارى ان اخلاصها عليهم سواء قبلوها

قبلوها او لا ﴿ الثاني ﴾ ما بنى على العدل والانصاف ومراعاة المصالح على وجه الاستحسان والترجيح اذ لم يرد فيه نص ولم يجز فيه حكم فاذا امر من ذلك احيل على محكمة العدل فيحكم فيه القاضى والجورى بالرأى مجسما يترجح عندهم انه الاصلح ﴿ الثالث ﴾ احكام مجلس المشورة وهي غير متناهية ﴿ الرابع ﴾ احكام ديوان الكنيسة وليس في شئ من هذه الاقسام احكام على الظاهر والنجس وما يؤكل وما لا يؤكل وعلى حيض المرأة وتقاسمها وحدادها وعذتها وما اشبه ذلك ومع ذلك فيمكن ان يقال انه ليس امر من الادور المتعارفة الا وهو مة يدبحكم من هذه الموارد الاربعة حتى انهم يكتبون في المناصب اصلح ثيابك قبل الخروج اشارة الى انه لا يزور بظلمته وهو في الشارع او انهم يكتبون لا يلصق هنا اوراق تعريفات بل اصحاب المطاعم ايضا ينهون الى وضع شئ من الاحكام قبيح احيانا لوحا منصوبا قد كتب فيه التسليم عند التسلم اى نقد الثمن عند وضع الاكل بين يدي الاكل اولا يؤذن في استعمال الدخان هنا ونحو ذلك ومتى كانت جريرة الجاني صغيرة اجرى الحكم عليها في الحال وان كانت بين بين جاس الى ان ينظر فيها وحينئذ يرخص للمذنب في ان يطلب كفلاء يكفلونه فيخرج من السجن ويتعالى اغفاله الى ان يعاد عند بيت الحكم فان لم يجد كفلاء بقي في السجن • وما يرى منكرا من احكامهم اجازة شهادة الاولاد دون البلوغ غير ان التناضى يستلزمهم اولا وينبهم على خطر اليقين والشهادة هذا اذا كان في الدعاوى الصغيرة اى التى لا توجب القصاص بالقتل والويل ثم الويل لمن وقع في يد احد من فقهاء الشرع فانهم انهى خلق الله ولا يعجزهم ان يصيروا الظلام نورا والنور ظلاما ودونك مثالا واحدا مصداقا لذلك وهوان بعض التكييسين الذين يدلون بحجبالهم دون مالههم عشق بنت احد الاغنياء واذا كان يعلم ان الغنيين للفتيات والمقلين للتملات خشى ان يخطبها من ابها فيسفه ويحبه فوسل الى ذلك بواحد من هؤلاء الدهاة ووعد به بصلية حسنة فقال له ساتروى في امرك فأنتى غدا فلما كان الغد اتاه الشاب فقال له الفقيه أرايتك لو شاء احد ان يقطع انفك ويعطيك عشرين الف ليرة أفكنت ترضى قال كلا ولو اعطيت ضعة منها فانطلق الفقيه لساعته الى ابى الهنت وخاطبه في ان يزوج ابنته من الرجل فقال له كيف اصاهره وهو فقير وليس له غير جلاله

قال وعنده ايضا جوهرة اعطى فيها بحضرتي عشرين الف ليرة فاي ان يبيعها
 فتغير الرجل عن اصراره وما زال به حتى اغراه بتزويج ابنته والبارع من هؤلاء
 الفقهاء لا يباشر دعوى من الدعاوى الخطيرة الا اذا قبضت كفة على ثلاثمائة
 ليرة فاما كتاب الصكوك فلما كان جعلهم بحسب السطور كانت عبارتهم مملّة
 لما فيها من التكرار غاية الاملال مثال ذلك باع زيد بن بكر داره الفلانية
 لخالد بن عمرو بكذا وكذا بيا خاصا مطلقا وافر زيد بن بكر بان داره الفلانية
 التي باعها لخالد بن عمرو بكذا وكذا قد انتقلت من ملكه انتقالا مطلقا
 وصارت في حوز خالد بن عمرو فصارت دار زيد بن بكر والحالة هذه في تصرف
 وملك خالد بن عمرو ملكا مطلقا خاصا • ويقع كثيرا ايضا في احكامهم الدوائية
 مثل هذا التعبير الا ترى اذا اخذ شخص او اشخاص شيئا او اشياء من موضع
 كذا او مواضع كذا وجب القصاص على ذلك الشخص او اولئك الاشخاص
 الذين اخذوا ذلك الشيء او تلك الاشياء من ذلك الموضع او تلك المواضع وهذا
 ضد عبارة كتب الفقه الاسلامية فانها اخصر ما يكون حتى يحتاج الى
 شرح وحاشية وفتية يفسرها وقد يقع التكرار في عبارة كتاب الصكوك في
 البلاد الاسلامية وهم الذين يتعيشون من كتابتهم ولقد نجحت كثيرا مرة
 من قراءة صك كتبه بعض المحاكم بتونس مطالعة الاجل الوجيه الفاضل
 الموقر محمد بن الحاج احمد قال يترى المااضي النصراني انه اعطاه كذا وكذا يعني
 ان المااضي ادعى على الاجل محمد بكذا وانما فصل هذا الكلام وجاء بهذا
 التركيب السخيف كراهة ان يذكر اسم المااضي قبل محمد وهو من الهوس الذي
 يفضي الى خرم قواعد العربية واكثر احكام تونس على هذا المثال من
 اللحن والخطأ واقول في الجملة ان عبارة كل الفقهاء فيها خروج عن
 قواعد النحو واللغة • اما كلام الانكليز فانه لما كان موده اصطلاح
 اللغة وعرف الخطاب رأيت من الواجب ان اذكره بالتفصيل في فصل على
 حدة اجعله خاتمة لهذا الكتاب ان شاء الله تعالى وانما اقتصر منه على نبذة
 فاقول ان نميتهم في الصباح هي ان يقولوا صباح طيب وفي المساء مساء
 طيب ثم يردفوها بقولهم هو دو يودو وترجتها كيف تعملون انتم تعملون
 وهو سمة تنبئ عن مزيد ميلهم وتوفائهم الى العمل حتى انه يوجد في لغتهم نحو
 عشرة

عشرة الفاظ مرادف العمل وهو أكثر ما عندهم من المترادف ولا يخاطبون
بضمير المفرد الا البارى تعالى اوفى الشر وهو ضربة لازب عند طائفة من
جنسهم يقال لهم كويكرس وسيأتى ذكرهم فاما عند الفرنسيين فاستعملوا انما
هو فى مخاطبة الادلال كأن يكلم المحب محبوبته او الوالد ولده وتحية هؤلاء بعد
صباح الخير كيف انتم تحملون انفسكم وكلنا التحيين لا معنى لهما كما قال فليتر
ومنى خاطبت احدا من فلاحي الانكليز وهو مصغ اليك ابدى همهمة عند كل
جولة اعنى قوله هم فكأنها عندهم حرف بمعنى نعم وعند كل فترة تقضى بالاعتبار
يقول اه واذا هم خاطبوك نفضوا رؤوسهم ولا يكادون يشيرون باليدى كما هو داب
اهل مالطة واطاليا وغيرهم وليس للمجتهد مطلقا نعمة مطربة سواء تكلم
بها جاهل او عالم او ولد او امرأة اذ ليس فى كلامهم مد ولا حركات طويلة
واصوات الرجال من حناجرهم بخلاف اللغة الفرنسية فان فيها غنة تستحب
من الاولاد والجوارى جدا وربما طرب لها من ليس يعرفها ومع ان لغة الانكليز
من اللغات المستحدثة ولم تشهر الا واعقبها التمدن وطبع الكتب فكل اهل
صقع عندهم كلام ولهجة خاصان بهم فلا يكاد احدهم يفهم من صاحبه شيئا
بمنزلة ما عند اهل الشام والفسارية من الفرق ومن عادة النساء اذا كلن احدا
من الخاصة ان يتحين له عند كل سؤال وجواب وعادة الغلمان ان يضعوا ايديهم
على رؤوسهم وكذا هى عانة الخادم مع مخدومه عند كل سؤال وجواب حتى
القسيسون ايضا يراحون لهذه الدغدغة واذا خاطبوا احدا بكلام توبيخ
وغيط قالوا له سر وهى بمعنى سيد حتى انهم يقولونها عند طردهم كلبا ونحوه
فيقولون مثلا اخى يا سيد وقد يستعملونها ايضا لتعظيم المخاطب واجلاله ومن
الغريب فى هذه اللفظة انها بالفارسية بمعنى رئيس وواقعها ايضا فى العربية لفظ
السرى فلا ادري اى اللغات هى الاصل لها والرجل يقول عن زوجته معنى
والرأ تقول عنه معنى واذا خاطب زوجته احد من الخاصة بلفظة مدام كان
ذلك اشارة الى تنافرهما فخطاب الرضى انما هو ان يقول لها يا محبتي او يا عزيزتي
وربما قالوا يا قلبى ولا يكادون يفهمون يا روجى ويا عنى ويكرهون من ذكر
الشيطان فى حالتى النجس والاستفهام فيقولون اين الشيطان كنت ويضيفون
لفظة مان بمعنى الرجل الى كل شئ فيقولون لاسقاء واطرمان اى رجل المساء

على اخلاق الفرنسيين واقول ايضا في الجملة انه معما يظن ان دول الافرنج تبني
تعميم المعارف لدى جميع رعاياها فليس الامر كما يظن اذ ليس من نفع الدولة
والكنيسة ان تكون العامة متكسبة ومتفهمة ولا سيما عامة فرنسا فان معارفهم
سبب لخطئة الدولة ولهذا يقع فيها من التغير ما لا يقع في غيرها •
ويجبني من الانكسار خلال منها انه ليس عندهم فضول وتكليف على الدخيل
فيهم بل ولا على من هو منهم فلا يزورونه في غير وقت الزيارة ولا يستعبرون منه
ولا يتعرضون لما يأتبه قالوا رأوه مثلا مضطجعا على قارعة الطريق لم يسألوه لاي
سبب تفعل ذلك بل ربما حسبوا ان اهل بلاده جميعا يضطجعون مثله وان في
ذلك مصلحة لهم واذا زارك احدهم ورأى عندك مثلا امرأة او نساء لم يهمه ان
يسألك عن سبب زيارتهن مما لا بد منه في بلادنا وكذا لو رأوك تمشي امرأة
في الطريق او تخاصرها فكل منهم مشغول بهم ومهموم بشغله واذا راوا
دليقا مغطى لم يسألوا ما في هذا الطبق كما في الحكاية المشهورة ويمكن ان يقال
ان هذه الخلعة هي صنو لاول خلعة ذكرتها من معانيهم في كون كل واحد
منهم لا يهتم الا بشأته ولا غرو ان يكون بعض الخلال ممدوحا من وجه ومذموما
من وجه آخر • ومن ذلك الجد في المساعي وعدم الثمالة وكرهية العيب
الوجب للتافر والعداوة اولئك الحصى في الكتابة ولو كان عندنا يريد على
الصفة التي هي عندهم لكننت ترى في كل يوم اهاجي واحاجي تلقى في البوسطة
ويبعث بها كما يبعث بالرسائل نعم ان عندهم يوما مخصوصا في السنة يتراسل فيه
المعارف برسائل مزحية ولكن من دون اذى وايجاب تبعة • ومن ذلك عدم
التهافت على الحسد فاذا رأوا عندك مثلا متاعا نفيسا لم يكن عندهم مثله لم ينفسوا
عليك في احرازه ولا يقولون يا ليت كان لنا مثله وخصلة التفاسد والحسد
قلما يخلو منها في بلادنا جسد • ومنها انهم يضربون على ما بهم فلا يتظلمون
ولا يجحدون اي يستولون عطاء الله ولا يقولون ليس لنا وليس عندنا فكل واحد
منهم يريك انه مستغن عنك ولا تكاد تسمع خادما يطعن في مخدومه او خادمة
تعيب مخدومتها وان كانا يكابدان عندهما اما في بلادنا فقلما تجحد خادما راضيا
عن سيده بل يعتقد انه هو اولى بالسيادة او ان شرف مخدومه متوقف على بقائه

عنده • ومن هذا القبيل عدم يحرص الناس حقهم فإذا نبغ احد فيهم في فن وصنعة لم يجد من يتصدى لتجهيله وتخطئته حتى يوقفه عن تقدمه ويطنق جذوة قريحته، ورب دوحه نشأت عن فرع لا بل يجد من ينشطه ويسير له اسباب العلم اما في بلادنا فإذا نبغ احد في شيء يادبه حسانه بقولهم هو مدع هو حمار هو متطفل • ومن ذلك انهم لا يقشرون باعتساب الاقاويل ولا يأتون النيمة والقيمة الا قليلا فإذا سكن ما بينهم غريب وسمعوا عنه ما يكرهونه منه فلا ينقلون اليه ما سمعوا عنه بل لا يهمهم ما قيل فيه وانما يعاملونه بما يظهر لهم من حسن سيرته خلافا للفرنسيس فانهم مثلنا في التعلق بقال وقيل وفي الاستغاص عن احوال الجيران بل اهل البلد ولما كنت في باريس كنت اتردد على الكونت دكرانج ترجمان الدولة لما كان عنده من الباشا بالغريب ولين الجانب وكان هو ايضا يتردد على اذا زمه ترجمة او انشاء رسالة بلغنا واذا كنت اكله ذات يوم في مصلحة لي قال لي اني ليعجبني حسن تصرفك فينا وزاهة نفسك وذلك مما يدعوني الى اجابة سؤالك غير اني انكر عليك شيئا شاع عنك قلت اذكركه لي حتى اتجنبه قال ان الناس يقولون انك قدمت الينا جاسوسا من طرف الانكليز واذا كان ذلك حقا فلا يسعني اسعافك بمحاجتك قلت بودى لو كنت جاسوسا اذن ما كنت لا كلف احدا بشيء فان جاسوس الانكليز يستغنى بوظيفته عن ان يتوصل باحد الى نوال اربه ولا شك في ان الموما اليه سمع عن ذلك فان من داجع الفرنسيين ولا سيما شرطة الديوان ان يجسسوا عن احوال الغريب ينهم فإذا علموا انه يعيش بلا حرفة يتعاطاها حكموا بانه اما بان يعيش من رزقه او من حيلته وحيث كانوا يعلمون اني لم اكن اتصاطي حرفة ولست غنيا ذا عواجل وولائم استنجوا من هاتين المقدمتين اني جاسوس ودخل ذلك لا يشغل به احد من الانكليز بالله فقاية ما يرومونه من الغريب ان يحسن تصرفه ويقضى دينه الا ان من يسكن عندهم في القرى يلزمه من باب المجاملة والمخالقة ان يذهب الى الكنيسة في يوم الاحد وان نام فيها فاما في المدن الجامعة فلا يلزمه ذلك وقد شهر مرة في صحف الاخبار ان الملكة اهدت الى بعض الجنود مندبلا قد كف بكف ابنتها فلم يعبا بهذا الخبر احد ولا ظن بها احد سوا ولو شهر امر مثل هذا في بلادنا عن اميرة لبني شغل الخواطر والاسن احتقابه ومن ذلك

كلامهم بصوت منخفض وهي صفة تكاد ان تكون من خصوصيات نساءهم وفي بعض البلاد قد تسمع للنساء زعيقا وزعيقا كاصوات الجن * ومن ذلك حسن الترتيب والتدبير في الاشغال والمصالح والتوقيت للعمل فكل شئ عندهم وقت ولكل وقت شغل فاذا اتفق ان زارهم احد في ساعة الشغل لم يتحاشوا ان يقولوا له مثلا قد انسأ بك واكن علينا قضاء ما لا بد من المصالح فلا تؤاخذنا وزرنا في يوم كذا فيصرف عنهم عاذرا لا عذلا لانه هو ايضا يعاملهم بمثل ذلك اما عندنا فرجا تعطلت مصالح الانسان بكثرة زواره حتى يضطر اخيرا الى ان يحمل وسادته ويقول شقي الله مريضكم وهذه الصفة اى حسن الترتيب يظهر اثرها بزيادة من اهل الرئاسة والسيادة والادارة منهم فان رجال الدولة اذا ارادوا ان يباشروا امرا من الامور الجسيمة فلما يباشرونه بقاية الاحكام والضبط بحيث لا يوجب تغييرا ما في الاحكام ولا ازعاجا بشئ على الرعية فاذا اضطروا مثلا في وقت الحرب الى تجنيد جيوش وتجهيز بوارج ونخائر فلا يكون ذلك موجبا لاضطراب الناس وتغيير احوالهم او لغلأ الاسعار واذا شاؤا ان يجعلوا على الناس ضريبة لسد مصاريف الحرب احيل ذلك على مجلس المشورة النائب عن الجمهور ومعلوم ان الانسان ليهون عليه ان يؤدي شيئا على يد نائبه اكثر من ان يؤديه على يد غالبية قاهرة وفي بعض البلاد اذا شرعت الدولة في تجهيز العساكر للحرب رأيت جميع الناس يوجون في الاراجيف ويخوضون في التهاول فيظلم اذ ذاك القوى الضعيف ويأخذ المرء بثاره من خصمه وتختل اسباب التجارة ويعدم الامن بين التعاملين فتكون غالبية الحرب مشعورا بها في داخل المملكة اكثر من خارجها وقد كانت مدة اقامتي في هذه البلاد قبل حرب الروس مع الدولة العلية العثمانية وفي خلالها وبعدها فلم يبين لاحد فرق في شئ ما اصلا * ولحق بذلك ان تحصل لوازم المعاش في الصيف والشتاء يكون شرعا فلا يتعذر وجود شئ منها باحد الموانع وفي غير البلاد متى دخل الشتاء وهطلت الامطار تعطلت الطرق واقطع المجلوب من المأكول والمشروب فترى كل واحد متججرا في بيته الى ان يتيح له فرصة الخروج فاذا لم يكن الانسان قد حاشى النملة بان اتخذ مؤنته في داره سيفا هلك جوعا * ومن اعظم ما يؤول الى تنظيم الامور ترتيب البوسطة وضبطها في سنة ١٨٥٥ وضع

وضع في بوسطات لندرة وحدها ٤٦٠٠٠٠٠٠٠ مکتوب وارسل اليها من بوسطات المالك في سنة واحدة ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ولم يسمع الى الآن ان مکتوبا واحدا منها قد اذا كان صاحبه موجونا وسباني ذكر ذلك بالتفصيل عند ذكر لندرة وما فيها وجعل كل مکتوب اذا ارسله داخل الملاكة نصف قرش ولا فرق في قرب المسافة وبعدها وهذا المبلغ التليل تشتري به طابعا مصمما وتلصقه على عنوان الكتاب وقد يبعث بهذه الطوايع من باد الى آخر في ضمن الرسائل بدلا من الفلوس فاذا سمع احد مثلا بذكر كتاب طابع حديثا ارسل الى بائع الكتاب ثمنه من هذه الطوايع فانها خفية خفية بخلاف ما اذا ارسل اليه ثلاثة شلينات مثلا فانها تنقل حجم الرسالة ولا ينجني امرها واذا بعث احد بمکتوب ولم يجد البريد صاحبها بحث عن المرسل والمرسل اليه فان تعذرت معرفة هذا رده الى المرسل والا ابقى في البوسطة مدة معلومة ثم يحرق واذا شئت ان تبعث بكو اغذ مالية اخبرت صاحب البوسطة بذلك فيجعل على ظرف الكتاب طابعا آخر انذارا للبريد من ان يطعم فيه فيفتحه وهناك طريقة اخرى وهو ان ترسل هذه الكواغذ انصافا اعني ان تقطعها انصافا وترسل في اول مرة نصفها فاذا جاءك علم وصوله ارسلت النصف الآخر فيلصقهما البعوث اليه بالآخرى وينفع بهما واذا اشتريت من تاجر ما قيمته نصف شلين فقط وتاولده كاغذا بخمس ليرات صرفه لك فور او ربما تزيد قيمتها في باريس وغيرها على قيمة الذهب وذلك يدل على ما لبك الانكليز من الشناعة والمكائنة وتقليل انواع النقود اى كون النقود تقصر على ثلاثة انواع او اربعة من الاسباب الميسرة للمعاملة بيان ذلك ان للانكليز قطعة من الفضة تعرف بالشلين ثم اخرى قيمتها شليناى واخرى قيمتها شليناى ونصف ثم نصف الشلين ثم ثلثه ثم ربه ثم الليرة من الذهب ثم نصفها فلان كان عندهم قطعة تساوى مثلا شليناى الاقرشا او قرشين ونصف قرش او سدس الليرة او سبعة او ثمنها حصل الثاين او التوقف في الاخذ والعطاء فيا ليت ذلك كان جاريا في البلاد الشرقية وكذلك من ميسرات المعاملة كون نقود البلاد الاجنبية لا يتعامل بها في البيع والشراء في لندرة وانما يمكن صرفها عند بعض الصيارفة ولا تغير لاسعار نقودهم قطعا كما يقع في بعض البلاد كما لا تغير لاسعار البياعات فالك اذا اردت ان تشتري شيئا من عند تاجر لم تجر العادة

باحتطاطه من الثمن ولا سيما اذا كان المبلغ زهيدا وبذلك يحصل راحة للبائع والشارى ونفعت العامة • ومن ذلك عدم التعنت على الساء فيما لا يكون به مثابة للعرض فاذا كان الرجل مثلاً غائباً وجاء منزله فوجد رجلاً يحادث زوجته لا يتناولها بالهراوة او القذع ويقول لها يا فاجرة يا عاهرة لا يجمعنى واياك مكان من قبل ان يعلم سبب زيارة الرجل فلما اذا عرف منها الحيانة فلا رجة بعدها ولا اعتذار وانما هما خطتان اما ساكنين واما سمر وكثيرا ما سمعت زوجة الرجل تقول للضيف بحضرة زوجها خذ يا عزيزى وهات يا عزيزى • ومن ذلك الامن فى الخروج ليلا من دون فانوس ولا باب يقفل على السارى والامن للمسافر ايضا فى البلاد فان الانسان ليسافر فيها ليلا وهو فى آمن حال واصفى بال مما لو سافر فى بلادنا نهارا وترى الولد يمشى فى المدن الكبار وحده ليلا ولا يخشى شيئا ولا هيبه لذوى المراتب والمناصب منهم او للعسكر والشرطة عند المارين بهم وان البنت التى لم تبلغ عشرين تسعى بعد نصف الليل وتر بالشرطة فكأنها مرت على بعض اقرار بها قسألهم ويجاوبونها وتسترشدهم بغير حشمة ولا انتباض فيرشدونها ويذهبون معها وليس للشرطى حق ان يدخل بيت احد الا باذن الديوان لسبب خطير ولا ياخذ غريبا محتوقا الامن الطريق وفى البلاد الشرقية اذا كلفت المرأة بعض الشرطة او العسس ليلا لم يلبث ان يجد اليها يده ويهتك حجابها وهيئات ان ينتقم منه منتقم وعندى ان عدم الهيبة والخوف على صغرهو الذى يورث جبل الافرنج جميعا الاقدام والجرأة على الامور والكلام ويزيدهم بسطة فى الجسم والعقل ويطوى بهم عن الشيب والهرم فان القاء الزعب فى قلب الصغير كلوا فى الرياح العاصفة على الغرس حتى تمكن منه جعله بعد ذلك غير صالح للمساعى الجليلة وما عدا خوف الحكم والظلام ورؤساء الديانة فى بعض البلاد الشرقية فان الامهات يزرعن فى قلوب اطفالهن الخوف من العفريت والروح الشرير والخيال والظلام وغير ذلك فثبت العائدتان ولولا ان اهل الشرق من طابعهم التسليم للمقدور لما رأيت منهم احدا تصدق عليه صفة الرجولية وقد صار الآن كتاب الاخبار فى هذه الديار يلومون ارباب السياسة على قلة الامن للمشاة ليلا فى طرق لندرة وسبب ذلك رجوع اولئك المنفيين كما ذكرنا الا ان هذا عارض يرجى زواله وكذلك فشا اليوم على خيانة البريد لعدم

لعدم تسليم الرسائل الا انه ايضا من الامور الطارئة • ومن ذلك اختصارهم الكلام مع المخاطب اذا اعتمدتهم بشئ فاذا احتاج الصغير الى الكبير في شئ قال له اني ارجو ان تكون من المحسنين الى بتحويل طلبتي فاكون لك من الشاكرين فهذا ينفي عن قولنا يا بدر الكمال ويا بحر النوال يا من يلجئ اليه الصافون ويحجج الى كعبة فضله العائدون ويا من صيته طار في الافاق وملا الاسن والاوراق ويا من ويا من فيكون جواب الكبير له بغير ملت سائلا جهدي في مصلحتك واخبرك فهذا ينفي عن قولنا على الرأس والعين حيا وكرامة لا بد من ذلك فان الخبر مشترك ونفعك من نفعي والحال واحد حالة كون النية غير متعقدة على العمل فاما اذا رأى المسئول نفسه غير قادر على احساب سائله ونفعه قال له مصرحا ان سؤلك فوق طاقتي فاقصد غيري ولكن متى وعد فلا بد من انجاز وعده فلا محال ولا مطال الا انه لا ينبغي ان تفهم من هذا ان الامور الخطيرة عندهم تبت في الحال فان لها من التوقيف والتعين ما يعي به صبر المتظر اذا لا يبرم عندهم امر من اول وهلة الا ان يستفرغ فيه البحث والزوى فعلى قدر ما يهون عليهم ارجحال المقال يصعب عليهم ارجحال الفعالي حتى ان ديوان المشورة لا يبت شيئا الا بعد استفراغ الكلام فيه وانما المراد انهم لا يعدون بما لانية لهم على وفائه كما يحدث في بلادنا فيبقى الموعد رهين الاماني يطعم الملت ويسقى الوعود ثم لا يحصل من بعد ذلك على شئ فينتج منه التكذيب من قبل الموعد والتكيد من قبل الواعد وفي الجملة فليس بين الانكليز عروق ولا اشعب وعندى ان هذا الاختصار هو في اغلب الاحوال اساس للمصالح ووسيلة للتجاح فانه اذا كان احد مثلا معطلا عن الشغل وطلب وظيفة من احد الانكليز فانه يكتب اليه كتابا ويذكر له الشروط فاذا اعجبه ذلك اجابه حالا الى سؤاله والا قال له لا يمكنني فيسعى الرجل في تحصيل وسيلة اخرى اما عندنا فاذا طلب احد من مخدوم وظيفة قال له يا حبيذا ليس غيرك اجدر بها ولقد طالما بحثت عن رجل مثلك متصف بهذه الصفات ولا سيما انك انصفت في الطلب ولكن امهلني ريثما اقضى وطرا الى فربطه بهذا الوعد ثم تمضي مدة والرجل راكن الى وعده فاذا سأل مرة اخرى مطله بحيلة اخرى الى ان يقول له اخيرا قد استخدمت غيرك او قد استغيت عنك الا ان الانكليز غالباً قد فرغوا من هذا الاصل

فروعا لا تناسبه منها انهم يعاشرون من يكون له عنده مصلحة شهورا
وسنين فاذا انقطعت اسباب المصلحة انقطعت العشرة واذا اشترت من احدهم
بما قيمته الف ليرة مثلا دفعة واحدة فاذا راك في غير حاتوته لم يلتفت اليك
فلا يعرفك الا في الدكان • ومن ذلك اى من الخصال المحمودة
الحرص على ما يؤتمنون عليه فاذا سلمت لاحدهم مثلا طرسا فانه يصونه عنده
بمثلة طرس نفسه حتى اذا استرجعته بعد سنين اعاده عليك كما تسلمه بل ربما
ازال عنه الوسخ وردك اليك نظيفا وقال لك وهو معتذر قد نجاسرت
علي ان ازلت الطبع عن الطرس وارجو انى ام اسى فيما فلت وقس على هذا
سائر ما تأتمنهم عليه وينضم الى ذلك احترامهم الرسائل فلا يفتح احدهم كتابا
جاءه باسم غيره بل يبذل جهده في ابصالة اليه واذا زارك منهم زائر فلا يمد يده
ولا طرفه الى ما بين يديك من الصحف فاذا اراد ان ينظر فى كتاب لم يلمسه
الا بعد ان يستأذنك وفي بلادنا اذا اعرت احدا كتابا اعاره هو الى آخر والاخر
الى آخر وهم جرا فرجالهم بعد اليك منه عين ولا اثر بل يرى نفسه اولى به وان لم
يستقدم اما بعد قدرته على فهمه او لكثرة اشغاله بل التيسيسون ايضا لا يتورعون
من هذا واذا شرفك بزيارته قال ما يطمع نظره فانما هو الى اوراقتك وحالا
يمد يده ويخطف منها ما شاء فكأنما هو جاسوس جاءك ليطلع على اسرارك
لا لآنس بمحدثك • ومن ذلك ان اصحاب المراتب عندهم لا يقبلون المصانعة
والرشوة من احد لتحويل اربه وان علم انه ارتكب ذلك اقتص منه كما يقتص
من السارق ولم ينفعه ان يؤدى الرشوة التي اخذها مضاعفة نعم ان المراتب
هنا انما تعطى غالبا بالحبابة والاستحباب لا بالاستحقاق والاستحباب فان الامير اذا نوه
بشخص من اقاربه او معارفه عند ذى مرتبة وسيادة نفذت كلمته عنده ولو ان
شخصا متصفا باحسن الاخلاق ومحمليا بالعلم والفضل حاول بنفسه ان ينال
تلك الرتبة لم يلتفت اليه الا ان هذا الداء عام في جميع الممالك • ويلحق بما تقدم
من تفضيل الاستحباب على الاستحباب ان الثغر من العسكر لا يمكن ان يرتقى
الى مرتبة ضابط وان ارتقى الف حصن العدو وابدى من الشجاعة والبراعة
ما يقصر عنه قائد الجيش فهو نفر من يوم اكتبته الى يوم خروجه من الخدمة
والحياة وبعد ان يقضى خمسا وعشرين سنة في الخدمة يعفى منها ويبعث له
نحو

نحو اربعة قروش في اليوم والامير امير من يوم ينزل من ظهر ابيه الى يوم
يركب ظهر النعش ثم يدوم ذكره كذلك الى ابد الابدين فكان ترتيب اصناف
الناس عندهم بمنزلة ترتيب اعضاء الجسد بمعنى ان لكل عضو خاصية ووظيفة
لا يتعداها ولا تتعداه فالرأس لا يزال رأسا وان سرى فيه الحرف والفند
والعور والصمم والدرد والقدم لا تزال قدما وان هي انجته وانجت الجسم
كله • وهذا التخصيص من وجه آخر شديد رشيد فان ناظر الامور الخارجية
عندهم مثلا ليس له حق في ان يدمق على ناظر الامور الداخلية في شيء وناظر
مجلس المشورة ليس له جدارة بان يحكم على احد الباعة بشيء من محراب صرحه
وقس على ذلك فاما في بلادنا حرسها الله فان ناظر المدافع جدير بان ينظر في
جاود بني آدم ويصفغها بلون الدرة والسوط او يسر ما هي عليه من الطراوة
والنعومة والمحتسب خليف بان يزن اعمال عباده الله واموالهم في يوتهم ويزوز
ما في عياب صدورهم من الخواطر والافكار والحكام او للمطران ان يسقط حق
المحق لحرف اسقطه في الكلام والضابط ان يبيت الناس في مضاجعهم وللشرطي
ان يقبض على اى شخص كان ولضابط العسكر ان يخترط سيفه على اى عنق
سخت له وللبطرك ان يحرم اى شخص كان من رعيته حتى لا يعود لاحد من اقاربه
واهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته والى من المشتكى وابن التصير وابن
المجير فيا ليت شعري متى نصير نحن ولد آدم بشرا كك هؤلاء البشر ومتى
نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا أنحال ان معنى التمدن هو ان يكون الناس
في مدينة وفيها ذئاب وسباع كلاتم كلا جبر ان اجتماع الذئب والحروف
في مرعى واحد ليجب على اليهود ان يؤمنوا بان المسيح قد جاء • ومن ذلك
تنشيط اولادهم الى الاشغال وتربيتهم على ما يكسبهم وايامهم الرزق الكافي والمواظبة
على الاعمال والصبر على ما يعاطونه جل او حقر فانهم لا يملون من السعي
ولا يرون في الكسل راحة ولا يقول احدهم اتى كبرت عن تعلم شيء فلا
يزالون دائبين كالثلل ما دامت فيهم نسمة تتحرك ومع كل هذا التجلد والتحمل
فتي ضم احدهم او سقط شرفه او مال نجمه فاهون شيء عليه نحر عنقه
وذلك عندي من جملة الافعال المتناقضة في الطبع البشرى وجل سعيهم في شبابهم
انما هو لتحصيل ما بهنهم في شيخوختهم حتى يمكن لهم تربية اولادهم فلا

يحتاجون الى التكفف او الى ملازمة المستشفيات والملاجئ المعدة للعاجزين وكل منهم يعمل بقول الشاعر

* قليل المال تصلحه فيني * ولا يبق الكثير على الفساد *
فاما قول عروة بن اذينة

* لقد علمت وما الاسراف من خلق * ان الذي هو رزقي سوف يأتيني *
* اسعى له فيعيني طلبه * وان اقت اتاني لا يعنيني *

فانه بعد عندهم من الاماني الفارغة الباعثة على التواني غير ان حب التناهي غلط فان تطبيق العبد لتوفيقه ونجاحه بالكلية على سعيه وكده لا يخلو من ازدراء بعناية المولى وفيه من وجه آخر تقسية للقلب فان الانسان والحالة هذه يهون عليه ان يفارق وطنه وسكنه لاجل المال وهذا الداء فاش ايضا عند المثرين والموسرين هنا اذ الفنى منهم قد يكون له ابن وحيد فيعيثه الى الهند او غيرها طلبا لوظيفة سامية وربما جمع به بعد قليل وهذا يعد من وجه انه ناشئ عن كبر همة وسوء مطمح ومن وجه لك ان تعدد من الحرص والطمع ففوق بينهما ان استطعت * وبلحق بذلك ان الشيخ القاني منهم اذا اراد مثلا ان يبنى بيتا او يأتى امرا فانما يجعل همه في تحصيل المنفعة منه في المستقبل أكثر من الحاضر وفي غير البلاد لا يزال الابتغى الحال ولا يكاد يتجه امر يرجى منه نفع وصلاح الا وتجردت له جعاعة فقيريه على وجه مرغوب ونحو مطلوب وكلما اخترع احد شيئا قصد به غالبا احدى هؤلاء الجماعات ايشارا لهم على اهل بلاده لعله بانهم يعرفون اجرة العامل فيعينونه على اجراء امرائه بما فيه نفع له ولهم * ثم انه وان يكن قد غرس في طبع كل انسان ان يحب وطنه ويفضله على غيره ولا سيما اذا سافر الى بلد هو دون بلده في طيب الهواء ورغد العيش وحسن الاحكام الا ان هذه الخلقة تكاد ان تكون من خصوصيات الانكليز فانهم ايان يتغربوا يظلموا للهجين بذكر بلادهم وما فيها من المحاسن واللذات وقد رأيت كثيرا ممن سافروا منهم الى بلادنا والى مصر والجزيرة وباريس وغيرها فأتوا على تلك البلاد بشيء وافق طباعهم منها الا انهم عند ختم الكلام يقولون لا شيء مثل انكثرة القديمة وانما يصفونها بالقدم لعدم تحول احوالها وتغير عاداتها كما ان اهل باريس يقولون ليس الا باريس ومع ذلك فالك لا تزال ترى الانكليز

الانكليز طوافين في جميع البلاد وراكبين متي البحر والبر معا ولكن لا تكاد ترى احدا منهم يسافر الى البلاد الاجنبية لاجل ان يعلم التصوير او الرقص والفناء كعادة غيرهم من الافرنج وانما هو التجارة اما الامراء والاغنياء فانهم يسافرون للنزوة واحبا بنا لاجل تخفيف المصاريف فانهم مهما بصرفوا في غير بلادهم فلن يبلغ ذلك نصف ما يصرفونه وهم في اوطانهم ورب وليمة عندهم ينفق فيها نحو مائتي ليرة فتزى منهم في كل قصبة من بلاد اوربا الوفا ومتى رجع الانكليزي الى بلاده انشد مع الشاعر

* فبشرت آمالي بملك هو الوري * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر *

ولا شيء يعجبهم مثل ان تمدح بلادهم وعاداتهم * هذا وان من طابع الناس عموما اذا احتاجوا اليك ان يعزوك ويحتفوا بك ويروك اهلا لكل مكرمة واذا انت استجبت اليهم استحقوك ورأوا فيك العجز والنذل الا ان هذه الخصلة غالبية على الانكليز جلة وتفصيلا فمن رام ان يكرم نفسه عندهم فليظهر لهم انه مستغن عنهم ولا يعرض لهم في طلب شيء ولا في استعارته وبناء على ذلك يصاحبون من يصاحبون اياها وشهورا وسنين ولا يسألونه عن مقدار دخله وخرجه ولا يريدون ان يسمعا ذلك منه اذا ذكره ومتى حلت هذه العقدة انقطع الجبل فذلك عندهم من السر الذي لا ينبغي افشاؤه الا عند الضرورة المقضية له وكذلك لا يسألونه عن معتقده ومذهبه وعننا متى تعرف احد بذى مقام فأول ما يشف سمعه به من المسائل قوله له من اى ملة انت فاذا لم يكن المسئول على ملة السائل سقط من عينه الشريفة او بقي فيها كالقذى ان بقي محتاجا الى عشرته فلما مسائل الاخوان والعشراء فاولها كم دخلك وثانها كم خرجك وثالثها كم مرة تعترف في السنة ورابعها هل تأكل البيض يومى الاربعاء والجمعة الى آخره * ومن طابع الانكليز انه متى وثق احدهم بانسان وعرف منه الجلد والاستقامة والامانة يأتمنه على زوجته وبناته فيذهبن معه ليلا ونهارا بلا مانع ومن يحضر الى بلادهم بوصاة من عند معارفهم احتفلوا به وعلوه منهم وعموا آذانهم بعد ذلك عن سماع ما يقال فيه من الذم ولكن بشرط المحافظة على ذلك الاصل وهو اظهار التشيع والاستثناء فلما اذا كان ذا بسطة في الجسم ومهضة جمال في الوجه فلا يعود يشينه شائن ولا يزخرجه قاذح

وطاعن ومتى دخل تحت حاية امير منهم فقد دخل في ذمة السموءل وفي حى
كليب فهو يحامى عنه بكل ما اطاق فهذا الداب من جهة يعد من المناقب ومن
جهة اخرى لا يخلو من الذام فان المعتد يصدق الموصى به ثقة بالموصى وعدم
تغير اعتقاده فيه وان سمع عنه ما يشاء يترجم بفعله هذا واصراره عن عدوته
ومحالية طروء النفس عليه فيما قرر عليه رأيه ووطن نفسه حتى لا يحتاج بعدها
الى ناصح ينصحه ومنبذ يرشده فامرسل في هواء الى ما يعرضه لطعن العائين
ونقد الثكرين والليب من لا يركن الى هواء ولا يثق بثقته بل يشك في نفسه
ويستريحها حتى يوديه الشك الى اليقين وبعد فهب ان ذلك الشخص الموصى به
كان جديرا بالاراعة والاجارة وهو في بلاده او اول دخوله بلاد الانكليز فقد
يحتمل انه عند مشاهدته هؤلاء القوم على هذه الاحوال التي لم تكن تخطر له
بال قط تنغير اخلاقه ويلبس بصفات لا تشاكله فقد عرفت كثيرا من قدم
اليهم من البلاد الشرقية وعليهم سميت الاستقامة وسمت الزاهة فلما رأوهم على
هذه الحال من التشوف الى معرفة بلادهم ومن اتقانهم الغرائب على بناتهم
واكرامهم لهم لاجل الوصية التي قدموا بها اتخذوا لهم ريشا غير الذي
جاؤا به واتخذوا لانفسهم صفات وما لم يكونوا يحاؤون بها من قبل قط
فبعضهم قام في الناس خطيبا يحكى ما علمه من احوال بلاده وبعضهم طمح الى
ان يتزوج فيهم من يكون عندها من المال ما يشرى به املاك اهل بلده او
قرية وبعضهم اخذ في التأليف وحشر نفسه في زمرة علمائهم وكلامهم فان ان
الانكليز طعمة للاثم ولقمة للملتقم واول ما يخطر ببال الدخيل فيهم اذا كان عزبا
انما هو ان يتزوج احدى بنات الاعيان او الاغنياء ليستغنى برزقها عن الهم
والنصب والتفكر في المقلب وفي الحقيقة فقد صدق فيهم مؤلف حاجى بابا وهو
ان الانكليز اذا تعرفوا بغريب فلا بد من ان يرفعوا من قدره ثلثا لمحقهم من
تعارفهم به وصحة تشينهم فربما اتخذوا له لقب امير او سيد حتى يتوهم الرجل انه
في الواقع كذلك • ومن طابع الانكليز ولا سيما كبرائهم ان يفروا من
الرخيص وان يكن نفيسا وان يتهافوا على الغالى وان يكن خسيسا وعلى ذلك
يحكى ان رجلين كانا يتحدثان في هذا المعنى فقال احدهما لصاحبه ألا اتى
فاعمل بهؤلاء القوم امرا يسخر منه كل من يسمع به ثم عمد الى كيس وجعل فيه
دنانير

دنائير من ذهبهم وقعد على قارعة الطريق وجعل ينادى من اعطاني شلينا
 اعطيت دينا من هذه الدناير بدلا منه فجعل المارون يتضحكون منه ويقولون
 لعمر الله ما قصد بذلك الا غبن الناس فطلق يصرخ باعلى صوته ويقول يا ايها
 الناس هاؤم الذهب بدل الفضة وعليكم بالثقاد فلم يكثر له احد * واعرف
 بعض الجهلة كان يقرأ النحو على رجل من ذوى التناعة والزاهة ثم يعلم جماعة
 من اعيانهم ويتقاضى كل منهم على تعليم ساعة واحدة نصف ليرة فكان الناس
 يهرعون اليه ويعرضون عن معلمه لانه كان يتقاضاهم ربع هذا المبلغ تدمبا
 وتورعا واذا كان احد مثلا متوظفا في وظيفة سنية وقصدوه ان يقضى لهم
 امرا اعطوه استعاف ما يعطونه لمن ليس له شغل الا قضاء تلك الحاجة بعينها
 ومن كان معاشه من حرفة له وان تكن تلك الحرفة عقلية لا يدوية لم يكن له
 مقام من لا حرفة له سوى الحرق والبطالة وعلى هذا قال الفاضل كوزد سميت
 ان الناس من شأنهم ان يستحقوا بالعارف التى يتعبد منها وقد يتفق مثلا ان
 يكون طيب لطاسي وآخر متطبب فاذا كان لهذا عاجلة ودار رحيمة وخدم
 اقبلت عليه جميع الامراء والعظماء وادبروا عن ذلك لكونه ممن يمشي على
 رجله ما لم يؤلف كتابا ويظهر فيه براعته فكم من ملكات جليلة تبق في زوايا
 الجول بسبب هذا التزجيج الزائع نعم ان زيادة شلين واحد في ثمن المتاع عندهم
 يوجب فرقا عظيما الا انه ليس من العدل ان تقاس الناس بالبياعات فكم من عالم
 عاقل وليس عنده كتاب وجاهل غبي ولديه اصابير كتب نفيسة * ومن
 طبع الخاصة منهم ان يحبوا معاشره العامة ما امكن ولذلك سببان
 احدهما وهو المشهور عند الناس عظم الفرق الحاصل بين الفريقين في الاموار
 والاخلاق فان العامة في هذه البلاد ليس لهم حظ من الكياسة كما عرفت مما
 مر بك ولا تكاد خلافتهم وعاداتهم ترضى احدا من البشر من كان ذا ذوق
 سليم وطابع مستقيم فالأوباشية ظاهرة عليهم في كلامهم وحركاتهم وتخبرهم
 للالوان وفي تصرفهم وغنائمهم وضحكهم ومعلوم انه من يكون قد قرأ ودرى
 يستكف من مخالطة امثال هؤلاء والسبب الثاني وهو ما خطر لي ان اصل عليه
 الناس هنا من اجيال مختلفة فان الذين قبحوا هذه الجزيرة كانوا من فرنسا
 وشمالي اوربا ومعلوم ان هؤلاء الفاتحين هم الذين استولوا على ارض الجزيرة

وعلى الراتب واللقاب الشريفة وان الانكليز اتفق بقوا بينهم مسودين
 مرؤوسين ففي هذا الفرق في اعقابهم قال فلتير انه بعد وفاة الفريد ملك انكلترا
 وذلك في سنة ٩٠٠ اخذت امور المملكة وتضعضت اركانها فكان القتال مسترا
 بين الصكسونيين وهم اول من غزوا الجزيرة وبين الدانيريين ولما كان هؤلاء
 اعز واقوى من الانكليز لم يكن لهم بد من ان يؤدوا اليهم ٤٨٠٠٠ ليرة
 لنصرفوا عنهم وذلك في حدود الالف قال ثم ان كاثوت ملك الدانيريك جاز في
 حكمه على الانكليز وبغى وطغى وفي سنة ١٠١٧ اغتاسهم تحت حكمه وعالمهم
 معاملة الاسرى فكان الدانيرى اذا مر بالانكليزى يلجئه الى الوقوف الى
 ان يمر فلما انقضت ذرية المذكور عادت الى الانكليز حريتهم فلكوا عليهم
 ادورد الصكسونى وكان يلقب بالتدريس المعترف وانما قيل له ذلك لانه
 اعتزل زوجته عن كراهة لها ومات ولم يعقب وعند وفاته قام الامير وليم دوك
 نورماندى يدعى بان له حق الولاية عليهم مع انه لم يكن له حق بولاية
 النورماندى الا ان حقوق الولاية والملك حينئذ لم تكن في اوربا كما هي الآن
 وكان من جملة دعواه انه قال انى لما سافرت الى جزيرة انكلترا اجتمعت بالملك
 ادورد فجمعتنى ولى عهده واتى انفذت الملك هرلد من سجنه فوعدنى ايضا بنقل
 الملك الى ولما عرض ما نواه على اهل النورماندى وقع بينهم الخلاف في شأنه
 فخم من ابى ان يساعد، ومنهم من رأى في ذلك مصلحة ومن جملة هؤلاء
 الدوك فتراسبورن فانه جهز معه اربعين سفينة وامد ايضا حوه الكونت
 فلاندرمال وكذلك البابا اعلاه وحرم كل من يجانعه فسافر حتى بلغ ساحل
 صاكس فلقبه هرلد ملك الانكليز بالجيوش ونشبت الحرب بين الفريقين فقتل
 هرلد واخواه وانهمزمت الانكليز امام وليم فزحف بالجيوش نحو لندرة وهو تاسر
 علما كان قد بارك له البابا فدخلت الاساقفة في طاعته واقبلت اليه القضاة
 بالتاج فلما استوى على سرير الملك اذل الدانيريين واهل الجزيرة وقهرهم اى
 قهر واحسن الى اهل النورماندى الذين اعانوه واجرى عليهم ارزاقا واقطعهم
 اقطاعا جمة فن ثم كثرت هناك عيال النورمانديين الذين لم تزل اسماء
 ذرارهم معروفة بين الانكليز قال وكان دخل هذا الملك اربعمائة الف ليرة
 وهى تبلغ بحساب قيمة الدراهم في زماننا هذا خمسة ملايين من ليرات الانكليز
 قال

قال ثم ان الملك المشار اليه ابطل ما كان عند الانكليز من الاحكام والشرائع واقام
 شريعة النورماندين مقامها واجبر اهل الدعاوى على ان يتدعوا بلغة قومه
 وكذا كتب الصكوك والاحكام فبقيت لغته مستعملة الى عهد ادورد الثالث
 وكانت تلك اللغة فرنساوية مختلطة بالدانيرية بعيدة عن الفصاحة بأشدة عن
 البيان وكان مما سمه الملك على الانكليز اطفاء مصابيحهم في الساعة الثامنة من
 الليل وذلك عند سماعهم صوت الجرس الا ان هذه العادة كانت جارية ايضا
 عند غيرهم من سكان البلاد الشمالية وكان البادئ بها اهل الكنيسة انتهى فقد
 علمت مما تقدم ان عليه الانكليز هم من الغرباء الذين قبحوا هذه البلاد فان قلت
 اذا كان الامر كذلك فما بالهم يخالفون عليه فرنسا والدانيرك في الطباع وفي كونهم
 كما سبقت الاشارة اليه كالزيت لا يختلطون بغيرهم انفة وتكبيرا قلت وما بال جو
 الانكليز لا يشبه جو فرنسا أفبكران للهواء تأثيرا في الخلق والخلق معا سواء كان
 في الحيوان الناطق وغير الناطق فلو جئت ايها الرمش البش الخلق المحيا الباسم
 الضاحك المقهقه الى هذه البلاد وبقيت فيها شهرين او ثلاثة لا تبصر الشمس
 الا من وراء حجاب لاغناك الخبر عن الخبر وحيث قد ترفعت الكبرياء من الانكليز
 عن هو دونهم من اهل بلادهم وصار ذلك دأبا لهم وديارا يرثه الولد عن والده
 والخلف عن سلفه جروا على ذلك ايضا مع الغرباء ما لم يبين لهم انهم نظر اؤهم
 في الهمة والمعالى فحي اعتقدوا ذلك منهم لم يأنفوا من معاشرتهم والحق
 يقال انه لا مناسبة بين عليه الانكليز وسفلةهم بخلاف غيرهم فان الامير عندنا مثلا
 لا يفضل الناس الا بامارته لا باخلاقه وآبائه ومعارفه اذ جميع الناس في ذلك
 متساوون وايضا فحيث كانت القاب الشرف عند الانكليز قديمة وعريزة كان لها
 عندهم اجلال وتعظيم يفوق الحد حتى ان اعظام اللقب عندهم اعظم من اعظام
 الماتب به فان الشريف اذا مشى مثلا في الشوارع مع عامة الناس لم يكثر له احد
 ولم يرق له قاعد وقد يسوغ الطعن فيه والتشديد بمعايه ولكن لا يسوغ الازدراء
 بمنصبه وجلالة لا بالنطق ولا بالكتابة وما احد من الانكليز ينكر انه مجرد اتصاف
 الانسان بجلالة يجب له التعظيم والتكريم ومن اعظم شاهد على ذلك نصب ضابط
 البلد فانه قد يكون من اهل الحرف والصنائع فحي حصل على هذا الجلاء صار مساويا
 للاشراف والسادات حتى ان سائر الوزراء والامراء يأكلون عنده ويخاطبونه وما

ذلك الامراة جلالة ومتى عزل رجع الى حاله ولم يأكل معه احد منهم ولو جاء بالنسوى والكلام على كيفية نصبه وعزله ستذكره في وصف لندرة ان شاء الله تعالى وما احد يرتقى هنا الى درجة سامية عن ضعة الاهد الضابط فاما الوزراء ورجال الدولة فكلامهم متأصلون في المجد فلا يصح عندهم ان يتبدل المراتب العالية فيتقلدها صبي حلاق او خادم جزار والشاهد الثاني ان بعض اهل بلادنا وغيرها يقدم عليهم وعليه برذعة لقب فيكرمونه غاية الاكرام ويوثونهم بماء اسنى ومعاما اعلى وهو مع ذلك لا يدري ان يقوه بمدحهم ولا يهجوهم اما الفرنسيين فانهم انما يكرمون اللقب اذا كان جديرا باللقب ومن كان ذا معارف واخلاق حيدة عندهم اغناء ذلك عن حاس الجلاء ولا شك ان الفضل بغير جلاء خير من الجلاء بغير فضل وقد كنت ترجعت نبذة من لغتنا وبعض محاولة لاجل ان يطبعها بعض الوراقين بلندرة فلما انتهى طبعها كتب في صفحة العنوان انها من تأليف فلان مدرس اللغة العربية بالطنجة سابقا و مترجم جميع اسفار التوراة والانجيل ومؤلف كتاب الغاريق الى آخرة فقلت له ما الموجب الى ذلك كله فقال ان الانسان هنا انما يعتبر بالتعاه لا بالتعاه وخلوا من تعديد الالقاب لا يباع كتاب * وكل عيلة شريفة من هؤلاء الرؤوس لباس مخصوص لخدمتهم وخدمتهم ولهم ايضا لهجة مخصوصة فيها للجلمة في الكلام او كما يقال رخاوة حنك حتى ان اللاعبين في الملاهي بما كوفهم بها ويخرون منهم ولهم ايضا تطس زائد في مراعاة جانب العرض فانهم لا يقبلون في مجالسهم من علم انه عائش مع امرأة على وجه المتعة او السفاح وعند الفرنسيين لا حرج فيه وكذلك لهم تشدد في الصدق فانهم اذا عرفوا من احد الكذب ولو مرة واحدة سقط اعتباره من اعينهم ومع ذلك فهم اكثر الناس عرضة للتدجيل والخداع ومنها ان معاشرتهم لازواجهم اشبه بمعاشرة الاجانب فلا يأنس احد بشئ من الدالة بينهما فينهما من التحشم والتكلف ما بين الغريب واحدهما ولا يقول السائد عن امرأته زوجتي قالت او قريبتى بل يقول قالت الست ولا يتفح رسائلها التي ترد باسمها ولا يتطال الى معرفة احوالها و اذا اتاها زائر رجلا كان او امرأة جلس معها من دون حضور زوجها واذا كنت في جحرتهما لم يدخل عليها الا بعد ان يقرع الباب ومتى ارادت الخروج فلا

فلا تستأذنه وإنما تشعربه أشعارا ولها أن تستخدم من شامت وإن تذهب إلى الملاهي مع معارفها سواء كان زوجها صحيحا أو عيلا في الفراش وإذا زارهم أحد من معارفهم أو أصحابهم يأتمنونه على بناتهم ونسأتهن فيخرج معهن ليلا ونهارا والغالب أن يكون خروجها أو إلى الكنيسة ليقف لها كتاب الصلوات والإنجيل والتوراة وهو من أعظم التأنيب عندهم ثم يعقبه الخروج إلى الملاهي ليقف لها باب المخدع الذي يجلس فيه ثم إلى المنزه ليقف لها باب الطريق أو باب العاجلة وهكذا تتوالى الفتوح وليست هذه العادة عند الفرنسيين فانهم لا يأتمنون على نائهم ذكرا وقفا تخرج البنت هناك وحدها أو تركب الخيل وتسايق الرجال كما تفعل مخدرات الانكليز ولعل ذلك هو بعض الأسباب الذي من أجله تراهن مشوقات مهففات قتل أن ترى فيهن بابتة هذا ما عدا كشف صدورهن في الولائم ورقودهن في النهار دون الليل الذي جعله الله سكنا وراحة للبدن وإذا تزوج رجل امرأة وكان عليها دين قبل الزواج وجب على الرجل أدائهما وإنما يكون ولي مالها وملكها واعلم أن الرجل في عرف الشرع هنا هو ولي أمر المرأة فلا يسوغ لها أن تبرم أمرا خطيرا من دون إجازته إلا أن عرف العادة والاستعمال يوجب للمرأة كثيرا من الحقوق والأمر على الرجال فإن إخضاع النساء في كل مكان وزمان أمر صعب ولا سيما في المدن الكبار التي يباح لهن فيها الخروج والزيارات فلا يسع الزوج إلا المياسرة والملاينة لامرأته وعانة نساء الكبراء هنا عند السلام أول مرة أن لا يسلمن باليد بل بإشارة من الرأس وفي المرة الثانية بمس الأنامل فقط وفي الثالثة بنصف الأصابع وهلم جرا وينبغي لمن أكرمهم الله عز وجل بزيارة أحد هؤلاء الامجاد والماجدات ألا يذهب إلا في وقت الزيارة المعلوم وهو بعد الضحى وإن يكون مجعلا باللباس الفاخر نظيف الثياب حائقا شاربيه مرجلا شعر رأسه باردا انظافيره مسحاً عليه سائرا كفيه بمجلى ايض فان قولنا المرء باصفره ولا تكلمك العباءة وإنما يكلمك صاحبها ورب حرثوبه خلق لا يحمل له من الاعراب عندهم وينبغي ايضا أن لا يحرق فيما يراه من المتاع والاثاث ولا يمس باصبعه فان كل ما يكون بالمجلس حرم ولا يتندر الرجل بالخطاب ولا يكن سائلا فإذا كلمه مولى الدار ثلاث كلمات اجاب بثلاث وإن زاد فليزد ولا يلزه في الجلوس وإن مس كوعه فصلاة الاستغفار ويندب المثنى على البساط قورا ومن العيب

ان يذكر الانسان بمحضرتهم اسم رجله او ساقه او ظهره واقبح من كل فينج
 ان يقول بطنى حتى ان لفظة البطن بلغتهم مستهجنة ومثله الفخذ حتى من الحيوان
 وفي بعض البلاد قد تقول المرأة اذا دعوتها للاكل بطنى ملاّن ولا تستحي
 ولا يحك بمحضرتهم موضعاً من جسمه ويفرض ان لا يصبق ولا يسعل ولا يخط
 ولا يفخر ولا يتجشأ والعياذ بالله ويندب ان لا يتخنج ويجب ان لا يشم منه رائحة
 الدخان واعرف سيدة كانت اذا شمت رائحتها في ثياب زوجها سوءاً كان منه او
 من غيره اجبرته على نزعها وقد كان دعائى بعضهم الى ان ازوره وامكث عنده
 اياماً ليسمع منى لفظ العريية وقال لي قد جئتك من مكان سحيق قصد ان تنزل
 عندي ولك على كل ما يرضيك قلت له لكن ينبغي ان تعلم انى اتعاطى الدخان
 وان نساء الانكليز لا يسمحن به فقال ان حول الدار بستانا فتى اردت ان تدخن
 تمضى اليه فقلت في نفسى هذا اول المباحث على الصنت ثم قلت له اذا طلمته في الليل
 فهل اقوم من الفراش واجل الحاف الى البستان قال بل تدخن في حجرتك فاجبت
 الى ذلك وسافرتا معا فلما بلغنا منزله سلمت على زوجته فكان اول ما خاطبتني به
 ان قالت طب نفسا من جهة تعاطى الدخان فلما نظفت الحجرة منه **كل يوم**
 فاستدلت من ذلك انه كتب لها قبل سفرنا في هذا الامر الجليل * واذا زارهم
 احد اول مرة ولم يكن من معارفهم فلا بد من ان يعطى الخاجب تذكرة
 مكتوبة باسمه فياؤها الخادم سيده في صحيفة من الفضة او البلور ولا يكاد
 يدخل عليهم زائران في وقت واحد وقد يكون عند البواب دفتر يكتب فيه
 أسماء الزائرين في كل يوم وفي الجملة فان معاشرة هؤلاء الرؤوس تنعب الرأس
 والرجل معا وتضع كثيرا من الوقت والمال وربما دعاك احدهم الى غداء
 فقام عليك ذلك الغداء ثمن عشرة اغدية * ومما يحمد من هؤلاء النبلاء انهم
 لا يضعون في اريدتهم سمات الشرف ويطوفون به في الطرق تهويلا على العامة
 كما تفعل نبلاء فرنسا وانما يتحلون بها في اوقات معلومة وكذلك الخواتين لا يتعلمين
 بالخلي والجواهر الا في الولائم والسهريات ونحو ذلك * ومن ذلك خطابهم
 خدمتهم بالرفق واللين وان اظهروا عليهم العجرفة والعجبية فالخدمومة تقول
 لخدمتها اذا امرتها بان تناولها شئاً هاتى هذا الشئ ان اعجبك وبعد ان تأخذه
 منها تشكرها وربما تباخت عليها في الاكل والشرب وارصتها بمثل هذا الكلام

الطيب فيطيب خاطرهما ومع هذا الفرق والملاطفة فلا تزال المخدمومة متباعدة عن الخادمة ومظهرة لها فرق القامين وتبين الشائين فلا تدل عليها بشئ • وإذا غضبت عليها فلا تكلمها بكلام يشف عن سفاهة وخروج عن حد الادب كأن تقول لها مثلاً يا فاجرة يا بنت الكلب كما تقول نساء بلادنا عند اننى باعت او ان تحرق عليها اسنانها والعادة عندنا بخلاف ذلك فان المخدمومة تلعن الخادمة وتشتحنها بمحضرة الناس ثم تلقمها وتعلقفها وتنسب معها في الكلام وتستعين بها على تنفيذ هواها وتطلعها على اسرارها • ويحمد ايضا من عاداتهم انهم اذا استخدموا شخصا لسنة وارانوا صرفه تغير ذنب نهبوه من قبل صرفه بثلاثة اشهر وعند الفرنسيين ينهبونه من قبل بثمانية ايام كذا في غالتيانى فاما اذا كان مشاهرة فينبهونه قبل صرفه باسبوع او ادوا اليه اجرة الشهر وصرفوه ومن يستخدم في المبرى او عند جمعية وابلى في خدمته كان على ثلج من ان يزاحه آخر على محله ولو باجرة اقل وكل هذه المحامد معدومة في بلادنا فان المخدموم يطرد خادمة بلا ذنب ولا مكافاة • وبعض كبراء الانكليز طبع غريب لا ادرى الى اى شئ انسبه وهو انه اذا باشر لهم احد عمال لم يخطر بباله ان خدمته له انما هي عن حاجة الجأته الى اخلاق ديباجتيه فيأتى عليه حين من الدهر من غير ان يسأله هل انت محتاج الى الدراهم او لا ولكن اسمح لى ايها المخدموم الاعز الاغفر ان اترجم لك عن هذا الطليانى الذى يعلمك الاخلاق وعن ذاك الفرنسي الذى يعلمك الرقص والتصوير وعن ذلك النمساوى الذى يعلمك فلسفة اللغات فاقى اخشى ان الاول بضيف الى كل كلمة من لغتك حرف علة والثانى يتقص منها الحرف الصحيح والثالث يبدل ويقلب فانه يرى ان لغتك فرع من لغته فلا يبالى كيف يؤدى اليك المعنى فيشكل عليك فهمه بل دعنى اكلك بلسان عربى مبين حتى يكون كتابى كله من نفس واحد وما على صماخك اللطيف الشريف من حروفه الخلقية من باس فاقول اى لذة ترى لمملك منهم فى بحببى ايك تحت المطر والثلج من مسافة ساعة فاكسّر فيصوج الى اداء شلين جعل الحافلة والى ان يضفط بين القاعدين فيه ثم بعد ان يخرج منه سالما يمضى ربع ساعة فيومضح الوحل نعليه وتكسر الريح ظلته ثم يأتي فيفرع الباب فيخرج خادمك اليه وينظر اليه كالستخف به اذ يرى نعله قد ابتلت وظلته مفتوحة فانه قد نقل عنك

بالاستاد ان كل من يمشي يديه ويمشي على رجليه، لا يكون جنثا مان اي
 متخصصا متصفا بصفات الخاصة ثم يعرض عليك ما اقدم الاتي اليك من
 دون ان يذكر اسمه وانما يذكر صفاته بان يقول بالبواب رجل مبتل التعلين مفتوح
 الظلة مشعث الرأس وحينئذ تأمره بان يأذن له في الدخول فامعن النظر هداك
 الله يتبين لك ان من كانت هذه حاله كان جديرا بان يأخذ في غايه الشهر اجرة
 وحق عرق جبينه او قرقرة امعاءه من البرد لعمري ليس هذا داب جيرتك الفرنسي
 فانهم وان لم يؤدوا اجرة العامل لهم كما تؤديها انت الا انهم لا يفظلون عنه
 فيعرضون عليه ما يلزمه قبل اللزوم او عند وقته واقبح من ذلك انه اذا سأل
 العامل المعمول له من هؤلاء السادة اجرة اتقبض منه واقشعر ولا سيما اذا كان
 المبلغ قليلا . وهنا ينبغي ان اذكر ان الناس ما زالوا يروون عن الانكليز انهم
 اذا استخدموا مثلا معلما او غيره لا يسألونه عن اجرة اولاً وانما يسألونه اخيراً
 ويؤدونها اليه كما يطلب وانهم يوفونها اكثر من سائر من عداهم من الافرنج
 وان العامل اذا اشتغل لهم بشئ ساعة ما من النهار اغناء ذلك عن التعب
 يوما او يومين فينبغي ان تعلم ان الانكليز كانوا من قبل اختراع البواخر انحنى
 واسحنى منهم الآن فان مجئ الغرباء الى بلادهم كان اذ ذاك نادرا فكانوا
 يحتاجون الى ان يأخذوا عنهم ما ليس عندهم منه وكثير من قدم اليهم في
 ذلك الوقت مخرق عليهم ولبس ورجع غلما فلما الآن لما برحت الغرباء تتوارد
 اليهم من كل فج وصاروا هم ايضا يحولون في جميع البلاد ويطلعون على احوالها
 ويشهرون معلوماتهم فيها في الكتب وفي صحف الاخبار فصاروا لا يخفى عنهم
 ما يتاله الغرب في بلاده واصبحوا يشارطون ويستحطون من الطلب وصار
 عندهم كثيرون من الغرباء فرجما رضى احدهم بان يأخذ على شغل ساعة شلما
 واحدا وما بين ذهابه وايابه بضيع ساعة فاكثروا وهذا الطمع في الاستغناء
 من الانكليز قد غر كثيرا من الناس فاستغفروا من ديارهم حتى قاسوا في هذه
 البلاد من الجهد والنساء ما رضوا به من الغنية بالاياب حتى ان اهل ارلاندر مع
 قريبهم من الانكليز ومخالطتهم لهم يتركون بلادهم ويقصدون احدى مدن
 الانكليز وعندهم تلك الاماني الفارغة ويحكى عن احدهم انه قدم الى لندن
 على نية ان يصيب فيها الخلوة والسعادة وكان فقيرا جدا فاتفق يوم دخوله
 ان

ان عثر بدينار مرعى في الطريق فالتقطه ووضع في جيبه ثم لم يلبث ان اعترضه فقير فاعطاه الذهب وقال خذ مباركاً عليك فاني لارجو ان اجد من ضربه كثيراً • ولاهل ارلانـد حكايات كثيرة مضحكة واقوال متناقضة يرويها عنهم الانكليز. تهكموا بهم منها ان امرأة قالت لرجل هم بان يقعد على كرسي لا اقدر ان استغنى عن احدى هذه الكراسي الفارغة لانها جميعها مشغولة وسأل رجل منهم رجلاً آخر هل رأيت انحل من هذه المرأة فقال لعمري لقد رأيت مرة امرأة لو انها جعلت مع هذه ومع اخرى اليها لكنت انحل منها معا واشترى رجل ساعة بثمان غل فساله بعض اصحابه عن سبب ذلك فقال ان لهذه الساعة فوائد عظيمة منها انى متى اردت ان اقوم في الليل جذبت جلابها فظن فاسمع صوتها وقبل مرة لرجل قد اخترع كانون يخف به نصف مصروف الفحم فقال اذا اشترى كانونين ليخف المصروف كله • وكتب بعضهم كتاباً من امريكا الى صديق له في بلاده يقول فيه اخبرك بانى قد انتقلت من المحل الذى انا فيه الآن ولولا ذلك لكنت كتبت اليك من قبل وما كنت ادري قبل الآن اين ياتك كتابى هذا ثم انى امسكت القلم اليوم لابلانك خبر موت خالك الحى الذى مات بقتة بعد مرض طويل لازمه نحو ستة اشهر وكان فيه يتلوى ويتشج وهو في غاية السكون ولا يتكلم بل كان يهذى ويلغو ولست ادري سبب موته غير ان الطبيب يظن انه مات من المرض الذى اعتراه لانه بقى عشرة ايام نفسه اما عمره فتعلمه انت كما اعلمه انا وهو خمس وعشرون سنة الاخسة عشر شهرا ولو انه عاش الى هذا الوقت لكان مات منذ ستة اشهر (تنبيه) والآن ارسل لك عشر ليرات ارسلها لك والدك من دون معرفتى وكانت امك تريد ان ترسل اليك بقرة فلولا قرونها لغنمتها في هذا الكتاب والمرجومك ان لا تقض ختم هذا الكتاب الا بعد قراءتك له يومين او ثلاثة فانك تكون عند ذلك اكثر استعدادا لسماع هذا الخبر الحزن • (عود الى ما كنا فيه) وقد يكون احد هؤلاء العلية مديونا لشخص فيسافر الى بلاد بعيدة من غير ان يؤدى اليه حقه وقد يكون له وكيل او صديق ولا يوكله عنه في ذلك فاذا سأل الرجل وكيه عن سبب سفره قال له قد كان يريد ان يراك قبل ذهابه لكن الجملة اضطرته الى السفر بقتة وقد صعب عليه ما جرى وهذه الخصلة اعرفها منهم في مألطة ايضا

ولست ناشئة عن طمع في اكل الدين اصالة وانما هي عن عدم المبالاة والاكتراث وعن الاعتماد على صدقهم ووفائهم وعلى مقتضيات الجتهانية ولكن ما معنى صعب عليه هنا او حزن او اكتئاب او كد او ترح او كل مرادفها وهو لا يدري متى يعود من غيبته والرجل محتاج الى اجرته او ممن حاجته • ومن طبعهم ايضا ان لا يسمعوا تظلم الغريب من احدهم ولا سيما اذا كان المتظلم دون المتظلم منه وان كانوا يعلمون لهذا سابقة في الشطط على بعضهم واذا استلمعوا من الشكوى نورا يريهم ان كل بشر مظنة للخطأ والتقصير فلما يكون ذلك في جهة الشاكي لا المشكوم منه وهذه الخلقة من جهة هي صنو تلبيهم في اللوم على ما تقدم ومن جهة اخرى هي من قبيل التعصب والزيغ • ولهؤلاء الكبراء حب للسمعة يفضي الى قسوة القلب فان احدهم قد يهون عليه مثلا ان يعطى الجمعيات الدينية ثلاثمائة ليرة في السنة وان كان لا يعلم باى وجه من وجوه البر تصرف او لاي مقصد تستعمل واذا امرت به امرأة فقيرة حافية تحمل رضيعين وعلى وجوههم سمة الانكسار والجوع لم يحتج قلبه لان يجود عليها بدرهم واحد حيث يعلم ان المرأة لا دفتر لها تكتب فيه اسمه وتشره على الملائكة تفعل الجمعيات • ومن طبعهم وطبع العامة ايضا انهم يشتمون من ان يسمعوا من الغريب تعيب عا: انهم ومنكر احوال بلادهم وانما ينبغي ان ينظروهم حتى يخوضوا هم في ذلك ولا شيء اسوأ عندهم من ان يفصل الغريب عن بلادهم وفي قلبه شيء عليهم • واعلم ان للسيدات هنا نفوذ كلمة بالغا جدا ولا سيما في الامور التي يشتم منها رائحة الديانة والذريعة الى امارتهن وارضائهن لمن حاول ذلك كما فعل بعض الطمعين هي ان يقول لهن ما اعجب ما ارى من احوال نساء هذه البلاد المباركة وما هن عليه من حسن الاخلاق والفضائل الباهرة فان نساءنا يجهلن القراءة والكتابة ولا يعرفن ما يجب عليهن لله وللعباد فمن اجل ذلك لا يحظين عند بعولتهن فعبسة الرجل مع زوجته عندنا عبسة خصام وتقار ومقت ونقص ونكد وكذا ألا يـمكن تعطفن عليهن وتشتن لهن مدارس لتريتهن وتهنيهن فكسبن بذلك الثواب من الله والثناء من الناس وما اشبه ذلك من الكلام الحامل لهن على الاعتقاد بافضلية انفسهن فينظرن الى ذلك القائل نظر الرفيق الشفيق ويزلته منزلة رسول من الله لا تقاذ نساء بلاده من ورطة

ورطة العمه والجهل ويعتقدن انه متى رجع الى وطنه اذاع بين الناس
 محامدهن وهو اى ذلك الاصيل الذى فعل هذا والمقتدى به قاتل في نفسه ألا
 ما اهون خدعتكن على مع وجود اضابير كتب متنوعة في خزانكن ايم الله
 ان جيع ما عندكن من الخف والاسفار لا ينفعكن من دهائى شيئا فان الدهاء
 ملكة غريزية في الانسان لا تؤخذ عن الكتب وهكذا ينوهن باسمه ويصبح
 عندهن معززا مكرما قدعوه واحدة للصبح واخرى للغروب وكذلك اذا التى مثل
 هذا الحديث على احد من اهل الكنيسة فان بين القسيس والمرأة لا يعدم
 الانسان هنا ان يغذ مخاريقه واذا اجتمعا له كان ذلك من سعده واذا كان في
 خلال اطرائه هذا يتهدد ويزفر وتغرغر عيناه بالدموع كان انجع والبلغ ثم ما عليه
 بعد ذلك ان يقهقه او يحسش فان للضحك وقتا وللبكاء وقتا وهذا التذجيل
 لا يقنى عند الفرنسيس فقيرا • هذا واتى سمعت من كل من عاشرته وقد عاشر
 الانكليز ان يصفهم بالكبر والعجرفة ولكن قبل اثبات هذه الدعوى يقضى
 ان تعلم ان الكبر على انواع الاول ان يكون ظاهر سمحة الانسان متفرا عنه
 ناظره لعدم طلاقة وجهه فيظن الناظر اليه انه لا يتكلف لمخاطبته والثاني عدم
 قبول النصيح والافصاات برأيه وقوله وان علم انه غير مصيب والثالث ان يكون طامق
 المحيا لين الجانب يرغب في مجالسة الناس ولكن اول ما يسط بساط الحديث
 بينك وبينه يطفق يعدد عليك محاسنه وفضائله وفواضله ومآثره ومنافيد فاذا
 كان مثريا قال اتى انفق في الشهر كذا واتصدق على الفقراء بكذا وكنيت
 بالامس مارا في طريق كذا فسألنى فقير شيئا وحيث لم يكن معى فلوس بذلت له
 دينارا واتى لايلى عندى شئ مما البسه فأتى اخذه على هذا وذلك وان
 عندى من المتاع كذا وكل يوم آكل كذا واصيف اناسا واقربهم العرف التي
 يعز وجودها في هذه البلاد فان لى عمالا في البلاد الخارجية يبعثونها الى في
 كل عام اما الكتب فلم اعز بها اذ لست املك فرصة للبطالعة لكثرة الشواغل
 والوانع • وان كان ججيلا قال ان فلانة هامت في هواى وتركت اهلهما حيا بي
 وآلت لتعجبني او تموت وان زوجة فلان اهدت الى من الخف كذا وارسلت
 الى من الرسل والرسائل كذا وان ابنة فلان دعتنى الى ان اخاطبها وهى
 تمك كذا ولم اجبها ولا ادرى كيف ينتهى بها الحال واتى مشفق من ان يلم بها

طارض من الجنون فاكون انا سبب ذلك وهو مع كل هذا الافجاس والجزاف
 بكذا مقبل عليك وباش بك ويزيدك ادناء من جنبه لكيلا يفوتك شيء من هذه
 الفوائد التي يلتمها عليك • ومن كان قد قرأ بعض اشعار وسمع من اهل العلم
 مثلا ان الشعر متعبه سنية تصدى الى اى نظم كان فاذا رأى طائرا في الجو نظم
 فيه قصيدة واذا تزوج احد في بلده نظم فيه تواريج واذا توفي احد قال قد
 غاض بحر الكرم ودسكت اركان المعالي وذوت رياض الفضائل وافل نجم
 الهدى وخسف بدر المجد وكسفت شمس الفضل ثم لا يزال يطالع في عاجلة النبي
 الياس حتى يصل الى الفلك الاثير ويعدد جميع ما هنالك من النجوم وينترع منها
 كفنا لمريه وما ذلك الا حتى يقال عنه انه شاعر • ومنهم من اذا حفظ نادرة
 او حكاية او مسألة رأيت يشدق بها في كل مقام ويضغ عليها بين كل مورد
 ومصدر حتى يقال عنه ما شاء الله • ومنهم من اذا اطعمته على غلظه او ما البك
 برأسه وقال قد فهمت قد فهمت فتقول له كيف تكتب المرة الآتية فيقول لا
 اكتب غلطاً فتقول ولكن بين لي كيف تجتنبه فيقول اكتب ما يكون صحيفا
 فتقول اطعمني عليه فيقول حين اكتب اعرف ما ينبغي ان يكتب ولا يزال
 يكابرك تصلفا وعنادا حتى تنل منه • ومنهم من يزورك وهو لم يستقر به
 المكان يأخذ في ان يشكو من كثرة معارفه ويتأفف من كثرة ما يدعى الى
 ولائهم ومراقصهم ويتسخط على الولاثم والمولين مع انه لم يحصل على معرفة
 هؤلاء المعارف الا بعد استعمال وسائل لا تحصى وهو يقول في قلبه ادام الله
 دولة هذه المآكب واعلى شان الآدبيين فانهم اتفع من الادب والتأديين
 واني اذهب اليهم واتال من اطياب طعامهم وشرابهم وامحرق عليهم فتارة
 يضحكون من خزعيلاتي وتارة يحبدونني فارجع الى وكري خالي البال متملى
 الامعاء • ومنهم من يكون له قفص خادم فيدعوه ان يجوربه ويلبسه ثعلا بحضرة
 الناس ويكلفه ان يحمل دورقه ودواته وجبته وعصاه وقصبة دخانه ويمشي وراءه
 كأنه حمار موقور وذلك حتى يقول الناس ان السيد ذو خدم وحشم • ومنهم من
 يتواضع لجلسه وسامعه ويتنذر اليهما فيقول لا تؤاخذني ياسيدي بما تسمع مني
 من الخن فاني لم آخذ النجوم عن احد ولم يطاوعني الوقت على ان اتعلم اللغة كما
 يجب وانما عرفت ما عرفت بالدربة والممارسة وهو عند ذلك ينتظر من سامعه
 ان

ان يقول حاشا لك ان تلحن في شيء وانت العلم المشار اليه بالعلم واليسان واقسم اني لم يدعني سمعي شيء ابلاغ من كلامك فانت قس الفصاحة وسبحان البلاغة وانت الذي تروى عنه نوابغ الكلم وتؤخذ عنه جوامع الحكم فيا ليت لنا في بلادنا من يأخذ عنك هذه البدائع كيلا يضيع العلم من بيننا فانام الله وجودك ومعتنا ببقائك السعيد امين • ومنهم من يقول ان شئني يا جماعة الخير ان لا ارى على لاحد ديننا او لوما او منة ولو بت وعلى لاحد درهم واحد لم تأخذني سنة ولا نوم وقد طالما حاولت ان اغير طبعي هذا بطبع من طابع الناس فلم اقدر وهو مع ذلك يترقب جماعة الخير ان تقول له نعم هذا الطبع لله سبحانه ما اكرمها وخلاتك ما اعظمها فيا ليت الناس جميعا يقتدون بك • ومنهم من اذا كتبت اليه كتابا تسأله عن شيء ضمن عليك بجوابه اذ يراك غير اهل له • ومنهم من اذا راك قد فحقت فاك للحدث معه او مع جليس آخر ابتدر الى قطع حديثك المفيد بان يحكي حكاية سخيفة عن نفسه او عن اهله وخادمه • ومنهم من يماريك في الحق الصريح ولا يذعن لبرهانك وان كان يعلم انه دونك في الجدل وآخر الكلام بينك وبينه هو ان يقول لك كذا كان رأيي وهذا هو قصدي فيوهمك بذلك انك كنت من الزانقين وانه من الراشدين وذلك حتى يكون آخر الكلام اليه • ومنهم من يجادلك ويعارضك فيما لا يورثه فخرا ولا يكسبه ذكرا ولكن لمجرد اظهاره اياك غالطا فاذا سألك مثلا كيف انت وقلت له بخير وعافية قال لك ما اراك تدري ما العافية فاني لا ارى اثرها عليك فتقول له كيف واني والحمد لله متمل بصحتي وبميرثتي ما آكل واشرب وبهئتي منامي وجلوسي فيقول ما هذا معنى العافية عند المحققين وانما هي ان تشي منتصبا غير لاو على احد او شئ تراه عن يمينك ولا شمالك موازنا لخطواتك شامخا بانفك مصعرا خذك الى آخره ولو جئته بجاليوس والفيروز اباني ليطلمعا على حد العافية وتعريفها لم يقع منك • ومنهم من اذا غاب يوما عن ولاء قال لمن يجمل حاله ان ابني كان رئيس المشئين في الديوان وعي كان وزير الامير وخال سميره واني انما قدمت بداركم للترزء والتفرج وما اشبه ذلك ومن هؤلاء المفجسين من اذا لم يجد مجالا في نفسه للمدح اقتصر بابيه او جده او عمه او بداره او بيادته واعتقد ان كل شيء يضاف الى ضميره يحبب الناس وقد سمعت مرة واحدا من هؤلاء المفجسين يقول قد جرح

اصبى بالامس فخرج منها دم احرقان اعجب وعجب جميع الحاضرين • ومنهم من يستغزه العسر والضنك الى ان يصادر ذهنه فيقتصد امير بلدة او شيخ قرية ويأثم يديه ورجليه ويتضرع اليه ان يؤويه اياما ريثما يجد مقاما فاذا رآته والحالة هذه وسأله عن مقره اجابك بان الامير فلانا دعه الى النزول بداره وامسكه عنده ولا يريد ان يطأه كلفا به • ومنهم من يروعك بخطته الشديدة فتظن ان المكان تزلزل منها او نجشته الذي يسمع له صد • ومنهم من اذا حيينه في الضحى شجر وزبحر وفضل شاربيه وزفر واوهك ان الوقت سحر لا ينبغي فيه اللقاء والسحر وقس على ذلك من يزكى حرفته ويفتخر بصنعة الى ما لا نهاية له فاذا تقرر ذلك فاعلم ان كبر الانكيار هو من النوع الاول وهو انك تنظر فيهم الانفة وكلوح الوجه ولكن متى خاشبت منهم احدا تبين لك انه لا فخور ولا فياش فن كان دخله في العام ١٠٠٠ ريرة او همك انه مثلك اذا كنت مثلي ذاهم في المعيشة ونصب ومن يكن عند الف كتاب مثلا فاذا قات له ما اكثر كتبك قال لك لملي اسرفت في شرائها وما كان ينبغي لي هذا مع انه لو قال لك اني قادر على شراء ضعفها لكان من الصادقين ومن كان منهم يحكي البدر جالا كهول شعرائنا ان ينس بكلمة تدل على انه فتن امرأ بحسنه ومن يكن مضطلعا بالعلوم والفنون فاذا سأله عن شيء لم يجبك الا بعد التروي ولا ينسب اليه حل المشاكل واستخراج المجهول واذا سألته عن شخص يدعى العلم ويؤلف ما لا يرضى به العلماء قال لعله استجمل فيما الله ولم تمكنه مراجعته وقد يكون مع المستجمل الزلل فلا يعي عن ان يجده عسيرا يستر به عيبه ومن يكن في اعلى المراتب لم يستكف ان يجيب من يسأله ايا كان فقد تبين لك ان كبرياء الانكيار انما هي في وجوههم اكثر منها في الستهم وقلوبهم وان وسم الناس اياهم بالعجرفة مطلانا ليس في محله الا اني لا اني عنهم الاتصاف بعزة النفس وترفيعها عن ان تذلل لغيرهم وهو من الخلائق المحموده لدى جميع الخلائق • فاما كبر السفلة منهم فهو ابتداء العبوس ايضا مضافا اليه عدم التادب في الكلام والحركات ونبرهم في الخطاب وسوء الضحك واللقاء والمقلب وهم جرا • هذا وكما اشتهر عن الانكيار الكبر كذلك اشتهر عنهم الصدق ولكن ينبغي ان تعلم ايضا ان الكذب على انواع احدها في مائع وهو الذي

أدصف به اهل البلاد الشرقية وذلك كأن يعدك الانسان بالحضور في الساعة
 الفلانية ثم يخلف او يعدك بقضاء حاجة وفي قلبه ان لا يقضيها او ان يسافر الى
 استانبول ويقول ان مؤلف كتاب الساق على الساق قد ضل بين عاجلتين
 فانكسرت ساقاه جزءا له بما عنوان كتابه به او ان تكون قد ارسلت له كتابا
 فيكر وصوله تخلصا من لومك له او ان يقول لك قد اطربت عليك البارحة عند
 فلان فهو يبلغك السلام ويدعوك الى منزله فاذا سرت اليه وجدت الامر
 بالعكس او ان يقول قد نويت ان اسافر غدا الى الشرق ثم يسافر الى المغرب
 وغير ذلك مما لا يحصى نفعا * والثاني ككذب مطبوخ ناضج جامد وهو ما
 تستعمله نجار الافرنج فيكتبون مثلا على بضائعهم انها من انفس الاشياء وانها
 صنعت باختراع آلات جديدة احدثت عن طول تجر في علم الهندسة والكيمياء
 وان لمجة هذا الثوب من الهند وسداه من الصين او انه سلطاني او ملكي
 او اميري او وزري او مولوي ونحو ذلك فهذا الشعار لا تأنف الانكليز من ان
 تتردى به لجرمنفة به اليهم بل هو المراد عندهم من التمدن واذا علموا ان جيلا
 امهر منهم في شيء نسبوا اليه ذلك الشيء الذي يصنعونه هم ترويجا له * والثالث
 ككذب متبل حرق وهو التفرير والتعمية والافساد بين محبين او خليلين لؤما
 وحسدا وهذا ايضا يكاد ان يكون من خصوصيات بعض الشرقيين * ثم ان الغنى
 وان يكن شأنه ان يجتنب اليه قلوب الناس في جميع الامصار والاعصار وان
 الجمل باللباس يورث المرء هبة وجلالا حيثما كان وعلى ذلك قول بعضهم لقد
 اجتهدت في ان اظفر الى الغنى بالعين التي انظر بها الى الفقير فلم اقدر او كما قال
 الفاضل كولد سميت ان الغنى مرادف الحرية في كل مكان الا ان الغنى عند الانكليز
 شعار على الجدارة والاستحقاق لكل شيء فالغنى عندهم يمكن له ان يرفع دعواه
 الى مجلس المشورة ويطلق امرأته لعله الزنا حقيقة او ادعاء والفقير لا يمكنه وله
 ايضا جدارة بان يكون ضابط البلد ومن اعضاء مجلس المشورة المؤلف من
 نواب الاقاليم وان يشتري وظيفة من الديوان في المساكر البرية فيكون قائد
 مائة او الف او عشرة آلاف وان يدخل في المشتريات اى الكلوب وهناك يجتمع
 بالعلماء وذوى الشرف فاذا رأوه على تلك الحالة لم يتلبثوا ان يدعوه الى منازلهم
 فان كان عزيزا خطب اليهم احدى بناتهم او اخواتهم او كان متروجا زوج

ولده من احداهن فاستقطر بالنيق ديناره دهم الشريف في دن نسيه ويا لها من غبطة وله ان يتوسل الى نجى صاحب الملك بالهدايا والطرف فيستزل له وعمل جلاء شريف من شرفه ولو كان يهوديا وله استطاعة على ان يستعمل امهر فقهاء الشريعة في تبرئته ان كان معيا ومدعى عليه او استخلص حقه ان كان مدعى فيصرون له النور ظلاما والظلام نورا وان يستخدم كتاب الحوادث فيشيدون بذكره ويتوهون بتناقبه وان يستخدم احذق الادباء لحفظ صحته العريزة وان يحضر طعامه وشرايه من جميع البلدان القاصية انحاء في بدنه وتصفية لذهنه وان يضع اولاده في احسن المكاتب الى غير ذلك من المنافع التي لا يحوزها الغني في بلادنا ومن ليس له غنى في هذه البلاد فلا يحسب نفسه من الناس هذا وقد جرت العادة في كل مكان بان السعيد الغني لا يزال يبدو للناس في فاذا مات وهو ابن خمسين سنة مثلا اسفوا عليه وقالوا واحسرتاه فقد مات عبثا ولعل بعض حساده قد سمع وكذا لو تزوج في ذلك السن او سافر استحسنوا فعله ولو انه لجمته كان يصيف في مشى ويشتو في مصيف مدة طويلة ثم جعل المصيف مشى والمشى مصيفا لقال الناس ان رأى هذا السعيد ما زال رشيدا فان الزمان قد انقلب والحال حال فكل شئ يلقى به بخلاف الفقير الشقي فانه اذا مات وهو كهمل قالوا لا بد ان يمت له ان يموت واذا سافر او تزوج عرض نفسه لاستهزاء الناظر والسامع به وما قلته في منافع الغني هنا لا ينفي منافع العلم على الاطلاق فان من برع عندهم في علم وان كان وضع النسب فلا يعدم ان يرى من يرفعه من خجوله ويستفيد بعلمه غير ان العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف او بنظم قصائد وانما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة ادبهما ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات فمن حصل ذلك فقد قبض على مفتاح الرزق ومن اخترع شيئا مفيدا فقد استغنى به وذلك اما ان يبيعه لاحد من الاغنياء يجعل واقر واما ان يستبد بصنعه فان ذلك كان العلم في اوربا دائما مورد الاستنباط والابتكار بل كثير منهم يحرزون به لقب الشرف * ومن عادة الكبرياء والنبلاء ان لا يورثوا جلااءهم واملاكهم الا للابن البكر فان شاء اعطى اخوته وان شاء حرمهم ففي هذه الحالة يلتزم الاهلون ان يقوموا بكفالتهم واذا كان البكر مسرفا فبذر اموال ابيه اشترى

اشترى له اصحابه او اهل البلاد ولاخوته وظائف من الدولة او تبشهم الى البلاد الخارجية والحكمة في توريث البكر دون غيره هو ابقاء الجلاء في العيلة وصون ناموس البيت واذا تقدم الابن بنت بقي له حق اللقب والوراثة هذا اذا كان التراث عقارا فاما اذا كان حصص مضاربة مثلا او اشياء متقلية قسم بين الاخوة ومما يحمد من الكبراء ومن ذوى المراتب السامية هنا انهم لا يتدخلون في التجارة ومن منكر عاداتهم انه اذا دخل احد على جماعة من هؤلاء العيلة ولم يكن يعرف منهم غير واحد فقط لم يسلم الا عليه عالم يعرفه بهم صاحبه ويقول له في شأن كل منهم هذا فلان الا ان هذا التعريف لا يلبث ان يصير تنكيها فان من تعرفه في المجلس لا يلتفت اليك اذا رأيته في الغد في محل آخر فاما اذا دخل على قوم ولم يكن يعرف منهم احدا فلا يجبي مطلقا بخلاف عادة الفرنسيين فان من يدخل على جماعة ايا كانت يضع يده على رأسه او ينزع برنيطته احتياما لهم وكذلك اذا خرج وان لم يكن يعرفهم ومن تعرف عند الانكليز باحد افراد العائلة مثلا وتردد عليه فان لم يعرفه بابيه وامه واخوته فلا يسلم عليهم اذا رآهم داخلا فلا يلام على تركه ولا يحمد على فعله واذا استختم احد جارية ولقي اباها وامها لم يسلم عليه هذا وقد تقدم ان الفتي يمكن له ان يطلق امرأته برفع دعواه الى مجلس المشورة فان الطلاق من الامور الصعبة هنا ولا يمكن رفع دعوى مثل هذه الا بمصاريق وافرة لا تنهض عن اربعمائة ليرة الا انه بعد تحرير هذا الكتاب ابيع الطلاق للعامة من دون مصاريق فان مجلس المشورة رأى ذلك اصلح للرعية وهو الرأى الاسد * وبقي هنا ان نقول ان رؤية الزوج زوجته مع رجل اجني في حجرها تنكفي في اكثر الاحوال لاثبات الزنا من دون رؤية الميل في المكحلة واربعة شهود عدول كما يقتضيه الشرع الاسلامي وهذا من دون هذا الوجه شديد فان الطلاق لما كان في الشرع مباحا ضيق على الرجل في اثبات الزنا على زوجته وحيث كان محظورا في شرع النصارى الا لاجل الزنا فسمح للرجل في اثبات الزنا عليها بمجرد خلوتها مع الرجل * ومن الغريب هنا انه قد جرت العادة عند العامة بان يدعوا نساءهم يباعا لعدم امكان طلاقهن وصورته انه اذا شعر الرجل بان زوجته تحب آخر عرض عليها الانتقال الى محبوبها فاذا تراضيا اخذها وباعها له بمحض شهود وقبض منه ما يؤذن بعجبة

البيع وتخلص بعد ذلك من تبعاتها وفي اخبار العالم ما نصه رجل باع زوجته في حانة لرجل بخمسة شلينات ونصف وقبض الثمن بمحضرة شهود وذهب بها المشتري ولما كان الغد ندم زوجها على ما فعل واستقال في البيع فلم يقل • وذكر ايضا فيه ان ثوماس داي تزوج امرأة في سنة ١٨٤٩ فأساء عشرتها فتركه وعلقت برجل من سكوتلاند اسمه روبرتسن ففاوض زوجها على ان يشتريها منه فاجتمعا ذات يوم في حانة وباعها له الزوج بمحضرة شهود بنصف بنت من الجن تقاسموه جميعا • وفيه ايضا ان ثوماس ميدلطون باع زوجته ماري ميدلطون لغيلب روستنسن بشلين وربع من الجعة وراضيا على الافتراق الدائم ما دام حيا • وهذه العادة وان تكن غير مباحة في احكام الدولة الا انه مسكوت عنها كما سكنت عن المباحة الزنا للومسات فان الزنا هنا معلوم لارباب الاحكام لكنه غير مباح وكثيرا ما يقوم السم مقام هذا البيع فان الشخص من الأزواج به اكثر منه بالطلاق او البيع • ومن عاداتهم في الزواج ان البنت لا تزوج الا من كان مساويا لها في السن او كان اكبر منها بسنتين او ثلاث وفي ذلك شطط اذ لا يخفى ان المرأة متى بلغت الاربعين سنة لم يبق فيها من القوة والنشاط ما يبق في الرجل ولا سيما اذا كانت متناقا نعم ان النساء هنا لا يعمل فيهن الهرم فان من يكون سنها ثلاثين سنة تبدو كن سنها عشرون في بلادنا غير ان هذه الصفة تراعى ايضا في جهة الرجال ايضا وفي بلادنا لا تثريب على من بلغ الخمسين ان يتزوج بنت عشرين وهذا يسدر هنا جدا الا لسبب عظيم وذلك كأن يكون الرجل اشرف من المرأة واغنى فترغب فيه لتشاركه في شرفه وغناه اذ كانت هاتان الصفتان عند الانكليز افضل من جميع المناقب ولا سيما اذا روى في ذلك مصلحة تربية الاولاد وفي هذه الحالة فلا مانع ايضا من ان يكون الزوج شيخا فعلا لعلها ان حرارتها لا تلبث ان تذهب ببرودته فتستولى على الميراث واذا خطب احد امرأة ثم بداله ان يعدل عن الزواج لغیر موجب شرعى غرم لها مبلغا عظيما ولا حرج على اليهود ان يتزوجوا من النصارى وللأب ان يجبر ابنته على الزواج بمن شاء اذا لم تبلغ حد الرشد وهو عندهم ٢١ سنة وبعده ليس له عليها من امره الا بالمعروف والنصيحة ولكن كثيرا ما تهرب البنت من تحت حجر ابيها وتزوج من شامت وان حرمها من الميراث واذا خرجت من حجره بعد بلوغ رشدها لم يبق لوالدها استطاعة

استطاعة على ردها ووصية الموصى قبل بلوغ ذلك السن لا يعمل بها وللذكر ان يعقد الزواج عند بلوغه اربع عشرة سنة وللبنت عند اثنتي عشرة وما دام الولد دون سن الرشد فعلى الوالد ان يقوم بنفقته وبعد ذلك لا يلتزم بها واذا تزوج الولد قبل هذا السن فلا يله ان يحرمه من ميراثه ومتى تزوجت المرأة انتقل جميع ملكها الى حوز بلعها ولكن لها ان تستدين على اسمها ويجبر هو على وفاء دينها ولا يحل للرجل ان يتزوج اخت زوجته وقد كان لرجل زوجة وله منها عدة اولاد فلما حضرها الموت اقسمت على زوجها ان يتزوج اختها بعد موتها لتربي اولادها فتزوجها فلما علم ذلك في ديوان الحكم فرق بينهما فسألت من اخبرني بذلك عن سبب هذا الحظر لانه غير مبنى على مصلحة وقلت ان كان تحريمه ورد في التوراة فقد ورد فيها تحريم امور كثيرة استعمالها النصارى فلاي سبب اضريتم عن تلك وتمسكنم بهذه فقط فقال المصلحة في ذلك هو ان لا يتوصل رجل واحد الى احرار جهازين من بيت واحد فقلت ولكن الفقراء يتزوجون من غير جهاز ولا ميراث فقال ان الشرع هنا ملحوظ فيه مصلحة الكبراء • ولا بد ان تشهر الخطبة في الكنيسة ثلاث مرات متوالية في الاحاد واذا مست الحاجة الى الزواج بدون اعلانها غرم الرجل ضعفي النفقة وهي في الغالب خمس ليرات اما في سكوتلاند فان الزواج يتوقف على شاهدين فقط فلذلك كان كثير من الانكليز يذهبون الى هناك ليتزوجوا ثم يرجعوا ويقال ان مجلس المشورة بهم بان يعين اقامة احد وعشرين يوما هناك قبل الزواج قليلا من استعمالها ومن تزوج امرأة زوجها حتى غرم وتكل للمرأة المتزوجة عند الانكليز احترام اكثر من غيرها وان تكن اصغر سنا من غير المتزوجة فاذا خرجن من مجلس الى موضع الاكل مشيت المتزوجة قبل تلك واجلست في احسن موضع ولا بد للمتزوجة ان تلبس خاتم الزواج في بصر يدها اليسرى ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وان كان لها خسة بعول ومن الغريب انه عند عقد الزواج يلتمن القسيس الرجل ان يقول للمرأة حين يضع الخاتم في اصبعها بهذا الخاتم اتزوجك وبجسمي اخدمك ولا معنى للباء في قوله بهذا لان الخاتم ليس آلة للزواج ولقطة اخدمك لا يفهمها احد من العامة بهذا المعنى وعند تناول طعام العرس تلبس العروس ثيابا بيضا وتقعّد النساء على المائدة وعليهن رايطينهن وعادة الاغنياء منهم ان يعزّل

الرجل بعروسه بعد عقد الزواج فيقيم معها شهرا في خلوة عن الشغل والاهل
والاصحاب وتسمى هذه المدة عندهم قر العسل ولا يكاد المثرى يتزوج الا
مثرية مثله واذا تزوج الرجل امرأة ووضعته عنده بعد شهر الزم بتبني الولد
وتربيته وان يكن من غيره وكذا لو علم انه عائش مثلا مع مومسة وولدت ولدا ومن
ثبت عليه انه افترض بكرا فولدت منه اجبر على ان يؤدي اليها في كل اسبوع
شلينين ونصفا في الاقل الى ان يبلغ الولد تسع سنين اما الافتراض قسرا
فيعاقب عليه بالتزيب والنفي وكان يعاقب عليه في عهد وليم الاول بسمل العينين
وفي عهد الصكسونيين بالوت • ومن العجيب ان الوالدين من الانكليز اذا كانا
قيمين تأتي اولادهم ملاحا فاذا دام هذا الاستناع حتمية فلا يرى فيهم بعد
من قبيح والظاهر انهم احسن تربية للاولاد من غيرهم فانهم يفسلونهم بالماء
البارد في كل يوم اذا كانوا اقوياء او بالفاتر اذا كانوا ضعفاء ولا يعطونهم
حتى يمتنعوا من الحركة كما يفعل في بلادنا وانما يشدونهم بحزام فقط وبعد
نصف سنة يعودونهم على الاكل الخفيف مع اللبن فلا تأتي سنة على الطفل
الا وهو يلتهم كل شيء ولا يكاد طفل يحدث في ثيابه او يفهم من البكاء كما يكون
عندنا غير اني كثيرا ما رأيت الامهات هنا يبقين اطفالهن المزر او شرابا
غيره لئلا يمتنعوا ويضعنهم ايضا الفاكهة والسم ويدخلن بهم في الزحام واما كن
الخصام واللكام ومما يحمد من تربيتهم انهم يكلمتهم بالكلام المتعارف من دون
لغة ولا كسر كما تفعل نساء بلادنا بل ربما حكين لهم حكايات وهم لا يعقلون
ويخطبونهم بما يخطبون به من يفهم ويلقنهم اشياء كثيرة تعودهم على الفهم
من صغر والذي ظهر لي ان اطفال الانكليز ادنى واركن من اطفالنا وبعبس
ذلك المراهقين وفي الحقيقة فان الام في بلاد الفلاحين لا تربي الا ولدها البكر
والباقيون تربهم اخوتهم الاكبر فالأكبر وفي الجملة فان نساء الانكليز متابعين
جدا واتفق ان امرأة ولدت اثني عشر توأما وثمانية فذود قال في ابجدية
الاقوات قد حدث غير مرة ان امرأة تاد اربعة اولاد في بطن واحد فاما ولادة
خسة فلم يحدث الا مرتين احدهما في اوستراليا سنة ١٧٧٣ والثانية في
لندرة سنة ١٨٠٠ قال وفي سنة ١٧٨٣ جعل شبه ضريبة على ولادة الاولاد
فكان على الدولة اداء ثلاثين ليرة وعلى احد العامة اداء شلنين اه ويعني
لطف

لطف الاولاد هنا ولا سيما حين تكون ثيابهم قصيرة وسيقانهم ظاهرة في اوان
البرد • وعادتهم في الجنائز ان يقولوا الميت اسبوعا في البيت قبل دفنه وعند اخراج
جنازته يشيعها رجال يلبسون على رؤوسهم مناديل سوداء معقودة فوق برابطهم
ولكل ميت حداد معلوم ولكل دفنة سعر ولكن لا يحمشون عليه وجهها
ولا يشعشون شعرا واذا اقيمت الجنائز في محل عند المقبرة ليلة واحدة ادى عليها
خمس شلينات زينة على الرسم المعتاد فقلت لمن طلب مني ذلك ان الحى يرقد
على فراش وثير ليلة ويوسخه ولا يؤدى اكثر من شلين واحد فكيف
تطلب على طفل في تابوته خمسة فقال ان بين الحى والميت فرقا اما الكبرياء
فانهم يقولون جنازتهم اكثر من اسبوعين اشارة الى انه غير جدير بان
يفارق هذه الدنيا ومن التريب انه اذا مات احد منهم غريبا فلا بد من ان
يعيدوه الى دابته ليدفن فيه فباليت شرى ما نفع الميت لبلاده او ما نفع بلاده له
ولا يدفن ميت الا بشهادة الطبيب الذى عاجله او اجهر عليه وذلك لكثرة
ما يقع عندهم من القتل بالسهم والواقع ان الفرنسيين اكثر احتراما للجنائزات
من الانكليز فانهم يشيرون ورأها ايا كانت وهم خاشعون حاسروا الرؤوس وحين
تكون في البيت يوقدون حولها الشموع ليلا ويجعلون لها حارسا • ومن عادتهم
في العيادة ان يستعضلوا داء المريض لاهله ايا كان ويلتقوا في قلوبهم الرعب
بقولهم مثلا ان فلانا من هذا الداء منذ ايام فأت فله داء معضل ولا سيما في
هذه الايام فكنت كثيرا ما اذكر ما حكى عن ذلك الرجل وقد مرض فعاده
بعض اصحابه وقال له ما تشكى قال وجع الركبة قال انها والله كانت علة ابي فأت
منها واذا اصيب احد بما يخاف منه العدو فلا يعودونه اصلا وقد كان لى
طافل احسب بالسعال فلما كنت اذهب الى منزل الدكتور لى على عادتي كانت
زوجه تجنب مواجهتي فساءنى ذلك اولا حيث لم يكن يخطر ببالى ان السعال
يحمل من المبتلى به وينقل الى صدور الجيران فلما علمت عموم ذلك هان على مع
ان الدكتورية المذكورة كانت على غاية من الورع والظاهر ان جميع
الافرنج يجرعون عند المصيبة ولا يفوضون امرهم الى الله وان تلبسوا بالعبادة
واتصفوا بالجرأة على انهم لا يكادون يجمعون بموت احد الا ويناسونه فالاستسلام
لقضاء الله انما هو من خصوصيات المسلمين وكفى بلفظ الاسلام دليلا عليه وفي

هذه القرى لا يوجد أطباء، ولا دوائية وإنما يكون ذلك في بعض البلدان المجاورة لها حتى أن ما يوجد هناك منهم أن هو الاغاية فلو سكن احدهم في إحدى المدن الجامعة لما نال بعلمه رغيفا • وعادتهم في المآدب أن يجلس الضيوف على المائدة، وتجلس صاحبة الدار في الصدر وتأخذ في أن تقطع لهم شرائح اللحم رقيقة وتناول الصفيحة للخادمة فتضعها الخادمة امام الأكل ولو حصل خمس حصص من تلك الشرائح لما شبعوا والاكثر من أكل الخبر عندهم مظنة الهجبة وقد أدبت مرة عند أحد اعيانهم فلما جلسنا على المائدة أخذت الفوطاة ووضعناها على حجرى وكانت كسرة الخبر مخبأة فيها فوقفت وأنا لا أدري واستحييت أن اطلب غيرها وهم ظنوا انى تنكرت في بلادهم فلما تحررنا للقيام اذا بالكسرة لاصفة بنعلى فذكرت حينئذ قصة تلك السائل الذى طرق باب بنى بل فرمى له بكسرة خبر اخت كسرتى هذه التى انتعلتها فأخذها وتأمّلها ثم طرقت الباب مرة اخرى فقال له صاحب الدار قد اعطيتك فلم لا تصرف قال قد اعطيتونى هذا الدواء ولم تقولوا لى كيف استعمله واذا كان على المائدة لوان من الطعام او ثلاثة كأن يكون مثلاً شواء من البقر ودجاج خيزك الست ابهما تريد فاذا تناولت من لون سقطت شفعتك من الثنائى ونذر ان تعطيك منهما كليهما ولا يمكن ان تعطيك شيئاً او بطرى من شئ الا اذا استعلمت رأيك فيه اولاً ولا يمكن للمدعو ان يجديده الى زجاجة الخمر ويصب منها فى قده بل لا بد من ان ينظر السائد او الست ان يعرضاً عليه وكذلك سائر المأكول والمشروب ويحزننى ان اقول انى كثيراً ما رأيت صاحب المنزل يقطع للضيوف اللحم ثم يستكره عليهم فيضع فى صفحته ما استكره فربما امتلأت من تلك القطع وكنت ارى المدعوى معى يتكفون الاكل تكلفاً و يبلغون بما لا يكاد يكفى الصبي فيبقى ثلاثة ارباع الطعام كما هو واذا برد عندهم اللحم المطبوخ فلا يأفون من اكله كذلك اسبوعاً فلماذا ترى المحضر على المائدة كثيراً بالنسبة الى مقدار الاكلين وكية اكلهم وقد سألت المرأة التى كنت نازلاً عندها ذات يوم فقلت لها فشدتك الله الا ماصدقتنى هل اتا من الاكاليين المفرطين قالت لا بل من القنصدين قلت قد دعيت غير مرة ورأيت الجماعة المدعوى معى لم يأكلوا جميعهم قدر ما اكلت انا مرتين فقال لى ان الدعوة هنا إنما هى صورة فقط

فان المدعوي يأكلون في بيوتهم قبل ان يحضروا الوليمة فاخذني العجب من ذلك واطقت افكر في مخالفتهم في ذلك لعادتنا فان المدعوي عندنا كلما اكثروا من الاكل زاد سرور الداعي بهم لاعتقاده انهم احبوا طعامه واذا قلت لواحد من الانكليز ان فلانا دعاني الى الشاي قال لك انه هو كثير الفضل وما اشبه ذلك هذا عند الوسط من الناس فاما عند العظماء والازمعة فان الخادم يطوف على الحاضرين بآنية الشراب ويخيرهم اى نوع يشربون وربما شربوا المرز اولا ثم قليلا من الخمر حتى اذا فرغوا من الاكل قامت النساء وانفردن في مقصورة وبقيت الرجال على المائدة وجبثت دواول كووس الشراب والمناقلة على التمل بغير محاشاة وربما قضت الرجال ساعة او ساعتين على الشرب والنقل وساعة من قبلها على الطعام وانما تقوم النساء خوف ان ينهك احد الجلوس في الشرب فينطق بما لا يليق ولا بد في الموائد الحافلة من وضع السمك السلوق اولا فاما الشورية فهي عبارة عن حسا الفلفل وقد رأيت على هذه الموائد البطاطس يأتون بها في صحاف مفضضة وتحتها فوط من الكتان الرفيع فلم ادر ما المراد بهذا الاحتفال والتنطس فان الحسيس خسيس حينما كان والكب كلب وان طوقته ذهباً واذا فرغ الأكل مما لديه ولم يرد الزيادة وضع السكين والشوكة متوازيين واذا شرب الشاي وضع اللعقة في الفججان وعند صف ادوات الشاي تقوم الست ايضا وتجلس في الصدر وتسال من حضر هل تريد ان تشرب شاياً فيقول نعم ان شئت فتقول أنشربه مع السكر فيقول نعم ان شئت فتقول ومع الحليب فيقول نعم ان شئت فتقول وتأكل نصف هذه الكعكة فيقول ان شئت فتقول وربيع هذه الغالوذة فيقول ان شئت وكما أكرمه باحدى هذه المركبات قال انى اشرك وبالجمله فان الدعوة عندهم ضرب من الاسر وقد ادبني او ادب طربوشى احد الوجوه في كبريج الى ان اشرب الشاي معه فقال هل لك في ان تشرب الشاي معنا في احدى البالي ولكن بعد ثلاثة اسابيع قلت نعم حتى اذا سرت اليه لم اجد على المائدة غير الصنف المتداد منه مع انى كنت اظن ان توقيت تلك المدة انما كانت لجلبه من بعض البلاد • واذا كانوا مجتمعين في مجلس وارادوا الخروج الى محل المائدة اخذ الرجل بذراع زوجته غيره واجلسها على الكرسي واخذ غيره بذراع زوجته واذا بقيت واحدة بغير زبون كان ذلك داعياً

لمجملها ♦ ومن عادة النساء على الموائد ان يكشفن عن صدورهن واكتافهن وانصاف اعضاءهن وهذه المواضع احسن ما يرى فيهن ومن عادة العجائز ان يتزين بما لهن من الخلى والجواهر والشعر العارية وليس ذلك من عادة البنات قبل زواجهن فترى البنت الباهرة ينجب امها السعلة عطلا وتلك متبججة بالفلاند والحواتم والاسورة والسلاسل الا انهن في غير الولائم والسهريات لا يتحلين بشئ ومن الادب عندهن ان يأكلن واكفهن مستترات بالجلد الابيض ويمضغن ما يأكلنه مضغا خفيا فان قمع الفم للاتقام وشدة لوك الملتقم من اكبر العيوب والذي يظهر لى ان نساء الريف بالنسبة الى برودة قطرهن وصحة ابدانهن قليلات الاكل جدا ومع ذلك تراهن عبلا سمانا بخلاف نساء لندرة وقلتا أكل احداهن شيئا من دون شراب معه او تشرب من دون أكل وربما تعدى احدهم بغير شراب فاذا فرغ شرب الشراب وحده وعامة الانكليز يطبخون طعامهم بلامح وانما يملحونه عند الاكل ويكثرون من الالبازير منتهى الاكثار ولا سيما النفل والخردل فان احدهم ليضع في صحفته ملحقة من كل منها والفلاحون يأكلون الحلو قبل الطبخ فهم في هذه كالترك ويشربون الحليب بالملح والنفل وبعضهم يخلط الدقيق بقليل من السكر ويأكله وقد دعاني بعضهم الى ان اشرب معه القهوة وكان يأكل معها فجلا ورشادا فعرض على ذابيت فتعجب من ذلك ومع افتقار هؤلاء الفلاحين وشدة احتياجهم الى اشياء كثيرة للدفء مما نستغنى نحن عنه في بلادنا وكذلك كايقاد النار للاصطلاء مدة ثمانية اشهر في السنة وكلبس الجوارب والشعار من الصوف فقد القوا شرب الشاي الغة شديدة حتى لم يعد ممكنا لهم ان يستغنوا عنه فيقال ان مصروفهم منه في العام يبلغ نحو ثلاثين مليون رطل ومصروف جميع الممالك يبلغ نحو اثنين وعشرين مليونا وقد جلب منه في العام الماضي سبعة وثمانون مليون رطل واول ما عرف هذا النبات في اوربا كان من اهل هولاند فانهم جلبوه من الهند وذلك في سنة ١٦١٠ وكان استعماله اولا في غاية الندرة فكان يباع الرطل منه من ست ليرات الى عشر ثم لما استقرت جمعية الهند في تلك البلاد صاروا يجلبونه منها فرخص سره وكثر استعماله وضرب المكس عليه في امريكا حين كانت ملحقة ببلاد الانكليز كان من بعض الاسباب التي هيجت الاهلين الى النزاع والحرب وقد حاول

حاول الافرنج تفتيته في بلادهم فلم يتهبأ لهم وجميع الاطباء يقولون ان شرب
 الشاي غير نافع بل مضر ضررا بليغا بمن في عصبهم استرخاء ولا شئ اقر
 لعين صاحبة العيلة من الانكليز من ان تشرب الشاي مع اولادها بقرب الموقد
 ولا سيما اذا كانت مفلاة الماء تغلى ويسمع لها نضيش والبخار صاعد من بلبتها
 وهذا هو اوفر الهناء الذي يعبرون عنه بلفظة كفويرة ثم ان الانكليز عموما
 يتفخرون بالهسپتاليتي وهي قرى الضيف وبر التريب والحق يقال انهم في ذلك
 اكرم من الفرنسيس وخصوصا اهل الرستاق دون اهل المدن الجامعة فان همهم
 بتحصيل الكسب شاغل لهم عن الكرم الا ان مآذهم منقصة بكثرة العشم
 والتكلف الذي لا معنى له وقد جرت العادة في المآذب الخافلة ان يشربوا الشراب
 على ذكر مشاهيرهم وزعمائهم او كما يقولون على صحتهم او بالخرى يشربون
 صحتهم قال فليز الظاهر انا انما تشرب الشراب لاجل صحتنا لا لاجل صحة غيرنا
 وكانت عادة اليونانيين والرومانيين ان يشربوا ويقولوا كلاما يكون داعيا لان
 يشرب غيرهم معهم لا ان يقولوا انا نشرب على صحة فلان وكانوا يشربون في
 الاعياد تذكارا لاحدى الحظايا ومن هنا جرت العادة عند الانكليز الذين يحبون
 تجديد كثير من عادات الرومانيين ان يشربوا على ذكر احدى الخواتين ويقال
 لها طوست وقد يقع الجدال بينهم والمناقشة هل تلك الست جديرة بذلك او لا
 ومن الامور المهمة عندهم ان يشربوا على ذكر ولي العهد الذي له حق
 في الملك فان ذلك دليل على ككون الشاربين من حزبه قال برون استنف
 كورك وكان ممن يكرهون الملك وليم بودي لو كنت اسد جميع تلك الزجاجات
 التي شربت لمجد هذا الملك وفي سنة ١٧٠٢ كتب منشورا الى اهل ارلانند
 يعلن فيه بان الشرب على ذكر الملوك معصية كبيرة ولا سيما بعد موتهم لان
 ذلك منافق لامر المسيح بقوله اشربوا هذا لذكرى وكذلك برين البرسيبياريان
 الف كتابا كبيرا نهى فيه عن الشرب على ذكر احد من المسيحيين وحذا
 على حذوه كثيرون من اهل انكلترة وفرنسا غير ان مؤلف يوحنا غزي في هذا
 الباب لا يعلو عليه مؤلف قال وذلك كله من العبث اه قلت وكانت العادة
 انهم اذا شربوا على اسم امرأة مارج الشارب شيئا من ثيابه فيلترم جميع
 الحاضرين ان يفضلوا فعله فلما كان ذات يوم شرب احد الامراء على اسم

محبوبته وطلب من الخلاق ان يقطع له ضرما نخرًا فاضطرت اصحابه ان يقتدوا به وفي بعض صحف الاخبار حكاية عن رجل فرنساوى انه قال قد حضرت انا ورفيقي الى النداء ان صح ان يقال تلك الصحاف غدا اما اولا فلانه لم يكن معه شوربة ثم تراءت علينا قطع من لحم البتر وفرد من لحم الضان ثم وضعت البطاطس امامنا على طابعها وعلى حالها وعوضا عن التوابل كان لكل من الجلوس صحفة فيها سمن مسلي فشق على هذه الحال التي رأيتها اول دخول بلاد الانكليز وقلت في نفسي ألا ان هؤلاء القوم لمجيون ما يعرفون الا اللحم ثم جالت الافكار والخواطر في رأسي وقلت ليت شعري ما سبب تفردهم بمخالص لم يشاركهم فيها غيرهم من النخعة التي تظهر فيهم ومن عدم دربتهم في الرقص وغلاظة اصواتهم في الفناء والمخاطب وكلوح سمعهم الناعسة وعن ذلك كله كنت اقول في الجواب انما هو لحم بقر انما هو لحم ضان ثم دعيت الى لون من الطعام نوها به باسم بكت وهو اسم طالمبا طارق مسامع اهل بلادنا وكنت متشوقا الى ان اعرف فلما كشف الغطاء عنه ونظرت اليه اذا هو لحم مشرح شرائح رقيقة ومتبل بالبصل فصرخت متجها للعمرى ان هو الذي نسميه بيفتك فلما قلت هذا تضاحكت الجلوس ولا سيما واحدة من الخواتين كانت تتكلم بلفتنا ثم قالت ان اسم هذا اللون معناه بخت اكلة تفتتا في التسمية لافي المأكول اه • وقال آخر ما شئ باعجب من رؤية ولائم الانكليز التي تذكر الناظر بالولائم التي ذكرها اومبروس اذ ترى قطعاً جزيلة جدا من لحم البتر المشوى وشاة بأسرها على طبق وحيثنا ضخمنا على مائدة طويلة ملائمة من التناهي والافداح والظروف فجلس الضيوف وعليهم الثياب السود وهم رزان ساكتون متحلمون كأنهم حول جنازة ووراء الزعيم رجل يقال له طوست ماستر وهو الذي عليه ان يفتح الكلام حتى اذا ناجاه الزعيم قل بصوت جهير ايها الكرام اتى عدت الى طوست ولا اشك انكم تنعمون بقبوله فتحرك الجلوس من همدتهم ويقومون باجمعهم كما تحرك شيا باآله ويمجيون دعوته فاذا شربوا برز ثلاث جوارى كاشفات عن ترائهن من وراء حجاب ويأخذن في العزف بالبيانو ولا يزال الطوست يدور ويبعد الى ان يحل محله • ومن العجيب ان جيلا متقدما في المعارف والصنائع كالانكليز لا يعرفون ان يطبخوا اللحم بالبقول

بالقول وإنما يخبجون كلا منها على حديثه أما القول فلأنما يستعملونها سلقا وهي عبارة عن اللفت والكرب والجزر وشيئا آخر من هذه النباتات اترجية وسلطان المائنة إنما هو البطاطس إذ لا تتم آدابها إلا بها وربما اجترأ الفلاحون بها عن كل ما عداها حتى عن الخبز وقد يحشون بهارفاق الخبز ويخبجونها في القرن فتسد مسد كل شيء وأهل أيرلند يخبجون منها خبزا أما اللحم فاحب شيء اليهم منه الشواء وهذا من وجه يصلح لمن الف الاسفار لان المسافر حتما كان في الارض يجد اللحم ونارا بخلاف من سافرنا وقد الف الواناشي من العايخ فلا يزال لهجا بهذا وذلك فيتنص عبثه وعلى ذلك قول

- * كأتى أنا والفيل صنوان فرقا * سوى انني ضرب وذلك بادن *
- * فان له نابا يحمين لاجله * واتى لسنى كل حين لحائن *
- الا ان اللوم موجه على المستوطنين واصحاب المطاعم والفنادق الذين يجهلون من انواع الطبخ ما يعرفه افقر الناس في البلاد الشرقية حتى انهم لا يعرفون ان يقلوا البيض بالسمن ولا يخبجون العدس ولا الجص ولا الفول ولا غير ذلك من التفتاني الا الرز فانهم يستعملونه سلتا ثم يصبون عليه الحليب واكثرهم يتميز من الزيت ولا يدري ما طعمه على انهم يأكلون الدم مخلوطا بالشحم ويخبجون منه ايضا نوعا من الفصيد • ومن العجيب انهم لا يعافون من اكل اللحم المنتن وغيره فان الارنب والفزال لا يأكلونهما الا بعد خنقهما بنحو ثلاثين يوما وقد دعيت غير مرة الى موائد الموسرين وشممت فيها جحر الارنب وعلى ذلك قول
- * ويأتون بالارنب المسبطر صحيجا كما كان يطمر طمرا *
- * باذنايه وباسنانه وباطفاره وهو يفقر ثمرا *
- * وفي وجه كل الضيوف له ذنب شائل ودير ترمى *
- * ووالله بالله تالله اتى * شممت له جحرا ليس حزرا *

وكذلك الفراخ والطيور لا يخبجونها الا بعد خنقها بيام ويقولون انها اذا بقيت اياما كثيرة بعد خنقها يزيد لحمها مرآة وطيبا والدليل على ذلك ان الاكل منها يكفيه قليل بخلاف ما لو اكلت وهي طرية والحق يقال ان لحم البقر عندهم لا يؤكل الا بعد ذبحه بيوم او يومين وذلك لكثرة دمه ولا حرج على بيع المنتن من اللحم والسمك والفج من الاتماز والفاسد من كل شيء وعندهم صنف

من الجبن يستطيعونه على غيره لكونه مدودا وكنت ذكرت يوما لاحد فضلائهم قضية اكلهم الارنب منتا فقال لا تعد تذكر لفظة منتن فانها قبيحة تشتمر منها السامع فقلت ما دمت انتم تأكلون المنتن ولا تشتمرون منه فلست بمنفك عن ان اذكرك وهذا كتحشمكم من ان تذكروا في كتبكم ضخم ارداف المرأة مع ان نساكنم التحيفات يعظمن عجائزهن بما لا مزيد عليه من الحشاي والمراقد مما لو فعلته الفواجر عندنا لخيبن قائم حيون من الاسم ووقعون على الفعل ان هذا الغريب فضحك هو وزوجه * وقالت لي مرة احدى النساء المخدومات ما اطيب العيش في بلاد النساء لولا اني اكره شيئا من دُجْهم فقلت ما هو وقد توقعت ان تقول اكلهم الارنب منتا واذا بها قالت انهم يطبخون الفراخ بعيد دجهم وشكوت ذات يوم لمخدومة طاول استمراري على صنف واحد من الطعام فارسلت الى خادمها في اليوم القابل يقول ان سيدتي تدعوك الى النداء فلما توجهت قالت لي اني سمعتك بالامس تشكومن الطعام فصنعت لك اليوم ما يحبك فلما هيئت المائدة قدم عليهما ارنب باذانه وذبّه واذا به منتن ذفر يملأ ذفره الجياشيم فتعذت بالله وقلت ما قال ذلك الظريف ان عمر هذا الحيوان بعد موته اطول منه في حياته والظاهر ان الانكليز يحبون الارنب وصورته فقد دخلت مرة دار الصور في كبريج مع الدكتور لي فكان اول ما وقع نظري عليه صورة ملكة من ملكات اسبانيا على هيئة الاضطجاع عريانة وثمها اربعة آلاف ليرة والى جانبها صورة ارناب وصياد فجعلت انظر الى صورة الملكة وجعل هو ينظر الى صورة الارانب ويستدعيني الى ذلك ثم انه ما عدا جهل الانكليز بالعليج واقتصارهم على لونين او ثلاثة من الطعام فان الانسان لا يجد عندهم شيئا من الطعام والشراب خالسا اما الخبز فانهم يخمرونه بنوع يستخرجونه من المزر ويخلطونه بالبطاطس والرز والفلو والهرطمان والذرة والشب وفي كل رغيف يوجد نحو عشرين حبة من الشب ويبلج الصفر والطين وجبس باريس وصميق العظام ويجزئين آخرين وفي بعض صحف الاخبار ان رجلا اكل جبنا فرض فاستدعى بالطبيب فلما حضر عرف ان الرجل مسموم وان الجبن كان ملونا بالاناتو وهذا الاناتو خلط بشئ من القرمز وهذا ايضا خلط بالسيلتون واما القهوة فيخلطونها بالهندباء والقمع والهرطمان ودقيق البطاطس والفلو ويحرق السكر وعكر القهوة واللفت

واللفت وجذر الفوة وبجزئين آخرين واما السكر فخلوط بالزمل والطين ودقيق القمح والبطاطس والنشا وجزءا اخرى من جلثها هامة يقال لها اكارى واما الحليب فنصفه او ثلثه ماء كذا وجده الدكتور هاليك وملون بصنف يقال له اناو وهذا الصنف مركب من التلى وملح الصفر والملح والسرنج وبسته اجزاء اخرى تدقيق وعند النظر ترى فيه مخ الشاة والجبس والدقيق والنشا وعصير اللوز والصمغ وجزئين آخرين واما البيض فانهم يتقونه في الصيف حين يكون ثمرة رخيصا في برمبل على جيرا وماء ثم يخرجونه في الشتاء ويبيعونه بسعر الفريض فيأتى مسيحا ويتولد فيه طعم جبرى مضر بالعدة وعلامة المتعوق منه ان يكون ابيض ناصعا لكنه خشن الملمس واما اللغم فينتقونه في الدم واما الزر فخلوط بخمسة وعشرين جزءا من جلثها الافيون والملح والرب والسكر والبول وملح الطراير ومحرق البردقان والزنجبيل والافستين والعسل وملح الحديد وملح الكبريت ومحرق قشر السمردان واما الحجر فخلوطة باكثر من خمسة عشر جزءا من جلثها الماء والعرق وعصير القمح وشرب التفاح وعود برازيل ومحرق السكر والراساص واما الشبغ فخلوط بالزيت والملح والرب والسكر والماء والراوند والبطاطس والكرنب والطرون والزمل وبسته وعشرين جزءا اخرى لطعمه ولونه وقس على ذلك النشوق والجرذل وازيت والصابون والخل مع ان هذا الاخير يستفطر من نوع من الشجر وقيل من المزر فهو لاء الناس الذين حكمهم حكم سائر الناس في كونهم ترابا والى التراب يعودون قد خالفوهم في انهم يأكلون التراب ويشربونه خيا الااله عصا المحتسب وهذا الطمع لقتهم ان يتخذوا نبذا من ججع الفواكه من اشهره نبذا التفاح وقد كان عندهم في السابق بمنزلة الحجر في التنافس فيه فكانوا يستمنونه الضيوف كما تنسى الصهباء ثم اعود فاقول انه لا غرو ان يستطيب هؤلاء القوم ما الفوه فان العانة كما يقال خامس طبيعة او ليس ان هنود لوزاتيا يأكلون نوعا من التراب الابيض بالملح بدل الخبز وهنود اردنو كوكو يأكلون ايضا نوعا من الطين اللزج الابيض والزنج يستطيعون نوعا من الثمر على الخبز • اما الامراء والاعنياء من الانكليز فانهم يستخدمون ما باخين فرنساويين ويتلذذون باتواع من الالوان ويجئني من ما كلهم طمخ الفاكهة الطرية واليابسة في العجين وذلك غير معروف لاهل مصر والشام

وصو من بعض ما تعلمه الانكليز من الفرنسيين حتى صار عاماً لغيرهم وقبيلهم واكثر اسماء الطبخ عندهم منقول من اللغة الفرنسية وعندي ان اشتهار الاطعمة الفاخرة في الشام انما عرف في زمن معاوية فانه كان يتأفق في الطعام ثم نقلت اليهم الوان كثيرة من العجم كما يظهر ذلك من بقاء اسمائها عندهم • ثم انه من رسوم الكنيسة المتأصلة ان تقام الصلاة فيها يوم الاحد ساعتين في الصباح وساعة ونصف في المساء وان لم يحضر فيها غير ثلاثة نفر فتسمع في خلال ذلك من تكرير الادعية والابتهالات ما يذهب بالصبر وبعد ذلك يقوم القسيس ويخطب فيهم واكثر الفلاحين يذهبون الى الكنيسة حياء من جبرتهم او خوفاً من القسيس لان قسيس هذه الكنيسة لهم سعادة نافذة على الرعية ومتى قامت الصلاة نكسوا اوتناعسوا وقد بانني ان احد هؤلاء الخطباء لما شرع مرة في الوعظ التفت فرأى الناس نائمين فغضب لذلك وقال بأس السامعون اتم لكم الله انكم ان لم تسمعوها فتستحسون بها ثم رفع التوراة من امامه وضرب بها بعض النائمون حتى اتبعوها وفي يوم الاحد لا يعملون ادنى عمل حتى ان اكثرهم لا يطبخ ومنهم من يخرج من حلق شره فيه او من كتب رسالة وقد اردت مرة ان ازل في بيت عجوز فاول ما اشرت طفت على به كان عدم الطبخ يوم الاحد وعندي ان اصل ذلك الخل منعاً للزيارة والاجتماع ويحكى عن رجل انه سرق بقرة فتقف يوم الاحد فقال للشرطي لولا حرمة هذا اليوم لما اعياني القتل من يدك وبوم الاحد في جميع البلاد الكاثوليكية الرومانية هو يوم الحظ والزاور اما في هذه البلاد فهو يوم الانقباض والكآبة وهو في سكون تلاتد اكثر قبضا وكآبة ولا بد من ان يكون في كل بيت توراة وانجيل وكتاب صلوات فيقعد رب البيت ويحمل بعض اولاده على القراءة منها ويقضون النهار كله في القراءة والترتيل من الزبور وغيره وفي سماع الصلاة في الكنيسة ولا يكاد صاحب عيلة يجلس على المائدة للطعام من دون ان يصلي اولاً او يحمل بعض اولاده يتلو دعاء ما وكذلك عقب الطعام ومن امكنه ان يستعمل في هذا اليوم آية وظروفا غير التي يستعملها في سائر الايام عد ذلك من الاحترام والتوقير لليوم والغالب على الانكليز عموماً مراعاة الفروض الدينية اما عندنا لمصلحة فان الطبخ مثلاً اذا علمته انه لا يحضر الصلاة اوليس

عنده كتب دينية في بيته او كان قليل الاحترام لاهل الكنيسة فضلا عن كونه يجادلهم قل اعتباره عند ذوى الوجاهة وقل نفذه من حرفته وجل المؤلفين من الانكليز يستشهدون بكلام من التوراة والانجيل ترويحاً لبيع الكتاب حتى ان بلير بنى معظم اساليب البلاغة والبيان في كتاب المعاني على عبارات من التوراة وهذا الرأى والتدليس قل ان يوجد في الفرنسيين فان من كان منهم قليل الدين انقطع عن الكنيسة اصلاً والمؤلف منهم اذا كان غير ذى اعتقاد بالتوراة لا يستشهد بها في شئ ولا يكون ذلك باعثاً لكساد حرفتهما اما اهل الكنيسة المتفرعة فهم اشدّ تمحسباً وتصلباً من اولئك فقد يعظون الناس في الطرق والحقول ويوزعون في البيوت كتباً ورسائل دينية وكذلك يفعلون في المدن الفناء وربما متعهم الشرطة من الوعظ علانية لئلا يجتمع عليهم الاوباش فيكون من اجتماعهم ما يوجب النزاع ويذهبون الى كنائسهم ثلاث مرات في يوم الاحد ولا يعوقهم عن ذلك برد ولا ثلج ولا مطر والقاطنون منهم في اماكن منفردة يقصدون الكنائس القريبة وجميع القسيسين في بلاد الانكليز يكافون خدمتهم وضيوهم حضور الصلاة في ديارهم صباحاً ومساءً وقبل تناول الطعام وبعده لا بد من تلاوة صلاة او دعاء وان غاب القسيس قامت امرأته في ذلك مقامه • واعلم ان الكنيسة المتأصلة مؤلفة من مطرانين احدهما مطران كنتربوري ودخله في العام خمسة وعشرون الف ليرة وهوثاني صاحب الملك في الرتبة والمزلة والثاني مطران يورك ودخله خمسة عشر الفا ومن خمسة وعشرين اسقفاً وظيفه كل منهم من اربعة آلاف ليرة فصاعداً ومتى عجز اخدهم عن القيام بخدمته رتب له الف ليرة وقد كان لاسقف برهام ستة عشر الف ليرة ولما ازوى في قصره عين له نصف المبلغ وتحت ذلك مراتب متعددة الاولى جانيسلر ثم الدين ثم الارشيدبكن اى رئيس الشمامسة ثم الپريندرى ثم القانونى الاكبر والقانونى الاصغر ثم الفيكار ثم الركنر وعدتهم بموجب آخر تعريف بلغت ١٢٣٢٧ وعدة كنائس البروتستانت بلغت في سنة ١٨١٨ ١١٧٤٢ وفي القرن السابع كان للاكليروس كلمة نافذة حتى على الملك وفي سنة ١٨٥٤ بلغ ما جمع لتفقة كنائس انكلترا وحدها في سنة واحدة ٣٠١٥٤٠ ليرة ولمساعدتها ١٦٤٧٧١ فتكون المجلة ٤٦٦٣١١

وفي سنة ١٦٠٤ استعفى منهم الفنان من وظائفهم كراهية ان يعضوا اسماءهم على كتاب الصلوات المشتل على تسع وثلاثين عميدة ولهذه الكنيسة حق في ان تأخذ العشر من سائر الكنائس بل ومن اليهود ايضا وطالما تظلم اهل الكنيسة المتفرعة من اداء العشر لهما فلم يجد ذلك نفعا ولا تسمح للكنيسة المتفرعة او لغيرها بوضع اجراس واذا اضطر احد من المتفرعين الى زواج مثلا او معمودية او غير ذلك من الفرائض الدينية وطلب من قسيس المتأصلة ان يقضى له ذلك حالة كون قسيسه غائبا لم يحجه الى مطلوبه وقد بلغني ان رجلا مات وكان حال حياته مدينبا في عقيدته فتنازع قسيسا الكنيستين على اليها يدفنه وطال ذلك يتها حتى اروح الميت ويمكن ان يقال ان الكنيسة المتأصلة هي ديوان من بعض دواوين الدولة فان كلمة ركطر القرية ابلغ نفوذا وفاعلية من كلمة ضابط البلد وليس شرطى الديوان في قرينته الامن بعض اتباعه واذا زاره احد الفلاحين فلا يأذن له في الجلوس فهو على هذا جدير بان يقال له دهقان القرية او شيخ البلد وربما بلغ دخله الف ليرة فترى له احسن الديار وعنده خدمة وعاجلة فاخرة وخادم يسوقها وعلى برنيطة شريطة من ذهب كخدمة الامراء ثم اذا صعد المنبر وعظ المساكين المحتاجين الى القوت الضروري بالزهد في الدنيا ومجنب شهواتها ولا يمكن اقامة دعوى في ديوان احد الاساقفة الابعصروف واقر فلماذا يأتي ان يعيش الرجل مع امرأة عيشة التعة والسقاح الا اذا صدر له حكم من ديوان الاسقف من دون نفقة وذلك نادر وهذه الكنيسة هي مثل الدولة في انها لا تروم تنيير شئ من رسومها وتراتبيتها واحكامها فان قسيسها يتلون فيها كتاب الزبور وبعض فصول من التوراة والانجيل وهي مخالفة لما في ايديهم الآن منها وذلك لان كتاب الصلوات جرى استعماله عندهم قبل ترجمة التوراة فلما شرعوا في ترجمتها وجدوا ان ما ادرج فيه كان مخالفا للاصل فابقوه على خله ومن يوم شرعوا في التأليف تجد اسم يسوع على نسق واحد في جميع كتبهم وكلامهم وهو جيسس الا في موضع واحد من كتاب الصلوات المذكور فانه فيه جيسو فكأنه في اللاتينية مجرور وكلما طبعوا نسخة من هذا الكتاب حذفوا السين في ذلك الموضع ولا بد من ان يكون في كل قرية في بلاد الفلاحين كنيسة للمتأصلة وان لم يكن فيها دكان لبيع اهم ما يكون من المأكول

الماكول والملبوس ولا بد ايضا من ان يكون لها برج بلزقها لوضع الاجراس
 فيها ما يكون له اربعة اجراس ومنها ما يكون له ستة او اثنا عشر وضربهم بها
 مطرب ولا سيما على بعد وهم يدعون باله ليس من يجارهم في هذه الصنعة
 فانهم اقتنوها غاية الاتقان حتى انها تكاد ان تعد من فنون صنعة الايقاع
 واكبر جرس في الدنيا جرس كرميلين او كرميلان وهي قلعة مدينة المسكوب زنته
 ٤٤٣٧٧٢ رطل وقيمة جوهه ٦٦٥٦٥ ليرة ولا شرع في سبكه تبرع كثير من
 الناس بالفضة والذهب فخلطوا معه ثم يليه جرس كنيسة صانت ايفان في المدينة
 المذكورة زنته ١٢٧٨٣٦ رطل ووزنه جرس كنيسة رومية ١٨٦٠٧ رطل وجرس
 قصر فلورانس ١٧٠٠٠ ونحوه جرس اكسفورد ووزنه جرس كنيسة صان باول
 بلندرة ١١٤٧٤ رطل وفي هذه السنة وضع جرس في برج مجلس المشورة بالمدينة المذكورة
 زنته ٣٦٠٠٠ • قال فانسان بلاد الانكليز هي بلاد المذاهب والتحل
 فالانكليزي يذهب الى السماء من اي طريق شاء ولكن وان يكن ممكنا لكل
 واحد منهم ان يعبد الله ويخلصه على الوجه الذي استحسنه الا ان دين الدولة
 هو الوسيلة للثمول ونوال الوظائف والراتب السامية فلا يمكن لاحد ان ينال
 وظيفة في انكلترا وارلاند ما لم يكن على مذهب الكنيسة الاسقفية وهذا الخطر
 جعل جل ذوى الوجاهة والنباهة من حزبها ثم ان اكليروس هذه الكنيسة قد
 اقتدوا بالكنيسة الكاثوليكية في سنن كثيرة وخصوصا في اخذ العشر من الرعية
 وفي النهي الى التأمير عليهم لان ركطار القرية ان هو الايالا لو استطاع الا
 انهم اكثر حشمة وعفة من قسيسى فرنسا واخص اسباب ذلك هو كونهم
 يتزبون في اكسفورد وكبيرج بعيدين عن فساد المدن الكبيرة قلت لعله
 حين كتب ذلك كان اكليروس فرنسا على غير ما نراهم في هذا العصر فانهم
 الآن قدوة في الفضائل والمحامد وكذا يوجه قوله بعيدين عن الفساد فان هاتين
 المدينتين الآن فيهما من البغايا ما يكفي اهلها وغيرهم معهم ولو قال ان اخص
 اسباب ذلك هو كون قسيسى الانكليز يتباح لهم الزواج لكان اولى قال ولا
 يشتدبون الى رتب الكنيسة الا اذا بلغ احدهم من العمر ما لا يكون له فيه نهم
 قلت حد القسيس ان يكون بالغا من العمر اربعا وعشرين سنة ومتى عرف فضله
 وعمله بعد ذلك يرقى الى درجة الاسقفية من دون تعيين سن • وهنطلفيرح

الوادون وليكد الشامتون فان الدكتورلى عزم على التوجه الى برستول ليقضى فيها وظائفه الكنائسية مدة شهرين ولكن ليس بعد ان نعيته الى انقارئين والسمعين ومن ثم وجب على ان الحق به ففصلت من تلك القرية المشهورة الى لندرة ومنها الى المدينة المذكورة فبلغتها فى نحو خمس ساعات فى خلالها وقف الزتل فى عدة مواقف وكان قد اخبر صاحبة المحل بقدمى وحالى واوصاها بان تطبخ لى طبقا فرنساويا اى ان يكون كثير البقول قليل اللحم فلما كان المساء احضرت لى طعاما مطبوخا من دون ملح على عادتهم لكنها احتفلت بى غاية الاحتفال حتى استحييت من ان اذكر لها الملح وفضلا عن ذلك فان فرجى برؤية الاسواق والديار والعواجل انسانيه ثم لما قابلت الدكتورلى فى الغد سألتنى عن الطعام فقلت له انه كان بغير ملح قال كيف ألم تحضر لك ملحا على المائة فلم تلحه انت فاذنها خشيت ان تضع فيه ما تعافه فقلت لو احضرت لى اللحم ينشأ لكنت اطبخه بانفاسى واللمه بدموعى وكان خيرا من عادتك هذه المنقصة قال لا بأس بين اىما المرة الثانية قدر ما تريده من الملح تفعل ثم لمت صاحبة المنزل على طبخها الطعام غير مملوح فقالت هذا دابنا رأيت ذلك المخلل الذى اكلته البارحة لو انك اعطيت زوبجى خمسين ليرة لما اكله مع انه كان خسا بالخل وبينما كنت ذات يوم جالسا معهم على المائة اذ دخل طفل لها وهو وسخ الثياب والطامة فقال لها زوجها لم تغادرين الولد وسخا هكذا فقالت قد غسلته هذا الصباح ولكن طبعه ان لا يدع شيئا من ثيابه نظيفا ثم لجأ فى الكلام فا اشعر الا والسق قامت وجاءت بالكنيسة لتضرب زوجها فهرب من قدامها فأقبلت تبحر وراءه وهو هارب فلما لم تلحقه غشى عليها من شدة الغضب فتداركها الرجل بالعرفى وبغيره حتى افاقت مع انها كانت من اهل الصلاح وكان زوجها بجزلة نصف قسيس ثم ان برستول هى من المدن القديمة لا بهجة لها ولا رونق وهى ضيقة الطرقات قذرتها وليس لها عماش رحيبة ولا ساحات فسيحة ولا مقاعد ولا منزهات ولا محال للقهوة او الحظ سوى ملهى واحد وعدد اهلها مئة وخسون الفا وقل فيها وجود غريب وبيوتها الجديدة حسنة فاما القديمة فلا تصلح لشيء فان صفحتها شبه زاوية منفرجة يبدو منه تسنم سطوحها وتجد بين البيت والبيت من فرق خلأ تقبو عنه العين ونساؤها يشبهن نساء

الفرنسيس في استدارة الوجه ولها نهر صغير فيه بواخر وغيرها مسافته نحو سبعة اميال بأية الجزر والمد في اليوم مرتين ومنه تُسافر البواخر الى والس وقد شرع في بناء جسر عليه من حديد ولم يتم اكثره مصروفة وعند هذا الجسر كانت محلة للرومانيين لما افتتحوا بريطانيا وقد بقي من آثارهم حائط كانوا يترسون به قال مؤلف ابجدية الاوقات كان بناء برستول في سنة ٣٨٠ قبل الميلاد وكانت تعد من المدن المحصنة واسمها في القديم كايبريتو اى مدينة البريتانيين انتهى واتفق بعد نزول في ذلك المحل ان قدم القاضي ونزل فيه وفي الغد حضر نحو اربعين رجلا من شرطة البلد واصطفوا لدى الباب ووقف اثنان يفتحان في ابواب من فضة ثم جاء ضابط متديا بلباس احمر وكان القاضي قد لبس ايضا لباسا احمر وعلى رأسه شعر عارية ابيض فدخلا في عاجلة نفسة وقف عليها رجلان لابسان كسوة مزركشة بالذهب كما هي عادة خدام الامراء ثم دخل معها رجل حامل سيفا طويلا في كعبه صورة تاج وله ثلاثمائة ليرة في العام لحمل السيف ثم ذهبوا الى دار الحكومة وكان عن شمال العاجلة ثمانية من الشرطة يحملون عصيا من فضة رؤوسها كالبواخر واثنان يحملان مزاريق قد غشيت اعاليها بالفضة وفي كل سنة يحتفلون به هذا الاحتفال فان القاضي لا يستقر في البلدة وانما يأتي اليها اربع مرات في السنة لفصل الدعاوى الخطيرة في ايام معدودات وفي مدة غيابه ينوب عنه اناس في فصل غير المهم وفي برستول كنيسة للاطائفة المعروفة بالكويكرس والسين علامة الجمع وهم صنف من النصارى الا انهم لا يعتقدون بالعمودية ولا بالقربان ولا يقرأون الانجيل في كنائسهم ولا صلوات معينة وليس لهم شعار معلومة ولا قسايسون كما للنصارى وانما اتقاؤهم هم المتقدمون فيهم ومعابدهم عبارة عن بيوت لا فيها فرش ولا محاريب ولا مذابح ولا كتب ولا صور ولا منابر ويقولون ان الدين لله لا يكون مرضيا الا بالروح لجميع الرسوم والتكليفات والفرائض عندهم لغو ويقولون ان المسيح نفسه كان كويكرا وانه لا يجب تأدية العشور لرؤساء الكنائس ويؤمنون ساكنين الى ان يوحى الى احد منهم في زعمهم فيلقى ما اوحى اليه في بضع دقائق وهو واقف فاذا فرغ قد استراح وقد ذهبت مرة الى معبدهم فاجتمع فيه نحو مائة وعشرين نفعا جلست

النساء في الجانب الايمن على ذلك عليها زرابى وجلست الرجال على اليسر على ذلك متقابلة من دون زرابى وجلس في صدر المحل اربعة رجال وثلاث عجائز على دكة عالية وجلس دونهم خمس عجائز وثلاثة رجال وبقوا كذلك صامتين ساعة وربعاً ثم قام رجل من اصحاب الدكة العليا الذين كانوا اقرب الى الوحى والنبي على الناس كلاماً وجيراً نحو خمس دقائق معناه ان رضوان المولى هو ان يكون عقل العبد متجنباً اليه وانه سأتى ايام يعين فيها بعض الناس بعضاً بالارشاد والهداية وان جزاء كل انسان منوط بعمله وما اشبه ذلك ولم يذكر في كلامه اسم المسيح ولا اسم روح القدس وبعد نحو ربع ساعة قامت عجوز من اصحاب الدكة الثانية فقام جميع الحاضرين وحسرت الرجال عن رؤوسهم فانه لا حرج على من ظل مقلتاً في العبد واخذت تصلى بصوت مرتفع نحو خمس دقائق فذكرت اسم المسيح ولم تذكر روح القدس ثم انفضوا وشعار هذه الطائفة هو ان رجالهم يلبسون جيبهم مثنية على اعناقهم من دون اطواق وان النساء يلبسن برابط طويلة من قدام حتى تغطي وجوههن وخصوصاً العجائز وهى غالباً من الحرير وثيابهن من لون واحد ومن مذهبهم انهم يحتجبون مواضع الحظ والهوى والسكر وان لا يحلقوا بيمين ما ولو في مجلس القاضي ولا يرون في الحرب خيراً وحسبك بالسفراء الذين ذهبوا منهم الى قيصر الروس عند ابتداء الحرب دليلاً ومن شأنهم الاقتصاد في النفقات وان يساعد بعضهم بعضاً وقد كانوا في الزمن القديم عريضة للاضطهاد والطرده ولكنهم الآن آمنون ولهم بعض خصائص منها اذا تكلموا مع شخص ايا كان خاطبوه بلفظ المفرد بخلاف عرف اللغة واذا حضر احدهم مجلس الملك حضر بكسوته الاعتيادية من دون وضع شعر عارية ولا يزرع رينطته بيده وانما يزرعها عنه آخر ويخاطبون كل واحد بلفظة يا صاحب ولا ينفاسون في الاتساب والنوع ولا يجوبون بها على احد ولا يحلون على ميت وعندهم ان النساء في الفضائل والمناقب كالرجال وعدد هذه الطائفة في برستول اكثر من عشرة آلاف نفس ولا يكاد يوجد بينهم فقير قال الفيلسوف فلتير لاطائفة الكويكر معابد كثيرة في لندرة اعظمها الموضع المسمى منيوينت زرته مرة مع مضيى فاجتمع فيه نحو اربعمائة رجل وثلثمائة امرأة وكانت النساء ساترات وجوههن وعلى رؤوس الرجال برابط كبيرة والمجمع

والجميع سكوت فجزت بينهم ولم يرفع أحد طرفه للنظر الى وبعد صمت فمحو ربيع ساعة قام احدهم وحسر عن رأسه ثم بعد ان ابدى بعض زفرات بعضها من فيه وبعضها من مخبره التي على الحاضرين جلا مشوشة مضطربة زعم انها من الانجيل فلا هو ولا احد غيره فهم منها شيئا ولما فرغ من ذلك انصرفت الجماعة فسات مضيي ما بال حكماؤكم يرضون بهذا الهذيان فقال انما مضطرون الى ان نرخص فيه لاننا لا ندرى هل الشخص الذي يقوم للخطبة يكون قيامه بوحى من الروح او الحماقة فنصغى الى ذلك ونحن صابرون مرتابون بل نرخص ايضا للنساء في الكلام وقد يتفق ان يوحى الى اثنين او ثلاثة في وقت واحد فن ثم يقع ضحيج ولغط في بيت الله فقلت أليس فيكم اذا قسيسون قال لا وانا لجد انفسنا بدونهم في حال احسن ثم تلا من كتاب ما معناه ان الله تعالى لم يرض ان نعين احدا لقبول روح القدس في ايام الاحياء اذ سائر المؤمنين منه ثم قال الحمد لله على اننا نحن دون سائر الناس لا قسيسين لنا ولم ننزل ولدنا عند مرضع اذا كان عندنا لبن يغذوه قال وانتشار مذهبهم كان في انكلترا سنة ١٦٤٢ وذلك عند ما ظهر فيها ثلاثة مذاهب او اربعة اضرمت فيها نار الحرب بين الاهلين تعبدا لله تعالى فقام اذ ذلك رجل اسمه جورج فوكس من كورة يقال لها ليسستر وكان ابن رجل نساج الحرير فاخذ بعض الناس وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان اميا حيد السيرة لكنه كان فغتها فكان يلبس جلادا من رأسه الى قدمه ويطوف من قرية الى اخرى مقبعا على الحرب وعلى اهل الكنيسة ولو انه ذم العسكر وحدهم لما كان لقي ما يخاف منه الا انه لما كان ذمه موجهها الى رؤساء الدين لم يلبث ان قبح عليه واحضر بين يدي قاضي دربي وهو على ذلك الزنى وفلاسوته الجلاء على رأسه فبادره احد الجند بلكمة على خده وقال قبحا لك ألم تعلم انه ينبغي لك ان تحضر بين يدي القاضي حاسر الرأس فادار له فوكس خده الثاني والتمس عليه ان يلكمه لكمة اخرى حبا بالله ثم تقاضاه القاضي يمينا قبل ان يسأله فقال اتى لن اتخذ اسم الله بالباطل ابدا ففاظ ذلك القاضي حتى ارسله الى دار المجانين في دربي فسار وهو يحمده الله على ذلك فلم يأل المأمرون بمجلده جهدا فكان فوكس يتضرع اليهم ان يزيدوه من هذه التهم لصلاح نفسه فاردوا طلبه ولكنهم عجبوا منه فاخذ حينئذ بعضهم

وينذرهم قضا حكامه اولاً ثم اصغوا اليه وارتاحوا لقوله وصدقه كثيرون منهم ثم لما اخرج من السجن جعل يطوف في البلاد ومعه اثنا عشر رجلاً ممن تذهبوا بمذهبه وهو يذم اهل الكتيبة فرض نفسه ايضاً للجلد مرة بعد مرة فلما اخذ يوماً الى موضع النكال اتى على الحاضرين خطاباً بغاية الجاسة فهدى منهم الى مذهبه خمسين نفساً واستمال الباقين الى محاماته حتى انقذوه من تلك الورطة وجعلوا يبله القسيس الذى تسبب في معاقبته ثم استمال ايضاً بعضاً من جند كرومول فانكروا الحرب وابوا اليقين فامر بان يقبض عليهم اذ لم يكن يريد ان فرقة من الناس لا تحص على القتال قبض عليهم ومثلت السجنون منهم الا ان شان الاضطهاد ان يزيد في عدد الدخلاء فرادوا ثباتاً في معتقدهم

معهم امن لهم السجين ايضاً والذي زاد في هذه الشيعة فضلاً عما ذكره هو ان فوكس كان يعتقد بان له سرا يمكنه من التكلم بما يخالف عادة البشير فاخذ يرجف ويرتعش ويتأوى ويكظم نفسه ويتنفس الصعداء فلم يلبث ان صار له دربة بالوحى عظيمة حتى لم يعد يقدر على الكلام الا به وكانت هذه اول فتحة افادها لتلاميذه فاسرعوا في محاكاة امامهم في تغيير السمعة والارتعاش عند هبوط الوحى عليهم جهده المستطيع ومن ثم سموا كويكرس اى مرتعشين اما العامة فانهم نبزوههم واتفق مرة ان قال فوكس لاحد القضاة جهراً بمحضرة جمع كبير احذر لنفسك يا صاح فان الله يعاقبك سريعاً على اضطهادك الاطهار وكان هذا القاضى مولعاً بالشراب وكان يسكر في كل يوم فاعتراه بعد يومين فالج اودى به وكان بهم اذ ذلك بان يمضى حكماً بمحبس بعض الكويكرس فتعجب قلوب الناس ان موته كان سبباً عن اضطهاده الرجل الطاهر لا عن ادمانه على الشرب فصار هذا الموت القجائى سبباً في اجتذاب كثير من الناس الى مذهب الرجل اكثر من الف موعظة والى الف لجة فلما رأى كرومول عددهم يتزايد في كل يوم رغب في ان يستميلهم اليه ففرض عليهم المال فابوه فقال يوماً لعمري ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذى لم نستطع ان نغلبه بالمال ثم صاروا عرضة للاضطهاد في عهد كرومول الثانى ليس لاجل الدين ولكن لامتناعهم من اداء العشر للاكادروس وخطابهم القضاة بانث ولامتناعهم من اليقين التى يوجبها الشرع وفى سنة ١٦٧٥ قام رجل من اهل سكوتلاند

سكوتلاند اسم روبرت باركلي وقدم للملك معذرة عن الكويكرس وهي من احسن ما كتب في هذا الباب اذ لم يرتكب فيها شيئا من التجديد والاطراء وانما اودعها الكلام الحق والنصح السديد وكتب في آخرها انك قد نذت الخلو والمر والنعيم والبؤس فانك طردت من البلاد التي ملكتها فيها وشمرت بشغل الظلم فكان ينبغي لك ان تعلم ان الظلم مقت عند الله والناس فان كان قلبك لا يلين بعد تلك المحن والخيرات ونسى الله الذي لم ينسك في يؤسك فان اثمك يكون اعظم وهلاكك اشد فاليك من الاصفاء الى ما يطريك به اهل ديوانك بل اصغ الى صوت الضمير الذي ليس من شأنه الاطراء ولا التمليق « من صاحبك الامين واحد رعيك روبرت باركلي » واعجب من ذلك ان هذه الرسالة مع كونها صدرت من رجل خامل الذكر فقد نجحت في قلب الملك حتى كف الاضطهاد عنهم وفي هذه الاثناء ظهر ولیم بن التيم وبث مذهب الكويكرس في اميركا الى ان قال وليس لاهل المذهب في انكلترا اهلية لان يكونوا من اهل مجلس المشورة ولا ان يتولوا المناصب العمومية لامتناعهم من اليمين مما لا بد منه في الامرين فجعل كسبهم المال انما هو من التجارة وحيث كان غنى الاولاد انما هو من كد والديهم كان لهم مطمح الى كسب الشرف والازرار والقفازين ويستحيون من ان يقال لهم كويكرس فيذهبون مذهب البروتستانت ليكونوا في عداد اهل السميت والطراز الخ • وفي برستول ايضا كنيسة لليونيترين ومعناها الموحدون يعتقدون بوجود الله واحد فقط وان عيسى المسيح انما كان بشرا وانه انما قيل له ابن الله من قبيل التعظيم كما قيل ايضا لسليمان بن داود وهم في البلد اصحاب وجاهة وثروة وفيها ايضا زمرة تسمى شيعة سوينبرغ اعتقادهم ان الله واحد احد وانه ظهر في ناسوت المسيح وان جسم المسيح هو المراد بقولهم الابن وان اللاهوت هو الذي يقال فيه انه الاب الخالق وبالجملة فان المسيح هو عندهم الابن وروح القدس ومظهر اللاهوت ومنشئ هذا المذهب رجل جرمانى ظهر منذ ستين سنة تقريبا ومن شططهم انهم يؤولون كل لفظة وردت في التوراة بمعنى غير الظاهر منها فيؤولون لفظة سورية مثلا بالعالم والمعرفة وخيل مصر بالنعمة والجبل بالحماية وقد الف سوينبرغ في ذلك مؤلفا ضخما لا يكاد القارئ يحتمه في بضع سنين ومن كلامه لما كان للكلمة استعمالات كثيرة وكان المسيحيون الاولون

سجدا يفهمون كل شيء على ظاهره فرقوا اللاهوت فجعلوه ثلاثة اقانيم فاعتقد به كذلك من خلفهم الى ان قال لاته ما احد يدخل السماء وهو يعتقد بثلاثة آلهة وفي برستول مرّقب فيه مفضورة عالية مظلمة لها كوة في اعلاها مرآة يقع عليها نور الشمس فترسم ضواحي المدينة به على مائدة لها سطح مجوف فيرى الناظر فيها النهر والشجر والرجال والنساء والماشية فيخيل له انه بينهم وقبل ان رجلا رأى في هذه المائدة زوجته تمشي رجلا وهو يقبلها فعرّفها فلما رجع الى داره خاصمها خصاما اوجب الفراق * وكانت صاحبة المحل الذي نزلت فيه مولعة بالزمرة وهي امرار اليد على وجه انسان حتى يغيب عن الادراك وهي نسبة الى رجل غساوى اسمه مزمر فاشتقوا منه فعلا يقال مزمره اى عاجله بامرار اليد وذلك انهم يعتقدون ان في بعض الاجسام خاصية تؤثر في غيرها على مقتضى ما يتوّه المؤثر وقد سمعت من الست المذكورة ان بعض اطباء مزمر خادمة لها حتى خثرت نفسها ثم لمس من رأسها مبعث الانفة والمدافعة وقال لها انت دمية فقالت لا بل انا احسن خلق الله وجهها ثم لمس مبعث الكرم فقالت بالباب مسكين خذوا هذا الدرهم واعطوه اياه ثم لمس مبعث الفضب فجعلت تهيج وتشتع شعرها فاراد ان يرجعها الى حالتها وارتاب في استطاعته على ذلك فلم يقدر وبقيت الجارية كذلك هائجة مضطربة وذلك لانك اذا اثرت في شخص واحلته عن حالته وشئت رده لزمك ان تعتقد اعتقادا يقينا بانك مستطيع عليه فلما تبين له عجزه استدعوا بطبيب آخر فحاول ان يخرجها من قوة تأثير الاول بواسطة الامرار فلم يتم له ذلك بالكلية وانما اضعف منها اثر الاول اضعافا فباتت على تلك الحالة ولا اصبحت خف ما بها ثم شفيت ويقال انه اذا امر الشخص المؤثر فيه بقتل انسان قتله او بقضاء حاجة قضاها دون تلبث حتى انه ليفعل ما فيه ضرر نفسه وانه يدل على اشخاص واماكن لم يكن رآها من قبل وينعتها كما هي واتفق ان جارية الست المذكورة اصابها ورم في وجهها عن وجع ضررس فاجلسنها على كرسى ومزمرتها حتى غشيها سبات ويست جوارحها فاخذت سيدتها تنفخ عليها وما زالت بها حتى شفتها بالرة ومرة اخرى اجلسنها امامى ثم لوت يديها الى صدرها ثم امرت يديها على وجهها فالبث ان غمضت عينيها فامرتها ان تمشي من ذلك المحل الى

غرفة غشت وعيناها مغمضتان وسيدتها ممسكة بها خيفة ان يصدم رأسها شيء فلما وصلت قالت المخدمومة اين تريدن القعود على الكرسي ام على الاركة فقالت بل على الكرسي فقالت لها لك ذلك فجعلت فسالتهما عن اى شيء يشغل فلان به فقالت هو ناظر الى ساعته قالت كم الساعة الآن قالت الحادية عشرة وربع فذلت اصبعها الى موضع آخر من دماغها وقالت اخطأت فقالت بل خمس دقائق بعد الظهر ثم امرتها بالفناء ففنت ثم بالضحك فضحكك ثم سألتهما عن خادمة لها كانت ذهبت صباح ذلك اليوم الى امها ماذا تصنع فقالت انها الآن تكلم امها في شائك وتطلب منها ان تكلمك لتعفيها من الزمرة وانها تتخى ان تراك مرة تمر من احداهما رجعت الخادمة في الغد سالناها عن ذلك فلجاببت بما ذكر ثم اتها فتحت عليها وامرت عليها يديها صعدا فافاقت وهذه الخاصية قد شمرت في فرنسا جدا واشد الناس انكارا لها اهل الكنيسة والاطباء فان الاعتقاد بها يوجب الشك في النبوة ويصدق المرضى عن الاطباء وساذكر في وصف باريس ما جرى بيني وبين احدي هؤلاء النساء وفي هذا القدر الآن كفاية •

ثم سافرت من برستول قصد ان ارى بعض جبال والس فينشرح صدرى لان بلاد الانكليز كلها كما ذكرت سابقا عبارة عن حقول ومروج وهى وان تكن ناضرة الا انه لا شيء يبعث على اذارة الفكر واجالة الخاطر كزينة الاماكن المختلفة نحو ان يكون فيها سهل وجبال واكام وادوية وغياض فكلما تعدون المناظر العين كثرت الخواطر في الذهن وتنوعت الهواجس في الصدر فسافرت في الباخرة فبلغت فرضة تسمى نيوبورت اى المرسى الجديد في نحو ساعتين ونصف فبت هناك تلك الليلة وفي الغد سألت عن اقرب الجبال فقيل لى اذا طلعت هذه العتبة ظهر لك فطلعتها ودللت على جبل يسمى لندوغو وهى كلمة والسية لانه لا يوجد في لغة الانكليز كلمة تنتهى بحرف الواو فسمت اليه ماشيا اذ لم اجد راحلة تبلىنى اليه فكنت اسأل المارين عن مقدار بعده فكان بعضهم يقول سبعة اميال وبعضهم خمسة وبعضهم ستة فسألت عن بلدة استريح فيها فدللت على قرية بعضهم يسميها مدينة وبعضهم قرية وبعضهم بلدا وهى عبارة عن ستين بيتا فسألت عن مطعم فدللت على بيت مشهور عندهم فاردت ان آكل ايضا لعدم وجود اللحم والسمن عندهم فقلت لصاحبة المحل اتى

أريد أيضا فقالت لاي سبب قلت للاكل قالت ما ثم بيض في هذا الاوان مع انه كان في الصيف فالحمت عليها فبعت من طوف في القرية حتى جاء بيضتين بعد الجهد فقلت اقلعهما باليمن فلم تفهم فاعدت عليها الكلام فقالت تريد ان تكسر البيض في اليمن قلت نعم قالت فايكون هذا اغلاء قلت بل هو قلى قالت هذا ما لم افعله في عمري قط فصصفه لي فأتت تضعين المقلاة اولا على النار ثم تصبين فيها اليمن حتى يذوب ثم تكسرين البيضتين فيه وانا اتولى بعد ذلك امرهما قالت فالاولى ان تتولاه من الآن وتقليعهما كما تشاء وانما اوردت هذه الواقعة اشعارا بمجهل هؤلاء القوم ادنى انواع الطبخ والمفتنون منهم يقلون البيض بمائه ومن تحته لباب الخبر ثم ان هذا الجبل وان يكن منظره في الحقيقة مما تسرح فيه العين وينشرح به الصدر بالنسبة الى بلاد الانكليز المحتنة الا انه بالنسبة الى بلادنا يعد دكا او اكمة • وادلم ان اهل والس هم اهل شجاعة وبسالة وهم الحريون بان يقال لهم بريانيون فانهم لم يبرحوا في منعة ولهم لغة خاصة بهم الا ان كبارهم واغنياءهم يتكلمون بالانكليزية ولكثرة مكاتب الانكليز فيها الآن اقبلوا على تعلم لغتهم غير ان لغتهم الاصلية لم تزل مستعملة وهي تشتمل على بعض حروف الخلق كاللغات المشرقية ويقال انها تشبه لغة اهل بريتون من فرنسا وانها هي بعينها والتدب والتأدب عند الفلاحين هنا اقل منهما عند فلاحي انكلترا وقد كانت بلادهم في الزمن القديم مستقلة بنفسها واول من اخفها بحكومة الانكليز كان ادورد الاول وذلك في سنة ١٢٨٢ عند موت اميرهم لويلان لكنهم بقوا بعدها يحاولون الاستقلال الى ان رزق الملك المشار اليه ولدا في سنة ١٢٨٤ فسماه من دهائه امير والس وبقي هذا اللقب خاصا بولى العهد في بيت الملك ويقال ان الملك حين سمي ابنه امير والس جلده على ذراعيه وقال لرؤساء والس بلغتهم اخ دين ومعناه هذا بلديكم وملكيكم فصارت هذه الكلمة شعارا يكتب على ترس امير والس الى يومنا هذا وفي ابجدية الاوقات ان اهل والس كانوا يسمى قديما صلتس وهم اسلاف البريتانيين وكانوا اول من سكن بريتانيا ولقطة بريتانيا تشتمل انكلترا وسكوتلاند والس وكانت تسمى البيون وهم الى الآن يأنفون من ان يقال لهم انكليز ثم اتحدت بآنكلترا وعدت منها بامر مجلس المشورة وذلك في سنة ١٥٣٥ فاما

فاما ارلاند فان الحاقها بانكلتره كان في سنة ١٨١٠ ثم رجعت الى برستول
وتعرفت باحد افاضل الانكليز الذين اولعوا بحب اللغات لا للتفاخر
وللاكتسب ويقال له دكتور جون نيكلسن وانما لقب بدكتور لانه كان درس
الفلسفة في بلاد النمسا ونال هذه الدرجة فان لفظة الدكتور يوصف بها
كل من الطبيب والرباني والفيلسوف على حد سوى وكان قد تعلم ايضا لغتنا
ولكن لم يكن سمعها قط من اهلها ولما كنت ائتم منها كان يطرب غاية الطرب
فدعاني الى ان ازوره في محله الكائن في بلدة بنريث من شمالي انكلتره فلما رأيت
ان مسامحته غنم واجابته ختم وعدته بذلك ثم لما فرغت مدة الدكتور لي من
برستول عزم على الرجوع الى القرية المشؤمة فساخر قبلي بيام فسرت لارى بلدة
بات فبلغتها في نحو عشرين دقيقة فاول ما دخلتها رأيت امرأه تغني وغلاما
يفضرب بالسنطير المعروف عندنا ولكن على الحانهم فسألت بعضا عن اسم الاكلة
فلم يعرفها فسألت العازف به فقال اسمه دلسر وهو من اللاتينية مشتق من
الحلاوة وبات هذه بلدة ظريفة بناؤها من الحجر وموقعها بين اودية ناضرة
وتلال بهيجة وهي مشهورة بآء معدني يستخرج فيه ولهذا سميت باناء اي حماما وهي
مقر الكبراء والاغنياء ولاسيما المتقاعدون من الضباط وغيرهم ممن كانوا في الهند
واهلها يغفرون من الغريب ويسلقونه بالسنتهم وكذا هي سائر بلدان الانكليز
غير المطروقة من الغرباء ثم رجعت الى برستول وسافرت الى جلتهم فبلغتها
في ساعتين وهذه المدينة معدودة عند الانكليز من اطرف المدن لحسن بناؤها
فانه من الحجر ونظافة طرقها وكثرة الاشجار في ضواحيها ولكن ليس فيها
محال للهو والقهوة ولا مطاعم حسنة وقد اردت ان اتفدى في الظهر فلم اجد
شيئا عتيذا فاضطررت الى الشواء من الضان واشترط علي ان لا ادخن ثم اردت
ان اسافر الى اكسفورد فقبل لي انه لا يمكن ذلك الا اذا رجعت الى كلوستر فعدت
ولما دخلت البلد اذا بزحام وخلق كثير فسألت عن سبب ذلك فقبل لي انه عيد
استنجاز الخادمين والخدامات وذلك ان المخدم يستأجر خادمه الى اجل فلا
يمكن للاجير ان يخليه الا لاسباب ومع هذا الزحام والضجيج فلم يكن من شيء
يرني اليه الا باننا كانت تمتشي على خشبتين وهذه البلدة هي محل صنع الحديد وهي
قديمة قدرة كاظمة للقلب ثم اجترت بعده بلدان منها استورد فيها معامل الجوخ

ثم الى اكسفورد وقد تقدم ذكر ذلك ثم الى القرية وكنت قد استأجرت بيتا فيها يشتمل على اربعة مساكن وفرشته على قدر ما اقتضى الحال على متمكن غير امكن واستخدمت رجلا يزرع في مقلته ما لا بد منه من البقول اولها البصلاطس واخذت انشاغل بذلك تنفيسا للكرب وتسليه للهم فلم البث ان فجعت بولد لي وحيث لم يكن في القرية ولا فيما يليها طبيب يوثق بعلمه فان المتعلمين في بلاد الفلاحين انما هو نفاية اطباء المدن اشقت على الباقي فرحلت من القرية قاصدا لندرة وغادرت البيت كما هو وكان على بادي يدي ان اكلم كاتب الجمعية واخبره بما اصابني فلما قابلته غلبني الحبيب والبكاء حتى انقطعت عن الكلام فاستعظم ذلك مني على سني فان الانكليز قلما يكون على فائت ثم لما علمته بالسبب وشكوت له ما لاقيت في القرية واتى اخشي ان اموت قبل نجاز الترجمة رأى ان الابقاء على حياتي هو الصواب وان الاوفق لي وللتورة ان امكث في كبريخ لاكون غير بعيد عن الدككطري واتفق مدة مكثي في لندرة ان وقع ضباب كثيف دام سبعة عشر يوما حتى احتجنا في بعضها الى ابغاد المصباح نهارا لتهدى ايدينا الى افواهنا فرأيت الجلاء اجلى واولى فن ثم سرت اليها فبلغتها بعد نحو اربع ساعات وهذه المدينة لا ملهى بها ولا حظ سوى مشاهدة المدارس والاساتنة والتعلمين وهم من التكبر والصلاف بمكان اخوانهم طلبة العلم في اكسفورد وبعد وصولي يوم جرى النزاع والكلام ما بين اهل المدارس واهل البلدة كما جرى في اكسفورد وفيها تعرفت ببعض فضلاء الانكليز ممن عتوا بالعربية منهم الفاضل مستر وليس الذي هو الآن مدرس فيها والفاضل مستر برسطون الذي ترجم خمسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري الى الانكليزية ومنهم الفاضل مستر جون برطون قرأ على جزاء من المقامات وكان الذي عرفني به يهوديا كان بعلمه لفته وانه غاب عنه مدة فسلني عنه تليذه ذات يوم قتلت لا اندري اين هو وانما لاح لي من سياء وجهه حين جاءني ان في اماقيه شرا ثم لم يلبث ان شهر عنه في البلدة انه كان يضاجع بذه وهي دون العشر سنين وكان ذلك دابه معها مدة مديدة فكم عليه بالنفي المؤيد وقد ادبت عنه احد اعيانهم وهو احد اعضاء مجلس المشورة العام واذا كننا واقفين في المجلس نتحدث لحت من بين القيام شخصا يهم بان يدنو مني ليكلني

ليكنني فدنوت منه فقال لي قد طالما اردت ان اسألك عن شيء في بلادكم فهل
 ممن علي بالجواب قلت ما هو قال اذا برك الجبل يستطيع ان يقوم وحده قلت
 لو سألتني عن الظمائن لآخبرتك فاما الجبل فلا انرى ثم لما حان وقت تعطيل
 المدارس قبل عيد الميلاد تذكرت ما وعدت به صديقي الدكتور نيكلسن فمن
 ثم سافرت الى لندن ومنها الى دارنكطون فبلغتها بعد نحو اثنتي عشرة ساعة
 قاسيت فيها من البرد والتعب ما لم اقاسه في عمري كله وهنا ينبغي ان يلاحظ
 ان السفر في سكة الحديد وان يكن اسرع واسهل الا انه في بلاد الانكليز
 معنت مكبد لان الغرب لا يجد من الزكاب من يدل عليه بحزمة السفر والتعب
 فيكمله فترى كل واحد بيده صحيفة الاخبار يطالعها مسافة سفره كلها
 واذا وقف الرتل لا يجد شيئا من المأكول والمشروب ما يفئ تسخطه وليست
 القهوة عندهم الا ماء دخن سخن ولهذا كان اكثر الانكليز يسافرون
 النهار كله ولا يأكلون شيئا من حوائث المواقف وانما يتزودون الطعام والشراب
 من ديارهم وهو في الحقيقة اولى فاما مواقف فرنسا فان فيها كل ما الله
 الانسان في بيته على ان باعة المأكول والمشروب في بلاد الانكليز اشد
 خلق الله شططا فانهم يتقاضون على قنجان قهوة الدخن نصف شلين ثم سافرت
 من دارنكطون في الساعة الثامنة صباحا فوصلت الى بزيث في الحادية بعد
 الظهر ومررنا في خلال ذلك بعدة قرى ومدن من اعظمها برسطون سكانها
 نحو مائة الف نفس وهي مدينة شغل وتجر شهيرة بملتي الارتال فيها يمر بها
 في كل يوم اكثر من مائتي رتل وهو عبارة عن صف عوادل متناسقة بعضها
 الى بعض وكان البرد وقتئذ عارما والثلج متساقطا فلما بلغت بزيث سألت
 عن مقام الدكتور نيكلسن فارشدت اليه لكونه شهيرا في البلدة فلما رايت
 رجب في غاية الترحيب واتزلي في داره خير منزل واكرمني بما لا مزيد عليه
 فجراه الله عني خيرا ثم ان اقليم بزيث حسن جدا لانه يحوي جبلا واودية
 واعظم جباله هل فلان ارتفاعه نحو ثلاثة آلاف قدم وهو مخصوص بمعادن
 الفحم واهل البلد نحو سبعة آلاف وفي اول يوم من ابريل حشدت الناس في
 الطرق ومعهم اعلام وآلات طرب فسألت صديقي عنها فقال ان جمعية هنا
 تسمى جمعية الاد من شانهم ان يجتمعوا في كل ثلاث سنين مرة لمواساة بعضهم

بعضاً فيصنعون وليمة في هذا اليوم ويتلون ما تقرر عندهم من الترتيب ثم ينصرف كل منهم الى محله ومثل هذه الجمعيات في بلاد الانكليز لا يبعد ولا يحصى واهل ذلك الصقع يلحفون بشملة على اكتافهم للتدفئ ونعال فلاحيتهم من خشب وعيشهم اجهد من عيش غيرهم وانفسهم من يعمل في المعادن ثم عن لي ان اسافر الى سكوتلاند لأرى قاعدتها وهي ايدينبورغ اذ كنت غير بعيد عنها فودعت مضيقي وسافرت الى ليفربول فوصلت اليها بعد سفر نحو ست ساعات وهذه المدينة هي من اعمر مدن انكلترا بعد لندن ومنشستر فلا يزال مرساها مشحونا بالسفن وسفنها مشحونة بال بضائع ومنه تسافر الى جميع الاقطار وهي تقابل مرسيلية في فرنسا كما ان منشستر تقابل ليون في كونها ذات معامل الحرير والنياب ولندن تقابل باريس * وفي ليفربول عدة ملاعب وحوانيت بهيجة وابنية حسنة من اعظمها المحل الذي يقال له قاعة البلد واهل المدينة لا يسبحون من الغريب وذلك للكثرة اختلاطهم بالغرباء * وكان افتتاح سكة الحديد بينها وبين لندن في سنة ١٨٢٥ وطول قوتها ميل وربع وكانت في الزمن القديم محل صيد السمك ثم صيرها الملك هنري الثامن محلة لاجتماع العساكر وتجريدتهم منها لفتح ارلاندا * ثم سافرت منها الى منشستر فبلغتها في نحو ساعة وهذه المدينة اشهر مدينة في الدنيا بكثرة المناسج والاتوال وعدد الصناع فيها نحو ثمانين الفا فاذا اعتبرت ان معظم الآلات يدور بالبخار ظهر لك ان هذا القدر يقوم مقام اربعمائة الف صانع * قال الفاضل ماكولي ان منشستر هي اعظم مدينة لاشغال القطن والنساجة وكان القطن مذخسين سنة يجلب اليها من ازير وقبرس وجدة ماورد اليها في غاية القرن السابع عشر لم يبلغ مليوني رطل اما الآن فان هذا القدر لا يكفي لعمل ثمان واربعين ساعة * فانظر الى هذا الفرق العظيم الذي نشأ عن قوة البخار حتى انه جعلها تفوق في الثروة والفنى على قواعد اوربا جميعا وذلك نحو برلين ومدريد وليسبون وكان اهلهما اذ ذاك نحو ستة آلاف ولم يكن فيها مطبعة ولا عاجلة والآن فيها مائة مطبعة وعشرون صانعا للجللات اه قلت وقد جلب اليها في السنة الماضية ٥٦ر٠٠٠ بحكم او بالة من الحرير ومن القطن ٢١٠٠ر٠٠٠ بحكم ويقال ان جميع محصول الدنيا من هذا الصنف الاخير يبلغ اربعة ملايين في السنة سبعة اجزاء

اجزاء منها تحصل من امريكا والجزء الثامن من سائر البلاد (١) وجلة العامل الموجودة في بريطانيا بموجب خلاصة حديثة العهد ١٧٧٥ منها ٤٣٢ ر في انكلترة ووالس و ٥٣٠ في سكتولاند و ١٥٥ في ارلاند وعدد ما يدار من الانوال بالبحار ١٣٧٧١١ وما يدار بالماء ٢٣٧٢٤ وجلة عدد المستخدمين فيها من الذكور ٢٧٣١٣٧ ومن الاناث ٤٠٩٣٦٠ الجملة ٦٨٢٤٩٧ و ٥٢٥ وفي جميع المملكة ٤٦٠ معملا للحري و ٤١٧ معملا للكتان و ٥٢٥ معملا للحك و ١٥٠٥ للصوف و ٢٢١٠ للقطن وفيها اي في معامل القطن من الصناعات وغيرهم ٢٧٩٢١٨ وفي معامل الصوف ٧٩٠٩١ وفي معامل الحك ٨٧٦٩٤ وفي الكتان ٨٠٢٦٢ وفي الحري ٥٦١٣٧ (٢) وبلغ ثمن ما ارسل من هسنه البلاد من منسوجات القطن في ثلاث سنين احدا وثلاثين مليون ليرة ومن الصوف عشرة ملايين فاما قيمة جميع ما ارسل من بلاد الانكليز فقد بلغ في سنة ١٨٥٦ نحو ١١٦٠٠٠٠ ر (٣) ليرة وقيمة ما يبعث من فرنسا في كل سنة من الامتعة المصنوعة والمصنوعة تبلغ ١٠٠٠٠٠ ر فرك وقيمة جميع ما يخرج من مملكة بريطانيا من اللوازم التجارية وغيرها تبلغ في السنة نحو ٥١٢٠٠٠٠ ر ليرة وفي سنة ٥٦ بلغت قيمة

(١) علم من احصائيات دولة انكلترة ان مقدار القطن الذي جلب الى انكلترة من الخارج بلغ في سنة ١٨١٥ ٩٦٠٠٠٠ ر رطل انكليزي وفي سنة ١٨٢٥ بلغ هذا المقدار ٢٢٩٠٠٠٠ ر وفي سنة ١٨٤٠ بلغ ٥٩٢٠٠٠٠ ر وفي سنة ١٨٥٠ ٦٦٣٠٥٧٦ ر وفي سنة ١٨٦٠ ١٣٩٠٩٣٨٧٥٢ ر وجلب اليها في سنة ١٨٧٩ ١٨٦٩٣٥٨٤٦٤ ر ومقدار ما خرج منها الى الخارج بلغ ١٨٨٨٢٠١٨٨٨ رطلا

(٢) في سنة ١٨٧٤ بلغ عدد العامل في انكلترة ووالس وسكتولاند و ارلاند ٧٢٩٤ معملا وعدد المستخدمين والصناعات فيها ٦٨٥٠٠٥ منهم ٣٩٤٠٤٤ ذكور و ٦١١٦٤١ اناث

(٣) بلغت قيمة جميع البضاعة التي خرجت من انكلترة الى الخارج في سنة ١٨٧٩ ١٩١٥٣١٧٥٨ ر ليرة

البعوث من بلاد الانكلية في مدة احد عشر شهرا ١٠٥٨٤٥٠٠٠ ليرة زاد على سنة ٥٥ عشرة ملايين ثم وجدت في الاحصائيات ان قيمة المجلوب الى بلاد الروسية بلغت في سنة ١٨٦٠ ١٨٣٠١٧٧٢ر١٠١٠١ رويلا وكل رويلا عبارة عن اربعة فرنكات وقيمة الخارج منها بلغت ٥٢ر٨٥٤٠٠٢١ وبلغت قيمة المجلوب الى اوستريا في السنة المذكورة ٢٢٩ر٢٣١ر٤٧٢ فلورين وكل فلورين عبارة عن فرنكين ونصف وبلغت قيمة الخارج منها ٣٠٦ر٨٤٩ر٧١٦ وبهذا تعلم الفرق ويوجد محل في ارلاند يخص احد الانكليز فيه اربعة آلاف شخص مستخدمين في عمل القمصان يصنعونها باذونات النار وهذا القدر بمنزلة سبعة آلاف شخص فإى فرق يرى الآن في بلاد الانكلية وقد صارت عند جميع اقطار الدنيا بمصنوعاتها وتكسو الناس والحيوان والديار بمسوحاتها بعد ان كانت تبعث الثياب الى هولاند لتصبح هناك وتعاد اليها لتبيعها وبعد ان كانت تنظر احد الفارين من فرنسا وغيرها ان يأتي اليها ويبث فيها صنعة من الصنائع فان هذا الديباج الذي يسمونه داماسك اصل صنعه كان في دمشق ثم حاكمهم فيه اهل هولاند وفي سنة ١٥٧١ هرب منهم جماعة بسبب ظلم الامير الفا وجوره عليهم فجاؤا الى بلاد الانكلية وصنعوها فيها • قال مؤلف المخترعات العجيبة اما صنعة النسيج فقد كانت معروفة في بلاد الصين من قبل ان عرفت في اوربا بدهر طويل والغزل عندهم والنسيج والصبغ انما هو من شغل النساء واول من صنع ثياب الصوف في بلاد الانكلية رجلان قدما من برابان ثم قدم من هولاند صباغون وزازون وصناع للحرير وشهروا هذه الصنائع بين الاهلين وذلك في سنة ١٥٦٧ والذى جلب من الكوكا من الهند الغربية في سنة ٥٢ بلغت قيمته ٤٩ر٣٤٩ر٠٥١ ليرة • والمخزون من الشاي في عامنا هذا بلغ سبعة وثمانين مليون رطل ونصف مليون • ودخل من التبغ في احد عشر شهرا ٢٩ر٧٧٦ر٠٨٢ رطلا يصرف منها اكثر من ثمانية ملايين في العام • وبلغت قيمة ما ارسل من الشريط والقيطان من شهر كانون الثاني الى شهر تشرين الثاني ٣٣ر٣٠٨ر٣٣٩ ليرة واذا نظرنا الى احوال انكلترة مذكورين وجدنا ان ملابس اهلها انما كانت من جلود الحيوانات وان ثياب زعمائهم لم تكن الا من الكرياس الخشن كأنما هو مسح حتى ان الفرسان الذين تنوء بهم التواريخ كانوا اذا نزعوا عنهم

الدروع المماعة بشف عنها ثياب الجلد فلما عرف النسيج في العصر المتأخرة كان الغزل كما لا يخفى من صنع النساء وبقي الحال على ذلك دهرًا طويلا إلى أن قبض الله أرك ريت والتي في روعه استنباط آلة للغزل تكون دائمة الحركة فوفق إلى ذلك ونجح ما أمكن • وقال آخر ولد أرك ريت في سنة ١٧٣٢ وبقى إلى سنة ١٧٣٦ من عمره حامل الذكر مشتغلا بالخلافة وأم يكده يحهل من حرفته شيئا زائدا على قوت يومه إلا أنه كان ذا فكر ثاقب في جر الانتقال لما زال يعمل فكره في اختراع آلة الغزل حتى تسنى له ما قصده ولكن بعد صعوبات شتى فلما اشتهر مخترعه أجازت له الدولة أن يستبد بمنافسه إلى مدة مديدة فأنشأ مملا في دربي ولم تمض عليه مدة حتى أحرز أموالا طائلة وطار ذكره بين الناس فحدث باستنباطه هذا في اشغال النسيج تغيير عظيم من تنقيص الصناعات وترخيص سعر الثياب اه وحكى عنه حكاية غريبة وهى أنه ذهب إلى بعض أعمال انكلترا وأوهم أهلها أن الدولة جردته لأن يقص شعورهم ليسلوا من عدوى البلاء الذى كان فشا بين جيرانهم فأتوا له فلم يبق إلا من قص شعره وأخفاه به فاختذ تلك الحصل وصبغها وانتفع بها انتفاعا جزيلًا • قال بعض العلماء من الافرنج لولا استنباط أرك ريت لما استطاعت دولة الانكليز أن تقاوم نابليون الاول مدة خمس وعشرين سنة حتى قهرته في آخر الامر وقصرته في جزيرة سانت هيلان • واول من اتقن صناعة نسج الحرير في انكلترا جماعة هربوا من فرنسا إلى لندرة وذلك سنة ١٢٨٦ وأصل جلب الحرير المصنوع إلى بلاد اليونان كان من بلاد فارس وذلك في سنة ٣٢٥ قبل الميلاد وعرف في رومية في أيام طياريوس وحرّم على الرجال دون النساء وأول من لبس ثوبا منه هليوفايوس وذلك في سنة ٢٢٠ للميلاد وكان ثمن الحرير أولا في قيمة الذهب وزنا بوزن وكان يظن أنه ينبت من الأرض كشجر التطن وفي القرن السادس جلب دود القز من الهند إلى أوروبا وفي سنة ٧٨٠ هدى شارلمان حلة منه إلى أفا ملك مرسية وفي سنة ١١٣٠ حرص روجر ملك صقلية رعيته على ٤٤ فكأنوا يربون دود القز ويفزلون الحرير ويصجونه ثم اشتهرت صنعة في إيطاليا وإسبانيا وجنوب فرنسا وذلك في سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٥٨٩ كثّر هنرى الرابع دوده وشجره في جميع المملكة وفي سنة ١٢٨٦ لبس بعض نساء الاشراف من الانكليز

حبرا منه • وقال فلتير لم تقم امة قوية في التجارة والحرب بعض اقراض قرطاجنة
 كما قامت دولة فينيسيا حتى صارت قدوة في ذلك نعم ان دولة البورتنال جازوا
 الى الهند من عند الرجاء الصالح وظلوا حيناً من الدهر ولاه سواحلها واولى
 شوكة في اوربا وان ولايات امريكا المتحدة صارت ايضا دولة محاربة رغماً عنها
 حتى علقت دول اوربا وان فينيسيا و امستردام وقرطاجنة حازوا من قبلهم من
 العز والمنعة ما شغل اللسن بالمدح والثناء الا انهم جميعهم علوا كما يعمل الناس في
 عصرنا هذا في انهم بعد ان حصلوا الثروة بالتجارة اشتروا شياطا واملاكا
 واخلدوا الى الرفاهية والراحة فا احد ابتداً ان يكون محارباً حتى يكون في آخره
 تاجراً الا الانكليز فهم وحدهم الجديرون بهذا النعت فانهم حاربوا احقاباً طويلة
 من قبل ان يعرفوا الحساب ولما انتصروا في وقائع اغنيكورت وكرسا
 وبوستيروس لم يكونوا يعلمون انهم يقدرون بعدها على تجارة الحبوب او على
 صنع الجوخ العريض فان ذلك لهم انفع من تلك النصر • لا جرم انه لا شيء
 يفتي الامة ويشيد عزها كعرفة الصنائع والتجارة اذ لولا التجارة لما كانت لندرة
 تفضل باريس في السعة وكمية السكان ولما قدروا على ان يشوا في البحر مائتي
 سفينة حربية ويمجروا الرزق العميم على الممالك المتواطئة معهم ألا ترى ان لويس
 الرابع عشر لما اتى الرعب في قلوب اهل ايطاليا واستولت جيوشه على صافوى
 ويديعت وكادوا ان يستولوا ايضا على طورين لم يكن بد للامير يوجين من
 ان يتوجه الى اطراف جرمانيا لانتجاد دوك صافوى ولكن لما لم يكن له مال يمكنه
 من ان يقنع بلدا او يضبطه اضطر الى الاستعانة بتجار الانكليز فاجابوه الى
 ذلك فوراً واقرضوه في نصف ساعة خمسة ملايين فرنك فاستخلص بها طورين
 وقهر الفرنسيين وردهم عنها مقهورين ثم كتب الى الذين دانوه « ايها السادة
 اني قد تسلمت منكم مالا وقد انفقته فيما يرضيكم » فكان كلامه هذا حاملا
 للانكليز على الكبر والاقصهار وله على ان ينزل نفسه بمنزلة روماني وهو به
 خليق على ان اصغر اولاد صاحب المملكة عند الانكليز لا يأنف من ان يكون
 تاجراً فان اخا اللورد طونسند آثر ان يكون تاجراً في السى على ان يقبل وظيفة
 في الديوان • ولما كان اللورد ارفورد متولياً تدبير المملكة كان اخوه منشيء معمل
 في حلب ولم يشأ ان يرجع الى وطنه بل مات هناك • وهذا الدباب الذي اخذ
 الآن

الآن في الزبور كان يعد عند امرآء جرمانيا من المنكرات فلم يقدرُوا ان يفهموا كيف يكون ابن صاحب المملكة داخلا في سلك التجار مع انهم هم كلهم سادة • ولكن كم قد رأينا منهم من كبير بوصف بلقب السمر وليس له ملك ولا ثروة غير هذا الجلاء والكبر الاميرى • اما في فرنسا فان كل واحد يمكنه ان يصير مكررا وكل من يقدم اليهما من البلاد الاجنبية وآخر اسمه ينتهى بحرفى الكلو ايل وعنده مال ينفق منه فان له ان يقول ليس لى من ظنير وما احد من بابى وينظر الى التاجر بعين التهاون والاحتقار فاذا سمع التاجر ان الناس يعيرون حرقه ويشتمونها اعترا الحجل ولكن ليت شمرى اى الرجلين انفع لولته أسيد يعرف بالتفصيل متى يقوم ملكه ومتى ينصرف الى مرقد ثم يتخذ لنفسه مظهر عظيمة وابهة وهو مع ذلك يرضى لنفسه خبطة ذل وعبودية بانتظاره الوزير فى قصره ام تاجر يقعد فى مخدعه ويبث منه اوامر الى سورات وحلب ليخى بلاده ويسعد اهلها اه • قلت ومدح فلتير التجارة ليس قدما فى العلوم والمعارف وانما هو تحرير على اتساع دائرة التمدن وشتان ما بين تجار الفرنسيس وبين تجار البلاد المشرقية فان هؤلاء لا يحسنون الكلام الا فى المكبول والموزون ولا يعرفون ان يكتبوا سطرًا واحدا من دون غلط فهذه الحال ينكرها فلتير وكل ذى ذوق سليم • ثم ان منشستر هذه كانت فى القديم مقاما للدرويدس وكان لهم فيها هيكل ومذبح قيل له باللغة القديمة مين اى حجر وصارت قبل الميلاد مقرا للهمج فبنوا فيها قلعة سميت منسنيون اى مضرب الحياض ثم تصحفت على المتأخرين فقالوا للمدينة منشستر • وهؤلاء الدرويدس كانوا فى القديم كهان جرمانيا وفرنسا وبريتانيا وحكامهم وكانوا فى هذه الاخيرة يتخبون من اكرم العيال فكانوا يشتغلون بالعلوم ومعرفه الفرائض الدينية ويعبرون كلام الالهة ويفصلون الدعاوى الخطيرة ويتولون تدبير الجيش • ولما غزا قيصر هذه الجزيرة قابله بالجيوش والبسالة ذبا عن الوطن فتم عليهم ذلك بعض ولاه الرومانيين فاستأصل شافهم • وفى هذه المدينة اسواق ظريفة وحوانيت بهجة وفيها تعرف بالفاضل الكريم عبدالله اخندى الادبى فنصل الدولة العلية ولم يكن لتعارفنا من سبب سوى حرة رأينا فانه اول ما رأى طربوشى اقبل الى متسما بانًا ودعاني الى منزله من دون ان ابرز اليه كتاب وصلة على عادة القوم ولم يكثف بهذا

حتى اخذ عنوان مقالى في كبرى قصد ان يبعث الى بهدية من طرف المدينة
وقد فعل جزاء الله خيرا وله مساع عند الدولة المثار اليها محونة وذكر
حسن عند اهل البلدة وعند اهل الشام ايضا * وفيها رأيت محل التلغراف
وهو على نوعين * الاول التلغراف وهو شبه الساعة الدقاقة في وجهها ابرة
من فولاذ موضوعة تحت نصف حلقة وفوقها مسماران صغيران من عظم
قد رسم فوقهما الحروف الهجائية والغالب ان يكون في كل صفحة ابرتان
فتتحرك الابرة السلك المتصل بها من وراء الصندوق طارت على كلا الودين
ولكل حرف طرق معلوم فالالف مثلا لها طرقتان على وتد واحد والباء ثلاث
اثنان على وتد واحدة على آخر وهلم جرا * والثاني وهو ما اخترع بعده فكان
اوفق واسهل وهو آلة كالدولاب فيها قلم دقيق من فولاذ مركب من اجزاء
كيمياوية ويمر من تحته سير رقيق من ورق مركب ايضا في رسم عليه خطوطا
سودا هي في عرفهم حروف * وهناك ايضا آلة كتنوال الخائك ذات اسنان دقيقة
بارزة مزمير من تحته الورق فتسرم عليه خطوطا * وقيل انه يوجد آلة ترسم
الحروف المكتوبة كما يرسمها كاتبها سواء حتى لو كتب احد بالعربية شيئا اذ
كان هو وهذه الآلة لم ارها * واكثر الآلات استعمالا في بلاد الانكليز انما هي
الابرة وفي بلاد امريكا الدولاب * وبكل منهما يصل الخبر من لندرة الى لندن
وهي مسافة ثلاثمائة ميل في ثمانية وسواء كانت المسافة طويلة او قصيرة فالتأثير
واحد * فاما تحريك الاسلاك فانه ينشأ عن الخاصية الجاذبة من وضع صفحة
من النحاس وقطعة من التوتيا توضعان في الماء فيخرج منهما روح يسرى في
السلك النحاس لهما ومنه الى الاسلاك التي ترى عيانا في الطريق وقد تراها
ممتدة في الهواء بجانب سكة الحديد وربما كانت عشرة فاكتر وربما بلغ
الخبر بعضها الى مكان وبعضها الى مكان آخر * وسواء كانت ساذلة او عالية
او على خط مستقيم او منحرف فلا يتخلف حكم الخبر بها وقد ثبت بالجربة
انها تصح تحت الماء كما تصح في الهواء * وهذه المصلحة يتكفل بها جماعة على
حدثها والفائدة منها عامة للجميع ولا سيما الدولة والتجار فانه اذا اراد الاستخبار عن
امر مهم علم في دقيقة واحدة واذا هرب الغافل من بلد الى آخر عرف شانه قبل
وصوله الى مهربه وجعل نحو عشرين كلمة نصف ليرة * ثم لما قر في المقام في لندرة
طالب

طليت من مدير التلغراف ان يأذن لي في رؤية الآلات وموضع الخاس والتوتيا فورد
الى الجواب منه بأنه يكره ان يريها الغرباء ولا سيما الاجانب كل الكراهية ولكن
اذا كتبت اليه الجمعية في ذلك يرضى حتى اذا فعلت بعثت معي من ارانيهما جملة
وتقصيلا • فالول ما رأيت هو الموضع الذي فيه التوتيا والخاس وهو عبارة عن
موضع مظلم كالنفق فيه موايد كثيرة من خشب ذات بيوت صغيرة مقسمة تشتمل على
هذين الجوهرين وقد غمرت بالماء ومعهما ملح الكبريت وسلك الحديد وهذا
السلك متصل بالسلك الظاهر في الهواء كما تقدم آنفا اما التوتيا فتشتمل على
حلول المدى وتلاشي واما الخاس فيريد • ثم أريت موضعا في الحائط مغشى
بالخشب يشتمل داخله على اجزاء وخارجا على نحو مسامير بارزة منه بخفاء الرجل
يقطعتين من الفحم وادناهما من صمار واذا بنور بهي ساطع خرج من طرفيها
ومن هذا التقابل في الجاذبية تخرج ألوان عديدة زهية يبدوونها احيانا في الملاهي
بما يقصر عن وصفه التلم ولما وضعت اصبعي على صمارين منها احسست
بارتعاش وجاذبية اخذت مفاصلي فرفعتهما حالا • ثم صعدنا الى الموضع الذي
تتلقى فيه الاخبار من كاتب ديوان التلغراف وذلك انه اذا اراد احد ان يعث
خبرا يكتبه وساله للكاتب او املاه عليه مشافهة فيدونه الكاتب في رقعة
ويجعلها في ظرف ويسد اعلاه ثم يضعه في نحو صندوق فتدفعه القوة الكهربائية
الى موضع يكون عنده غلام واقف فيأخذه ويسلم الرقعة الى قيم الآلة المعدة
لتبليغ الخبر فان كان يراد توجيهه مثلا الى باريس سلمه الى قيم آلة باريس وهم
جرا • ثم دخلنا موضع الآلات وهي على الصفة التي رأيتها اولا غير اني
رأيت التبليغ هنا على يد النساء لا الرجال وكيفية ذلك ان تقعد المرأة على كرسي
وتمسك يدها مقبضا من خشب وتحرك حركات مطابقة لاصطلاح الحروف
فتحرك السلك المشرب من روح التوتيا والخاس فيحرك الابرة في المحل المبلغ
اليه الخبر على حسب حركات اليد وتري البنت تحرك هذه الآلة كما يحرك
العازق يده على آلة الطرب بغاية ما يكون من الخفة وبينما كان الرجل يكلمني
امام آلة اذ رأينا الابرة تطرق على السمارين ثم حركت البنت المقبض وسكتت
ثم تحركت الابرة ايضا وكان ذلك باسرع من ان ينطق التكلم بعشر كلمات
فقال لي الرجل أتدري ما سبب حركة الابرة مرتين قلت لا قال قد ورد

خبر من وياته يراد تبليغه الى ليربول فبلغته البنت وجاءها خبر بوصوله فقبيت مدهوشا مخبرا واخذت افكر تفكيرا مضطربا في كيف ان هذا العلم الحري بان يدعى من العلوم الالهية لكونه غير متناه لم يكشف سره من قبل الآن حين كان النحويون يحبرون ستة عشر وجها في الصفة المشبهة ويمنعون وجهين ويختلفون في وجه (١) وحين كان العمر يضاع في التعليل والاعتراضات والتجوز والترجيح كما اشار اليه الادييب الشيخ احمد السيري بقوله يمدح خديو مصر على انشاء مدارس للعلوم الرياضية

* فهذا الفخر في وجه المعالي * وليس بضرب زيد وجه عمرو *

إذا لصرف خواطر القوم الى الاشتغال بما هو اهم وانفع فان وصول الخبر من قاعدة مملكة اوسستريا الى ليمبورج في اقل من ثمانية انفع من تجوز عشرين وجها في مسألة واحدة • وهذا هو سر الكيمياء الذي يتله الافرنج الآن لا تحويل الحديد ذهباً او الاثك فضة فان سميت بالاكسير فانت صادق • والحاصل ان الخبر يبلغ بهذه الآلة مسافة بعيدة كما يبلغ مسافة ميل على السواء وعدة الآلات في هذا المحل نحو خمسين وعدة المستخدمين فيه مئة وثلاثون • قال مؤلف كتاب المخترعات العجيبة لم يكن يخطر ببال احد من المتقدمين انه يمكن ابدال فكر من بلد الى آخر مسافة مئات من الاميال بشوان قليلة وان من يكون واقفا في التدرية يمكنه ان يخاطب آخر في ايدنبرغ ويتلقى منه الجواب كأنهما جالسان في غرفة واحدة مع ان بينهما مدى ثلاثمائة ميل • فلا جرم ان التلغراف انما هو اكبر العجائب التي كشفت في عصرنا هذا فان السارق مثلا يذهب في احد الارتال السريعة وهو مسرور بسرقة

[illegible]

وفاراه من يد الشرطة ويطمع في انه اذا بلغ الى احدى المدن الغشاء يخفى
اثره عن غريمه ويضع خبره في دخوله بين الناس فيعمد الى رتل يمر مسافة
خمسین ميلا في الساعة ويكون خبره قد تقدمه في السالك الذي يراه
بعينه مرة عن يمينه ومرة عن شماله ويكون الشرطى قد عرفه بسمته وسمته
وصافته وعرف الرتل الذي سافر فيه فما يكاد يخرج منه الا وهو آخذ بتلاييه
فيبقى مدهوشا مبهوشا لا يدري ابن يقصد ثم تنفث صناديقه واوعيته ويستخرج
منها المروق و يرسل هو الى الحبس فن ثم كانت فوائد هذه الاسلاك من اعظم
الاسباب المؤيدة لاقامة الحق وتشديد سنن الشرع وتنفيذ احكامه ولو كان
ايصال الخبر على هذا الوجه قد عرض على مسامع اهل القرون الخالية لعدوه
من الخزعبلات المقتلة الا ان هذه العملية لم تنشأ عرضا او بقتة بل بعد اعمال
فكر وجهد روية في مدد متعاقبة واصل ما ادى اهل الحكمة والفلسفة الى
هذا الاستنباط كان استعمال فرنكلين الاميريكانى للطيارة المعروفة ومذ حينئذ
خطر ببال التجربين في العلوم انه لا يبعد عن الامكان ايصال خبر بواسطة
الالة الى بعض الاماكن الشاسعة • قلت ولد فرنكلين المذكور في مدينة بوستان
من اميريكا في سنة ١٧٠٦ وكان في مبدأ امره حامل الذكر ثم اشتغل بالعلم وحسنت
حاله وما زال يترقى في المعالي حتى صار من اهل السياسة وذهب الى باريس
وحظي عند رجال الدولة حظوة عظيمة حتى انهم لما بلغهم خبر وفاته لبسوا عليه
الحداد وله مؤلفات عديدة اه فاما خبر طيارته فهو انه صعداها في يوم ذى دجن
وكان قد ربط مرستها الى وتدين واناط بها مقناحا فلما غشيها الغمام وجد ان
بعض خيوطها قد تنفث وتجاقي عن بعض منصبا فاذني برجته من المقناح
فاحس بشرار البرق قال وفي سنة ١٧٨٧ اجري لوموند السكونلاندى عملية
تقرب من هذا الكشف وفي سنة ١٧٩٤ نصب ريزر تلغرافا يمكن استعماله وان كان
اقل نفعا واعتانا من الستمل الآن فكان التبليغ فيه خاصا بالسالك والعمل كله
للشرارة الكهربائية وكان السالك يجعل في موضع مظلم وحوله صفائح من
القصدير عليها حروف مرسومة وقد ركزت على صفائح من زجاج فاذا طار
الشرر على هذه ليحرق في السالك اضاء الصفائح فيمكن به قراءة الحروف ثم قام
فولتي وحسن هذه العملية بعض التحسين ثم رونالدس من هيرسميث وارستد من

كوبنهاغن وشوبجر ومونيك ودافيس واراغو وغيرهم وكل منهم زاد شيئا وحسن شيئا وفي سنة ١٨٢٧ قام الدكتور كوك ويتسطن و اخذ ا رخصة من الدولة لاجراء هذه العملية وفي سنة ١٨٣٩ استعمل التلغراف كما نراه الآن في سكة الحديد السماء السكة الحديدية الكبيرة وهو الذي يبلغ الخبر بواسطة طارق الابر على المسامير واخبرني من يعرف ويتسطن انه هو الذي اخترع آلة الطرب السماء كنشريتو وآلة اخرى من نوع النظارات ثم اخترع الدكتور سطنبيل من مونيش آلة تنمط الخبر على ورق وعلى قدر ترتيب النقطة يكون نحوى المطوق وفي سنة ١٨٤٠ اخترع ويتسطن هذا النوال الذي يدور ويرسم الحروف وفي سنة ١٨٤٣ نصب مستر وود الاسلاك على دعائم وكانت من قبل تحت الارض وهي غير ممتدة لها بل هي نافذة من حلق من الفخار وبذلك سهل نصب اسلاك غليظة من الحديد بدل الخحاس فتعصت المصاريف نحو النصف وهذه الاسلاك تجري في ثلثي سلك الحديد الممتدة وليس من بلد عامر الا وتصل اليه الاخبار بها • وقيل صاحب ايجدية الاوقات اول من خطر باله انشاء التلغراف المعروف الآن كان الدكتور هوك وذلك في سنة ١٦٦٤ وقيل ان موسيو انتونس هو ايضا مخترعه في ذلك التاريخ الا انه لم يجز استعماله الا في سنة ١٧٩٢ وقيل ان موسيو شاب هو اول من اخترع التلغراف الذي استعمله الفرنسيين في تلك السنة وفي سنة ١٧٩٦ نصب سلكان فوق ديوان الاميرال اه قلت كانت ولادة روبرت هوك في سنة ١٦٣٥ ووفاته في سنة ١٧٠٢ ويقال انه هو اول من اخترع آلة لتقويم حركة الساعة واتقن كثيرا من الآلات الهندسية وفكر في الجاذبية الارضية واستبط في الرياضيات والفلكيات والطب والكيمياء اشياء كثيرة وكان شرسا حسودا نازع نيوطون انفس مخترعاه • ثم سافرت من منستر الى ادينبرغ قاعدة سكوتلاند وهي مدينة بهيجة جدا مبنية من الحجر الصلب على عدة نجومات وهي شطران احدهما جديد والثاني قديم اما القديم فان دياره عالية جدا فقد تشتمل الدار على ثمانى حبات الان فيه اربعة فذرة ضيقة جدا واما الجديد فانه يشتمل على طرق واسعة وديار حسنة وحوانيت عظيمة ومبايت للمسافرين رحبية وفيه مدرسة جامعة تحوى نحو ستمائة طالب وهي شهيرة بعلم الطب وفيها مكتبة موقوفة تحوى ثمانين الف

الف كتاب ما عدا كتب خط اليد • وهناك قبة جليلة فيها تمثال سر
واطر سكوت شاعرهم الشهير ولها مرقب عال مطل على الخليج الداخل
من البحر وسعته عدة اميال وهذا المطل يكاد ان يكون كسطال جبل لبنان •
وقد كان الفاصل بين الشطرين خليجا والآن جعل عمرا للارتال • اما ارض
سكوتلاند فهي دون ارض انكلترا في الخصب والربع وذلك لكثرة الجبال
فيها الا ان اهلها اصحاب جد وداب في الصنائع وشانهم التغرب في جميع
البلاد فهم كاهل حلب في سورية وكل سنة يهاجر منهم اكثر من ثمانية
عشر الفا وهم اكثر شجرة وصهوبة من الانكليز وعدتهم نحو ٣٠٠٠٠٠٠
ولهم لغة خاصة بهم غير ان لغة الانكليز غلبت عليهم الآن وحاكمهم
منهم ولكنه تحت طاعة الدولة وهم اشد تمحسا في الدين من الانكليز
فان اصحاب الفنادق يضعون في كل غرفة للمسافر كتابي العهد القديم والجديد
وكثيرا ما ترى نساء يعن الفاكهة في الطريق وبين ايديهن كتاب الانجيل
وقد طالما حاولت اساقفة الانكليز اقرار كنيتهم فيها وجعلها الاصل كما
فعلوا بارلاند فقابلهم الاهلون باشد الابداء والتمتع مع ان اهل ارلاند اكثر
من ٧٠٠٠٠٠٠ وسبب ذلك انه لما اتحدت سكوتلاند بانكلترا وذلك في
سنة ١٧٠٧ كان من جملة الشروط التي اشترطوها ان تبقى رسوم كنيتهم
ومناسكها كما كانت فاقرتهم الدولة على ذلك الى يومنا هذا وهم مثل الانكليز
في كونهم يشفون الغريب فاني حين كنت امر في الطريق كان يمرى ورأى
جمع غفير من الرجال والنساء والاولاد ينظرون الى داربوشي ويتعجبون حتى
اضطرت مرة الى ان اتوارى منهم في دكان • وقد رأيت في هذه المدينة
التصر الذي كانت تسكنه الملكة ماري استوارت المشهورة بالجمال والتجاجة
وهو في خفص من الارض وفيه شاهدت صورتها وسريرها الذي كانت
تنام عليه وصورة الطلياني الذي اتهمت بحبه وهو يقاربها في الجمال وصورته
باقية في الموضع الذي قتل فيه غيلة وسبه فيما قيل انه لما كان يعزف لها
بالكتارة ذات ليلة اذ هجم عليه زوجها من باب خفي فقتله عند الباب الخارج
ولم يزل اثر الدم على الخشب القريب من العتبة • ثم رأيت صورتها ايضا
في الزمعة التي حبست فيها بعد ان اتهمها حسادها بالفحش وهي اجمل من

صورتها في القصر • ولما كانت محبوسة هناك اخذها الطليق فوادت جامس الاول وهو الذي صير مملكتي سكوتلاند وانكلترا مملكة واحدة • وشاهدت ايضا في القلعة تاج الملك والسيف والصولجان والنيشان وخالقا من ذهب قصه يا قوته اكبر من الفولة والشباك الذي تدلت منه قنيت وهو عال جدا وفيها ايضا كنيسة صغيرة يقال انهما اول كنيسة اقيمت فيها فرائض النصرانية في تلك البلاد وكانوا حينئذ يرمونها وهذه القلعة مبنية على صخر ارتفاعه ثلاثة اقدم • فاما ما كان من امر الملكة ماري ففي محفوظي انها بعد ان بنيت من الملك بعد وقائع طويلة جرت بينها وبين اعدائها فرت من دار الملكة وكتبت الى ابنة عمها وقيل اختها اليصابات ملكة الانكليز تسخير بها فكتبت اليها ان اقدمي عليّ ولك الامان فلما قدمت عليها اضمرت لها سرا حسدا انها على جبالها ومحاسنها فصدق المثل حيث قال • ان من الحسن لشقوة • ثم نجحت عليها امورا كثيرة من جلستها انها قتلت زوجها فاودعتها السجن ثم خفرت ذمتها معها وتقضت عهدها وعقدت عليها مجلسا حكموا بقتلها فقتلت • ومع ان الانكليز ينوهون باسم الملكة اليصابات لاجارتها مذهب البروتستانط فلا يغفون عنها هذا القدر الشنيع الذي رضيته لنفسها بعد التأمين فهو ذابح يصدأ به ذكرها على مر الدهور • ومن قرأ قصة الملكة ماري وهي مجبونة وما لقيت من الضر والنكد فلا يملك عبراته عليها لعمرى الله لم يشقني شيء الى رؤية سكوتلاند غير صورتها وقصرها وذكر ابائها • قال بوليه ان ماري ملكة سكوتلاند هي بنت يعقوب الخامس ملك سكوتلاند ولدت في سنة ١٥٤٢ ومات ابوها بعد ولادتها بثمانية ايام وفي سنة ١٥٥٧ تزوجت دوفان فرنسا ثم صار ملكا باسم فرنسيس الثاني ومات عنها بعد سنة ونصف فرجعت الى سكوتلاند الا ان تمسكها بديانة الملك الكاثوليكية جعلها بفيضة لدى الاهلين وفي سنة ١٥٦٥ تزوجت ابن عمها هنري لجرى لجرى جلاله فقط وكان يفار عليها من داود ريزيو العللياني كاتب سرها فقتله بمرأى منها وفي سنة ١٥٦٧ هلك هو فاتهمت بقتله وبعد ثلاثة اشهر تزوجت كونت بوثلول ولم تدبر في العواقب حيث كان اتهم بانه اجبره على زوجها فشغب عليها فعلمها هذا اهل المملكة والزموها ان تعدي

عن مذهبها ففرت والنجأت الى ابنة عمها الملكة البصابت وذلك في سنة ١٥٦٨
 وحيث كانت البصابت تحسدها على جبالها القتها في السجن ثمانى عشرة سنة ثم
 تجنت عليها انها غاوت جماعة من الكاثوليكين على اهلاكلها فقضت عليها
 بالقتل فانت وهي متجلدة وكانت توصف في عصرها بالـكياسة والظرافة
 والفصاحة وبانها اجل النساء وعند وداعها فرنسا قالت كلاما بليغا • قلت
 وجدت في بعض التواريخ انها نظمت في هذا المعنى اياتا بالفرنساوية وترجتها
 كما يأتي «وداعا يا فرنسا الانفة يا بلادي التي هي عندي الاعز والتي رشحت صباي
 وداعا يا فرنسا وداعا يا ايامي الغراء فيها ان الفلك الذي فصل حيي لم يحمل الى
 هنا سوى شطري ولقد بق لك الشطر الآخر ملكا لك وسأتركه اودنك حتى
 يتذكرك الآخر» وقال آخر قلت ولها من العمر ٤٤ سنة وشهران ولما قدمت
 الى بلاد الانكليز كان سنها خسا وعشرين سنة وقال بوليه وماتت عن ولد
 ملك على سكونلاند باسم جاسم السادس وعلى بلاد الانكليز باسم جاسم الاول
 وقد الف العالم شلر على قتلها تمثيلة من المبلغ ما يكون ا.

قال بعض من شاهد ايدنبرغ وكلاسكو من الانكليز ان للتيسين ولقهاء
 الشرع في ايدنبرغ يدا طويلة وكلة نافذة فان الناس تنقاد لهم في أكثر الامور
 ولا يكاد الناظر يترسم البيع والشراء الا في حوايتيها بخلاف كلاسكو ومن
 يقم فيها فكأنما هو مقيم في الريف وذلك لصفاء هوائها عن الدخان ومن
 كل جهة منها يستنشق نسيم البحر وهي مبنية من حجارة منيعة باقية على الدهر
 ويكن ان يقال انه ليس في الدنيا كلها مدينة مثلها على هذا الوضع الاثني
 اما اهلها فابرحوا محافظين على عاداتهم ورسومهم القديمة وهي مخالفة لعادات
 الانكليز جدا • اما كلاسكو فانها اعظم منها في التجارة فانها كلها عبارة عن
 معامل للثياب المنسوجة وغيرها وهي وان تكن اقل تجارة من منشستر الا ان
 في هذه بيوتا كثيرة ومحرفات عديدة تختص بتلك اما تجارنتها واشغالها في
 الحديد فعملية الى الغاية واما في انشاء المراكب والآلات من الحديد فن الطراز
 الاول فالك ترى حولها اثنتين عديدة لا تزال متأججة حتى كان ذلك القطر
 قطر جحيمي وحتى ينزل للناظر ان خاطر الانسان يرتاح الى النار والدخان
 والى قطعة المطارق ارتياحه الى المسك في صقع من ايطاليا والى رؤية

الرياض واستماع اصوات العبدان وكأن هؤلاء الدخائين لا يحسدون احدا سواهم من يسكن في الربف المربع ولا يبالون بما تقوله الشعراء من وصف المروج الناضرة والجداول المترفة وغير ذلك من مسارح النظر الابقسة فما قاله ملطون حكاية عن الشيطان حين هبط الى دركات الجحيم واستسلم الى ما قدر عليه ورضى بما طرأ عليه هناك من شواغل حياته الجديدة وهو « كن يا شرلى خيرا » انما هو صفة هؤلاء الناس لا تتعداهم فانهم يتنجسون بكثرة مواقدهم وتكاثف دخانهم وكأن المدينة خالصة كونها تبقى بعدد من النار ليلا ويعد من الدخان نهارا تذكره تذكر الناسى بخروج بنى اسرائيل من مصر * ولا شئ اعجب هنا من ان يرى الراى تعدد الالواح فوق حوائطها وهى التى تكون عنوانا على اسم التاجر وحرقة فان التاجر في لندرة يكتفى بوضع لوح واحد فوق خانوته فلما الطبقة التى فوق الخانات فانها تكون غالبا مقرا لعياله اما في كلانكو فالك ترى خانوتا فوق خانوت ومخزنا فوق مخزن بل اعظم الخوانيت هى التى تكون فوق الطبقة الاولى وقد تكون الدار كلها عبارة عن مخزن بضائع وايضا تذهب لتشتري شيئا يقل لك الملع فوق * قال واتى اكره شيئا من قسيى سكوتلاندا وهو انهم لا يزالون بطوفون في البلاد محتدين بدعوى انهم يفتنون ما يجمعونه في وجوه البر وانشاء الكنائس وجل من يقع غرضالهم ذوات الثروة من النساء اه

ثم عدت الى كبريج وبعد ان انهيت ترجمة التوراة وذلك في اقل من عشرين شهرا سرت الى لندرة وفاوضت كتاب الجمعية في ذلك فقال ان كنت تقيم في هذه البلاد فان الجمعية تعين لك شيئا في مقابلة تصحيح الطبع فقلت على شرط ان اقيم بباريس ويعد الى بالمطبوع الى هناك فاصححه فاني طالما هممت بان اتعلم اللغة الفرنسية لما اتى ارى في كتب الانكليز جلا وعبارات منها مما يخرس على تعلمها فقال لك ذلك فخر ثم كتبت الى كاتب حاكم مالطة اخبره بانى عدلت عن الرجوع اليها * ثم تأهبت للسفر الى باريس واعدت خيشومى للغة * وخلصى للغة * ودريهما للجنة * وهنا اودع القارى وعبرانى متفردة وزفراتى متصاعدة واعدت وعد من يراعى قديم العجبة * ويحفظ اكيد القربة * بانى اصف له بباريس عند استقرارى فيها اتم وصف * من دون

دون اسهاب ولا حنف * فأتى جمعات هذه الرحلة مرتبة على الاوقات * واخلطتها في الجملة عن الاستطرادات * ولا يمكن ينبغي قبل ذلك ان انبده فائدة تتعلق بالتوراة مما يعز وجوده في غير هذا الكتاب فاقول ان اول من ترجمها من اللغة العبرانية الى اليونانية هم الاثناس والسيمون حبرا في عهد برثولومي فيلادلفيوس بالاسكندرية وذلك في سنة ٢٧٧ قبل الميلاد * قيل واتموا ترجمتها في اثنين وسبعين يوما وكان كل اثنين منهم في صومعة وعين على كل منهما ترجمتها باجمعهما فلما فرغوا منها وجدت جميع النسخ لم تختلف احداها عن الاخرى لا في كلمة ولا في حرف واقدم توراة بيد النصارى هي الموجودة في الفاتيكان برومية كتبت في القرن الرابع وقيل الخامس ونشرت في سنة ١٥٨٧ والثانية هي الموجودة في متحف الانكليز المسمى بريتش ميوزيوم اهداها احد بعازكة الروم الى شارلس الاول وقبل انها نسخت في حدود التاريخ المتقدم ذكره واقدم توراة عند اليهود هي الموجودة في تولايدو باسبانيا وذلك نحو سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد * وجملة ما في التوراة من الاسفار ٣٠ ومن الفصول ٩٢٩ ومن الايات ٢٣٢١٤ ومن الكلمات ٤٩٣ ٥٩٢ ومن الحروف ٢٧٢٨١٠٠ وقد تكررت فيها الواو العادئة ٣٥٠٣٥ مرة والعدد الحادى والعشرون من الفصل السابع من سفر عزرا يشتمل على الحروف الابجدية كلها * وجملة ما في الانجيل من الاسفار ٢٧ ومن الفصول ٢٦٠ ومن الايات ٧٩٥٩ ومن الكلمات ١٨١٢٥٣ ومن الحروف ٨٣٨٣٨٠ وقد تكرر فيه حرف العطف ١٠٦٨٤ مرة

وكان دافع التوراة باللغة الاسبانية في سنة ١٤٧٨ والجرمانية في سنة ١٥٢٢ والانكليزية في « ١٥٣٤ » والفرنساوية في « ١٥٣٥ » والمسكووية في « ١٥٨١ » والرومية في « ١٦٣٨ » والتركية في « ١٦٦٦ » والبورتوكيزية في « ١٧٤٨ » والطلمانية في « ١٧٧٦ » والفارسية في « ١٨١٥ »

ووجدت في بعض الكتب ولست منذ على ثقة ان التوراة ترجمت الى العربية في القرن الخامس * ثم اتى ركبت الباخرة التي تسافر من لندرة الى يولون بعد نصف الليل الواقع في السادس من كانون الاول وكنت ارجو انها تقطع في تلك

الليلة فوق الضباب الكثيف حتى تعذر السفر الى الصباح فلما دنونا من المدينة المذكورة صادفنا الجزر في البحر فانظرنا نحو اربع ساعات حتى جاء المد فبلغنا المدينة في الفجر فاخرجت امتعتنا وقمحت في الكمر وكمان معي عدة صناديق من جملتها صندوقا كتب فلم يأخذوا عليها شيئا وسمعت بعضهم يقول هذا مرسل الى قسيس يبعث من طرف الانكليز لهداية بعض الضالين الا انهم وجدوا في احد هارطلا من الشاي فقالوا اما ان تؤدى عليه شلنين ونصفا واما ان تتركه هنا فقات لا بل اودى عليه ما تطلبون وفرحت بذلك غاية الفرح لاني كنت موجسا من انهم يتقاضون على الكتب كثيرا لاسيما وان كثيرا منها كان جديدا كما جلد المجلد • وهنا نصيحة او شبه نصيحة لاختواني من المسافرين وهي ان من تصدى منهم الى فتح صندوقه اولا يلقي المقتس في عرام نشاطه وظمائه الى ان يجد عنده حاجة جديدة فيضبطها منه اظهارا لحذقه في صناعة التفتيش فلما من يأتي آخر اليوم فانه يلقيها قد كل وضجر فاول ما يفتح الصندوق ويتلمسه يبطئه وربما اجترأ عن ذلك بسؤال واحد يلقه عليه كأن يقول له هل عندك شيء يؤدى عليه مكس ولا بد بالضرورة ان يكون الجواب بالسلب غير ان جل الناس يحبون التقدم والتصدر في كل شيء فزاهم يتزاحون على فتح صناديقهم واخراجهم وعيابهم كأنما هم في حلبة السباق وفي بولون هذه وفي سائر فرض فرنسا المقابلة لانكلترا يزدهم الجمالون وخدام المطاعم على المسافرين ولا ازدحام حارة مصر وهناك ترى النساء حالات يغطين شعور رؤوسهن بتدليل فيبرز من تحته شعيرات من عند افواههن على زى نساء اليهود وسمتهن كسمن الرجال وافصح منهن النساء اللائى يصطدن السمك او بيعنه فلا يكاد النظر يعرف منهن علامة الانثوية • واعلم ايضا انه من يدخل فرنسا وغيرها من بلاد الافرنج فلا بد له من ان يبرز جوازه في الثغور اى الهاسپورت والا فلا يدعونه يدخل وافصح من ذلك انه لا يمكن للغير ان يخرج من بلاد فرنسا الا اذا ادى في ديوان الجواز عشرة فرنكات اما من يقدم الى بلاد الانكليز فليس عايه ان يبرز الجواز كما ان الخارج منها ايضا ليس عليه ان يؤدى شيئا ولذلك يقال ان بلاد الانكليز بلاد الحرية وسبه عندي والله اعلم ان الانكليز لما كانوا في الزمن القديم متخلفين عن سائر الافرنج

الافرنج في اسباب التمدن والعلوم كما مريبك من جلة مثل ولا سيما في الكلام على منشستر احتاجوا الى ان يتساهلوا مع جيرانهم في اشياء تستجلبهم الى زيارتهم وذلك ان اول ظهور التمدن والفنون في اوربا انما كان في اسبانيا حين كان المسلمون مستولين على الاندلس • قال فلتير وكانت ملوك الافرنج جميعا تستخدم الاطباء من العرب واليهود والتزم البابا يوحنا الثامن ان يدفع للمسلمين في كل سنة خمسة وعشرين الف رطل من الفضة وذلك سنة ٨٧٧ وقد دخلوا ايطاليا ونهبوا كنيسة مار بطرس وفتحوا بالجيوش الفرنسية الذين كانوا ساروا الى رومية لاجارة اهلها تحت راية القائد لوثاريوس • وفي القرن الثاني عشر كان المسلمون مستولين في اسبانيا على احسن البلدان منها پورتغال ومرسية والاندلس ووالنسية وغرناطة وطرطوشة وامتد ملكهم حتى الى وراء جبال قسطليل وسيرقوسة • اما دار الخلفاء فكانت في قرطبة وفيها بنوا المسجد العظيم المشهور قبوه مرفوع على ثلاثمائة وخمسة وستين عمودا وهو من مرمر غريب الصنعة بديع الاتقان ولم يزل معروفا الى الآن باسم مسك (اي مسجد) مع انه حول كنيسة • وكانت الصنائع والفروسية والابهة في عهدهم في مزيد وكان عندهم مواضع شتى للفرج واللهو • اما علم المساحة والفلك والكيمياء والطب فلم يكن الا في قرطبة دون غيرها من سائر المدن حتى ان صانعو ملك ليون الملقب بالسجين اضطر الى ان يسافر اليها لياخذ الطب عن رجل كان مشهورا في عصره فلما استدعى به الملك اجابه مع الرسول قائلا ان كان للملك حاجة الى فليقدم على وقال بعض المؤلفين ان المسلمين ملكوا من البلاد في مدة ثمانين سنة بعد الهجرة مالم يملكه الرومانيون في مدة ثمانمائة سنة • وقال فلتير في موضع آخر واول ساعة دقاقة عرفت في فرنسا هي التي اهداها هارون الرشيد الى شارلمان • وقال في ابجدية الاوقات علم الحساب انما اخذ عن العرب في اسبانيا وذلك في سنة ١٥٠ ثم شهر في انكلترة في سنة ١٢٥٣ • وقال صاحب معجم الجغرافية ان البابا سلستروس الثاني وكان يعرف اولاً باسم جريرت سار الى الاندلس واخذ العلم عن العرب وكانت ولادته في سنة ٩٣٠ وانتخب بابا في سنة ٩٩٩ وكان ماهرا في علم المساحة وجر الاتقال والفلك وهو الذي بث رقم الحساب

العربي في اوربا واول من عمل ساعة ذات رقائق • وقال فلتر اول من اخترع هذه النظارات للعين اسكندر سينا وذلك في اواخر القرن الثالث عشر وكذا اختراع طواحين الرمح كان في ذلك العهد • واصل اختراع الفخار كان في فيانترى • اما زجاج الطيقان فكان معروفا من قبل ذلك الا انه كان نادرا وكان يعد من الاسراف • وكان اشتهار صنعته في بلاد الانكليز في سنة ١١٨٠ من بعض الفرنسيين وكان يتنافس فيها • واول من ابدع مرآيا الزجاج اهل فينسيا وذلك في القرن الثالث عشر • وكان استعمال الساعات معروفا في ايطاليا وكن على ندره ولم يكن في اوربا كلها من المدن ما يباهى فينسيا وجينوى وبولونيا وسبانا وبيزى وفلورانس • ولم تكن البيوت في مدن فرنسا والنسا وانكلترا كما هي الآن وانما كانت مقوفة من التبن المطين وبناؤها من الخشب ولم يكن عندهم هذه المواقف المعروفة الآن لابقاد النار وانما كانوا يوقدون في نحواكون يحملونه في وسط البيت فيجتمع حوله المصطلون والسخان متصاعدا منه وكانت اغلبية الموائد من الكتان عند الانكليز نادرة جدا • ولم يكن التيزياع الا عند العقاقيرية • وكان الركوب في مركب ذي عجلين في طرق باريس الوسخة اسرافا حتى ان فيليب اللقب بالازهر منع النساء من ذلك وكان اهل بولاند يقتلون اولادهم اذا جاءوا ناقصي الخلقة وكذا يقتلون الذين اسنوا وعجزوا وقس على ذلك ساثر سكان البلاد الشمالية • واول من احيا صناعة نقر التماثيل رونلشي من مدينة فلورانس • وكان غيوتو نبها في التصوير • وبوكاشيو في اللغة والادب • واول من اخترع مقامات الموسيقى على ما عرف الآن غيدو اوتزو واشهر من برع في النظم والتأليف بترك وداني ولم يكن اذ ذاك في البلاد الشمالية سوى الجهل الفاحش والتفاخر بالقتل والقتال له قلت وحيث جرى في معرض ما اوردها ذكر الساعة فلا بد من استيفاء الكلام عليها ثم ارجع الى ما كنت بصده قال مؤلف كتاب المخترعات العجيبة ذكر المؤرخون من الفرنسيين ان اول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي اهداها الخليفة هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا وذلك في سنة ٨٠٧ وكانت بلطا في ذلك العصر حتى انها اورثت رجال الديوان حيرة وذهولا والظاهر انها كانت من الآلات التي يديرها الماء المتجدر وكان لها اثنا عشر بابا

بأصغرها تنقسم بها الساعات فكلما مضت ساعة انتقم باب وخرج منه كرات من
نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة
وحيثما تخرج صور اثني عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة •
قلت بودى لو اعرف اسم الساعة في ذلك العصر فأتى انكر هذه اللفظة واهل
انقرب يقولون متكالة وهى انكر قال وكان ألفرد الكبير ملك الانكليز يأمر
بأخذ شع طول كل شعبة اثنا عشرة اصبعاً ويعلم كلا منها بعلامات متساوية
منقسمة الى اربعة وعشرين قصفا كناية عن الليل والنهار فكان يأمر بإيقادها
متعاقبة ليلا ونهاراً ويجعلها في قرن رقيق شفاف صونا لها من الريح • ولم يعلم
عمل الساعات الدقيقة الا بعد موته بقرون عديدة • اما تقسيم اليوم الى اربع
وعشرين ساعة فعرف من قديم الزمان قلت وفي محفوظي انه ذكر في المصباح
المنير للفروسي ان اهل الحساب اصطلموها على اربعة وعشرين قيراطا لانه اول
عدد له ثمن وربع ونصف وثلاث صحيفات من غير كسر فلعل هذا هو السبب في
تقسيم الساعات الى هذا العدد وذكر هيرودوتوس ان ميقاثة الشمس كانت
معروفة عند اليونانيين وهم اخذوها عن البابليين • فلما الميقاثة المائية التي
تدل على الاوقات على نسق الرملية فكانت معروفة عند الكلدانيين وعند قدماء
الهنود فكانوا يحدرون الماء فيها من اناء الى آخر كما يحدرون الرمل في الزجاجة
وبذلك يستدلون على اوقات التجميم الا ان عدم تساوى انحدار الماء وتخالف
الهواء كان يجعل حسابهم غير مطرد اما شكلها فغير معروف بالتفصيل وغاية
ما يعلم من امرها ان الماء كان ينحدر في وعاء فيها قطرة قطرة فاذا امتلأ الاناء علم
مقدار الوقت المفروض • واول من اتقن الساعة المائية حتى صارت من الادوات
العلمية الدون كرلوس قالى احد الرهبان البانديكتيين وذلك سنة ١٦٩٠ وزعم
بعض انها من مخترعات مارتيني الطلياني • قبال واول مؤلف ذكر اسم آلة تدل
على الساعات هو دانتى الشهير ولد في سنة ١٢٥٦ ومات في سنة ١٣٢١
وشهر ذلك في انكلترا في سنة ١٢٢٨ وكان ايضا مشهورا عند غيرهم وفي
زمن ادورد الاول وضعت غرامة على اصحاب الجنائيات لاجل عمل ساعة دقيقة في
غرفة وستينستر لكي يسمعها الذين في المحكمة وفي زمن هنري الخامس كان
لها شان عظيم حتى ان الملك وكل محافظتها وتعهدها الى وليم واربي دين كيسة

صانعت اسطغان وعين له في مقابلة ذلك نصف شلن في كل يوم من ديوان
 الحزنة • وفي سنة ١٣٣٤ ابرز يعقوب دوندى ساعته المشهورة فكانت تدل على
 الساعات وعلى سير الشمس في منطقة البروج وعلى مواقع الكواكب السيارة ولقب
 بهورولوجيوس • وفي اواسط القرن الرابع عشر وضع في كنيسة استراسبورغ
 ساعة من اكثر الآلات تركيا وألفافان صفحتها كانت تبدى الكرة السماوية
 وسير الشمس والقمر والارض والكواكب ومحاق القمر ونحوه وتقويمها يدل على
 اليوم الواقع من الشهر • وكان ربع الساعة الاول يطرقه ولد بتفاحة والثاني
 شاب بسهم والثالث رجل براس عصا والرابع الاخير شيخ بعكازه • وعند مرور كل
 ساعة يفتح الباب ملك ويخفى مسلما على مريم العذراء ثم يطرق الجرس ويقره
 ملك آخر يحمل ساعة رملية يليها عند انتهاء الدقات الرابع وكان يونا ايضا
 ديك من ذهب يصفق بجانبه عند اقتراب كل ساعة ويعد حنقه ثم يصقع
 مرتين • وفي اواخر القرن المذكور صنع رجل من جينوى اسمه دروز ساعة
 دقاقة ذات حركات غريبة وكانت تشمل على تمثال اسود وراع وكلب فكان
 الراعى عند طرق الساعة يعزف على الناي ستة اصوات فيدنو منه الكلب
 ويحرك ذنبه متمقا ولما عرضها على ملك اسبانيا تعجب منها غاية التعجب
 فالتبس اليه دروز ان يمد يده ويأخذ تفاحة من سلة الراعى فلما فعل انبعث الكلب
 ينبح نباحا عاليا حتى صار كلب الملك ينبح ايضا • قيل وكان اذا سئل الاسود عن
 الساعة اجاب بالكلام الفرنسي ليقفه الحاضرون • واول من وضع الرقاص
 في الساعة الدقاقة ريشارد هارس الانكليزي وذلك في سنة ١٦٤١ اما الساعات
 الصغيرة التي توضع في الجيب مختصرة عن الكبيرة فالجزء بمعرفة مخترعها صعب
 والارجح انها من مخترعات هوك • وقيل ان اصل اختراع الساعات كان في
 نورمبرغ في سنة ١٤٧٧ وحقق البعض ان روبرت ملك سكوتلاند كان له
 ساعة وذلك في سنة ١٣١٠ وكان استعمال الساعات في الارصاد الفلكية في
 سنة ١٥٠٠ وقال بعض ان الامبراطور كرلوس الخامس هو الذي كان
 عنده ما يصدق عليه اسم الساعة وذلك سنة ١٥٣٠ واصل جلب الساعات
 الى بلاد الانكليز كان من جرمانيا في سنة ١٥٧٧ اما الساعات التي توضع
 في الجيب فمن الناس من نسب اختراعها الى دكطر هوك واهل هولاند
 نسبه

نسبوه الى هيكس وكيف كان فان دكطر هو ك هو الذى اخترع الساعة الدقاقة ذات الرقاص وذلك فى سنة ١٦٥٨ وقيل ان ساعة الماء عرفت فى رومية فى سنة ١٥٨ وان البابا بولس الاول اهدى بيان ملك فرنسا ساعة مائة فى سنة ٧٦٠ وقيل ان اصل اختراع الساعة الشمسية كان فى سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وقيل انها عرفت فى رومية سنة ٢٩٣ من التاريخ المذكور وفى سنة ٦١٣ نصبت فى الكنائس وفى مدة احد عشر شهرا من سنة ١٨٥٠ جلب الى بلاد الانكليز من هذه الساعات ٢١٥٤٧٤ فقد عرفت مما تقدم ان التمدن فى البلاد الافرنجية بدأ أولا فى اسبانيا بالنظر الى العلوم وفى بلاد ايطاليا بالنظر الى الصنائع ثم انبت منها الى فرنسا واول اشتهاها فيها وبناء قصر فنتيلو وقصر سان جرمان وتهديب اللغة الفرنساوية كان فى ايام الملك فرنسوا الاول كانت ولادته فى سنة ١٤٩٤ ووفاته سنة ١٥٤٧ ثم لما انتشر مذهب البروتستانت فى فرنسا وكانت الدولة تضطهد المتمدنين به كانوا يضطرون الى الفرار الى البلاد الاجنبية وحسبك يوم مار بروتوماوس دبللا ولما قام لويس الرابع عشر وكان هو ووزيره الكردينال ريشيلو اشد الناس بغضة لاهل هذا المذهب فر كثير منهم الى بلاد الانكليز وكانوا نوى معارف وعلم فبثوا فيها ذلك وطاب للانكليز ان يضيفوا من التجا اليهم وان يعفوه من الجواز وبقيت الحال على هذا النوال • ثم ان بولون هى مثل غيرها من فرض فرنسا المقابلة لانكلتره فى ككونها موردا للتجارة بين المملكتين واكثر ديارها منازل للمسافرين وثلت سكانها انكليز واحسن ما فيها متحفها فيه من غرائب انواع الطير والسمك وسائر الحيوانات ومن الجواهر المعدنية وانواع الورق الذى كانوا يكتبون عليه فى الزمان القديم ومن الصور وآلات الطرب لجمع الامم ما هو عبرة للمعتبر ومن رأى عظام السمك والوحوش الضخمة فلا يكذب شيئا مما قاله الاولون ثم سافروا منها فبلغنا باريس ليلا فدهشت لما رأيت فانى وجدت جميع الحوايت مفتوحة فى الساعة التى لا يفتح فيها شئ فى لندرة غير حانات المزر وحين مررنا بالبغار رأينا من الانوار فى الديار من فوق وفى محال القهوة من تحتها وفى فواتيس الطرق من بين الاشجار وفى فواتيس العواجل الواقعة عن اليمين والشمال ما خيل لى انى فى

نجحات النعيم قلت في نفسي بخ بخ ان هذه مدينة بحجة وانوار تتفتح فيها اكلام
المعاني في رياض الافكار وتجلي بها عرائس القصائد في اخدار الاشعار فلاجعلن
دابي النظم فيها الليل والنهار وكلما ارتج على شيء جئت الى البقار ثم لبنا
اربعة ايام في ميت الى ان تيسر لنا استئجار محل في دار على حدة وكان
الضباب في خلالها كثيفا والبرد شديدا اما البرد فلا يقص عن برد لندرة تقيرا
بل هو اشد واما الضباب فكان ابيض بخلاف ضباب لندرة فانه يقع اسحم
فطفت اشكو من الانتقال من ضباب الى ضباب فقال لي احد اصحابي ان هذا
الضباب انما قدم البناء معك من لندرة فان باريس ليست مضربة ووقوعه فيها
نادر جدا لكنني وجدت قوله بعد ذلك غير الحق فانه وقع ايضا في السنة الثانية
وانا مقيم فيها من دون ان يعلق باذيالي من قطر آخر الا انه لا يدوم طويلا كما
يدوم ضباب لندرة وقد حان الآن ان اشرع في وصف باريس واهلها ولكن
لما كان العالم الاديب رفاعه بك العظمى قد الف كتابه النفيس المسمى
بتخليص الابرار في تلخيص باريز وسببني الى هذا المعنى كان لا بد لي هنا من
ان استاذنه في ذكر ما اضرب عنه بالكلية او اشار اليه اشارة فقط بما
استغربته منه ثم اجعل ذلك مقياسا للقارى يقيس عليه باريس وندرة ولكن
قبل الكلام على باريس خصوصا ينبغي ان ابتدئ بالكلام على فرنسا عموما
فانها حرية بذلك وخصوصا اني قد اجملت القول في اول هذا الكتاب على
انكثرة فاقول

ان فرنسا كانت تسمى في الزمن القديم بالغال ثم سميت بهذا الاسم المتعارف
الآن نسبة الى الفرك الذين قحوها وهم قبائل من البلاد الشمالية وارض
هذه المملكة خصيبة ينبت فيها جميع الاشجار والبقول والحبوب غالبا وكانت
ارضها منذ نحو سبعين سنة مهمللة اما الآن فقد بذل الجهد في حرثها وتبنت
الاشجار فيها حتى صارت قيمة محاصيل الارض وغلالها تبلغ في العام
٣٧٨٠٠٠ ر ١٧٨٠٠٠ فرنك يصرف على ذلك ٣٠٠٠ ر ٣٠٥٠٠ فرنكون
الفائض ١٧٨٠٠٠ ر ١٦٨٠٠٠ وهي كثيرة المعادن يوجد فيها معدن الذهب
لكن على قلة ويكثر فيها الفضة والحديد والرصاص والحاس والتوتيا وغير
ذلك وعدد سكانها في سنة ١٨٤٥ كان ٣٢٥٠٠ ر ٣٢ (١)

(١) في سنة ١٨٧٤ بلغ عدد سكان فرنسا ٣٦٣٨٣ ر ٣٦٤٨١ نفسا

منهم مليونان وثلث برونستانت ويهود وبلغت قيمة المجلوب من التجارة الى فرنسا في سنة ١٨٤٣ ١٨٤٠ ٦٠٦٠ ٨٤٦ فرنكا وقيمة الخارج منها ٦٧٧ ٩٦١ ٦٤٣ (١) وفي مدة ثمانى عشرة سنة وذلك من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٤٣ كان من جلة اهلها مائتا الف مجنون في المارستانات وثلاثة آلاف قتلوا انفسهم ومائة الف نفس بهم علل واخذوا الى ديار المرضى وثمانائة الف يعيشون من الصدقات ومائة الف نفس في السجون لاجل جنائيات مختلفة * وقال آخر وبلغ عدد الاكليروس في سنة ١٨٤٣ اربعة وعشرين الفا منهم ثلاثة كردينالات واربعة عشر مطرانا وسبعة وستون اسقفا ويضاف اليهم نحو ثمانية آلاف وخمسمائة من المترشحين للكنيسة وعدة اديار النساء ثلاثة آلاف وعدد الراهبات اربعة وعشرون الفا وبلغ عدد الاكليروس في زمان الفتنة ١١٤ر٠٠٠ من جلتهم اثنان وثلاثون الف راهبة وبلغت جلة ايرادهم اثنين وسبعين مليونا ومبلغ العشور الذى يستوردونه سبعين مليونا فجعل ذلك ١٤٢ر٠٠٠ر٠٠٠ وايراد الكردينالات والاساقفة ١٠١٧ر٠٠٠ وجملة المصاريف على الديانة الكاثوليكية ٣٤ر٢٥١ر٠٠٠ فرنك وعلى البروتستانت ١ر٠٣٣ر٠٠٠ وعلى اليهودية ٩ر٠٠٠ر٠٠٠ وفي سنة ١٨٤١ بلغ عدد المسافرين في فرنسا ٦٣٣ر٠٠٠ر٠٠٠ نفس منهم ١٤٣ر٠٠٠ر٠٠٠ سافروا في سكة الحديد وفي سنة ١٨٥٥ بلغ عددهم بليوناً منهم مليون وثلثمائة واثنان وسبعون الفا سافروا في الارثال وبلغ ايراد الكبرك في سنة ١٨٥٦ ١٨٢ر٢٩٦ر٧٩٨ فرنك وفي سنة ١٨٥٧ بلغ ايراد الدولة نحو سبعين مليون ليرة انكليزية فكان نحو ايراد دولة الانكليز بل أكثر (٢) وفي السنة

(١) منذ التاريخ المذكور اتسعت تجارة فرنسا اتساعاً عظيماً فان جلة المجلوب اليها في سنة ١٨٧٩ بلغت ٨٣٧ر٠٠٠ ٥٩٤ر٤ فرنك وهى عبارة عن ٤٨٠ ٧٩٣ر١٨٣ ليرة انكليزية وبلغت جلة الخارج منها في السنة المذكورة ٩ر٠٠٠ر١٦٣ر٣ فرنك او ١٢٦ر٥٢٣ر٦٠٠ ليرة

(٢) ومنذ سنة ١٨٥٠ ازدادت ثروة فرنسا ازدياداً عظيماً حتى ان ايرادها بلغ في سنة ١٨٨٠ ٢٨٨ ٧٢٥ر٣٠١٣ فرنكا وهى عبارة عن ١١ ٢٢٩ر١٢٥ ليرة انكليزية اما المصاريف فانها بلغت ٤٤ ٤٩٤ر٣٠١٣ فرنكا او ٧٦٩ ١٢٥ر٢٠٩ ليرة

المذكورة كان لها من المساكن البرية نحو خمسمائة ألف وامكن لها في اى وقت شامت ان تجهز من الجيوش البحرية نحو سبعين الفا والمحروث من ارضها لا يتقص عن اثنين واربعين مليون هكتار وملاكها نحو سبعة ملايين من رؤوس العيال وبهذا يظهر لك الفرق بين المملكتين * وقال بعضهم بلغ مصروف دولة فرنسا في مدة عشر سنين آخرها سنة ١٨٦١ ٧٦٨٥٢٠٠٠ ليرة وبلغ ايرادها ٦١٩٦٨٠٠٠ ليرة فكان ايرادها في كل سنة ٦١٩٦٨٠٠٠ ليرة ومصرفها ٧٦٨٥٢٠٠٠ وكان مصروف اوستريا في مدة اربع سنين وهي من سنة ١٨٥٧ الى سنة ١٨٦٠ ١٥٤٢٠٠٠٠ ليرة وهو عبارة عن ٣٨٥٠٠٠٦٧٤ في كل سنة وكان ايرادها في المدة المذكورة ١١٥٥٠٠٠٠٠ ليرة وهو نحو ٢٨٨٥٧٠٠٠ ليرة في كل سنة وبلغ ايراد ايطاليا في سنة ١٨٦١ ٣٢٢٠٥٦٧٤ وايرادها ١٩٦٣٤٨٠ (١) وبلغ مصروف دولة شمال امريكا في سنة واحدة من مدة الحرب ٢٥٠٠٠٠٠٠ ليرة فاما سكان هذه الممالك فان عدد اهل فرنسا بلغ في سنة ١٨٦١ ٣٧٣٨٢٢٥٥ نفسا وزاد عدد الروسية في مدة خمسين سنة ضعفين وكانت الزيادة في انكلترة في تلك المدة ١١٩ في المائة وكانت زيادة بروسية من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٥٨ ٧٢ في المائة وزيادة اوستريا من سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٥٧ ٢٧ في المائة وزيادة فرنسا من سنة ١٧٢٦ الى سنة ١٨٦١ ١٢ في المائة لا غير فكون الولادة في فرنسا اقل من غيرها في سائر الممالك اما الزواج فذكره على هذا التفصيل وهو انه يولد فيها ١٠٠ ولد من كل ٢٨٥ زواجا وفي بريطانيا ١٠٠ ولد من كل ٢٣٧ زواجا وفي اوستريا والروسية ١٠٠ ولد من كل ٢٢٣ زواجا وفي بروسية ١٠٠ ولد من كل ٢١٠ زواجا فيكون ولادة الولد في بروسية في ظرف سنين وخمسة اسابيع وفي فرنسا نحو سنين و٤٢ اسبوعا فاما الموت فن

(١) في سنة ١٨٨١ بلغ ايراد فرنسا ٢٧٥٢٧٩٤٨٣٠ فرنكا او ١١١٧٩٣ ليرة انكليزية والمصروف بلغ ٢٧٥٤٩٣٢٦٠٠ فرنك او ١١٠١٧٧٣٠٤ ليرات انكليزية واما ايراد ايطاليا فقد بلغ في السنة المذكورة ١٤٢٥٥٨٣٣٩٦٥ فرنكا او ٥٧٠٢٣٣٥٨ روبا ومصرفها مثل ذلك تقريبا

كل ١٠٠٠ نفس في بريطانيا يموت في السنة ٢٢ وفي فرنسا ٢٨ وفي بروسيا
٢٩ وفي أستراليا ٣٢ وفي الروسية ٣٣

﴿ وصف باريس ﴾

كانت مدينة باريس في سنة ٢٨٠ تسمى باريسي وكانت عرضة لنهب
الترومان وفي سنة ١٤٢٠ استولى عليها الإنجليز وبقيت تحت يدهم خمس
عشرة سنة وفي سنة ١٤٣٨ رزئت بالطاعون والجحاعة فأتى بهما أكثر من خمسين
الفا فكانت الذئاب تدخل أسواقها وتقتال من تقتال وفي سنة ١٨٤٠ حصنت
بسور طويل يحيط بشاطئ النهر وبقلاع متفرقة وذلك مسافة خمسة عشر
فرسخاً وربع فرسخ يدي به في كانون الأول سنة ١٨٤٠ ونجس في شهر آذار سنة
١٨٤٦ وبلغت نفقته ١٤٠٠٠٠٠٠٠ فرنك أو نحو خمسة ملايين ليرة * قلت وقد
جرى ذلك كما قصده نابوليون الأول وهو في جزيرة صنت هيلانة قال ولما دنت
منها الأعداء في سنة ١٨١٤ تبادر الناس إلى انشائه على عجل لكنه كان غير محكم ثم
أكل وجعل حوله أربعة عشر برجاً وقال آخر كانت باريس تدعى في القديم
لوكس سميت بذلك في أحد الأقوال باسم لوكوس مؤسسها والذي عليه الاتفاق
أنها من أقدم مدن العالم ولما غزا قبصر بلادهم كان يقال لها باريسي ولم
تكن حينئذ إلا عبارة عن خصاص مهينة كالجزيرة في نهر السين مع أنه لما أراد
فتحها قاومه أهلها مقاومة شديدة لم تكن تخطر بباله حالة كونهم خالين عن
أسباب التمرد ثم أخذت في التوسع والاتساع في عهد ملوك كثيرة ولا سيما في
زمان بوليأتوس وكلوفى وأعظمهم فيليب اغوسط في سنة ١١٨٤ ثم قام لويس
الملقب بالصغير وأنشأ فيها مدرسة فأقبل الناس إليها لطلب العلم حتى صار عدد
الطلبة أكثر من أهل الصقع الذي بنيت فيه وهو الذي أحاط بها سوراً
وصروحاً ثم قام فرنسيس الأول وأنشأ فيها اللوفر فقام هنري الرابع وغيره فيه
تغييرات جمة وفي زمان لويس الرابع عشر صارت كأنها مدينة جديدة وما قصده
نابوليون الأول في تحصينها وتنظيمها استحسنه عائلة البوربون وزاد عليهم
اجمعين لويس فيليب فانه ظن أن حفظه ذكر أيام نابوليون يكون ادعى لاستمالة
خواطر الناس إليه فمُنِ ثم اتُّم ما ابتدأ به نابوليون فأنشأ السور وأتم الأبرج
أو التurrets الأربعة أرك دورايونف ونصب تمثال نابوليون مرة أخرى على عود

فندوم وفي عهده دفت جثة نابوليون • قلت وفي زمان نابوليون الثالث كسبت من الرونق والبهجة ما لا مزيد عليه وقال غالتياني في كتابه الذي سماه المرشد الى باريس طبع في سنة ١٨٤٤ اول من ملك فيها من ملوك النصارى كلوفيس وذلك في سنة ٥٢٤ واول من بشر فيها بالانجيل كان ماردانيس وذلك سنة ٢٥٠ واول كنيسة اسست فيها فيما علم كانت كنيسة مار اسطفانوس في الموضع الذي ترى فيه الآن كنيسة نوطردام وفي سنة ٥٨٧ احرقها النورمان ثم بنيت وقسمت المدينة الى اربعة اقسام ومن ثم يقال لكل جهة منها كارتيه وفي زمان لويس السمين كان اليراد من الباب الشمالى اثني عشر فرنكا لا غير وهي تبلغ بحسابنا الآن ستمائة فرنك وفي القرن الرابع عشر انشئ فيها مدارس للعلم وفي عهد فيليب اغوسط كثرت فيها الابنية والمغاني والكنائس وبلط بعض الطرق واُزِم الاهلون تحصينها وفي سنة ١٢٥٠ انشأ فيها روبرت صوريين مدارس لم تزل تعرف باسمه وفي زمن شارلس المعنوء دخلها الانكليز ثم طردوا منها بعد ان اقاموا فيها ست عشرة سنة وذلك سنة ١٤٣٦ وفي عهد شارلس السابع خربت من القحط والوباء والذئاب حتى انها صارت في سنة ١٤٦٦ مأوى لاصحاب الجراثم والنسائص من ججع الاقطار وفي عهد لويس الحادي عشر بلغ عدد اهلها ثلاثمائة الف واكتسبت رونقا وعمرانا فهدم اللوفر القديم وانشأ منشأ حسنا وانشأ مدرسة يعلم فيها كل نوع من العلوم مجانا وفي سنة ١٥٣٣ شرع في بناء هوتل دوفيل وحسنت طرق وانشئت اخرى وفي سنة ١٥٦٣ انشئ التورلى ثم لما قامت الحروب الدينية على ساق تعطلت اسباب التمدن الى ان قام باعباة الملك والسياسة هنرى الرابع فاصالح ذات البين ومد على الناس ظل السلم والرفاهية وزاد في تبهيح المدينة غاية ما امكن وانشأ مجلة محال وكبر التورلى وفي زمن لويس الثالث عشر انشئت طرق عديدة وانشئ قصر اللوكزمبور وبستان التياتات وغير ذلك ثم لما قام لويس الرابع عشر اتم ما كان قصده خلفه هنرى الرابع فانشأ أكثر من ثمانين طريقا وحسن القديعة وانشأ ساحة فندوم و٣٣ كنيسة ومارستان السقط ومارستان النفل والرصد وكبر قصر التورلى ونظمت المماشي وبلط كثير من الرصف وغرست غبضة شانزلى وكذلك لويس الخامس عشر لم يأل جهدا في ان افادها فضره الملك حتى

وسعت رقعتها في زمامه ٩١٩ر٣ فداناً وأنشأ عدة مدارس وعيوناً جارية وفي أيام
لويس السادس عشر أنشئت فيها جولة ملاه وكنائس ومنازل سامية واسواق
بهيجة فصارت رقعتها ٨٥٨ر٩ فداناً وجعل للسور ستون باباً يؤخذ منها ضريبة
على ما يدخل اليها من الخارج ووسعت الطرق وأتم بالي روابل بما فيه من
الحوائت الظرفية وفي زمان الفتنة خرب كثير من الكنائس ثم رمت وانفق
عليها أربعة ملايين ولما استرد الملك الى لويس الثامن عشر بنى مجلس
المشورة العام وأنشأ أسواقاً كثيرة ومستشفيات عديدة ونصب عمود فندوم وأنشأ
خمس عشرة عينا وزين القصر وفي أيام شارلس العاشر زيدت فيها محاسن
كثيرة جلها في الكنائس وأنشئت ثلاثة جسور فلما قام لويس فيليب قهت
طرق جديدة وربيع بناء هوتل دوفيل ونصبت مسلة مصر وأتم إنشاء كنيسة
لامدلين اى المجدلانية وبلاس دولا كنكورد وعود النصر انتهى ملخصاً قال
وهي على بعد مائة وخمسة فراسخ من لندرة او مائتين واربعة وخمسين ميلاً
ودورتها ٧٥٥ر٢٣ متراً او ٩٧٩ر٢٥ يارداً وطول أيامها ست عشرة ساعة
وست دقائق واقصرها ثمانى ساعات وعشر دقائق وفيها أكثر من
٤٥.٠٠٠ دار و ١٣.٠٠٠ دكان و ٢٦٠ر١ طريقاً و ٣٨ر٤ مشى و ٢١ بلغارا
و ٩٩ عرصة اوفسحة و ١٨٣ سقفة او معبراً مما يقال له پاساج و ٣٧ رصيفا
ومسطح طرقها يبلغ ٣٢٠٠ر٣ ذراع مربع وطولها ٤٨٠.٠٠٠ او ١٢٠
فرسخاً ومصاريف تنظيف الطرق تبلغ ٥٣٥.٠٠٠ فرنك ومن قبل سنة ١٧٢٨
كانت الطرق عطلاً عن الاسماء ثم بعد ان رقت غيرت مراراً عديدة وفي سنة
١٨٤٢ بلغت مصاريف تليطها وتوسيعها ٧٥٠.٠٠٠ فرنك • قلت جميع
الطرق كانت من قبل مبلطة فلما صار الاهلون وقت الشغب والفتنة يتخذون
حجارتها متاريس أمر الآن بان تصير رصراضاً ومن سنة ١٨٥٣ الى سنة ٥٧
بلغت مصاريف المدينة ٩٣ مليوناً صرف منها في البناء وتجديد الديار ٤٧
مليوناً وفي الماء وتصليح الطرق ٣٣ مليوناً وعلى بوا دو بولون ٥ ملايين وجعل
هذه المصاريف مما يرد من المدينة ولم يصرف الميرى من عنده أكثر من
سنة ملايين وقبل أيام لويس السادس عشر لم تكن تنور الامدة تسعة
اشهر في السنة وذلك عند غياب القمر فأمر بان تنور في كل ليلة وعدة

ما فيها من الفساد ١٣٢٢١ كلها تور بالناز وفي سنة ١٨٤١ ولد فيها ٢٩٩٢٣ ومات ٢٦٠٢٨ وتزوج ٨٩٦٢ وكان عدد النول ٩٨٣٠ وفيها نحو ٨٠٠٠٠ خانم وقال آخر كان اهلها في سنة ٥٦ ١٤١٣١٦١ وفيها من الحرس الامبراطوري ٩١٧ من جلتهم ٢٨ ضابطا ومصاريف ديوان الشرطة تبلغ في السنة ٢٩٥٢٣٥ زه وقال الاول ولا يزال في مستشفياتها ١٥٠٠٠ نفس وقدر من يدخل فيها ويخرج منها ستون الفا وفيها تسعة آلاف من ذوي الاحكام النظامية وهم اهل علم ودراية ولهم موضع مخصوص لاغائة الفترآ مجانا وذلك في يوم السبت ومائة واربعة عشر كتابا للصكوك والعقود وتسعة سجون احدها للمقضى عليهم تبلغ مصاريفه ١٤٥٠٠٠ ويعاملون فيه بفساية ما يمكن من الرفق والشفقة وعدها غيره عشرة وفيها احدى وعشرون مدرسة ملكية فيها من الطلبة ١٠٩٧٥٠٠ واراها منهم ٣٨٣٠٥٤٤ فرنكا وثلاثائة وسبعة عشر مكتبا مما يقال له كومونال فيها من المتعلمين ٢٢٠٥٨٨ واراها ٢٢٧٦٩٣ ومائة واحد عشر معلما يقال لها انستيتسيون فيها ٨٣٧٨ طالب علم واراها ٢٥٠٦٢٠ الف وسبعة مراب ويقال لها بنسبونات فيها ٢٣٠٥٣٨ نفسا واراها ٤٧٣٧٧٣ وفيها اربع وخمسون جمعية للعلوم وفعل الخير وبث الديانة ما عدا مواضع اخرى * قلت ان كثيرا من هذه المدارس والمكتب يديره القسيسون فلا يأخذون من التعلم الا نصف المصروف عليه فيمكن للوالد ان يضع ولده في احدها بمصروف ثلاثين فرنكا في الشهر فن اجل ذلك ترى جميع الاولاد هنا مترشحين للعلوم والصنائع وللأخوات اللائي هن من جنس الراهبات فضل عظيم مشهور في تربية البنات وتربيت الرجا والساء في بيوتهن اوفى بيوت المرضى حتى ان بعضهن يداوى وبعضهن قوايل وقد يسافرن الى البلاد الشاسعة في فعل الخيرات ولهن لباس مخصوص يعرفون به على تنوعه * فهذه الطريقة اتفع من طريقة الراهبات في الشرق اذ يحجب عن الناس في الدير فلا ينفع احدا من الناس وهاتك المزيان اى التعليم على الوجه الذى ذكرناه والاعتناء بالمرضى لا توجدان في لندرة على ان التداوى في مستشفيات باريس هو على طرف الثام وفي لندرة يحتاج الى ذرائع ووسائط * قال وفيها ستة وثلاثون مارسانا وقد علم من خلاصة صدرت في سنة ١٨٤٢ ان هذه المارسانات تقوم بمؤنة

بمؤنة اثني عشر الفا من المرضى والعاجزين رجالا ونساء وفي كل سنة يدخلها نحو ثمانين الفا وان مصاريفها في السنة المذكورة بلغت اربعة عشر مليونا ونصف مليون لكن ايرادها أكثر من المنصرف وهو يتحصل من ضرائب على الملاهي ومن العقار الذي يشتري للمقابر وغير ذلك ويصرف فيها اى في هذه المستشفيات من اللحم ٢٥٠ ر ٢٥٦ رطلا ومن الزبدة ٤٨٨٠٠ كيلو غرام ومن اللبن ٥٣٠٠٠ لير ويوجد ايضا ما عدا ذلك مواضع عديدة لاغاثة الفقراء وتشغيل البطالين قلت وقد علم من كتاب طابع في سنة ١٨٥٥ ان هذه المستشفيات تقوم بمؤنة أكثر من اربعة عشر الف مريض يعالجون فيها واقدمها للمارستان المسمى هوتل ديو يتداوى فيه في مدار السنة احد عشر الف مريض وتخدم فيه ستون راهبة وعدد اطباءه اثنان وسبعون طبيا وقال آخر المحسوب ان نصف اهل باريس صناع وعمله وليس فيها أكثر من الف نفس ممن يحسنون اثبات كونهم سكانها في باريس سلفا عن خلف من عهد لويس الثالث عشر وقال آخر ان ثلثي سكان باريس لا يقدر على مصروف الجنازة وكل واحد من ثلاثة آلاف يقتل نفسه ومن كل ثلاثة مواليد يكون نفل وفي سنة ٥٣ ولد في مدينة وياه من الخلال ١١٦٤ ر ١١ ولدا ومن الحرام ١٠٦٨٦ ر ١٠ وفي سنة ٥٤ ولد من الاول ١١٢٦٥٠ ومن الثاني ١٠٨٠١٥٢٢ ر ١٠ وفي سنة ٥٥ ولد من الاول ١٠٦٥٠ ر ١٠ ومن الثاني ٩٥٢٢ ر ٩ وفي سنة ٥٦ ولد من الاول ١٠٨٧٠ ر ١٠ ومن الثاني ١٠٣١١ ر ١٠ وان من اهل باريس ثلاثين الفا من غير الذين يعيشون من الصدقات يقومون في الصباح ولا يعرفون من اين يحصلون غذاءهم ومنهم سبعة عشر الفا سكارى منهمكين في التبايح وقال آخر وفيها تسعة اسواق كبار للمأكولات وخسة مجازر بلغت مصاريف بنائها وتطعيمها ١٦٥١٨ ر ١٦ وثم المسالخ والمدابع العديدة وعدد الجزارين أكثر من خمسمائة وفي كل يوم يذبح في احدها وهو المسمى بحزر مونت مارت ٩٠٠ من الثيران و ٤٠٠ من البقر و ٦٥٠ من العجول و ٣٥٠٠ من الضأن والموتة السنوية من المأكول والمشروب وما هو من قبل ذلك تبلغ ٣٥٠ مليونا منها ٤٩ مليونا ثمن خمر و ١٢ ثمن لبن و ٧٨ ثمن شمع وسكر وبن وما اشبه ذلك ومليونان ثمن ملح وثمانية وثلاثون مليونا ثمن خبز واربعون مليونا ثمن لحم

وخمسة عشر مليوناً ثمان بقول و ٤٤٤٠٠٠ ثمن فغم والمونة من البطاطس في السنة تبلغ ٣٢٥٠٠٠ كيلوغرام ومبلغ ما يباع فيها من التبغ في كل سنة ٧٠٨٧٩٣ كيلوغرام ومؤتته في كل يوم من الخمر ونحوه ٢٠٠٠٠ وكل يوم يأتي اليها عشرون عجلة مشحونة بالفضة وفي بعض الايام يباع فيها من الدقيق ما قيمته ٤٥٠٠٠ ويرد اليها من الخارج في السنة ١٢٠٠٠٠ قارب مشحون بالفاكهة والقمح وقال آخر ومن جلة اسواق المأكولات بباريس السوق المعروفة بالهال اول حجر وضع في اساسها وضعه الامبراطور في سنة ٥٢ تباع فيها البقول والخضرة والفاكهة على انواعها فيرد اليها في كل يوم ثلاثمائة وعشرون عجلة مشحونة بها وفي اوان الفاكهة يستخدم في نقلها ٤٢٠ عجلة ونحوها ويباع فيها في العام من صنف واحد من البقول مما يتخذ للسلطة بليون فرنك ونصف مليون ومن صنف من محار البحر يسمى الدزوير بنحو ١٩٢٦٠٠٠ فرنكا • قلت والفاكهة والبقول في فرنسا تعظم للغاية كما في انكلترا فقد يصنعون من قشر ثمر الجوز شبه حقة للنساء تحوى مقصا وبرة ونحو ذلك • قال ويباع فيها في سوق الزبدة بنحو ستة ملايين ومن البيض ٥٣٩٠٨٩٠ فرنكا قلت ومن هنا يعلم ان ما ذكره الشيخ رفاعه بك من ان اهل باريس يقطعون من البيض بنحو خمسة آلاف فرنك سهو والظاهر انه اراد خمسة ملايين كيف لا وقد قال انهم يخلطونه في نحو ثلاثمائة صنف من الطعام • وفيها اي في باريس خمس مشيخات كبار اى اكاديميات من جلتها الاكاديمية الفرنسية للنظر في تهذيب اللغة وتنقيح اصولها وفروعها وكل من الف كتابا بديعا في التاريخ والادب ينال منها جائزة وفيها ديار كتب عديدة اكبرها واعظمها المكتبة العمومية فيها مليون من الكتب المطبوعة وثمانون الف كتاب بخط اليد ومائة وخمسون الف مبدى ومليون واربعمائة الف صفحة منقوشة وثلاثمائة الف راهناسج وفيها رسائل محفوظة من لويس الرابع عشر وكاير وكلمبرن وكتاب واحد من اللورد بيرون ومن جلة تلك الكتب كتب مطبوعة من عهد فوست وشوفر وما من ديوان او محترف مبرى الا وفيه الوف من الكتب وجلة الكتب المطبوعة الموجودة في المكتاب ما عدا المكتبة المذكورة ١٢٩٣٠٥٠٠ والتي بخط اليد عشرة آلاف ما عدا ديارا

ديارا اخرى على حدتها بعضها يحوى عشرين الفا وبعضها اقل وهو كاف
 في بيان ما لهذا الجيل من الحرص على العلوم • وفيها مطبعة ملكية من
 تأسيس فرنسيس الاول فيها حروف متنوعة يطبع بها كتب باحدى وخمسين
 لغة ويطبع فيها في ليلة واحدة ثمانمائة صفحة من قطع الربع وعدد المستخدمين
 فيها من ثمانمائة الى تسعمائة ومصاريفها ثلاثة ملايين (١) • وعلى نهر المدينة
 سبعة وعشرون جسرا منها سبعة معلقة وثلاثة من الحديد والحجر وواحد
 من الخشب والباقى من الحجر من جعلتها جسر دولا كنتكورد يدعى به
 سنة ١٧٨٧ ونجز في سنة ١٧٩٠ وبلغت مصاريفه ١٢٠٠٠٠٠ فرنك طوله
 ٤٦١ قدما وعرضه ٦١ وآخر يعرف بجسر لويس فيليب بلغت نفقته مليون
 فرنك وآخر اسمه جسر روابال طوله ٤٣٢ قدما وعرضه ٥٢ وآخر يسمى
 بون دزار اى جسر الصنائع طوله ٥١٦ قدما وعرضه ٣٠ ومصاريفه
 ٩٠٠٠٠ وقد اجرى اليها الماء في قتي من جعلها قناة مسافتها اربعة وعشرون
 فرسخا بلغت مصاريفها خمسة وعشرين مليوناً واخرى انفق فيها اربعة عشر
 مليوناً ومائتا الف فرنك • وقال آخر يوجد فيها ٧٢٧ من وكلاء النكاوى
 و ١٤٥٦ مع الاطباء والجراحين و ٤٩٧ من باعة الادوية او الكيماويين
 و ٨١١ من البنائين و ٤٤٢ من المصورين و ٨٨٠ من النقاشين على الحجر
 والحديد ونحوهما و ٦٨٩ من الخيازين و ٤٨٧ من الجزارين و ٦٦٢ من
 الصيارفة و ١١٦٠ من التجار بالكومسيون و ١٨٤٥ من باعة الشمع والصابون
 والسكر ونحو ذلك و ٦٨٠ من صناعات الساعات و ٣٩٧٩ خارا و ٢٦٠ من
 باعة الشريط والقيطان ونحوهما و ٧٣٨ من صناعات الزهر من الورق و ١٢٦
 من المصورين على نور الشمس و ١١٧ من الحمامات السخنة و ٢٤٠ معملا
 للورق و ٥٢٣ موضعا للاكل و ١٠٣٠ موضعا للقهوة و ٣٣ محترقا لاشتهار
 الاعلام و ١٢٨ موضعا للتعميم والتعهد وفيها سبعة مواقف لسكة الحديد
 وسبعة وعشرون مأوى للجند من جعلها مأوى يسع خمسة آلاف وثمانمائة رجل

(١) في سنة ١٨٧٧ بلغ ايراد المطبعة المذكورة ٦٢٤٥٠٠٠ فرنك ومثل ذلك

المصاريف

وثمناثة فرس وفيها اثنا عشر حوضا وثمانية وعشرون ملهى اى ثياطرا ولم يكن فيها فى ايام لويس الرابع عشر سوى ثلاثة وفى سنة ١٧٩١ صدرت اجازة للاهلين من اهل المجلس المعروف بالاسامبلى بان كل من استطاع منهم ان ينشئ ملهى فهو غير معارض فبلفت ثلاثة واربعين وهناك ايضا محال اخرى للفناء والسهرات والحظ مما يطول شرحه قال والملهى الطليانى يرد اليه امداد فى السنة من خزنة الدولة بمائة الف فرنك وان كثيرا من الانكليز والتمساويين بل الروس ايضا يقصدون ملاهى باريس ليروا فيها من التمثيل ما لم يروه فى بلادهم الا غير كامل وكلهم يقر بافضليتها على غيرها وامداد الاوپيرة الفرنسية ٧٥٠.٠٠٠ فرنك ما عدا مرتبا آخر لها قدره ١٣٠٠.٠٠٠ فرنك قلت فى اول المرفع وفى نصف الصيام يصنعون فى هذا الموضع رقصا فتجشد اليه الرجال والنساء بلباس السخرية بحيث لا يعود الرجل يعرف زوجته ولا بنه ويتعمون هكذا الى الفجر وهذا الموضع يشتمل على نحو خمسين ثريا او نجفة وعدد الاكاثية فيه ينيف على خمسين قال وامداد الاوپيرة ككوميك اى ملهى الضحك ٢٤٦.٠٠٠ وفيها عشرة متدييات مما يعرف بالكلوب وثمانية مراقص اصلية من جلتها مرقص يختص بطلبة العلم فاما المراقص التى تكون مجمعا للدون فقير جدية بالذكور وفيها احدى واربعون كنيسة كبيرة ونحو منها المعابد واقدم الكنائس واشهرها كنيسة نوطر دام اول حجر جعل فى اساسها وضعه البابا اسكندر الثالث وذلك فى سنة ١١٦٣ ولم يتم بناؤها الا فى عهد شارلس السابع طولها ١٢٦ ذراعا وكسور وعرضها ٤٨ وارتفاعها ٣٣ وعلو برجها ٦٨ وفى المدينة خمسة اسواق للزهر على اجناسه وانواعه وفيها سوق للكلاب يعرض فيها للبيع فى كل يوم احدى ٢٨٠ كلبا واخرى للتيل والجير طولها ٤٨٠ ذراعا وعرضها ٨٨ وفيها ساحة للخمروسها ٢٦.٠٠٠ ذراع مربع يرد اليها فى كل يوم ١.٥٠٠ برميل وهى تسع منها ٤٥.٠٠٠ قال غاليانى وبلغ اراد الخزينة من السخان ٧.٠٠٠.٠٠٠ وبلغ مكس باريس الوارد اليها مما جعل على الاسواق والحوائث والمجازر والمخازن والعيار والدفن وغير ذلك خمسين مليوناً وبلغ المصروف عليها خمسة واربعين مليوناً من جلتها مصاريف الابنية والمستشفيات وديوان الشرطة والمكاتب والتاحف والمناشى والزينة فى الاعياد وبلغت مصاريف الدواوين المبرية

الميرية ١٧٣٠٨١٢٠٨٩١٣٨٩ فرثا اعظمها مصاريف دين الامة وديوان الحرب وبلغ ايرادها ٣٣٦٠٣٣٦٨٨٠١٢٤٦ ردين الدولة يبلغ ١٩٥٩١٦٩٠١ وبلغت مصاريف العسكر في سنة ١٨٤٤ ١٨٤٤٠٠٠٠٠٠ (١) والوزراء هم وزير الامور الخارجية ووزير الحرية ووزير البحرية والمستعمرات ووزير المالية ووزير الزراعة والتجارة ووزير الداخلية ووزير الابنية الميرية ووزير العدلية ووزير المعارف ومن هؤلاء الوزراء ومن مجلسي المشورة الخاص والعام ومن صاحب الملك تتألف دولة فرنسا وقال آخر وفي باريس تفرق المكاتب سبع مرات في كل يوم وذلك من الساعة السابعة ونصف صباحا الى الساعة لتاسعة مساءً واول من رتب البريد لويس الحادي عشر وفي سنة ١٧٩٢ اطرد ترتيبه كما نراه الآن • وقد كان لي هنا ان اقول ان باريس تشبه لندرة في كونها شطرين يفصل بينهما نهر الا ان نهر باريس صغير لا يسع المراكب الكبيرة وتخالفها في احوال كثيرة ﴿ احدها ﴾ ان ديار باريس من الحجر فلا يزال ظاهرها ايضاً انيما بخلاف ديار لندرة فانها مبنية من الاجر فلا يأتي عليه سنان او ثلاث الا ويسود من كثرة الدخان والضباب بل المنازل البنية فيها من حجر تسود ايضاً ﴿ الثاني ﴾ ان ديار باريس متناسقه الارتفاع في القالب متناسقة الظاهر فانها كلها بيضاء متناسقة وضع الشبايك اما ارتفاعها فان بعضها يشتمل على سبع طبقات فريعا ارتقى فيها الانسان مائة وثلاثين درجة حتى يصل الى غرفته فهي من هذا القبيل متعبة ولكل طابقه فانوس يشعل بالغاز ولكل دار رتاج كبير لا يزال مفتوحا الى نصف الليل وبواب يتبوأ كنا بالقرب منه فاذا خرج احد السكان اعطاه مفتاح غرفه ومتى رجع اخذه منه واذا غاب بعد نصف الليل اطن الجرس فيقوم البواب من فراشه ويفتح له ولا بد ان يعطيه شئنا في مقابلة ذلك هذا اذا كان ساكنا في دار مفروشة فاما اذا اكرت شقة من دار تشتمل على مبيت ومقعد ومطبخ فله ان يأخذ مقاحه معه وعند ذلك يحتاج الى ان يستخدم امرأه لتصلح له مسكنه

(١) قد تقدم ذكر ايراد فرنسا اما ديونها فانها بلغت في سنة ١٨٨١

١٩٨٣٠٣٥٩٨٦٢ رفرنكا وهي عبارة عن ٧٩٤٨١٤٣٩ ليرة انكليزية

ومصاريف وزارة الحرية بلغت ٥٣١٠٠٤٦٢٤ رفرنكا

او يستأجرها ساعة او ساعتين في النهار وربما كانت هذه المرأة اجيرة عدة اشخاص فتذهب الى كل منهم في ساعة معلومة ولا يمكن لغير بل لاهلي ان يستأجر دارا من بابها بجميع مرافقها وذلك لكبرها وغلاؤها فكل دار في باريس عبارة عن قصر فاما ديار لندرة فلا تزيد غالبا على اربع طبقات ثلاث ظاهرة وواحدة تحت الارض لادخار الفحم وغسل الثياب وما اشبه ذلك وبعضها كبير وبعضها صغير ومن ثم يمكن للانسان ان يستقل بدار منها

﴿ الثالث ﴾ ان درج باريس متين جدا ومباني الغرف التي يذت من عهد حديث من خشب متين جلي بهي ومباني الديار القديمة من الاجر الاحمر وفرش البساط بالبسط او الزرابي غير مطرد وانما يجترئون عن ذلك بنحو سجادة يجعلونها عند الموقد اما في لندرة فان جميع المساكن مفروشة بالبسط ولذلك سميان احدهما ان البسط فيها رخيصة وفي باريس غالية والثاني ان خشب البساط في لندرة قبيح وسخ فكان لابد من ستره ﴿ الرابع ﴾ ان جميع طبقتان باريس تنقع على مصراعين كالاباب فيهل غسلها وتنظيفها باهون سعي وطيتان لندرة لا يقع الا نصفها الادنى صعودا ويبقى الاعلى مطبعا فلا يمكن تنظيفه فيكون لابد من استخدام من ينظفه من الخارج وهو معنت شاق ﴿ الخامس ﴾ ان مواعد ديار باريس هي في موازاة المباني ولا يمكن طبخ شيء عليها وجل وقودهم انما هو الحطب لا الفحم المعدني فانهم يكرهونه غاية الكراهية لرائحته وتوسخه الثياب ولا يطبخون عليه اصلا وحين كنا نوقده للاستدفاء على عادة الانكليز كانت خادمتنا تتأفف منه وغير مرة غشي عليها منه وفي بعض الغرف والدكاكين يوقدون ما اطلق من الفحم او الفحم مع الحطب في كوانين عالية من الحجر القيشاني الطريف او من الحديد وقد تكون متصلة بقصبة من حديد نافذة في الحائط يخرج منها الدخان وقد لا تكون وفي الجملة فان مواعد لندرة احسن فانها مجعولة لان يوقد فيها فحم الحجر ولان يطبخ عليها وذلك لارتفاعها عن المباني هذا في الديار الصغيرة فاما في ديار الكبراء فتكون ايضا في حيز المباني كما هي في باريس والحكمة في ذلك عندهم وعند اولئك ايصال الحرارة الى الارجل فانها احق الاعضاء بالدفء والحاصل ان الشتاء داخل الديار في لندرة اهنا واهون وذلك لاعتنائهم بفرش المساكن والدرج ويكون

وبكون المواقد قابلة لوقيد الفحم كما مر وانت خير بان بناء الحجر يحدث رطوبة اكثر من الاجر ﴿ السادس ﴾ ان لكل طبقة من ديار باريس امرحاضا ووراءه مصب للماء وفي ديار لندرة لا يكون الامرحاض او اثنان فهي من هذا القبيل انظف وادق الى الصحة ﴿ السابع ﴾ ان مداخن باريس الخارجة من السطوح تكون غالبا من الحديد وفي لندرة من الخرف فلذلك ابهج منظرا والحاصل انه لما كان النظر في امور المدينة والديار بباريس موكولا الى ارباب السياسة كانت الديار وحدها تؤذن بابهة المكان وجلاله فضلا عن الدكاكين والدواوين الملكية فكم فيها من رواشن حديد مذهبة ومن جدران مزخرفة وابواب مؤرجة بما يستوقف المجتاز وكذلك الدكاكين فالك تراها وضئة بهيجة والحاجات فيها زهية ناضرة فيود الانسان لو يشتري كل ما فيه فكان في رقع المدينة نورا يلقي شعاعه على المراثيات فيكسيها بهجة وطلاوة وكان التساعد على كرسي في بيته انما هو قاعد على شوك القنادر ابداء تحلل ويتحرك للخروج ليري الديار والحوائث مما يشوق ويروق اما اثاث الديار وفرشها فالتصالب انه في باريس انفس واغلى واكثر ما يحمل على العجب منها سردهم التي يرقدون عليها فانهم ينضدون عليها عدة من الفرش حتى انهم يصعدون اليها على درج وذلك مطرد للفنى والفقر وخشبها في الغالب من النوع الذي سماه الشيخ رفاعه بك الكابلي ويحملون فوقها اطارا من خشب مذهب على هيئة التاج ومنه يسدلون التاموسية ولا بد وان يكون في البيت مرآة كبيرة وساعة دقافة يضعونها فوق رف الموقد وتفضل باريس لندرة ايضا في كثرة العيون الجارية في الطرق وفي كثرة الحمامات واذا شاء الانسان ان يستحم في بيته اوعز الى قيم الحمام في ان يبعث له بمنطس وماء حميم وهذا يكاد ان يكون معدوما في لندرة • ومن ذلك الكسابة التي تكون فوق الحوائث والرواش فان جلها مكتوب بماء الذهب وفي لندرة جلها بلخير واذا كان بماء الذهب فلا يلبث ان يسود • ومن ذلك ابواب الدكاكين والتضبان الفاصلة بين الواح الزجاج فانها هنا اكثر رونقا فاما من حيث السعة فدكاكين لندرة اعظم • ومن ذلك الرصف التي على جانبي نهر السين فانها مبلطة نظيفة بحيث يمكن للانسان ان يقعد عندها ويسرح ناظره في النهر وهو يشتمل على عدة حمامات ومفاضل كالبيوت تنسل فيها

النساء ثياب السكان • ومن ذلك وجود دكاكين أخرى في الطرق للفسلات فالك في كل طريق تجد منها واحدا أو اثنين وذلك نادر في لندرة جدا وإنما يفضل الزئيل ثيابه عند غسله الدار التي يسكنها سواء كانت نظيفة أو وسخة وهي غالبا في الريف ومن الغريب أن غسالات باريس يفسلن الثياب بالمطارق وكل عن راض • ومن ذلك أنه يوجد في باريس مواضع يتخلى فيها الإنسان لقضاء الحاجة ولا يخفى أن وجود ذلك في المدن الفساة ضروري فإن من يخرج من داره ويضطر إلى قضاء الحاجة لم يمكنه الرجوع إليها وذلك في لندرة معدوم بل مواضع البول فيها على قذرة رديئة ما عدا ما صنع منها حديثا في طريق استران وهورن فهي تعز عن النظير واجدر بهذه الحاجة أن تكون في باريس من المصالح وفي لندرة بالتحريف وما احسن ما قيل في الفرنسية من أنهم يجعلون كل مقصد حرفة وكل حرفة مقصدا • وتفضل باريس لندرة من حيث النظر لا من حيث الفائدة بكثرة العساكر فإن فيها وفي ضواحيها نحو مائة وخمسين الفا فلا تزال تسمع منهم الموسيقى وتظهر منهم الملابس الحسنة وهي احسن من ملابس عسكر الانكليز وقد جرت العادة بأن يكون مع العساكر نساء للخدمة يتبعنهم وهن مترديات بلباسهم اما المعيشة حيث كانت المطاعم عندهم كثيرة وكل ما يشتهونه من المأكول والمشروب يجدونه فيها لم يكن احد يتكلف الطبخ في بيته اما اصحاب العيال الذين يكون لهم مطبخ ومحل للمونة في منازلهم فلا يتأبون تلك المطاعم الا في الاعياد وهي نظيفة للغاية واول ما يجلس المستطعم بآتيه الخادم بدفتر فيه اسماء الطعام وبفوطه فيختار ما يشاء اما في لندرة حين يجلس احد في مطعم بآتيه الخادم ويصرخ في اذنيه شواء لحم بقر شواء ضان كرنب جزر بطاطة وهنا تنهى الفهرسة ولا يقدم له فوطه وای مطعم دخلت في باريس رأيت فيه الرجال والنساء والاولاد وربما عملت امرأة ان تجلس قبالتك لتخاطبها او تعرض عليها شيئا من المشروب فيكون فاتحة اللطاف وخاتمة المطاف ولا بد من ان يوضع امام الاكل نجات من الكبريت لاشعال السيكار وخلال لتنظيف اسنانه والخاصة من اهل باريس يأكلون مرتين فقط الفطور او الغداء وهو في الساعة الحادية عشرة والغداء او العشاء في الخامسة ويقطرون على شواء الضان والمحار والعامه يأكلون

يأكلون ثلاث مرات اما طعامهم فانه وان كانوا يتفتنون فيه كثيرا فلا يستطيعه الا من الفه وذلك لانهم يسلعون اللحم اشد السلق ليخزنوا منه نوعا من الرعييد ثم يطبخونه بالشحم بدل الدهن فيأتي مسيخا وقد قات في ذلك

* رب قوم يسترثون طعاما * فيه شحم الخنزير والدم يهوى *
* وانا ان اكلت منه لما ظا * بات شحم الخنزير يأكل شحمي *

وفي الجملة فانه الذ من طعام الانكليز كما ستعرف ذلك في باب غير ان الشواء عند الانكليز الذ منه عند الفرنسيس وهناك طريقة اخرى للمعيشة وهى ان بعض الديار يصنعون مائدة عمومية يسمنونها تابل دوت اى مائدة الضيوف فمن شاء ان يأكل فيها لزمه ان يذهب في ساعة معينة ولطها ارخص من المطاعم العمومية واطيب وثن الغداء في هذا نحو فرنك ونصف وثن العشاء نحو فرنكين وهو يندى غالبا بالشوربة ويختم بالسلطة ثم بشئ من الحلو او الفاكهة وفي البلغار مطاعم لا يتساها الا الاغنياء والمصرفون فان ثمن العشاء فيها اربعون فرنكا او خمسون اما القهوة فاذا دخلت محلها جاءك الخادم يكوب سيميك كالذى يشرب فيه الشوربة ويسكر جزيل وصب القهوة بمرأى منك ثم اتبعها الحليب المسخن وقد رأيت كثيرا من ذوى السمات والرواء يضعون نصف السكر في الفججان ويختبثون النصف الآخر والمطاعم ومحال القهوة في هذه المدينة لا تحصى كثرة وهناك محال للقهوة تغني فيها الرجال والنساء يدخلها الناس مجانا ولكن بشرط ان يشربوا شيئا يقوم عليهم قيمة شئتين • وما يحب منه في باريس الدكاكين التى يباع فيها المربيات والشراب وذلك لنظافتها وانوارها وربما كانت ستوفها من مرأيا وعندهم من اصناف المربيات والمجنات والحلويات ما يزيد على ما عند الانكليز عشرة اضعاف الا انهم مثل الانكليز في ان حلوياتهم جميعها معمولة بالسكر لابلعل • واعلم ان ارباب الرئاسة هنا يتعهدون صحة الرعية فيما يباع من المأكول والمشروب فلا يسمحون للباعة بان يبيعوا شيئا فاسدا او مضرا بالابدان او مفسوشا وكان الحجر مستثناة من ذلك فلماذا كان كل ما يوكل ويشرب هنا الذ وازكى مما يوجد بلندرة بل البقول والفاكهة هنا اطيب والذ فمن ذلك الخبر وهو ازم ما يكون لمعيشة فانه في غاية الطيبة وهو من محض الخلطة غير مخلوط بشئ من الشب

او البطاطس كخبز الانكليز وقد يصنعون منه شكلا في طول قامة الرجل والهم على ان الانكليز يدعون بان لحمهم اطيب ولعيني هنا نظافة دكاكين الحمامين فلا يمكن ان تشم منها رائحة كسرية بخلاف دكاكين لندرة وهم يغلون دكاكينهم قبل ان يوقدوا الغاز فانهم يقولون انه يغير طعم اللحم ومن ذلك الزبدة والجبن ومحار البحر على انواعه والزيت والخل والخردل واللبن وقد يصنعون منه الرائب والقرينة كالموجود في بلادنا سوآ، وكذا الصابون والشمع بل الكبريت وحطب الوقود هنا احسن مما يوجد بلندره وعندهم كثير من البقول والفواكه مما لا وجود له في تلك فاما جعلتهم فقير طيبة ولكن قلما يشربونها لاستغنائهم عنها بالحر اما الهواء فبرد باريس ولندرة صنوان غير انه لما كانت الديار كلها مبنية هنا من الخبير وكانت مواقدھا غير صالحة لوقود الفحم المعدني كما مر كان البرد اشق وابلغ وزد على ذلك توالي الامطار شتاء وصيفا وقد شاهدت جسا شعيرا حضروا من باريس الى لندرة وسألتهم عن الهواء فكلهم اجاب بان المطر لم ينقطع مدة اقامته وكان فيها بلندرة صحو الا ان الناس لا يشعرون في باريس بعنت المطر او الثلج لكثرة ما فيها من السقائف والمنزهات ومحال القهوة مما يذهب بالكرب اما في لندرة فلن يجد الانسان من ذلك مهربا الا في بيته وهذا حسب

وفي باريس عدة مواضع لا نظير لها في الدنيا باسرها فان ابتدرتني لتقطع على كلامي بان تقول وهل رأيت الدنيا كلها حتى تحكم بذلك قلت اتى لم ار الدنيا بل رأيت محاربت عمول اهل الدنيا اعني اقلام المؤلفين من طوفوا وساحوا في مناكبها فكلهم حكم لهذه المواضع بالاحسنة والافضلية ﴿ احدها ﴾ البلقار وهو طريق واسع طويل تمتد يحيط بباريس كالمنطقة للخصر كلا جانبيه محفوف بالشجر التوازي الوضع وبالدكاكين الطريفة والديار الشاهقة ومواضع القهوة الانيقة الحافلة فلا تزال ترى امامها الوفا من الكراسي يجلس عليها الرجال والنساء وهناك يقرؤون صحف الاخبار ويتفاوضون في ادارة المصالح والاشغال فهي عندهم بمقام المصروف قد تكون حيطان المحل كلها مرآة وسقفه كسقف الكنائس مزخرفة متقوشة وفيها متكآت ومقاعد ومواقف نفيسة ولا تزال غاصه بالناس الى نصف الليل وقد يكون لها رواشن او مشربيات فيها مقاعد

يرى الانسان منها جميع ما يمر في الطريق وأكثر الملاهي هناك من جعلتها مواضع للفتاة والغلب وفي ختام اللعب تضصف انواره ويبرز في محرابه نساء لابسات برا رفيعا على هيئة الجسم ولونه فيجسبهن الناظر عرايا ويتبين كذلك في اوضاع مختلفة من دون حركة فان برزت احداهن رافعة يديها بقيت كذلك الى ان تدور بهن المائدة التي برزن عليها دورتين ثم يسبل الحجاب وترجع الانوار ثم تضصف ويبرزن بهيئة اخرى وذلك صكلاء يدوم نحو ربع ساعة ويقال لهذا المنظر تابلو فيغان اي الصور الحية واحسن محل في هذا البلفار النحل الذي يقال له بلفار الطليان فتم ترى النساء يتخلرن بالديباج والاستبرق والشيلان الكثيرة والنحل والخز الرفيع وهن متلعات شافعات والرجال يرتون اليهن بالفخر اللباس واحسن السميت وتم اطرف المحال للقهوة وفي طرف البلفار عمود شاهق من الرمر في قفته تمثال ملك من نحاس واقف على كرة وهو يلعب في مقابلة الشمس له كانه ذهب ويقال للملك ملك الحرية وعلى العمود اسماء الذين قتلوا من كبار الامة في سجن باستيل مكتوبة بالذهب وتحت حوض يستقي منه وكان انشاء البلفار في سنة ١٥٣٦ * الثاني * الموضع الذي يقال له بالي روابال اي القصر الموكى وانما سمي كذلك لمجاورته قيسرا كان مقر الملوك وهو عبارة عن صني دكاكين متقابلين فوقها منازل ومطاعم وحمامات ومحال للقهوة وبينهما اشجار وحوض ومقاعد ومماش للناس في الدكاكين ترى احسن الملبوس وانفس الحلي والتحف من المعادن والجواهر وهي وان كانت دون دكاكين البلفار في الكبر الا ان حسن تنضيد ما فيها وبراعة تزيينها وبهجة ذلك المكان يكسبها سعة في النظر ومن رأى كثرة الجواهر والالاس في هذا الموضع وفي غيره ايضا حكم بان اهل باريس اغني من اهل لندرة الا ان الجوهرين من الانكليز لا يبرزون ما عندهم من الجواهر في وجه الدكاكين وانما يجثونها في خزانة فلهذا لا يكاد الناظر يرى عندهم من خارج الدكان غير الذهب والفضة وفي تلك المطاعم جميع ما تشتهيه النفس فاذا قعدت للنداء رأيت الرجال والنساء والاولاد يخرجون في تلك الروضة وصفة الحمامات صفة المطاعم وفي الروضة ايضا موضع قهوة عنده كراسي عديدة بعضها عند الحوض وبعضها تحت الشجر وتم تضرب العسكر بالآلات الطرب ثلاث مرات في الاسبوع وطول هذه الخديعة شبعمائه قدم

وعرضها ثلاثمائة وكان انشاء هذا المحل البديع في سنة ١٧٢٩ * الثالث * الموضع
المسمى شانزلي اي روضته الاصفياء وهو غيضة طويلة ذات شطرين طولها
الى حد الازج اكثر من ثمانمائة ذراع وعرضها في الاقل مائة وستون ولها
مقاعد من خشب وكراسي على طول جهتي الطريق وبين الشطرين طريق
واسع لمرور الخيل والحوافل والعواجل في ايام الاعياد ترى هذا الممر ملائ
من تلك المراكب فان اهل الثروة يذهبون الى هناك متفائرين بما فوقهم
من اللباس وبما تحتهم من المركوب وترى النساء في العواجل المفتوحة
متكاثرات كأنما هن على غمارق وفرش والعجب والتهج يلعبان من جنبهن
وكثيرا ما تراهن راكبات على هذه الصفة وسخان التبغ خارج من افواههن
ومن العجب ان اهل باريس يخرجون الى هذا الموضع الى بوا دو بولون
في ايام الاربعاء والخميس والجمعة من جمعة الآلام قصد المباهة والمفاخرة فيما
يلبسون ويركبون فهي عندهم موسم التأنق والنظر ومع ذلك فان الجزائريين
يخرجون من بيع اللحم يوم الجمعة اما احتراماً له او حياء من الناس *
وفي هذه الغيضة جاردن ما بيل وهوستان بهيج تتأبه الرجال والنساء
للرقص فيه خمسة آلاف نور وبستان الشتاء ولا يمكن ان يكون في العالم
بستان اجمل منه على صغره فانه راموز الجنة وفيه عين فواره يصعد الماء منها
علو قامات وفيها قصر للزهور وموضع واسع ترحم فيه الخيل وخيما لا تحصى
يساع فيها الشراب والتمل والحلواء وفيها زمر شتى كزمر باب الرميعة بمصر فمن
بين مشعوز ومغن وعازف ومحدث ومحبش وغير ذلك وفيها ثلاث قبة مزخرفة
ذات بهجة واتوار يلمس في كل منها ست نساء او خمس من القبان
الحسان ويغنين على آلات الطرب وهن كاشفات عن الصدور والاكتاف ولكن
لا يكون ذلك الا في فصل الصيف فمن شاء ان يقعد على كرسي ويسمع الغناء
لزمه ان يشرب شيئا من محل القهوة ويدفع ثمنه ضعفين واذا انتقل من كرسي الى
غيره وجب عليه تجديد الشرب ومن وقف يستمع فلا تكليف عليه وهناك
من الحياض والتماثيل والملاعب والملاهي والصروح والاعلام ما ينسى الغريب
وطنه وكان غرس هذه الغيضة في سنة ١٦٧٠ ويقال ان في باريس ثلاثة
عشر الف شجرة من غرس سنة الى عشر سنين وعشرة آلاف شجرة من عشر
سنين

سنتين الى ثلاثين سنة وأكثر من اربع وثلاثين الفامن ثلاثين سنة فصاعدا وغالبها من شجر المس **﴿ الرابع ﴾** الساحة المسماة بلاس دولاكورد وهى بين القيصه المذكورة وبين حديقته التولى يجوز الناس من هذه الى تلك ومن تلك الى هذه وفى هذه الساحة حوضان كبيران وسع كل منهما خمسون قدما وفيهما تماثيل من نحاس تقذف بالماء صعدا فيقع على شبه جرن عليه تماثيل اربعة اولاد وبطه يخرج الماء من افواهها فيلتقى كلا المائتين وينحدران الى الحوض وينهما عود جلب من مصر عليه حروف بلسان قدام مصر • قال غاليانى هذه المسلة انتزعت من موضع بمصر امام هيكل طيز بمصر الذى بنى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد واسمها لكسور محرفة عن قصر وكانت احدى اثنتين جاد بهما محمد على باشا على دولة فرنسا تذكارا لالقيهما ومودتهما والثانية لم تزل فى موضعها ولا يد من انها تجلب وقد انشئ نقل الاولى سفينة مخصوصه فى طولون وذلك فى سنة ١٨٣٠ وفى سنة ١٨٣٦ نصبت بحضرة الملك لويس فيليب وآله واهل المناصب وبحضرة مائه وخمسين الفا من الاهلين وفى مدة نقلها ونصبها لم يحدث ادنى خلل ولا ادنى طولها اثنان وسبعون قدما ووسعها من اسفلها سبع اقدام ومن اعلاها خمس اقدام وكسر وزنها ٥٠٠٠٠٠ ليرة وآخرا صرف على تحسين هذه الساحة بلغ تسعمائة الف فرنك وقال آخر انشئت هذه الساحة فى سنة ١٧٥٤ ونصب فيها تمثال لويس الرابع عشر على جواد وعلى قاعدته تماثيل القدرة والحزم والعدل والسلام ولم تكده هذه الساحة تم حتى حصل فيها نأية عظيمة فى يوم عرس لويس السادس عشر ملك فرنسا وهى هلاك مائة واثنين وثلاثين نفسا فى الزحام وفيها اى فى هذه الساحة قتل الملك المذكور وزوجته ماري انطوانت ومادام رولاند وغيرهم وشارلت كوردي وغيرهم • قلت كان لويس السادس عشر حفيد لويس الرابع عشر وتزوج بنت ملكة اوستريا المسماة ماريا تريزيا واتهمه الفرنسيون بانه كان ذالضلع عليهم مع النمسا قهزب جمهورهم عليه وحكوا عليه بالقتل فلما بجى به الى مقتله قدم غير جزع ولا وجل وكلم الناس بصوت جهير قائلا ألا يا ايها الفرنسيين انى اموت برشان من الذنوب التى تجنيت بها على واتى اسباح جميع اعدائى واتضرع الى الله تعالى

ان تكون فرنسا العزيزة علىّ فما كاد يتم قوله هذا الا وصرخ رئيس اهل
 القنّة ويعرف باسم صانتران تضرب الطبول ويضرب عتقه فلما صعد المكان
 الذى اعد لقتله ضحك الفيسون وهم يصرخون يا ابن مار لويس اصعد الى
 السماء وبعد ان ضربت عتقه حلت جثته ودفت في قبر ملّى جبسا وجعل
 حرس عند قبره الى ان بليت بالمرّة وفي هذه الساحة نحو خمسة وعشرين عمودا
 لها قبة في اعلاها وهى مضلعة مذهبى ولكل منها جناح يقل
 فانوسين مذهبين وهى تظهر للناظر فى الليل كأنها ابراج نجوم وطول هذه
 الساحة ٢٤٨ مترا وعرضها ١٦٩ فاما حديقة القصر الامبراطورى فلا يحكم لها
 بالفضل لسمتها وعظمتها وان تكن انيقة زهية وانما لكونها مجمعا للناس فتراها
 مشهورة بالكراسى والقاعد يتأهبها التكنيسون والتكنيسات عند العصر وخصوصا
 فى الاعياد وفيها تماثيل عديدة ومحل يال فيه الطعام والشراب ولهذه
 الحديقة درايزين من حديد جلى يطيف بهارووس رماحد مذهبى وقيل ان
 الكراسى التى فيه مضمّنة بمائة الف فرنك فى العام فاذا لم تقصد هذه الحديقة
 لتسرح ناظرك فى محاسنها فذلك دليل على فساد مزاجك ﴿ الخامس ﴾ عمود
 نابوليون الاول صنع على مثال عمود تراجان فى رومية من الف ومائتى مدفع من
 نحاس كان قد غنمها الامبراطور المشار اليه من عساكر النمسا والروس وقد نقش
 خارجه بصور الوقائع التى انتصر فيها وصور آلات الحرب يصعد الناس الى
 اعلاه لرؤية المدينة فى مائة وست وسبعين درجة وفى قنته تماثيل نابوليون
 طولها احدى عشر قدما وارتفاع العمود مائة وخمس وثلاثون وزنته ٣٦٠.٠٠٠
 ليبرة ويقال لهذه الساحة پلاس فنلوم باسم دوك فنلوم ابن الملك هنرى
 الرابع لزنية بدى بها فى ايام لويس الرابع عشر وفى يوم ميلاد نابوليون الواقع
 فى الخامس عشر من آب تأتى الناس باكاليل من زهر ويضعونها على الدرايزين
 اللطيف بالعمود تذكارا لما كره ولما دخلت عساكر الدول الاجنبية مدينة
 باريس كان من همهم باى بدء ان يزجوه فلم يقدروا وكان من قبله تماثيل من
 نحاس للويس الرابع عشر فازيح فى سنة ١٧٩٢ قيل وكان اعظم تماثيل صنع
 فان زنته بلغت ٦٠.٠٠٠ ليبرة ﴿ السادس ﴾ السقائف او المعابر السمّاء بالباساج
 وهى اسواق مسقفة بالزجاج ومبلطة بالرخام وعلى كلا الجانبين دكاكين بهية
 متناسقة

متناسقة الوضع يوجد فيها للبيع اغرب الخلف واغرب الطرف والغالب ان ما يباع فيها يكون اغلى مما يباع في غيرها ومنها ما حيطانه مرصعة بالاريا فيرى المار فيها شخصه ذات اليمين وذات الشمال وفي زمن الشتاء تنقص بالرجال والشتاء فهي ملطاً لهم من المطر والبرد ﴿ السابع ﴾ الفيضة السمائية بوا دو بولون وهي عبارة عن ندحة من الارض واسعة ممتدة كلها شجر وحياض وفيها طرق رحبة للعواجل يخرج اليها اهل الثروة والجمال في عواجلهم الفاخرة ولا سيما في الآحاد والاعياد والايام الثلاثة التي مر ذكرها في جمعة الآلام وفي هذه الفيضة حلت عساكر الانكليز عند فشل نابليون واعلم ان الفيضة في مفهوم الفرنسيات هي الارض التي تكون اشجارها متماسة الرؤوس بحيث انك اذا جلست تحتها وقتك من المطر والشمس فاما عند الانكليز فهي قطعة من الارض يكون فيها شجرات معدودات ومرج ترح فيه الماشية

فاما ما في باريس من الصروح الفاخرة والمباني السنية فما لا يعد ولا يحصى ولكنني اذكر منها اشهرها * فن ذلك القصر المسمى باللوفر وهو منقسم الى عدة اقسام الاول للتصاوير وهو يشتمل على الف واربعمئة وست صور من صنع اهل ايطاليا واسبانيا وفرنسا وهناك محل آخر يحوى اربعمئة وستا واربعين بصورة من صنع مصوري اسبانيا خاصة ومن تلك التصاوير ما يبلغ طوله اكثر من عشر اذرع ومنه ما هو يدعى الصنعة حتى لا يمكن للنظر ان يكف عن الرنو اليه وجميع سقف هذه المحال من خرفة منقوشة وترى هناك كثيرا من الرجال والنساء يصورون عن بعض الصور المشهورة وقسمه بخطواتي فكان طوله نحو سبعمائة وثمانين خطوة معتدلة وقسم ما يشبه بكندرة فلم يزد على مائتي خطوة ولم ار هناك الامصورة واحدة القسم الثاني للرسم وهو يشتمل على الف ومائتين وثمانية وتسعين رسما الثالث الاشياء العادية وهو يشتمل على الف ومائة تمثال وصنم الرابع للتماثيل الحديثة الخامس للمنقوشات السادس للادوات البحرية كالسفن والمدافع وترى كل سفينة موضوعة في بيت من زجاج على مائدة من خشب نفيس وهناك صور مدن وقلاع بارزة بمجسمه السابع للدرهم الثامن متحف لبدائع مصر التاسع متحف اذثوريين العاشر متحف لبدائع امريكا الحادى عشر متحف لبدائع الجزائر ورأيت من جملة تلك الغرائب

ملابس الملوك وسلاحهم من جملتها عدة اردية مطرزة وغير مطرزة كان يلبسها نابوليون الاكبر وسروج خيله منها سرجان عريان كان يركب عليهما بمصر ومن ذلك كتاب في الهندسة كان يطالع فيه دائما وهو بلا جلد وادوات كان يستعملها في اسفاره ومن جملة هذه الغرائب ايضا سيف كان لشارلمان وطست غريب الصنعة جئ به من بلاد المسلمين وكان هذا الموضع في الزمن السابق مقرا لهزى الزابع المشهور بحسن السياسة والتدبير وقبل ان ولي الملك كان على دين البروتستانت فلما رآه اهل باريس انه يصلح للملك لما كرهه الجليلية وانه لا يقوم باعباء الملك غيره اختاروا توليته بشرط ان يدين بدين الكنيسة الرومانية فاجابهم الى ذلك وقال لعمري ان باريس تساوى قداسا ومع كونه كان بمنزلة والد لاهل فرنسا اجمعين وفي ايامه نسم الناس الراحة وبلهنية العيش لم يعدم من تصدى لقتله وكانت ولادة هزى الزابع في سنة ١٥٥٣ ووفاته في سنة ١٦١٠ وخلفه في الملك ابنه لويس الثالث عشر وهذا التصر كان دائما منفردا عن قصر الملك المسمى بقصر التوري وكان في عزم الملك لويس فيليب ان يصله به فلم يتهبأ له الى ان قام نابوليون الثالث فجعلهما متصلين قال في معجم الاوقات هذا الصرح الشهير كان مقرا للملك داغويرت في سنة ٦٢٨ وفي عهد فرنسيس الاول وضع اساس المحل الذي يقال له الآن اللوفر القديم وذلك في سنة ١٥٢٢ وفيه وضع احسن ما امكن جمعه من الصور والتماثيل ونحف الصنائع المعروفة في الدنيا وجعلها جلب من ايطاليا حين كان نابوليون مستوليا عليها ولكن رد منها كثير على اهله ومن ذلك قصر التوري وتفصيل ما فيه يغني عنه قولنا انه مقر للملوك فرنسا وانه فيه سرر مر فوعة واكواب موضوعة ونمازق مصفوفة وزرابي مبثوثة ومبلطة كله من خشب الجوز المحكم الصنعة والالصاق بنه كاترين دمديسي وابنه لويس الرابع عشر ثم سكته لويس السادس عشر في سنة ١٧٨٧ وفي سنة ١٧٩٢ اقمحه الناس والسلاح بايديهم ليقدموا عرضا للملك وهم على اهبة الفتنة وافضى الامر اخيرا الى ان قضوا عليه بالقتل كما مر ثم تبوأه نابوليون قبل ان لقب امپراطورا وبعده ايضا ثم عائلة البربون ولما كان لويس العاشر قارا فيه هجم الناس عليه وغلبوا على عساكره والجاؤ الى النفي وذلك في سنة ١٨٣٠ وفي سنة ١٨٤٠ هجموا فيه على لويس فيليب والجاؤ الى الفرار فلحق باسلافه وهو آخر

آخر من ملك من البربون ودام ملكه ثمانى عشرة سنة • وقرأت في بعض الاخبار انه لما هجم الناس عليه وجدوا في دهليز القصر المذكور خمسة وثمانين الف زجاجة مملوءة من الخمر الفاخر • ومن ذلك قصر لوكزمبور بنى في سنة ١٥٩٤ وهو وان لم يكن بناؤه بديع الصنعة الا انه متين مهذم وكان مقرا للويس الثامن عشر ثم جعل في زمن الفتنة مجنبا ثم جعله نابوليون مجلسا خاصا وهو الآن كذلك ويحضره الملك بنفسه وعنده حديقة عظيمة يتسابقها اهل تلك الناحية وهي اكبر من حديقة الملك وفي طرفه رصد الكواكب بنى في سنة ١٦٦٧ وحديقة صغيرة تجتمع فيها الرجال والنساء في الصيف للرقص وهذا الموضع وان يكن عاما الا انه يعرف بمحل طلبة العلم ولاجلهم يباح فيه للنساء ان يتخلن ويتفككن في الرقص وفي غيره يحظرهن الشرطة • ومن ذلك هوتل دوفيل انشئ في سنة ١٦٠٥ على عهد هنرى الرابع ولكن لم تكمل محاسنه كما هو الآن الا في سنة ١٨٣٦ • ومن ذلك قصر كاي درصى كان لويس العاشر يريد ان يجعله معرضا لبدائع الصنائع وكان نابوليون يريد ان يجعله مقرا لسفراء الدول وهو الآن ديوان الحسابات ولم يتم بناؤه قبل سنة ١٨٣٥ وبلغت نفقته اكثر من ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك ومجنته قصر آخر بنى في عهد لويس الخامس عشر وهو من اروع قصور باريس ومن ذلك مجلس المشورة العام ابدى به سنة ١٧٢٢ وكان اول ما نهب في دولة البربون ثم جعل مجلسا لنواب الاقاليم وعدتهم خمسمائة وفي سنة ١٨٢٩ عرض لان يساع بخمسة ملايين ونصف وجلة ما صرف عليه الى غاية سنة ١٨٤٠ بلغت ٣٩٣.٤٣٠.٢٤٠ • ومن ذلك القصر المعروف بقصر الصنائع الظريفة والحكمة الكبرى بنى منها قسم من عهد صان لويس ثم زيد فيها مبان كثيرة حتى صارت من احسن ما يرى اليه طولها ٢١٦ قدما وعرضها ٢٨ ودار مجتمع العلماء ويقال له الانستيو اسمه الكردينال مازارين ووقف عليه مكتبة عظيمة ورزقا يبلغ في كل عام ٤٥٠.٠٠٠ وهؤلاء العلماء هم الذين يتقنون كتب اللغة والنحو وينكرون المردول من الكلام ويثبتون الفصحى ان للفرنساوية اعتناء عظيما بفن الادب بخلاف الانكليز • ومن ذلك دار السكة اتم انشاؤها في سنة ١٧٧١ وهي تحوى اثني عشر دولا بازنة كل منها ثمانون الف رطل وتضرب في كل دقيقة ستين ذنارا وثمانين

زيلا وفيها دنائير من عهد جميع ملوك فرنسا وفيها ايضا يطبع على المصوغات من الفضة والذهب * ومن ذلك قصر في شانزلى بى في سنة ١٧١٨ وكان مقرا لاميرة من عائلة البوربون ثم سكنه نابوليون * ومن ذلك المصراى مجتمع التجار طوله ٧١ ذراعا في عرض ٤٩ او ٢١٢ قدما في عرض ١٢٦ يحيط به ٦٦ عمودا ونصف ستة من بلور وهو متيب وصحبه كاه مباط بالرخام يسع الى رجل بدى به سنة ١٨٠٨ وبلغت نفقته ٨١٤٩٠٠٠ ر. وهو من المباني البديعة قال مؤلف فرنساوى وله من داخله روشن يتناهى الناس ليشاهدوا منه التجار الذين يجتمعون في الساعة الثانية بعد الظهر للتعاقد والتبايع فاذا سمعهم احد ظن انه بين غورتهم * ومن ذلك المصرف اى البنك انشئ في سنة ١٨٠٣ قيمته ما فيه من الكواغد التى يالف فركه بمخمسائة ٢٣٤ مليون والحاصل في خزينة ٢٢٨ مليون وكان رأس المال الذى وضع فيه اول انشائه خمسة واربعين مليونا * قلت لم تتداول الكواغد التى قيمتها اقل من ذلك القدر الا بعد الفضة وقرأت في بعض الاخبار في هذه السنة ان المخزون في البنك بلغ ١٢٩٨٠٠٧٥٠ فرنكا والكواغد المتداولة ٦٠٠٦٩٣٠٥٣٥ ومن الازاج العظيمة الازج الذى يقال له ارك دو طربونف اى قطرة النصر او الظفر صور عليه الوقائع التى انتصر فيها نابوليون وبلغت نفقته ٩٠٢٣٣٤٠٢ ر. وآخر امام قصر الملك من جهة اللوفر بلغت نفقته ١٤٠٠٠٠٠ ر. وفي اليلغار وغيره ازاج كثيرة اضربنا عن ذكرها * ومن الكنائس العظيمة كنيسة نوتردام وقد مر ذكرها طولها ٣٩٠ قدما وعرضها ١٤٤ وارتفاعها ١٢ وعلو صومعتها ٢٤ فيها ارغن ارتفاعه ٤٥ قدما وعرضه ٣٦ يشتمل على ٣٤٨٤ قصبه وهى ام كنائس باريس وفيها تنوج الملوك واول حجر جعل في اساسها وضعه البابا اسكندر الثالث في سنة ١٦٧٣ ولم يتم انشاؤها الا بعد ثلاثة قرون ومن ذلك كنيسة لامدلين اى المجدلانية وهى كنيسة ذات بهجة ورونق وصنع بديع داخلها مزخرف بالنقش والعبد من المرمم النفيس ومبانيها من الرخام وسطحها من حديد ونحاس طوليها مائة ذراع وعرضها اثنان واربعون ويحيط بها اثنان وخمسون عمودا ويصعد الى بابها في ثلاثين درجة وكان في عزم نابوليون ان يسميها هيكل الفخر تذكارا لفخر فرنسا وان يصور على اعمدتها جميع الذين حاربوا معه من الابطال المظفرين

الظفرين ولذلك بنيت على شبه هياكل اليونانيين ولم يبق نقاش ولا مصور في المدينة الا واشتغل بها وقال اول حجر وضع في اساسها وضعه لويس الخامس عشر وكان في قصد نابوليون ان يخصصها للعسكر ولم تتم الا في ايام لويس فيليب وهو الذي خصها بمجرى المجدلانية بعد ان كان الناس يظنون انها تخصص لجوييت ومن ذلك الكنيسة التي يقال لها البثيون بنيت في سنة ١٧٦٤ على اسم مار جينيفيف ثم جعلت مدفا لشاهير فرنساوية في العلم او الحرب وفيها دفن فلتير وجان جاك روسو وغيرهما ثم حولت كنيسة في داخلها مائة وثلاثون عمودا وبخارجها نحو من ذلك وبلغت مصاريف نقش قبتها مائة الف فرنك ورقى ناقشها الى مرتبة بارون ودورتها ٦٢ قدما ودورة الكنيسة كلها ٣٢٥٦ قدما مربعا وطولها ٢٨٨ قدما ومن ذلك كنيسة صان صليس وهي في حارة النبلاء يقال ان كراسيها مضممة بستين الف فرنك في العام بنيت سنة ١٦٤٦ ولها صومعة عالية جدا ومن ذلك كنيسة نوتردام دلورت بلغت نفقتها ٢٠٥٠٠٠ ووظيفه قسيسيها في السنة ٣٠٠٠ فرنك وقس الباقي على ما ذكرناه واهل باريس يذهبون الى الكنائس صباحا وفي المساء الى الملاهي وهو عند الانكليز من اعجب العجائب • ومن المواضع المشهورة المقصودة مارستان السقط بنى في ايام لويس الرابع عشر وهو يحوى ٦٠٠٠ نفر ما بين مرضى وخدمة وتخدم فيه ٢٥ راهبة ويسع ١٠٠٠ نفس وهو مخصوص بالعساكر وكل من قضى في الخدمة العسكرية ٣٠ سنة فله حق ان يدخله ومربب مديره ٤٠٠٠ فرنك ويعين لمن فيه في كل يوم رطل من اللحم وليت من الخمر طول حديقته ١٤٤٠ قدما وعرضها ٧٨٠ وعنده مدافع غنمها فرنساوية من بروسية والجزائر وعنايه وطول المازستان ٦١٢ قدما وفيه مكتبة نفيسة وكنيسة طويلة نصب على مشرفتها ججج الرايات التي اخذها نابوليون من جيوش الدول التي انتصر عليها احسبها تبلغ ٢٠٠ ومن جعلتها عدة رايات من عساكر المسلمين قال وكان في الكنيسة ٥٠٠ راية وسيف لفرديريك الكبير فلما دخلت عساكر الدول المتفقة باريس صدر امر من وزير الحرب عن لسان يوسف بوناپارته بان تحرق الرايات ويكسر السيف فخشي المأمورون تبعه ذلك ولم يخرقوها الا بعد ان راجعوا في امرها ثلاث مرات

قال وفي هذه الكنيسة دفن نابوليون وامرأه عسكره ووضع على قبره تاجه ونيشانه وسيفه وصرف في القبر مليون ونصف • قلت لا يخفى ان نابوليون لم يموت في باريس بل مات في جزيرة صانت هيلان غير ان دولة فرنسا في ايام لويس فيليب استأذنت دولة انكلتره في نقل جثته من هناك فاجابت الى ذلك فارسل الملك ابنه في بارجة اسمها بل بول ونقلوا جثته اليها وذلك في السادس عشر من اكتوبر سنة ١٨٤٠ وفي الخامس عشر من ديسمبر دفنوها في كنيسة هذا المارستان بغاية ما يكون من الاحترام والاحتفال مما لم يشاهد مثله في فرنسا قط وحضر جنازته مليون من الخلق ومائة وخمسون الفا من العسكر والملك وآله وجميع الامراء والتبلاء والعظماء مع ان جميع اقارب نابوليون كانوا غيبا عنهم من كان متفيا ومنهم من كان مسجوناً وكانت ولادة نابوليون في الخامس عشر من اب سنة ١٧٦٩ وقد صار هذا اليوم عيداً تخذنه الدولة في كل سنة وكانت وفاة نابوليون في الخامس من شهر ماي سنة ١٨٢١ في تلك الجزيرة ولم يخلف الا ولداً ولد له في سنة ١٨١١ ولقب اولاً ملك رومية وفي سنة ١٨١٥ لقب امپراطوراً باسم نابوليون الثاني مع انه لم يكن وقتئذ في فرنسا لانه نقل في الحادثة التي وقعت قبلها الى بلاد اوستريا وبقي هناك الى ان مات وذلك في سنة ١٨٣٢ والفرنساوية يحجبون الى قبر نابوليون كحج المسلمين الى الكعبة • ومن ذلك بستان النباتات تنبت فيه جميع النباتات وتحفظ فيه سائر الحيوانات وهو يشتمل على عدة مواضع الاول للنبات فيه بيوت من زجاج لتنبث ما لا ينبت في البلاد الباردة الثاني مشرفيات فيها اشياء عديدة تعين على علم حياة الحيوان السمي عند الافرنج تاريخ الطبيعيات الثالث مشرفية للتشريح الرابع مريض الحيوانات ومحل موثها الخامس مكتبة تشتمل على كتب في تاريخ الطبيعيات السادس محل يلقى فيه التدريس في العلوم يسع ١٢٠٠ شخص وجلة انواع النبات التي في البستان ١٢٠٠٠ نوع والتي في المشرفية ٥٠٠٠ وعدد الطيور ستة آلاف وعدد السمك خمسة آلاف وعدد الاعضاء للتشريح ١٥٠٠٠ وجلة النباتات المجففة المحفوظة ٣٥٠٠٠ ومن الشجر والحب أكثر من اربعة آلاف ولما دخلت عساكر الدول الاجنبية باريس كان من هم الدولة ان تحميهم من غوائلهم فبقى مصوناً الا ان كثيراً مما جلب اليه من البلاد

البلاد الخارجية رد على اصحابه وفيه شجرة من ارز لبان اهداها طيب انكليزي اسمه غولنسون الى الدولة وقد رأيت فيه عظام حيوانات عادية طول الواحد منها نحو عشر اذرع وجمجمة سمكة وكأنها هي الذي يقال له بلقنا الجمل طولها من الرأس الى الذنب نحو خمس وعشرين ذراعاً وفي ظهرها سبع واربعون فقرة كل واحدة كأنها رفش ولها ثلاث عشرة ضلعا عند رأسها كأنها تراثها طول كل ضلع نحو اربع اذرع من كل جانب ورأسها نحو قارب وفي فكها الاسفل من كلا طرفيه ثلاث وعشرون سنا قدر كل سن كالموزة وغاية الكلام ان باريس تفضل لتدرة في المباني والطعام والمتنزهات ومجال العلم فهي معدن العلوم والذات ولذلك ترى الوفا من عيال الانكليز الاغنياء يأتيونها مستوطنين وما احد من اغنياء الفرنسيين يذهب الى تدرة ليخذهها له وطناً وانما يذهب اليها اهل الحرف والصنائع تحصيلاً لمعيشتهم • ومن مواسم الحظ والفرج عندهم ثلاثة ايام في الرفع وهي التي يسمونها الكرنفال وقد ذكرناها في الكلام على مالطة فلا ينبغي اعادتها وانما نقول هنا انه في هذه الليالي يدومون في المراقص حتى الصباح وفي يوم خميس السكارى يطوفون بنور مسمن وامامه طائفة الجزارين بلباس الخيرية وبغيطون الثور بثوب مزركش وعلى رأسه الكليل من الزهر وكانت العادة سابقا ان يقعد على ظهره ولد يسمونه ملك الجزارين ويمسك باحدى يديه سيفا وبالاخرى صولجانا فاما الآن فانه يقعد في نحو محفة ويتبع الثور بلا سيف ولا صولجان • ومن ذلك عيد رأس السنة وهو ثلاثة ايام ترى فيها جانبي البلقار مشمولاً بالحيام لبيع التحف والطرف التي يتهاذى بها وترى ايضا خيضة شانزلي مشحونة بظلل وقبب واخيلة فيها جميع انواع الطرب والشعوذة والرقص على الجبال وثم ترى من بدائع المصنوعات والمخلوقات ما لا تراه في المملكة كلها وقد رأيت مرة امرأة جميلة ذات لحية وشوارب وعلى قفاها وذراعها من الشعر ما لم يكن على رجل وكأنها هي التي ذكرها صاحب المعجم حيث قال ارسلت امرأة الى باريس لها لحية كثيفة وجميع بدنهما مغطى بالشعر قال وقد علم ان نساء كثيرة لهن شوارب ولحي وشعر مسترسل على اكتافهن وسواعدهن من جلتهن امرأة اتى بها الى حضرة بطرس الاكبر وصكانت لحيتها نحو ذراع ونصف وفي الخامس عشر من اغسطس تصنع

الدولة عيدا حافلا يحشد إليه مئات الوف روية الانوار وشهب البارود • وفي الجملة فان ايام باريس كلها مواسم واعياد وان ليلها ابهج من نهارها هذا وعلى قدر ما فيها من المحاسن الفاتنة والارتاء الشائعة فان ضواحيها ابهى واشهى • فمن ذلك صان كلو وهو على بعد نصف ساعة من باريس فيه قصر يصيف فيه الملك وغيضة غضة انيقة دورتها اربعة فراعخ وهذا القصر كان اشتراه لويس الرابع عشر وسكنه نابوليون الاول وشارلس العاشر بنى في سنة ١٥٧٢ واثله اجد من اثاث قصر فرساي وفي الفيضة مياه خراة ولعلها هي الشلالات والقرب منه قصر فرساي الذي كان مقرا للويس الرابع عشر وهو يشتمل على تصاوير يدبغة لا نظير لها من جلتها صور جميع ملوك الافرنج من مات منهم ومن هو حي وصور وقائع نابوليون وصور سائر الملوك والسلطين وفي الشقة التي كان يسكنها الملك تحف غريبة كان يستعملها هو وآله وسرير فراشه وهو نحو صفة وفيه ملهى كان اذا امر الملك باجراء التمثيل فيه ينور بعشرة آلاف شمعة وبصرف عليه في تلك الليلة مائة الف فرنك وفي القصر ديوان فسح كان يجتمع فيه رجال دولته ولم يكن مع رجه يسعهم وبعد ان تنفض فرجة الناس من القصر وذلك نحو الساعة الرابعة تطلق مياه الفيضة صعدا وتضرب آلات الطرب فيقعد الناس على الكراسي للسماع والنظر وهو منظر يسحر فان الحديقة ناضرة زاهية والعيون غزية ووسع الفيضة الكبرى عشرون فرسخا وقد انفق على حوض فيها مليون ونصف فاما جملة ما انفق في القصر وفرشه وفي الفيضة فقد اختلفت الاقوال والذي صح انه بلغ نحو اربعين مليون ليرة انكليزية فاما بلد فرساي فانه كان قبل الفتنة عامرا فكان اهله مائة الف نفس والآن ليس فيه اكثر من ثلاثين الفا • ومن ذلك صان جرمان وهو على بعد خمسة فراعخ من باريس اوسفر ساعة في سكة الحديد وهي بلدة مشهورة من القديم لها غيضة فسحة ناضرة في ربوة من الارض يسرح الناظر منها نظره في مدى مديد كله خضرة ما بين كروم ويساتين وغياض ورياض وقصور واعلام حتى يود لو يرى في جلتها صحرا من صحور مالطة وفي هذه البلدة قصر كان في الاصل مقرا لفرنسيس الاول وكان هنري الرابع يستطيب المقام فيه وكذا لويس الثالث ولويس الرابع عشر وفيه

وفيه أقام جامس الثاني ملك الانكليز ديوانه الثاني عشرة سنة ثم صار في زمن القنسة محلا للمساكر ثم جعل الآن سجنًا لهم وهذه المواضع يقصدها اهل باريس في ايام الآحاد والاعياد في ارتال لها مقاعد في سطوحها مكشوفة فتري وانت في رتل منها عدة ارتال سابقة ولاحقة ولا يمكن استيفاء الكلام على هذه المحاسن من دون رؤيتها عيانا وكل ما تراه في باريس وضواحيها من المحسنات والمنزهات فلما تم بعناية صاحب الملك لا بعناية جاعات على عدتها كما هي العادة في لندرة فان الملك هنا لا يغفل شيئا مما يؤول الى ابهة الملك وشرف المدينة ورونتها واذا علم مثلا ان في بعض الشوارع ديارا قديمة منهزمة اشتراها من اصحابها من دون عبن وجدد بنائها وفي ايام ملكها الآن هدمت حارة كبيرة برمتها ثم بنى في مواضعها ديار حسنة شاهقة تضاهي ديار البلغار فاما في لندرة فان جميع الانشآت والتنظيمات موكولة الى جاعات من الاهلين وليس على الدولة الا ضرب المكس والطسق وتجهيز الجيوش • اما ملابس اهل باريس فانها في الجملة وضيفة فاخرة واكثر انواع الثياب التي تباع عند البرازين ولا سيما الحرير احسن مما يوجد بلندرة الا الكتان فاما الملابس المخيطة فليس لعمري من مناسبة بين ما يباع هنا وما يباع هناك فان من يشتري ثوبا مخيطا في لندرة يلزمه ان يستأجر معه خياطا ليصلحه له في كل يوم ولاهل باريس تنطس زائد في اشياء كثيرة مما لا يعاب به الانكليز الا ان نساءها اللواتي يعشن من كد ايديهن يلبسن احذية كاحذية الرجال وذلك منكر في لندرة واذا خرجن في الاسواق خرجن من دون برنيطة ولا شال ولا اكتفاء عن البرنيطة سدان الاول الزهو والعجب فانهن يعرضن شعورهن واعناقهن للرو والعجب والثاني غلاء سعرها حيث كانت اجبر اللاتي يصنعنها كثيرة فان صناع باريس تكسب اكثر من صناع لندرة وبالعكس ذلك الرجال وهاتان الصفتان من المنكر ايضا عند نساء لندرة ونساء الفرنسيين نطافة زائدة على اللبوس والمفروش فكل ما كان لونه البياض يبقى كذلك الى ان يلى ولكن ليس لهن من الطهارة نصيب ولهن ايضا عناية بليفة بتنضيد اثاث البيت وبهن تليق جميع الاعمال وفي الواقع فانهن اذ كن والتمن من سائر نساء الافرنج وما من امرأة في باريس الا وتعرف شيئا من المداواة ومن طبعهن التذكير في القيام

وتتخيف مرأقدهن بخلاف نساء لندرة فإن الغالب عليهن الكسل والتواني والاضحاء في اليوم ولهن أيضا حرص على تربية اولادهن وتغذيةهن فلا تكاد ترى في اسواق المدينة اطفالا يشون وحدهم او يطوفون في الليل ويعرضون انفسهم لخطر العجلات وسائر المراكب كما ترى في لندرة وهن اللاتي يتولين الدخول والخروج فلا يمكن لاحد ان يشتري شيئا من المأكول والمشروب ما عدا الجمر الا من ايديهن وان تكن بعولتهن حاضرة ولهن مزينة مشهورة بين الناس في النطق بالغيبات كما يزعمون واذا استنطقت واحدة منهن لزمك ان تعطيهما عشرة فرنكات ولم اسمع عن نساء لندرة هذه الدعوى الشائعة عن نساء باريس وقد اتفق لي مرة ان سرقت لي كر اريس من كتاب الفقه وعزمت على عدم افشائه فقاتت لذلك كل القلق ثم رد علي بعضها من لندرة فاخذني الذهول فلما اطلمت بعض اصحابي على ذلك قال لي عليك بالاحتيمبول فذهبت معه الى واحدة من اعرفيهن وكان هو ايضا يريد ان يسألها عن حاجة مهمة له وتبيننا آخر لم يكن له مأرب سوى الامتحان فقط فلما سألتها حضرت امرأة اخرى وجلست بين يديها وامسكت يدها اليمنى ثم جعلت فيها كرة صغيرة من بلور وجعلت تحديق النظر في المرأة وبعد عدة دقائق غمضت المستولة عينيها ثم تنفست الصعداء واشارت اليها بالجلوس وعيناها مغمضتان فتناولتها حينئذ قطعة من الورق واخبرتها بما جرى من السرقة فشتمتها وقالت هذه القطعة ارسلت اليك من بلاد بعيدة مع اوراق اخرى يخالف لون بعضها بعضها واصل شرائها كان من تلك البلاد قلت نعم ولكن اريد ان اعرف من سرقتها قالت اين كان مسكنك حين سرقت قلت في روبلانش قالت نعم في الطبقة الثالثة وقد سرقتها رجل كان كثير التردد عليك قلت من هو وكيف هو قالت ليس هو بفرنساوي بل غريب مثلك قلت ما زيه قلت ليس كزينا ولا كزيك وانما يلبس رداء طويلا قلت ما سته قالت في حد الثلاثين قلت بل أكثر من ذلك بشماني سنين ففكرت هنيئة ثم قالت لست اراه الا كما قلت لك فكانت صادقة في كل ما قالت الا في السن ويمكن ان يقال ان ذلك الشخص ام يكن يظن فيه فاطره انه جاوز الثلاثين ويقال ان هؤلاء المتنبئات انما يثبتن كما يثبت السائل فاني كنت اضرت شخصا كان على تلك الصفة وكان يتردد علي كثيرا وجزمت به هو الذي فعل الفعلية.

ثم تنصنت لحص معدتي فقالت ان هذا الشخص الذى سرق الورق صديق
لمطران حاول مرة ان يسلك باطلاع ثلاثة رجال معه ثم اتى وضعت يدها
خصلة شعر من شعر امرأة وكانت وقتئذ مريضة بداء الخفقان وقد قاست من
الاوجاع والاطباء ما يطول شرحه فاحذت الشعر ونجته وقالت هذا شعر
امرأة مريضة واصل مرضها في المعدة والقلب وقد مس هذا الشعر امرأة
اخرى قلت صدقت ولكن لا اعلم ان امرأة اخرى مسته قالت بلى قد لمسته
وان صاحبته صارت عرضة للاسقاط والولادة تسع مرات وهى ذات نشاط
وحدة فاذا غضبت تخرج عن المعقول ويخشى عليها من اللهم فبني ان تداربها
وتحوطها وتستعمل لها العلاج القلائى ثم سألتها صاحبى التلق بعد ان ناولها
اثرا من المسؤل عنه فقالت له انك تقيم في باريس سنتين بعد ثم تسافر الى بلادك
وكذا وقع له اما الثالث فانه سألتها عما في جيبه فقالت له ورق قال على اى شئ
يشتمل قالت اتانا لاحسن القراءة حتى انبئك بما اشتملت عليه قال منذ كم قدمت الى
باريس وما اشبه ذلك قالت قد استحوذ على صداع ولم تجاوبه باكثر من ذلك
وخرجنا من عندها وهى على تلك الحالة ثم اتى لما رجعت اخبرت المريضة بما وقع
فقالت اما الشعر فقد لمسته الخاتمة واما الاسقاط والولادة فكما قالت • ويقال
انه حين تكثر السؤل على المسئلة تضعف قوتها ويخدر ادراكها ثم انه لما كانت هذه
الحرفة مضادة للديانة والطب كان القسيسون والاطباء اشد الناس مقاومة لها
ولقد عجبت كيف ان الدولة تسوغ معاطاتها ان لم تكن حقا فاننا اذا اعتقدنا
بصدق ما نقوله هؤلاء النساء لم يكن ينهن وبين الانبياء من فرق اللهم الا
ان نقول ان انبياءهن غير وارد في الالهيات وان يكن تنجيلا وتعبها فلم
تمنهن الدولة من غبن الناس واختلاس اموالهم وتحكم بخروجهن من الجماعة اخذا
بنص التوراة على ان بعض المتفلسفين في باريس يدعون ايضا بان فى الانسان
خاصية او جاذبية تسرى منه حتى الى الجماد فيفعل بها فضلا عن تأثيره فى
انسان نظيره وعلى ذلك شاعت الاخبار بان الموائد تجذب بلوس عدة رجال لها
وان الكراسى تمتلئ والسكاكين ترقص الى غير ذلك والذى يخطر لى على
قدر ما ادركه انه كان ينبغي اعتقاد هؤلاء النساء وبعد ذلك اما ان يحظرن
لو يقررن على صنعتهن وقيل انهن امتحن فوجدن صادقات فى امور كثيرة

حتى لم يكن حظرهن وانه انما رخص لهن في الانباء رجاء ان تظهر وسيلة اخرى لاتقان هذه الحرفة حيث لم يستبعد ذلك على تهادي الزمن اما ما قيل عن بوسكو فلم ار من شعوزاته ما يصدق كلام الناس فيه فان كل ما صنعه امام الناس لم يصنع الا بادوات وقد شاع عن روبرت اودن انه كان عنده زجاجة وكان يسأل الناس اى شراب ينفون منها فكان كل يمتزح عليه شيئا فيسقيهم كلهم منها ثم رأيت هذه الثنائي تباع بثن غان ولا ادري شأنها والله اعلم • اما اخلاق الفرنساوية فالكلام عليها يستغرق زمنا طويلا لان الطبيعة البشرية فهم لمتها من نوع وسداها من نوع اما اولا فلأن سمحتهم وبنية اجسامهم متفاوتة جدا فاعل جنوب فرنسا سمر كاهل البلاد الحارة واهل شمالها يبيض شقر والثاني ان ما يظهر منهم للغريب اولا انما هو الانس وحسن المعاشرة فاذا رأى ذلك منهم اول وهلة ظن انهم يزددون من مؤانسته والفته وان هذا الانس لا بد وان يتبعه كرم وصداقة ويزيد تعجبه من ذلك على الخصوص ما اذا واجههم على هذه الصفة المستحبة بعد مفارقة الانكليز على حالة الانقباض والعبوس ولكن هيهات فان انيسك منهم اليوم اذا راك غدا ظننت ان ملاقاتكما انما كانت حلا وعلى فرض استمرار اللفة بينك وبينه فلا يدعوك الى منزله ولا يعرفك باهله • ومن ذلك ان اهل البلاد الباردة كباريس وغيرها تراهم اخف حركة واحفد الى الاشغال من اهل البلاد الحارة او المعتدلة كرسيلية ونحوها فان الناس هنا لا حركة لهم ولا نبض فمن قدم اليها من باريس ورأى بلادة اهلها عجب كل العجب فاين هم من اهل مالطه الذين يبادرون الى العمل بادنى اشارة • ومن ذلك ان كثيرا منهم ولا سيما اهل باريس يعيشون مع النساء عيش المتعة ويأتى لهم بنون وبنات وهم على هذه الحالة ولا يتزوجون زواجا شرعيا فكيف يحب الرجل امرأه ولا يتزوجها لا سيما وقد ولدت له اولادا وربتهم وزواجهم الشرعى هو الذى يعقد فى الديوان لا فى الكنيسة ومنهم من يعقده فى كلا الموضعين وهم المتدينون العابدون • ومن ذلك انهم مائلون بالطبع الى حب النساء ومحالتهن ومدارتهن ومع ذلك فانهم يدعونهن يعملن الاعمال الشاقة ليكسبن بعض شئ ويمكن هنا ان يقال ان نساءهم مائلات بالطبع الى حب الكسب وليست الراحة عندهن الا بتحصل المال

المال ومن هذا القبيل ان الرجال من فرط عشقهم يقتلون انفسهم ويرتكبون اقصى الاخطار لارضائهم ومع ذلك فليسوا يقيمون على وداهن قبيدليهن عندهم اهون من تبديل اللباس ومع اعتقادهم بان نساءهم اكيس النساء وانظرفهن واحذقهن جميعا فلا يأنفون من زواج الحبشيات وغيرهن • ومن ذلك انك ترى ادباءهم وكيسهم ابدا يترددون على الملاهي والملاعب ليسمعوا فيها ويروا ما سمعوه ورأوه مرارا وانت خير بلة يكرر في هذه المواضع تمثيل الحوادث كثيرا اذ لا يمكن اختراع شئ حديث في كل ليلة ومهما يكن الشئ الممثل بديعا فاذا اعيد زالت طالوته • ومن ذلك انك لا تزال ترى الخامسة منهم والعامية يتمشون في الحدائق والنباض ومواقع الفرج والنساء حتى تظن ان اهل باريس كلهم سباهلة لا شغل لهم ولا عمل ومع ذلك فهم يتأقنون في المطاعم والمشروب والملبوس والمفروش فلا ادرى في اى وقت من الاوقات يكسبون المال • ومن ذلك ان لهم عناية بترية اولادهم اكثر من الانكليز اذ لا يغادرونهم وحدهم في الشوارع والطرق عرضة للاخطار او يهملون تعليمهم حرفة من الحرف تغنيهم عن المكث في المستشفى او عن الطر والاختلاس في الشوارع كما هي العادة في لندرة غالبا ومع هذا فانهم عقب ولادهم يعيشونهم الى الريف ليربوا عند المراضع والانكليز على خلاف ذلك • ومنها انهم على بلادهم وجنسهم اغير من الرجل على امرأته فلا يسلون بان في الدنيا بلادا تشبه بلادهم او جيلا يضارعهم ومع ذلك فانهم يسافرون عنها لغير موجب وحيثما ساروا يشوا وسائل التمدن والعلوم وجادوا بما خصهم الله به من البراعة والحكمة على من لبثوا بينهم وربما كانوا لهم اعداء لعمري انى ارى طريقة ملك الصين في منعه مخالطة رعيته بغيرهم اولى او ليس ان الدولة حين تنصب الحرب لدولة اخرى تمنع اخراج كل ما يتعلق بالهجمات الحربية من بلادها الى بلاد تلك الدولة فالى الخارجين انفع لها وافضل الرجل ام الاداة • ومن ذلك انهم - بين يكونون متغربين في بلاد الناس يختلطون بهم ويحانسونهم ويخالقونهم حتى يصيروا كأنهم منهم واذا تغرب احد بينهم لم يختلطوا به فضاية ما يخصصونه به من الاكرام انما هو ان يسألوه من اين قدمت واين تقصد وكيف اعجبك باريس • ومن ذلك انهم لا يزالون ينفرون عن الحقائق ويودون لو يعلمون كل امر من قصه وقد حذقوا كل علم وبرعوا في

كل فن ومع ذلك فقد عذب عنهم اهم الحقائق وهو ضرورة وجود الدين لكل من السائد والمسود والرئيس والمرؤوس ولو سلم لهم بان الكيبيى واهل المعارف والادب غنيون عنه بما فطروا عليه من حسن الاخلاق او حسنوا به املاءهم من مطالعة الكتب لم نسل بان الرعاع الذين هم الجمهور الاعظم في كل البلاد غير مفقرين الى دين يردعهم عن الشرور والمصاصي ويحثهم على فعل الخيرات ولولا ذلك لاكل القوى الضعيف فان قلت كيف يأكله والحاكم من ورأته قلت ليس في كل الامور يمكن استحضار الحاكم او الاستئذنه ألا ترى انه اذا اجتمع مثلا اثنان في مكان خال وبطش القوى منهما بالضعيف أف يكون لصاحب الحكم عين باصرة او اذن سامعة للفصاض فكم من قضية جرت بين الناس وفاتت اجتهاد اهل السياسة والابالة واسكن اذا كان الناس يستحضرون خالقهم في السر والعلان، يخافون عقابه ويرجون ثوابه كان لهم بذلك اعظم رادع ووازع فانصاف امة بعدم الدين من اعظم ما يهين شرفها ويخفض قدرها * ومن ذلك انه لم يزل دايهم تغيير الحكومة وتبديل السياسة واربابها ولم يخطر ببالهم قط ان يغيروا هذا الاسلوب السمج الشنيع الذي يجري في عبارات اهل السياسة والاحكام منهم فان فيه من التكرار والمواربة والحشو ما يشهد عليهم امام الله والناس بانهم لا ذوق لهم ولا امام بشئ من الادب * ومن ذلك انهم ينكرون على اهل اللغات المشرقية وخصوصا اللغة العربية كثرة الاستعارات والكنايات مع ان لغتهم تطفح بها طمحا ولولاها لضاقت بهم العبارة عن تأدية اكثر المعاني وسيأتى الكلام على ذلك بالتفصيل ولما اقول هنا انى لما اردت ان اترجم من قصيدتي التي مدحت بها الامبراطور نابوليون قولى

ولا تمثل وقت توأمى عمة * له وانجازها بل قلنا سئلا

قال المصحح ان ذلك لا يكون مقهوما بلقتهم ولو جاء بهذه الاستعارة احد مؤلفيهم لحسبت من البلاغة بمكان ومن طبعهم في التأليف والكلام ان ينتقوا الالفاظ الجزلة الفخمة يكسون بها سخيف المعاني فتسمع منهم جمجمة ولا ترى طمنا وهذا داء فاش فيهم اجمعين * ومن ذلك ان نساء عامة الفرنسيين مع زهوهم واعجابهم اذ الزهو صفة عامة لجميع اناث هذا الجيل تراهن يتعاطين من الاعمال المنسية ما تأنف منه اخس نساء الانكليز ككنيس الطرق وحمل الاحمال وتنظيف

وتنظيف الاحذية وصيد السمك والمناظرة على المرائض ونحو ذلك ولا بد من ان تخاطب كل واحدة من هؤلاء الحسيسات المبتذلات بلفظة مادام فاما الستات المتزفات من هذا الجيل فالعزة لله الواحد القهار فان ما نقص من مترفية سادة الانكليز وجلالهم ومجدهم تلقاه فيهن وافيا فهن نساء صورة وشكلا ورجال امرا ونبيا وحيث قد استوفيت الكلام عليهن في كتاب القاريق فلا حاجة الى اعادته وانما اقول هنا انهن لا يعترفن بفضل الرجل على المرأة فانهن يقرن ان الله تعالى لم يخص الرجل بجزية الا وعود المرأة عنها باخرى فجعل بين ذلك توازنا حتى تستب الالفة والوفاق بينهما فاختص به الرجل القوة والشدة ليكده تحمل المشاق في تحصيل اسباب معيشته فعوض المرأة عنها بالصبر والتجمل لمصالح بيتها وتربية اولادها واختص الرجل بسطة الجسم والمهابة فعوض المرأة عنها بفتنة الحسن والزور ففهما يكن الرجل مترعا الى سوء تردعه عنه من نظرات المرأة روادع واختص الرجل بطول النظر والفكر في العواقب فعوض المرأة عنه بالبديهة العسيدة وسرعة الجواب المنع واختص الرجل بالشهامة وعزة النفس فعوض المرأة عنه بالتصاوت والحياة وهكذا ويحكى عن احدى الخواتين انها استأجرت مقعدا في بعض الملاهي حيث اريد اجراء التمثيلة المعروفة بالبروفت اى النبي وكان الناس يتراحمون الى رؤيتها لانها كانت اول ليلة فاتفق ان مرض زوجها بفتنة فاقبل اليها بعض اصحابها ليدوا لها التأسف على حرمانها من الذهاب وهي في خلال ذلك تتأوه وتفرك يديها ثم قالت ان هذا المخلوق لم يأت في عمره كله الا ما يغبطني وسترون الآن انه يموت عدا ليعرني من الخروج الى الملهى اه وفي الجملة فان كل ما تفعله احدى هؤلاء الخواتين فانه يعجبها واهلها وجيرتها واهل المملكة اجمعين • ولا شئ يعجبني من احوال الفرنسيين اكثر من معرفتهم للناس فان هؤلاء الذين يحرقون على الانكليز لو اقاموا بين الفرنسيين سنين لم تسكبهم مخاريقهم خرقا يسترون بها عورتهم او رغبا يفتن صغرهم واعلم ان امة الفرنسيين امة قديمة مشهورة مشهود لها بالفضل والتقدم في المعارف والساعي العظيمة حتى ان اهل المشرق اطلقوا اسمهم اعني الافرنج على ساكن اوربا وكما ان بلادهم ولا سيما باريس لم تزل مقصدا للناس في الكياسة والحضارة

كذلك ما برحت الممالك الشرقية منتابا لهم ولم تكن دولة من دول الافرنج قبل استعمال البواخر تذكر بالنسبة اليهم نعم ان الانكليز اشتهروا في الهند منذ اكثر من قرنين الا انهم لم يكونوا يجولون في بلادنا ولم يكن يرد اليها منهم غير القاصل ولكن لم تكن خاصية البضائع عند الكيماويين حتى ملأت سفائهم البهار وامتعتهم وبضاعتهم جميع الحوائث والاسواق وحينئذ عرف انهم ذروا كد واجتهاد فادركوا من تقدمهم في متقادم الزمن وقد جرت العادة بان سكان الجزر ايدا يكونون ناشطين الى التجارة والاسفار ضرورة انهم لا يستغنون عن البرور الفسيحة الا ان الانكليز لا يطبعون بطابع اهل البلاد التي يتابونها ولا يتساهلون فيما يجدونه هناك من الاحوال المغيرة لاحوالهم والمباينة لطباعهم بخلاف الفرنسيين فان بلاد الله كلها لهم بلاد والذي زاد هؤلاء ايضا شهرة ونباهة هو ان نبغ اناس منهم تفردوا في عصرهم بمآثر ومزايا لم يشاركهم فيها جيل آخر فتهم شارلمان في العز والسطوة فله دانت لجزء ايطاليا وجرمانيا وكان فيصلا عند جميع ملوك اوربا قيل انه كان سعيدا كاغسطس ومقداما في الحرب كادرباتوس وهو اول من انشأ مشيخة للعلوم في باريس وكان هو من جلة اعضائها ومنهم لويس الرابع عشر في المجد والكرم كان في شهرته بالغرب نظير هارون الرشيد في الشرق وفي دولته نبغ كثير من العلماء والادباء والفضلاء وذلك كفيليون مؤلف تليماك خطب في الكنائس وهو ابن خمس عشرة سنة ولد في سنة ١٦٥١ وبوسوا الشهير في التاريخ والفصاحة ولد في سنة ١٦٢٧ ومولير الشاعر البارع ولد في سنة ١٦٢٢ وبوالو وهو ايضا من الشعراء المفلحين ولد في سنة ١٦٣٦ ورابين وهو بمنزلة شكسبير عند الانكليز ولد في سنة ١٦٣٩ ولافونتين وهو وان لم يحظ عند الملك الا انه كان من الفضل والعلم بالمكان الاعلى ولد في سنة ١٦٢١ والامير كوندى جعل قائد الجيش وهو ابن ٢٢ سنة وقهر جيوش اسبانيا والنمسا وهولاند ولد في سنة ١٦٢١ وغيرهم كثيرون ونبغ من قبله هنري الرابع الشهير في التدبير والايالة وقد مر ذكره ومنهم فلتير في العلوم ولا سيما في التاريخ والادب وسعة الاطلاع والعبارة ولد في سنة ١٦٥٤ وقلبي في التاريخ والادب ايضا ولد في سنة ١٧٥٧ ويوفون في الطبعية

ولد

ولد في سنة ١٥٩٦ ودكرا في الفلسفة ولد في سنة ١٧٤٩ ودلايمير في الهندسة ولد في سنة ١٥٩٦ ومونتيسكيو في الفلسفة والأدب وعموم المعارف ولد في سنة ١٦٨٩ وناپوليون الأول وناهيك باسمه واصفا على ان الانكليز الآن يتنافسون في كل شيء يقال فيه انه فرنساوي فاذا ارادت التجار منهم ترويج شيء من سلعهم كتبوا عليه فرنساوي وكذلك اصحاب الملاهي يكتبون في اعلامهم ان مادام كذا تلعب الليلة في الملهي وموسيو كذا يحكي كذا وما تكون هذه المادام او هذا الموسيو الا منهم وفهم ولا تكاد ترى شيئا في باريس مروجيا باسم الانكليز ويمكن ان يقال انه لم تستب في الدنيا واقعة خفية الا وكان للفرنسيس فيها يد فانهم هم كانوا سبب الحرب المعروفة بالصليبية في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي وذلك ان بعض ضباط الفرنسيين السعي بطرس الارميت اى الناسك كان قد سافر الى الارض المقدسة في سنة ١٠٩٣ واجتمع بطررك اورشليم فشكا البطرك ما تقاسمه النصراني هناك من جور المسلمين فلما فصل عن المكان اصحبه بكتاب الى البابا اوربان الثاني فجرده البابا لان يطوف على ملوك النصراني ويحرضهم على القتال فاخذت بقوله وهاجوا لارسال الجيوش ثم قام من بعده راهب من بريثاني اسمه ارلوان ثم صان لويس ألا ولولا هم لم تستقل دولة امريكا بامورها كما نراها الآن وتفصيله ان دولة الانكليز كانت قد كلفت المستوطنين في امريكا من المكس والضرائب ما لم يكونوا يمهدون وكان الخامل للدولة على ذلك ما ركبها من الدين بسبب الحروب التي تقدمت كما يرد تفصيله فلما بلغت الاوامر الى بستان او بستان تعصب اهلها على ان لا يدفعوا شيئا مما لم تجر به العادة ثم عقدوا مجلسا عاما ورأسوا عليهم جورج واشنطون وفوضوا اليه التدبير والامر وفي سنة ١٧٧٦ شهرها انفصلهم عن الانكليز وبعضوا بنياامين فرنكلين الى ديوان فرنسا ليعرض ما استقر عليه رأى القوم واستجدوا بالملك لويس السادس عشر فارسل لهم اثني عشرة بارجة من طولون فوجهت البوارج الى رود وهي جزيرة كانت تدخر الانكليز فيها جهاز الحرب فاكادت تصل الى هناك حتى ثارت عليها الرياح العواصف فبادت عن آخرها ثم ذهب من فرنسا لاعانة الاميريكانيين كثير من شهرها بالبالة والنجدة اشهرهم لافيت وكان قد بلغ من العمر عشرين سنة لا غير فلما

وصل الى هناك حظي عند واشنطن حظوة عظيمة ووقتذ اتفتت دولة فرنسا مع دولة اسبانيا بعد ما كان بينهما من المناقرة على اعانة الاميريكانيين ثم امدهم الجنرال روشامبو بستة آلاف من العسكر لاستخلاص جزيرة رود ثم استخلصوا ايضا مدينة يورك واستأسروا من الانكليز ثمانية آلاف وعندها تم انعقاد الهدنة بين الدول وجرى تحريرها في باريس سنة ١٧٨٣ انتهى لمخلصان من فلتير • قلت ثم اضطرت الحرب بين الانكليز والفرنسيين ققام الاميريكانيون مقام من لا ضلعه مع احد الفريقين ثم اشتعلت ايضا بين الانكليز والاميريكانيين وذلك في سنة ١٨١٢ فلم تنسه الا بعد ثلاث سنين قال في معجم الاوقات اصل حروب فرنسا التي تغلغل فيها الانكليز نحو مائتي سنة نشأ عن امر آء نورماندى وهم ملوك الانكليز فانهم كانوا يضبطون هذا الاقليم كأنه وقف لاج فرنسا حتى قتم ولهم الاول انكلترة فصارت هذه الولاية ملحقة بها ولكنها انسلخت عنها في عهد الملك يوحنا وذلك في سنة ١٢٠٤ قال وقد تعددت حروبنا مع الفرنسيين ونصرنا عليهم نصرات متعددة وفي عهد هنري الرابع طرد الانكليز من فرنسا وبعد ان خرجت من يدهم بقيت الحروب تعاقب المهادنة والمهادنة تعاقب الحروب مددا طويلة فجملة ما وقع من الحروب بيننا وبينهم ثمانى عشرة حربا وقد قضت الانكليز ستا وخمسين سنة في الحرب واثنين وستين في السلم فصرفوا في حرب سنة ١٦٨٨ ٣٦٠٠٠٠٠ ليرة وفي حرب اسبانيا اثنين وستين مليوناً وفي الحرب الثانية معهم اربعة وخمسين مليوناً وفي الحرب التي دامت سبع سنين مائة واثنى عشر مليوناً وفي حرب اميريككا مائة وستة وثلاثين مليوناً وفي حرب قنبلة الفرنسيين اربعمائة واربعة وستين مليوناً وفي حرب نابوليون الفا ومائة وتسعة وخمسين مليوناً فتكون جملة المصاريف في مدة مائة وسبع وعشرين سنة وذلك من وقت الفتنة التي جرت في سنة ١٦٨٨ الى آخر مدة نابوليون في سنة ١٨١٥ ٢٠٢٣٠٠٠٠٠٠٠ وقد حسب بعضهم عدد القتلى من الفرنسيين في ست وقائع في حرب جرت بينهم وبين عسكر اسبانيا فكانت ٦٠٠ ٠٠ ومثلها من اهل اسبانيا ومن كان يخرب لهم وبقيت اقطار البلاد عرضة للتخريب والمصائب من كل وجه • قلت وقد بلغت مصاريف حرب الهندي في هذه الايام الاخيرة ٩٥٠٠٠٠٠٠ اما نابوليون الاول فانه دان له اكثر

أكثر ممالك أوروبا قهر بروسية والروسية وسويد حين تواطؤوا مع الانكليز على حربه ودخل ملكة بروسية منصورا فاجتمعت عليه دول الروسية واوستريا وبروسية وغيرهم ثم عنوا اطاعته في مدينة درسدن وكانت هذه خامس مرة تواطأت فيها الدول على خلعه ثم لم تمض برهة حتى حشد جيشا عظيما وتوجه بهم الى الروسية فلم يجد ممانعا له حتى بلغ مدينة المسكوب فلما اشرف عليها هو وجنده تعجبوا من كثرة ما فيها من الكنائس والقبب المذهبة اذ كان فيها نحو ٨٠٠ كنيسة فيها الوف من الاجراس فقال عند رؤيته ذلك هذه مدينة المسكوب ثمرة لعبكم وجهادكم من زمن طويل وهي تكون خاتمة مساعيكم واتعابكم ثم انهم دخلوها فوجدوها خالية على عروشها فان ملكها كان قد اخلاها خدعة فظن نابوليون ان نصرته تحققت وان ملكه قد استتب فلبث فيها اياما ثم لم يشعر ذات يوم الا والنار تضرع في اطرافها فلحقه من ذلك الفشل واضطر الى اخلائها فلحق به جيش الروس وما كاد يتخلص منهم الا بعد اخطار شاقة فلما رجع الى باريس رأى اهل الشورى قد تغيرت خواطرها عليهم فاضطر الى ان يخلع نفسه وسار الى جزيرة ادلب فخلفه في الملك لويس الثامن عشر لكنه ابدي من سوء التدبير ما امال خاطر بعض رجال الدولة الى نابوليون فجرت بينهم المكاتبة والمراسلة ثم لم يشعر الناس بعد مدة الا وهو يحول في البلاد ويحرض حزبه على قتال العدو وجعل يعدمهم ويمنعهم خالت قلوب الناس اليه فابرح سائرا حتى دخل باريس ففرحت به رجال الدولة وفر منه لويس ثم اتهم جمع جيشا عظيما وتوجه لقتال الانكليز وروسية عند فلوروس فانتصر على جيش بروسية فقتل منهم يومئذ ٢٢,٠٠٠ الا ان عساكر اعدائه كانت اكثر عددا من عساكره باضعاف ثم زحف الى قتال الانكليز عند واطرلو وكاد ان يغفر بهم لولا ان تداركتههم جيوش بروسية فاحدقوا بعساكره فلم يطيقوا الثبوت ويومئذ تقطعت به اسباب الآمال فجعل يتلقى رصاص البنادق والمدافع وهو كاشف صدره ومع ذلك فلم ينله ضرر فرجع منكسر الخاطر مهيب الجناح فحكم اهل الشورى بخلافه ففرض عليهم ان يقاتل العدو في رتبة امير لواء فابوا فصمم على ان يسير الى امريكا حتى اذا سار بشرذمة من حزبه الى روشفورت وكانت سفن الانكليز تطوف هناك امسكوه وتوجهوا

به الى جزيرة صانت هيلان وهناك قضى نحبه • اما اتحاد بروسية مع الانكليز فكان سببه ان نابوليون كان يريد ان يعطى مملكة هنوفر للانكليز في مقابلة صقلية فهاجت حية ملك بروسية على نابوليون وبلغ من غيظ زوجته انها كانت تتركب وتدور في شوارع المدينة وتعرض الناس على القتل وهى متردية بلباس الجند ووقتئذ تواذات الدولتان ودولنا الروسية وسويد على نابوليون الا انه ضلب الجميع حيث دخل قاعدة مملكة بروسية منصورا مظفرا كما تقدم فاما تواطؤ سائر الدول عليه فانما كان خوفا منه ان يستولى على ممالكهم اذ كان لا يرد شئ عما نواه ووقتئذ سولت دولة الانكليز للملك الدانيمرك ان يواطئها عليه فاجبى فارسلت بوارجها الى كوبنهاك فاطلقت المدافع عليها فهدموا منها ٣٠٠ بيت واستولوا على بوارجها وكانت ٥٣ بارجة انتهت ملخصا من فلتير • ومن ابطال نابوليون المشاهير مورو الذى قهر امپراطور النمسا وبدد عساكره حتى اضطر الى طلب المهادنة فلجابه بشرط ان تنفصل دولة النمسا عن دولة الانكليز فانهما كانتا متواطئتين على فرنسا وسأئى ايضا ذكر نابوليون عند ذكر الامير نلسون الانكليزى وغيره في وصف لندرة • ومن تفرد في البسالة والحماسة من هذا الجيل اى الفرنسي جان دارك الشهيرة وكانت في الاصل خادمة في بعض الخانات وكانت تتركب الخيل بلا سرج لجرأتها وقوتها وتدعى انهما تقدر على استخلاص فرنسا من يد الانكليز فاحضرت بين يدى دوك دورليان في برج ثم بعد ان علم انها بكر وانه كان يوسى اليها فوض اليها ان تقود جيشا وتسير بهم لاستخلاص اورليان وكانت حينئذ تحت حصار الانكليز فلما بلغت البلد اقلت خطابا بليغا على من معها من الجيش وحرضتهم على قتال الانكليز فاخذتهم الحمية والحماسة وتقدمتهم الى القتال ويدها راية فلم تمض ساعات حتى هزمت جيش الانكليز واستغذت البلدة • قال في ابجدية الاوقات لما كانت الانكليز محاصرين اورليان زعمت جان دارك بان الله اوحى اليها ان تطردهم منها فقلدها شارلس الثامن "مدير الجيش فسارت بهم الى الموضع المذكور وذلك في سنة ١٤٢٩ وضايقتهم حتى اضطرتهم الى ترك الحصار واستردت منهم عدة مدن كانت تحت يدهم وهزمتهم في واقعة باتى المشهورة ولم يكن احد يجد فيها محلا للوم والقذف فانها جرحت عدة مرار

حكى والمعتمدة على الراوى انها لما كانت ذات مرة سائرة مع ابوها في بستانه وهى بنت خمس سنين ابصرت حولها نورا ساطعا في الهواء فالتفتت فرأت صورة الملك ميخائيل رئيس الملائكة فاعجز اليها ان تكون مطيعة لما يجب عليها وان الله يحبها فلما سمع ابوها بذلك وكان رجلا شرسا عاملها بالعنف والقساوة حتى اضطرت الى ان تغارقه وتخدم عند ارملة صاحبة فندق وهناك ابنت من صديق السعى والاقدام على الاعمال ما فطرت عليه فكانت تركب الخيل لتسقيها وتسافر في قضاء حاجة سيدتها من دون خوف وكانت في الصلاح على اعظم من ذلك قال العلم سريس انه كان على طلعتها سيما الحياء والبهجة واللين مع العزم والمضاء وكان كلامها سديدا والعفة قرينة اعمالها كلها ثم انها رجعت الى بيت ابوها بعد خمس سنين وعادت الى رعاية ماشيته حتى بانث ثمانى عشرة سنة وكانت امور فرنسا اذ ذلك على شفا جرف هار من البوار والخراب وكان قد بلغ الجارية ما اصاب اهل بلادها من الضيم وملكتهم من الهزيمة والفشل وفي غضون ذلك رأت ما لم يعارفها من البؤس بسبب الحرب التى وقعت في فرنوى فكانت تبصر رؤى وتسمع اصواتا سماوية اكثر مما كانت ترى وتسمع من قبل الى ان ارجف الناس بسقوط اورليان في يد الانكليز اذ كانوا وقتئذ محاصرين لها قال فابصرت الملك ميخائيل والقديستين كاترينة ومرغريت يحرضونها على ان تنخصن نفسها لانتقاذ بلادها فقالت انى فلاحه مسكينة ولا دراية لى بمثل هذه الخطوب فاكد لها الملك انها تعطى مقدره وحكمة وان القديستين تصاحبانها وان كل شئ يجرى على وفق المراد ثم ظهرت لهما ايضا في نور عظيم وعلى رؤوسهما تيجان بهية مرصعة ولهما صوت رخيم وكانت البنت تذكر رواية جرت بين الناس بمجرى النبوة وهى انه كما ان خراب فرنسا نشأ عن امرأة شريرة اعنى ايزابلا من بافاريا كذلك يكون استردادها على يد بنت غير ذات عيب تجرد لانتقاذ بلادها وان هذه المنقذة تأتي من جهة بواشسو ثم كثر توارد الاصوات عليها وكثر حثها نها حيث كانت امور فرنسا تختل بالكلية واوشكت ان تكون في البحران

وأشارت اليها انها هي تلك البكر المعنية فاستحوذ عليها الكرب والكتابة وكانت كثيرا ما ترى باكية عند مفارقة الرؤيا لها وكان ابواها لا يصدقان بما ترى فارادا ان يزوجاهما معا لها عن الخروج مع الجند فاعرضت عن عرضهما حيث كانت قد نذرت البتولية واتفق وقتئذ ان جماعة من حزب الانكليز مروا بقربتها فنهروها واحرقوا الكنيسة فاضطرت الى الفرار مع والديها فلما رجعوا ورأت ما نزل بالقرية اشتد غيظها وجأشها فامرتها الاصوات بان تذهب الى بعض الحكام في ذلك الجوار وتطلب منه ان يوصلها الى الملك وانها ان لم تفعل ذلك لعدم خلاص نفسها وانها حينئذ في حضرته تخبره بانها ارسلت لكف حصار اورليان ولتسويجه في رام فقصدت الحاكم وطلبت مقابلته فابي اولاً ان يراها فما زالت تلح عليه حتى اذن لها فلما دخلت نظر اليها نظر المزدري وامر خالها بان يردها الى بيت ايها وان تجاد فقالت له ان ذلك عمل سيدي ولا بد من انجازه قال ومن سيدك قالت ملك السماء فاقن بانها مجنونة وصرفها فلبثت في تلك الجهة وكانت تبذل في كل يوم وتقول ان الاصوات تلح عليها بانجاز العمل فشاع خبرها في البلد فكانوا يهرعون الى رؤيتها ويحبون من تقواها وحسن سيرتها فارسل اليها احد الامراء ان تأتية وتشفيه من داء به فارسلت تقول له اني لم ابعث اليك وان الاصوات لم تذكر لي اسمك وفي جميع هذه الحوادث كانت افعالها وكلامها على حد سوى وكانت مالكة هوى نفسها فلم تكن تبدي شيئا من الجفاء او السرف وكان ذهنها يزيد صفاء وتوقدا ولم يكن لها مأرب سوى اغائة اورليان وتبويج الملك فرض عليها احد الزهبان ان يعضدها بامرأة زعم ان لها قدرة علوية فوق الطبيعة فقالت له لا حاجة لي بها ثم قالت من حيث ان الحاكم لم يكثرث بي فانا اذهب الى الملك وحدي ماشية اذ ليس احد من الملوك يغيب فرنسا حتى ولا يذت ملك سكوتلاندا من اغائة الا بي على اني لو خيرت لاخترت المقام بدار ابي والفرل بازاء امي ثم ألم الناس على الحاكم بان يجيبها الى ما طلعت قال وبعد ان رش عليها القسيس الماء المبارك واختبرها وعلم انها ليست بساحرة ارسل معها بعضا من خواصه فسافرت في شهر شباط من سنة ١٤٢٩ وكان الملك بعيدا عن ذلك الوضع مسافة مائة وخمسين فرسخا في اقلطار مشجونة بالحرس والعسس والخافو

والمخاوف فركبت الجواد في زى رجل وتقلت السيف وطمنت قلوب السائرين معها فجابوا تلك التواحي من دون ان يصادفوا احداً من الاعداء حتى اذا اشرفت على مقر الملك بعث من يخبره بقدمها فلما سمع بذلك اندفع في الضحك وان كان وقتئذ في حالة يصدق عليها قول من قال انه يتعلق بحبال الهوآء فاشار عليه بعض وزائه ان يقابلها وسخر منها الآخرون وظل رجال الديوان ثلاثة ايام في هذه المذاكرة والملك لا يدري بايها يجزم الى ان قر الرأى اخيراً على ان يؤذن لها في الدخول ولابل ان يخبرها تزيًا بزي رجل من السامية وحمل احد خواصه في زيه فلما دخلت خرفت صفوف الحشم والتع حتى وصلت اليه وجثت بين يديه وقالت ملاك الله بالمر ايها الملك الحليم فتعجب وقال لها لست انا الملك وانما ذاك وأشار الى الوزير فقالت باسم الله ليس الملك الا انت انا جان العذراء ارسلني الله اليك لاغيثك والمملكة وعن امره ايين لك انك تتوج في مدينة رام فاخذها الملك ناحية وبعد ان ذاكرها هنيئة قال لقد اطلعتني على امور لم يكن احد يعرفها الا الله تعالى والا انا واتى اول من صدق بانها ارسلت لانتقاد المملكة وقال فلتير في كتابه الذي سماه «لايوسل درليان» ان الملك سألها عما جرى بينه وبين محبوبته في تلك الليلة ولعل ذلك تكلم منه على عادته قال الراوى وفي الغد الغايل رآها الناس علانية على جواد تركضه وتضبطه احسن ضبط وكانت تعقل الرمح وتبدي من الفروسية ما لم يعهد لغيرها وكانت مهفهفة القوام ولها شعر اسود مسترسل على كتفيها وعمرها في حد سبع عشرة سنة فعجب الناس لما شاهدوها على هذه الحالة وهتفوا باصوات عالية تنجي عن تصديقهم لها غير ان الملك لم يستخلص سريرتها فامر بان يتمنعها جماعة من الاطباء والمتكلمين فالتقوا عليها مسائل صعبة مدة ثلاثة اسابيع وحاولوا ان يعرفوها بالكلام وكان ذلك عبثاً فانها اصرت على قولها الاول وهوانها انما ارسلت لكف حصار اورليان وتتويج الملك في رام وكانت وفشذ بيد العدو ولم ترد على هذا شيئاً فافترحوا عليها آية فقالت ارسلوني الى اورليان مع جماعة من العسكر تعلموا حقيقة ما اقول اعنى كف الحصار وكانت حين تنصرف من عندهم تقضى اوقاتهن بالدعاء والخلو حتى اذا فرغوا من القاء المسائل عليها على انواعها رنضعت بلاله المبارك طالت مسلحة من الرأس الى القدم في زى الفرسان

الاقدمين فكانت تركب الجواد وربتها امامها والرمح بيدها وتبدي من طرق
 الفروسية ما يعجب الجيش وكان اهل اورليان اذ ذاك في كرب شديد وكانوا قد
 سمعوا بنجر الفناء فارسوا يطلبون مدداً والنسوا بان تكون الجارية على رأس
 الجيش فطلبت ان تعطى سيفاً قديماً زعمت انه موضوع في قبر في كنيسة القديسة
 كاترينة فبحث عنه وسلم لها فتقلده وسارت مع جماعة من مشاهير ذوي الامر
 وانتهى بفرنسا واول ما بلغت المعسكر طردت منه النساء الدنيئات اللاتي كن
 يصعبن وحنت على كل جندي بان يعترف ويتناول ثم سارت بالجيش الى اورليان
 وسار صيتهما بين يديهما فاستقبلها الانكليز اولاً بالاستخفاف والاحتقار ثم
 بالخوف الخفي واخيراً بالرعب الذي تمكن فيهم فكانت تأمر الجيش بالتقدم
 على مقتضى تبلغ الاصوات واتفق مرة انها امرتهم بالزحف على البلد من
 جهة عيين الشط الا ان احد الضباط ممن امكن له اعتقادها انزلها
 في فلك هي والجيش واخذ جهة اليسار مخافة ان يتألى المحاصرين من الانكليز
 في الجهة التي رسمت بها فاثارت عليهم ريح عاصفة اضطرتهم الى الرجوع
 والى ان يأخذوا عين الطريق التي امرتهم بها اما اهل البلدة فحيث كان قد
 بلغ الضحك والجوع منهم كل مبلغ استقبلوها بالمشاعل والاكرام واحتفلوا بها
 غاية الاحتفال لاعتقادهم ان نجاتهم تكون على يدها وصنعوا لها وليمة فاخرة
 لكنها ابت ان تال منها وآثرت ان تتعشى في دار خازن مال الملك على الخبر
 مبلولا بالخمر فاستحوذ الرعب على قلوب الانكليز وكانوا قد سمعوا منذ
 شهر ان بانها قادمة لمحاربتهم حيث كانت كتبت الى رئيسهم تنذره بان الله
 امرها بطردهم من فرنسا واختلفت فيها الآراء والمذاهب فاعتقد الفرنسيون
 بانها رسول من السماء واعتقدت الانكليز بانها رسول الشيطان ثم قالوا ان
 تكن من البشر فكن لا تخاف بشراً وان تكن من الشيطان فلا قيل لنا بها
 فاجتهد رؤساء عسكرهم في ازالة هذا الوهم الذي اثر في الجيش بقولهم انها
 دنيئة الاصل وجاهلة وان هي الا آله استعملها الفرنسيون ليهولوا بها عليهم
 ولكن كان ذلك عبثاً فاتهم اعتقدوا انها من اعظم السواحر ورسخ تأثير
 ذلك فيهم فكانت حينما تظهر تفر منها عساكرهم فجعل الفرنسيون يدخلون
 ويخرجون بلا مانع وزحفت مرة على الانكليز وهي راكبة جوادها الابيض
 وامامها

وامامها رايتها البيضاء ووراءها جوق من القيسين يرتلون فغشبههم من الدهشة
والرعب ما غشبههم ثم نصبت سلام على برج طورنل وارتقت فيه ودعت من
كان فيه من عسكر الانكليز الى ان يخلوه او يحرق بهم شر فشتها احد الامراء
وعبرها رعايتها البتر فقالت له بئس الفارس انت انك غير جائز من هنا انما انت
مقتول ثم امرت جندها بان يهجموا هجمة واحدة وكانوا حينئذ قد نشموا في
الحسد لها فواعدوها الى غد ليكون الغمركله لهم فانصرفت لتستريح فاها الا ان
نزعت درعها حتى نهضت وابسته وقالت قد امرتني الاصوات بالقتال فالبدار
البدار ثم لما اقدمت رأت الفرنسيس مرتدين على اعقابهم اذ كانوا هجموا
من دون علمها وقد هلك منهم كثير فاشتد غيظها وتقدمت الجند بنفسها واخذت
تخص على صدق الحملة فاستخلصت ثلاث قلاع ثم سارت الى برج طورنل ونهددت
جميع من يخالفها بالعتاب فواطؤها حينئذ مواطأة رجل واحد وهجمت
عليه فانفعا الانكليز ممانعة قوية فلم يتقص ذلك من عزيمتها شيئا واعلنت ان
الله قد سلم الانكليز ليد الفرنسيس ثم اخذت سلا وركزته عند حضيض البرج
والرمي عليه متواصل واخذت في الارتقاء فاصابها سهم نفذ في درعها ما بين
صدرها وكتفها فانطرحت في الخندق فاعل الانكليز من فرحهم وظنوا انها
ماتت ثم حملت الى المقدمة واخرج منها السهم فافاقت وجئت تصلى ثم عاد اليها
نشاطها فنهضت وقالت ليس ما قطر مني دما وانما هو ظفر وان الاصوات
تدعوني الى اتمامه ثم استأنفت القتال باشد صولة وامنع باس فلما بصر بها الانكليز
قشلوا وخاروا فقتل منهم يومئذ ستة آلاف رجل من جلتههم ذلك الامير وغيره
ممن انبأت بهلاكهم فعتد احد قواد الانكليز المسمى صفولك مجلس مشورة
وقاوض اصحابه في الحرب فلما رأوا هلع الجند غزموا على كف الحصار حتى اذا
كان اليوم القابل جمع الجند كلهم وعباهم للقتال واوهم انه يبدى ممانعة ومضالمة
وهو في الواقع منسحب بالجيش ثم بعث الى الفرنسيس ان ياتزلوه بلثامهم سواء
كانت فاجرة او نية او ساحرة فرسعت الجارية على العسكر بان لا يفارقوا البدار
لانهم كان يوم الاحد وان يقضوا النهار بالعبادة لله الذي نصرهم فانتظر صفولك
ساعات فلما لم يات احد احرق البرج وما حوله وانسل بعسكره فنهت الجارية جندها
عن ان يعقبوهم وعند ذلك امرعت للقاء الملك في بلوى وكنانت في مرها

تزدحم عليها اهل القرى ليس قدمها او ثيابها او في الاقل ليس جواندها فاستقبلها رجال الديوان بغاية الاحرام وامر لها الملك بمأدبه فقالت لمليس الآن وقت القصف والرقص واللذات فان على بعد ان اسعى لفرنسا ومدق قرية لان الاصوات اندر تنى باقى اموت بعد سنين ثم دعته ليتقدم معها الى رام لتوجه وتترك الانكليز في يد الله فتقدم الملك بمن عنده من الجند حتى وصل الى لوار ثم ارتأى ان يخرج الاعداء اولا من المعقل والحصون ليأمن السير الى تلك الطية فسارت بالجيش الى جارجو حيث كان صفوفك مخجما بعسكره فقاتلتهم عشرة ايام حتى استولت على المحل عنوة وقبضت على صفوفك اسيرا وكانت هي اول من ارتقى في السلم وعند بروز رأسها باندرها احد الجند من داخل الحصن بضربة جندلتها في الخندق فصرعت حتى لم تقدر على النهوض والمث جدا لكنها كانت تصرخ وتقول تقدموا يا رجال ولا تخافوا شيئا فان الرب سلمهم ليدينا فدخلت الحمية في قلوب الجند لبساتنها ونفتهم بكلمتها فهجموا هجمة شديدة واستولوا على البلد قتل من الانكليز يومئذ ثلاثمائة رجل فلما بلغ الخبر مسامع الامير طالبو الانكليزنى اخلى جميع البلدان وانصرف الى باريس ثم سارت الى باقى قلبت جندها هناك ينظرون مددا من الفرسان فقالت لهم دعوا التلبث واقدموا فليس عليكم الا ان تضربوهم ثم زحفت عليهم فحاق الفشل بالعدو من كل وجه مع ان رماثهم كانوا من احذق الرماة ولطالوا اثمنوا الفرنسيين فقتل منهم في ذلك اليوم الف ومائتا رجل وكان حزب كبير من القسيسين ينظرون الملك والجارية ليوصلوهما الى البلد وفي الخامس عشر من تموز سنة ١٤٢٩ سارا ومعهما رؤساء الضباط والقواد وبعد يومين توج الملك في الكنيسة ففرح الناس واشتبهروا بطيب العيش والراحة وتمكن اعتقادهم بها فكاثروا يرون حول رايستها حيثما سارت اسرابا كثيرة من الفراش الابيض البهيج وبهذه الراية كانت واقفة على رأس الملك عند التتويج ولما فرغ من تتويجه جثت عند قدميه وعانقتهما وهي باكية وقالت الآن تم سعي وكل ما وعدت به باسم الله فقد انعم به فالتمس من الملك ان يطلاني الآن لاذهب الى بيت ابى واسير سيرتى الاولى فابى الملك ذلك اذ رأى ان خلاص الامة متوقف عليها وانها فعلت في الزمن القصير ما لا يفعله غيرها في الزمن المديد الا انها من تلك الساعة تغيرت احوالها بالكاية فان

فان الروح فارقتها وانقطعت عنها الاصوات وذهب عنها ذلك الزأى الرشيد واستحوذ عليها الغم والابتئاس فكان اذا طلب منها ان تقضى امرا تضطرب افكارها فيه واذا امرت بشئ ترتاب وترجع فيه فاعادت الالتئاس من الملك وهى جائشة النفس شكرى العين لان يأذن لها فى الانصراف لان عليها قد تم وكانت قد علقت دروعها فى كنيسة رام اشارة الى انها قضت ما وجب عليها فاشار عليها الملك بان تلبسها فامثلت امره الا ان ضباط العساكر حينئذ كانوا قد اضمروا لها السوء حسدا فصاروا يشنعون عليها ويسبون معاملتها واغروا العساكر بان تبرزها بالالتاب الذميمة لابل حاولوا ان يهتكوا حجابها ليفضحوها بين الناس ويكفروا كلمتها عنهم فردتهم اقبح الرد ولم يكن يحاسبها سوى النساء العفيفات ولا تام الا ومعها امرأة فى القراش ثم اشارت على الملك بان يتوجه الى باريس فصار وعتت له بلدان عديدة حتى وصل اليها وامر بالهجوم على فوبور دوصانت اوزرى فجرحت البنت هناك وصرعت مدة ساعات ثم قامت وعلقت دروعها مرة اخرى وطلبت من الملك الانصراف فابى ووعدها بان يرقبها فى رتبة شريفة ويجرى عليها وظيفة الارل وان يعنى قريبها من الخراج ابدا فاجابت الى ذلك ثم فى تلك الاثناء قام راهب اسمه ريشارد ومعها امرأة زعم انها نبيفة واخذوا يمثان الناس على جمع المال امدادا للملك فابت جان ان توادتهما وقالت انما النجاح على اسنة الزماح وفى سنة ١٤٣٠ سارت بامر الملك لكف الحصار عن كومبان وكان عليها دوك برغندى فسارت على عاذتها فى الاقدام والبسالة الا انها لما اوقعت بالمحاصرين خذلها اتباعها فلما قاربت باب المدينة رماها احد الرماة فوقعت على الارض واستسلمت للامير فندوم فذاع خبر اسرها فى جميع الامصار فوردوا ينظرون اليها وخذلها الملك لثوما منه ولم يسع فى اقتكاكها ثم باعها فندوم للكسمبوروغ وباعها هذا للانسكلير بعشرة آلاف فرنك ونحلى عنها معارفها وتواطأ الناس على احراقها كساحرة وكان اهل باريس يشتمون من ذكرها حتى انهم احرقوا مرة امرأة تقولها ان جان رسول من السماء وفى الثالث عشر من شباط سنة ١٤٣١ اقيمت عليها الدعوى فاحضرت فى الديوان ست عشرة مرة والقيت عليها المسائل المعرقة ازايقة من كثير من القسيسين وفقهاء الشرع والاطباء وكانوا زهاد مئة

وبذلوا كل ما عندهم من الدهاء في ان يتصبوها بكلمة تدل على ان فعلها
الذي فعلته كان بقوة الشيطان فلم تنطق بشئ كما توقعوا ولبثت صابرة متجلدة
وهي تقول ان الله هو الذي قبضها لذلك حتى اخفت قضائها غير مرة
فسألوها عن الكنيسة فقالت اني مازلت مواظبة على العبادة فيها ولكني كنت
اطيع الاصوات حين كانت تأمرني بشئ مخالف لهما فحكم عليها اهل الديوان
بانها مبتدعة وصوب ذلك اهل مجلس الشورى والمدارس والاساقفة فلما صدر
الحكم بسجنها اخذ الرهبان يترددون عليها وينذرونها هول يومها ثم اخرجت
يوما وجعلوا يقبحون عليها فعلها وينشعرون على الملك فعند ذلك ثارت حينها
الى تبرئة الملك والمناضلة عنه فحكم عليها بالسجن المؤبد وان تقنات بالخبر
والماء فقط ثم حكم عليها ان لا تتردى بلباس الرجال وهدت باذنها اذا خالفت
ذلك يوجب عليها القصاص بالموت ثم كادوا لها مكيدة وهي انهم كانوا
ينزعون عنها ثيابها عند النوم ويضمون مكانها ثياب الرجال فكانت اذا رأتها
تلبث في الفراش الى ان تضطر الى القيام فليسها اذ لم يكن عندها شئ غيرها
وبينما هي كذلك ذات يوم اذ هجم عليها الحراس واستاقوها وهي في هذا
الزى الى الضابط فحكم عليها بانها حنت في عينها وانها جديرة بالاحراق
ثم اعيدت الى السجن فآثرت لله بذنب ضعفها وقسائها في ككونها لم تصرح
غاية التصريح بان قدرة الله هي التي ساقتها لعمل ارادته في اتقاذ فرنسا
فعاودتها الاصوات فامتلات عند ذلك شجاعة ورأت رؤى بزية الا انها حين
اخرجت ورأت ما اعد لها من العذاب المهول خارت قواها فسيتمت اليه
وهي ثنى وتواء ثم اضرمت النار وادخلت فيها فجعلت تدعو الى الله وتبتهل
حتى ان عدوها الكريمال بوفور لما شاعدها على هذه الحالة لم يطق
بعد ان ينظر اليها فقام عجلا هو ومن كان معه من الاساقفة والدموع
محمدة من ما قبحهم وكان احراقها في الثلاثين من شهر ايار من السنة المذكورة
في موضع يقال له لا بلاس دولا بوسل اى موضع البركو ودرى رماها في نهر السان
ثم بعد عشرين سنة قام مطران باريس ومطران رام فقتضا الحكم الذي جرى
عليها واثنيا برأيتها اه • قلت قد وجدت هذه القصة المحزنة في تاريخ بلاد
الانكايز فقلت اني اتمامها لفرأيتها ثم وجدت في كتاب آخر مروية بعبارات مخالفة

لما تقدم بعض الخلاف ولا غرو فانه لا يكاد راويان يتفقان على رواية واحدة او على رأى واحد وكيفما كان فان ما جرى على هذه القصة التي تفردت بهذه الزايا الحسنة يبقى معرة وخزيا على اسماء جميع الذين نسبوا في اهلاكلها سواء كانوا من الفرنسيين او الانكليز على ان موتها لم يفد الانكليز فائدة كبيرة لان اهل فرنسا اذا ذاك كانوا قد تنشطوا الى مغالبتهم ومقاواتهم بعد ان ذاقوا طعم الفوز والظفر وسرى فيهم روح الحمية للذب عن اوطانهم وبما ذكر تعلم ان الناس في ذلك العصر كانوا متسكعين في ظلام الجهل والوسواس فكانت الاساقفة واهل المدارس اقل كياسة من عامة هذا العصر • قلت ولولا نابوليون هذا العصر لم يبق للبابا كرسى برومية ولم يقف في وجه الروس واقف وذلك مستغن عن البيان ولم يقم احد في بلاد الافرنج ككلها من برع في اللغتين العربية والفارسية مثل البارون دساسي ولم تقم امرأة تؤلف الكتب النفيسة مثل مادام جورج ساند وليس الآن من شاعر في اوربا يقارب طبقة دولامرتين ولا من مؤلف ينظر باوجان سو اوبال كسندر دوماس فهذه بعض درارى جيل الفرنسيين الفاسدة والحاضرة التي يزغت في افق المعالي ولم يكن لها في عصرها ند ولا مثيل على انه لا ينكر ايضا ان قد نبغ من الانكليز وغيرهم كثير من الفلاسفة والحكماء والعلماء والادباء ممن اشرق بهم الزمان ولهج بحمدهم اللسان • ثم اقول ايضا انه قد ظهر لى على قدر ما ادركنه ان كثيرا من المصالح في باريس احسن استنبابا وانتظاما منها في لندرة اما ﴿ اولاً ﴾ فاني مكنت في هذه نحو ثلاثين شهرا ولم اسمع عن بيت فيها انه احترق الامرة فقط وفي لندرة لا تكاد النار تنحدر عن احراق دار اودكان او معمل ونحو ذلك ففي سنة ١٨٥٦ وقع فيها وفي ضواحيها ٩٥٧ حريقه منها ٣٩٣ حريقه كانت متلفة جدا وبلغ عدد الخرائق في فرنسا كلها في مدة ثلاث سنين وذلك من سنة ١٨٦٤ الى آخر سنة ١٨٥٦ ٢٢٢٠٣٨ نعم ان ديار باريس هي من الحجر وديار لندرة من الآجر غير ان اثامها من جوهر واحد ﴿ الثاني ﴾ انه لا يعرف في باريس تداول نقود زائفة او كواغد بنك مزورة وفي لندرة كثيرا ما يقع ذلك واذا دفعت الى تاجر فيها قطعة من الفضة او الذهب فلا بد وان يختبرها ﴿ الثالث ﴾ ان ارتكاب القتل في باريس بالنسبة الى لندرة نادر جدا لاسيما الآن

حيث اجازت دولة انكلترة للعلماء والمنفيين ان يرجعوا الى بلادهم بعد انقضاء
 مدتهم ﴿ الرابع ﴾ ثقب الديار والحوانث والطير والاختلاس من الديار
 والمحترقات والدواوين ولا سيما البوسطة فهو على نسبة القتل ﴿ الخامس ﴾
 العوارض التي تحدث للمسافرين في الارتال فانها في بلاد الانكلترة كثيرة والحق
 بها ايضا العوارض التي تقع في طرق المدينة بمرور الحوافل والعواجل وسائر انواع
 المراكب ﴿ السادس ﴾ المضار التي تحدث من بيع السم والسبت والمأكولات النتنة
 والمشروبات السكرية فانها في لندرة بليدة من بلايا الله والحق بذلك رخصة
 العطارين والصنادلة في بيع الادوية من دون وصف الطيب وبيع المغايب لاي
 ما كان وفي باريس يجب على المحتسبين ان يسعروا الاصناف ويختبروا الحليب
 والجر والدقيق واللحم والسمك وما اشبه ذلك على حين غفلة من الباعة فاذا
 وجدوها مفسوشة او فاسدة غرموهم وشهروهم في صحف الاخبار ولا يباح
 ايضا بيع الفسكهة فجأة وذلك كله في لندرة موكول الى ارادة الباعة فلا تكاد
 تجد شيئا خالصا حتى ان الجناسزة في باريس مسعرة من الديوان فاقفها خمسة
 فرنكات واغلاها ٣٣٦٨ كذا في غالنياني ﴿ السابع ﴾ تولية المراتب من
 يستحقها فان دولة فرنسا لا تولي جاهلا مرتبة الا ما ندر فاما عند الانكلترة فتولية
 المراتب اما تكون بالحاجة والاختصاص او بتعريضها للبيع وهذا الاخير
 مستفيض في مراتب العساكر البرية وما زال الناس يمتنون انفسهم باصلاح هذا
 الخلل وما برح كتاب الاخبار ينددون به وينصحون ارباب الامر والنهي بتلافيه
 ﴿ الثامن ﴾ ترتيب الشرطة حيث يزدهم الناس كاللاهى والمراقص ومواقف
 سكة الحديد فان أكثر هذه الاماكن في لندرة لا يكون فيها شرطى او يكون وراء
 الباب فتزى الناس يضغط بعضهم بعضا عند دخولهم الملهى وغير مرة رأيت
 نساء ينشئ عليهن في الزحام وغير مرة يموت عدة اولاد ومنهم من يستهزئ ومنهم
 من يضحك وفي داخل الملهى ترى الاوباش يصفرون ويزيطون ولا وازع يردهم
 فما في باريس فلا تخلو مكان من احد هؤلاء الشرطة وترى الناس في الملاهى
 ساكتين منصفين فكأنما هم في الكنيسة ومع ذلك فان الانكلترة يقفرون بقولهم
 ان جون بول لا حاجة له بالشرطة لانه مطبوع على الترتيب وهبات فان اوباشهم
 ارذل خلق الله ﴿ التاسع ﴾ تعهد ديوان المدينة بما فيه حفظ الصحة وبسط النفس
 وراحة

وراحة العباد فيدخل في ذلك ترتيب المستشفيات فهي في باريس احسن وانظف
والمقابر فهي هناك لا تكون الا خارج البلد وفي لندرة كانوا يدفنون الموتى
في ساحات الكنائس ولم تبطل هذه العادة الا منذ ثلاث سنين فقط ثم المناصع
وهي المواضع التي يتخلى فيها الانسان للبول او لقضاء الحاجة فالاولى في لندرة
قليلة جدا على رداءتها والثانية معنومة رأسا ثم تنظيف العرق فان طرق لندرة
عند وقوع الامطار تكون لكثرة المارين وحلة للغاية وليس من يرى في ذلك
مشقة ولا شيئا ثم وجود مقاعد يستراح عليها في باريس كلما اعياها الماشي وجد
دكة او مصطبة يجلس عليها وفي لندرة لا يمكن للانسان ان يقعد الا في بيته او في
محل قهوة وبئس ذلك مقعدا ثم التطرب بالآلات الموسيقى في باريس تضرب
العساكر بهذه الآلات في عدة مواضع وخصوصا في الآحاد والاعياد وفي لندرة
لا شيء من ذلك وقد عزف بها بعض ايام في احدى الفياض المنتابتة فابطلها رئيس
المطارنة بدعوى انها منافضة لنص الانجيل ﴿ العاشر ﴾ وجود دكاكين
في باريس في اى موضع كان سواء كانت للاكل او الشرب او غير ذلك وفي لندرة
جميع الحارات التي يسكنها الكبراء والاغنياء خالية من الدكاكين فانهم يرسلون
خدمتهم الى الاسواق ليشترؤا منها ما يلزم او تأتئهم المؤنة مرتبة من عند اصحاب
الدكاكين ﴿ الحادى عشر ﴾ انتظر في امر المومسات فافهن في باريس يتمجن
في كل اسبوعين فاذا رأى الطبيب احداهن مريضة بالداء المعروف ارسلها الى
المستشفى لتداوى هناك فلا تخرج منه الا بعد ان تشفى فاما في لندرة فقد تطوف
المومسة والداء افسد آرايها واحشاءها فيمكن انها في ليلة واحدة تعدى جمعا
ولا جرم انه حيث كانت هذه المفسدة في المدن الجامعة مما لا يستغنى عنه وكانت
هؤلاء المهالكات على الدينار وقاية لعرض الحرائر كان النظر في احوالهن
يعد من المصالح ولا سيما اذا اتبع لهن التطواف اثناء الليل واطراف النهار كما
هو الواقع في لندرة اما في باريس فلا يباح لهن التطواف في الليل بعد الساعة
العاشرة ﴿ الثانى عشر ﴾ اباحة استعارة الكتب من المكتبات الملكية في باريس
فان المعروفين عند ناظر المكتبة يمكن لهم ان يستعبروا كتابا ليطالعوه في بيوتهم
ويستفيدوا منه وفي لندرة لا يباح ذلك ﴿ الثالث عشر ﴾ سهولة تحصيل العلم
والصنائع اما الاول فلكثرة المدارس وحسن ترتيبها ورخصها بالنسبة الى غيرها

حتى ان الانكليز يبعثون اولادهم الى باريس ليتعلموا فيها ما يعسر عليهم تحصيله في بلادهم واما الثاني فلائن الاب اذا شاء ان يعلم ابنه حرفة هنا اتفق مع احد الصناع على ان يبقية عنده ثلاث سنين ففي اول سنة يعطيه شيئا في مقابلة التعليم وفي الثانية يكون شغل الولد مقابلا لتعليمه وفي الثالثة يتدنى ان يكسب شيئا وفي لندرة يلزم التعلم ان يبقى عند معلمه سبع سنين ومصره فيه في خلال ذلك ثقيل على والده ﴿ الرابع عشر ﴾ الحياطة الجنسية فقد اسلفت لك ان حياطة الانكليز لا تفيد الا لثراء الاملاك وهناك امور اخر غير هذه تراها في باريس على احسن انتظام وذلك ككيفية تبليغ البريد الرسائل وكيفية ايقاد الغاز وتسعير المأكول والمشروب وترتيب الجمالين مما هو في لندرة مغفل او مضيع • قال بعض الفضلاء الحاكم في فرنسا هو خصم المذهب فلا يصح للمفترى عليه ان يصغح عن المفترى وعند الانكليز يلزم المصروف او يطلق الجاني وعلى كل نوع من الذنب قصاص وعند الانكليز يغرم من دون قصاص وكل بلد هناك له صندوق يتفق منه وآخر للايراد وله ديوان مكس على المأكول خاصة فلا تتكلف السكان بشئ وفي لندرة يجب على السكان اصلاح الطرق وتجهيز الماء والنور وغير ذلك وفي فرنسا معاش القسيسين والقيام بمصاريف الكنائس مرتب من خزنة الدولة وهنا موكول الى الرعية وهناك ديوان للتجارة وآخر للجرار وآخر لاحوال متنوعة وهنا ديوان واحد وهناك طبع التجار مائل الى المناقشة والزراع على اشياء لا طائل تحتها وهنا جل التجار متكبرون شيئهم الضبط والرشد وهناك ترى الفقراء اعداء الاغنياء وهناك باونهم ويكرمونهم وهناك التوانين والاحكام اقوم واعدل الا ان الذين يباشرونها ويجرونها هنا اصلم وافضل وهناك تقضى الناس سائر اوقاتهم خارج منازلهم وهنا بعكس ذلك وهناك يطعم التاجر الكبير في ربح كثير لقله تجارته وهنا يجترئ بالقليل من الكسب لكثرة تجارته وهناك تخلف الاكابر بالاصغر وهنا كل ينجاز الى شكله ونده وهناك تفخر الشبان بالفجور وهنا يأتونه اضطرابا وفي هذا القدر كافية • قلت وهنا يحق لي ان اقول في الانكليز والفرنسيس ما قاله الامدى في ابي تمام والبحترى وهو ان الجيد من الانكليز خير من الجيد من الفرنسيين والردى من هؤلاء خير من الردى من اولئك ومآل الكلام ان عامة الفرنسيين افضل وان خاصة الانكليز

الانكليز اجل وامثل • واعلم ان الفتن والمعاص التي وقعت في فرنسا ولا سيما فتن سنة ١٧٩٣ قد غيرت كثيرا من اخلاق هذا الجيل فما يقال عنهم من البشاشة والانس والاحتفاء بالغريب فليس على اطلاقه كذلك سمعته منهم ثم هم ابش من الانكليز هذا ولما كنت ذات يوم مقفرا في وحشة القرية ومقاساة تعلم اللغة بعد ان ولي عني نشاط الشباب والاهلية الى الاحتكاك اذا بالخوري غبرائيل جباره دخل علي وفي طلعته من البشر والطلاقة ما يترجم عما انطوى عليه من حسن الاخلاق فان الخلق كثيرا ما يدل على الخلق ثم بعد ان دارت بيننا كؤوس المناقشة قال لي اتى اودان اذهب الى انكلترا فهل لك ان تكون لي رفيقا فاني اجهل لغة القوم واحوالهم والآن يذهب الناس اليها من جميع الاقطار لمشاهدة معرض التحف بلندرة وهو المسمى عند الفرنسيين اكسبوزييون فاجبته الى ذلك وسافرنا من باريس الى كالي وذلك في تاسع شهر جون ومنها الى دوفر ودوفر هذه اول ما نزل فيها بولوس قبصر حين غزا بريطانيا وذلك في سنة ٢٦ قبل الميلاد وفيها قلعة قيل انها من بناء ومدفع يعرف بداغري جيب الملكة اليصابات اهدته اليها دولة هولاند وهومدفع عظيم من نحاس طوله اربع وعشرون قدما ويوشد طلب منا ابراز الجواز وذلك لكثرة الذين كانوا يردون الى بلاد الانكليز ثم سرنا الى لندرة فوجدت اجرة المساكن وثمان المأكول والمشروب على ضعف ما كنت اعهده وثاني يوم وصولنا وقع من المطر والبرد ما لا يقع في الشتاء حتى زعمنا انزالة من طول المدى خرفت ثم توجهنا الى معرض التحف وكان سبب انشاءه ان الفرنسيين كانوا عقدوا مجلسا في باريس لاجل عرض بدائع الصنائع ثم تكرر ذلك مرارا حتى اغرى الانكليز بمحاكاتهم في انشاء موضع تجلب فيه التحف والفرائب من جميع البلاد وذلك في سنة ١٨٥١ وكان قد استقر الرأي اولا على ان ينوه من الآجر ولكن لما كان مقصودهم به انما هو الى مدة قصيرة ارتأوا ان ينوه من الزجاج فحسبوا ان نفقته تبلغ سبعين الف ليرة اذا كان ينقل ويتفع به والا فتهو ١٥٠٠٠ فبرع في العطاء لانشاءه اكثر من ١٠٠٠٠ من الانكليز بدى به في جولاي سنة ١٨٥٠ وقبح في اول ماي سنة ٥١ وجعل طوله ١٨٥١ قدما على مقدار عدد السنين وعرضه ٤٠٨ اقدام وفي اول شهر ماي

دخلته الماكسة وزوجها وقد جعل نصفه لبضائع بلاد الانكليز وارلاند
وسكوتلاند والنصف الثاني لسائر الدول وكان يعطى لكل وكيل دولة موضع
وهم يعنون بوضع الاصونة والمخادع لصون بضائعهم وتحفهم واذا اشترى
احد شيئا منها لم يكن يخرج الا بعد انقضاء المدة وكان في بنائه من الحديد
٤٠٠٠ طن و ١٧ من الزجاج في سقفه ما عدا ١٥٠٠ طاقفة وبعد انقضاء
مدته بيع بسبعين الف ليرة ونقل الى سدنام وجع لتنظيمه وتركه هناك ٥٠٠٠٠ ر
ليرة ثم زادت حتى بلغت ١٠٠٠٠ ر ١٠٠٠ ر وكان يشتغل به من العملة نحو ٤٠٠ ر
وكان احقر موضع فيه الموضع الذي نضد فيه ما بعث من اقطار مصر
وسبب ذلك فيما بلغني ان البرنس البرت لما ارسل كتبنا الى جميع الدول يخبرهم
بهذا المقصد وطلب اليهم ان يرسلوا من بدائع صنائع بلادهم ترجت لخديوم مصر
لفظة الصنائع بالارض اذ كانت صورة الخط فيها متقاربة تقاربها في النطق فان
مرادف الصنائع في الانكليزية ارنس ومرادف الارض ارنث فلذلك لم يبعث
من مصر الا القطاني وبعض اشياء اخرى لا طائل تحتها وقد رأيت في هذا
المعرض حلي الملكة من جملتها ثلاثة ججارة من الالاس قدر الكبير منها نحو الحوزة
تبلغ قيمته فيما قيل ٣٠٠٠٠ ر ٣٠٠٠ ر وكان فيه ايضا صوان الحلي ملكة اسبانيا
ومحف اخرى بديعة لم ير مثلها قط من جملتها فرول قيصر الروس قيمته ٣٠٠ ر
ليرة ومرآة لم يصنع اكبر منها في العالم باسره واول من صنع المرآة كما هي الآن
اهل فينيسيا وذلك في سنة ١٣٠٠ وكانت تصنع قبل ذلك من النحاس ولم تعرف
في انكلترة الا في سنة ١٦٧٣ فانتشر الى التمدن كيف يفعل والى الايام كيف
يداولها الله بين الناس وكان فيه آلة تصنع ٢٨٠٠ مغلف للكتب مصممة مطوية
في ساعة واحدة وآلة تصف حروف الطبع بنفسها ونحو ١٧٠ نوعا من التوراة
والانجيل وكان يجتمع في هذا المحل كل يوم نحو ٦٠٠٠٠ يودى كل شلينا وكان
يوما الجمعة والسبت مخصصين بالكبراء والاعيان ويقال ان الملكة دخلته يوما
فاجبها ثوب مزركش في محل البضائع التركية فسألت فيه عن ثمنه فقال
٢٠ ليرة فقالت هذا غال جدا ويقال ايضا ان الفرنسيين احرزوا قصب السبق
في كذا وكذا نوعا من الصنائع والمشهور عند الناس عموما ان الانكليز
في الاعمال القليلة امهر منهم والله اعلم وغاية ما اقول ان كل ما يصنعه
الفرنسيين

الفرنسيس يظهر عليه الرشاقة والشق والطلاوة وما يصنعه الانكليز
 يكون جزلا متينا حتى ان هؤلاء في تصويرهم السخري يصورون الفرنسيين
 نحافا ضعافا واولئك يصورونهم ضخاما جساما فاما صنعة الطبع فلا شك انها
 عند الانكليز اتم واحسن وهم يقولون ان الاختراع من شان الفرنسيين
 لكن الاتقان والاحكام من شاننا ومن الديار العظيمة التي فتحتم للفرجين اوان
 المعرض داردوق نرتمبلاند وهي دار عظيمة البناء والفرش والاثاث فيها تصاوير
 نفيسة وتحف غريبة حتى ان اطار مواقدھا كانت من فضة بدل الحديد ثم
 ان هذا المعرض لم يقد الانكليز فائدة ماں القرباء فقط بل افاد ايضا اهل
 القضاة منهم حسن العاشرة والمجاملة نوعا ما فانهم كانوا قبل ذلك على غاية
 النفور من لحى القرباء وشواربهم ثم سرت الى حديقة فكس هال المشهورة
 ورأيت المنطاد وهو المعروف باسم البالون وهو قبة في كبر الخيمة على شكل
 الاجاصة يصنع من الحرير المدهن ببعض الادھان ويملأ داخله غازا وذلك بان
 يحمّلوا باسفله قربة من جلد متصلة بالوبة من حديد يدخل فيها الغاز من موضعه
 ويحمّلون له مثل الشبكة شاملة له وبها ينوطون اكياسا ثقيلة فكلما امتلأ جانب منه
 من الغاز خفضوا الاكياس حتى يرتفع حتى يرفع حتى يزواله من اسفل وربطوا
 به بحورناووس من خشب او غيره ليقعد عليه من يتولى امره ومن شاء ان يسافر
 معه ثم يزيجون الاكياس ويطلقونه فيندفع صعودا ومديره تحته وربما اقتضى
 ملثته عدة ساعات فاذا اراد مديره ان يخفضه اداره بحبلين متصلين به هما كالعتان
 له فيزله حيث شاء اللهم اذا كانت الريح عاصفة تغلبه فربما القته على محل غير
 مقصود الا انهم لا يصعدونه غالبا الا في يوم ذي سكون وما يقال من ان الناس
 يصعدون او يسافرون في البالون فليس المراد بذلك انهم يدخلونه فان داخله
 ملآن من الغاز اذا الم به نور او نار تميز كل فاحرق ما حوله وانما المراد انهم
 يقعدون تحته وربما اخذوا معهم حصانا ونحوه وقد رأيت منطادا آخر انبسط
 تحته امرأتان وكان رأس احداهما تحت قدمي الاخرى وقبيل انبساطهما على
 هذه الحالة حجبوهما عن اعين الناظرين بنحو خيمة ثم لم تشر الا وهما في الجو
 تشيران بالناديل وقد ظهر في باريس من ادعى بانه يقدر ان يصنع منطادا من
 الخشب على شكل سفينة ليكون اوعب للناس واسلم عاقبة وبعد ان قصدي

لذلك وركب الالواح لم تأذن له الدولة في ان يجرى ذلك فعلا بالقرب من باريس مخافة ان تقع السفينة على الناس فتعطيهم وحيث لم يكن غاز الا فيما ولها حبط على وقد رأيت هذه السفينة وظهر لي ولغيري عدم امكان اصعادها بالغاز لطولها وضخامتها غير ان منشأها كان ذا لسان ذلق فكان يوجه على السامعين احتمال ذلك واظن ان ما خسره في صنعها ربحه من المتفرجين * واصل انشاء المتطاد كان في فرنسا سنة ١٧٨٣ وكان الناس قد ذكروا من قبل ذلك شيئا يشبهه ولكن هذا اول ما عرف وفي سنة ١٧٨٥ صعد فيه رجلان على ان يسافرا من بولون الى انكلترا فاحترق فهلكا ومن هذه الادوات ما يصعد في الجو مسافة ٢٣٠٠٠ قدم ومنها ما يدوم في الهواء ثمانى عشرة ساعة واول من صنع المتطاد في انكلترا السيور لوناردى وذلك في سنة ١٧٨٤ وكانت مادام بواتيخان تصعد تارة وهى قاعدة على ثور على مشال اوربا وتارة على جواد فكره بعض الناس منها ذلك لكونه من عالم الحيوان وهو ممنوع فكفت عنه فاما كيفية ادخال الغاز في ابوبة المتطاد وكذا في الانابيب التى توصل الانوار في المدن فهو ان يوقد الفحم في موقد مخصوص ويجعل فيه قصب من حديد متصل بالديار والدكاكين فينحصر روح الفحم في تلك الانابيب فاذا اذيت نارا من رأسها اشتعلت وبقيت كذلك الا ان تطفئها ونورها اشد سطوعا من نور الزيت والنقط والشمع وليس له دخان لكثرة قوى مضرب العين وقد ارى ان غاز باريس اشد صفاء وبياضا من غاز لندرة ويمكن ان يكون ذلك لصفاء جو تلك وسبب اني الكلام على الغاز ومخترعه وفوائده في وصف لندرة ان شاء الله تعالى ثم خطر ببالى ان اطالب من وزير الامور الداخلية بلندرة حياجة جنسية لكونى افت في مالطة عدة سنين وفي بلاد الانكليز بضمها فكتبت اليه عرضا فجاء الجواب مؤذنان اكل ذلك الى فقيه من فقهاء الشرع اذ لا يصح معاطاة امر من الامور الشرعية الا بهم كما انه لا يصح معاطاة مصلحة كبيرة من المصالح التجرية الا بواسطة السماسرة وكان مما لزمنى مباشرته في ذلك ان اخرج للفقير اربع شهادات بمن لهم بيوت وملاك من الانكليز تؤذن بحصة ما اقول ففعلت * واعلم ان الحصول على نوع هذه الحماية لا يتوقف عند الانكليز على عدد سنين يلبثها الغريب في بلادهم وانما هى مئة من قبل منحولها ولو ان انسا نابث في بلادهم عشرين سنة

سنة ولم يكن حسن التصرف والسيرة لم يستحقها وجل نفعها إنما هو تأهيل صاحبها لان يشتري املاكا كالدار والعقار والسفينة وما أشبه ذلك وعليه ان يحلف ان يتخذ دارهم وطنا له فإذا استوطن غيرها فلا ينصل المقيم هناك ان ينكره أما حاية فرنسا الجنسية فتوقف على عشر سنين ولكنها تكون بعد ذلك حاية ووقاية لصاحبها في كل مكان وزمان والتك في انكثرة على اربعة آواع الاول ان يكون شبيها بالاجارة الى مدة معلومة من السنين الثاني ان يكون الى ٩٩ سنة الثالث الى ٩٩ سنة الرابع الى الابد والثاني هو الاشهر وهذه ترجمة الحاية • اني اشهد ان فلانا المقيم الآن في طريق كذا في خط كذا الكائن في اقليم كذا في اعمال برتانيا الكبرى من حيث انه عازم على استيطانها عرض عرضا لي اما سر جوزج كرى يارونت احد رؤساء كتاب الدولة مخمونه انه من بلد كذا ومن رعية الدولة الفلانية وله زوجة واولاد وحرفته كذا وان في عزمه ان يبقى ساكنا في هذه المملكة والتس منى حالة كوني كاتب الدولة هذه الشهانة المذكورة وحيث اني بحثت عن حقيقة الحال واتى من البينة ما اعتدته ضروريا لاثبات صدق ما اودع في ذلك العرض فالآن بموجب الامر الذي فوض الي حالة كوني كاتب الدولة في الحكم الفلاني اعطى فلانا المذكور عند اجراء اليمين المذكورة في ذلك الحكم جميع الحقوق والاهلية الخاصة بمن يكون مولودا من اهل بريطانيا ماعدا اهلية ان يكون عضوا من مجلس اهل الديوان الخاص او عضوا من اعضاء مجلس المشورة وما عدا الحقوق والاهلية المختصة بمن يكون مولودا بالطبع من اهل بريطانيا خارج الممالك المنسوبة الى التاج البريطاني وما يليها • فقد علمت ان اعطاء هذه الحماية لم يتوقف على سني الاقامة وانما هي لتواله كالوسيلة ثم اني لما رأيت ان الفقيه لا يقدر على اخراجها الا بعد مدة وزممني العود الى باريس طلبت منه انه اذا حان انجاز هذه الطلبة يعلم بها كاتب الجمعية ورجوت من هذا ان يبحث بهما الى في باريس وسافرت وبعد ايام ورد خبر بقبول ملتقى ولزوم حضوري لاجراء اليمين فسافرت الى مدينة هافر قبلتها بعد نحو سبع ساعات ومنها الى سوث امبطون وكانت ليلة مشومة فقد ثار علينا النوء حتى كانت السفينة تنقلب في البحر كالسمكة مع ان الوقت كان في صميم الحر وكان من همى قبل كل شيء اجراء اليمين وهذه ترجمتها

* انا فلان اعد واقسم صادقا بانى اكون امينا ومخلصا لخدمة الملكة
فكطوريا واحلى عنها بغاية جهدى وطاقتى ضد جيع من يتحالف عليها
او بهم بسوء عليها سواء كان على شخصها او تاجها او شرفها وابذل غاية
جهدى فى ان اكشف لساداتها ولورثتها ولزعمائها جميع الخيانات والخائنين
والمثغابين عليها او عليهم واعد بامانة انى ابذل غاية استطاعتى فى ان
احفظ واسند واجير خلافة التاج المعبر عنه فى الاحكام بحكم كذا الخ
ثم عدت الى باريس واتفق حينئذ ان تولى الملك الاكسى ضبط الامور السياسية
وهو يومئذ رئيس مجلس الشورى وقهر مناوئة وحاسده فاشار على بعض
معارفى ان امتدحه بقصيدة فانه ذو الملم بالعربية وله اطلاع على لغات كثيرة
فقطعت له هذه القصيدة الآتية وهى

* من شان اهل الهوى ان يفرطوا الغزلا * قبل المديح والا غازلوا الطللا *
* اما النسيب فلا حسناء تشغلنى * اذ قلب ذى الحسن عن حسن الوفاء خلا *
* لكن انا ناسب وجدا بطيف كرى * ما كنت اعرفه من قبل ان وصلا *
* اتى على غرة والليل معتكر * من صيغ همى وما جئى له نصلا *
* وهمته غادة جاءت تغرقنى * فحين صحت به مستنكرا جفلا *
* ان لم اتم لم يزر ايضا وان هو لم * يزر فما ناظرى بالغمض مكثلا *
* يا حسنة زائرا ما شانك صلف * ولا يرى شاننا كالحود او شكلا *
* عف نزيه خفيف الهمس يبعده * وكم جيل به خال قد اشتقلا *
* حلوا الشمائل لا طرفا يمل ولا * عتبا يدل ولا مستهزبا بدلا *
* لا يزدهيه ريش حين ترمقه * كأنما هو طاووس به رفلا *
* ولا يروح بسر اذ يسين ولا * يكون امعة مع كل من بدلا *
* رقت محاسنه حتى استرق بها * قلبى وقد جعل التذكارلى شغلا *
* دعنى وشانى فا ذو الجد تشغله * شكوى الهوى اتها شغل لمن هزلا *
* من رام مأثرة فليمدحن رجلا * بين الرجال براه وحده الرجال *
* لويس نابوليون الراق منزلة * فى الملك ما ان يرى الراى لها مثلا *
* من ذا الذى ليس بشئ فى الانام على * من فى المكارم والمجد السنى علا *
* وايت شعري هل فى الكون من لغة * تحوى كلاما يوفى حق ما فعلا *
لولا

* لولاه بائت فرنسا في معامع لا * تكاد تطفئها حرب ونحو طلى *
 * لما تفرقت الآراء واحتدمت * نار الترائى وظن الخطب قد عضلا *
 * تدارك الامر لا عيبا ولا فشلا * ومن بالعفو لا عجزا ولا ملاملا *
 * وبات بالملك والتدبير مشغولا * وبات حاسده بالياس مشتعلا *
 * حق على الناس ان يدعوا له ابدا * فان معروفه كلا لقد شملا *
 * وكيف لا وفرسا دولها سبب * يديل في غيرها الاملاك والدولا *
 * فكان تدبيره للارض قاطبة * امانا وهذا الذي كل الورى املا *
 * وحرمة الدين لولاعزمه انتهكت * وعرضه صار بعد الصون مبتذلا *
 * فصال من تمسك الدنيا بساعده * والدين خيفة ان يستتبلا زللا *
 * يرى من الامر حزما في اوائله * ما غيره عنه في صيوره وهلا *
 * فما قضى قط الا وهو ذوقته * ولا نوى خطة الا وقد فصلا *
 * ولا تخلل وعد توأى عدة * له وانجازها بل قلا سثلا *
 * فانما هو يولى العرف مبتدرا * والعفو مقتدرا والمن مرتجلا *
 * فما انا قائل ما قلل بعضهم * يرتاح عند سؤال المجتنبى مثلا *
 * فان ذى شيمة فيه ملازمة * له وما احد عن دأبه انتقلا *
 * من بشر طلعته بشرى لناظره * ومن تفوهه توكيدها حصلا *
 * تلقاه ديسما والحرب دائرة * وناقلا وسواه لا عين بلا *
 * يزبن باريس مرآه وهمته * حتى ترى للملوك العصر ذا نزلا *
 * وكل ايامها تفتدو مواسم اذ * لم يبق حسن بها الا وقد كلا *
 * ما لاح من باعث فيه لها دعة * الا وبانده من يومه عجزلا *
 * له الولاية حتما لا عدال بهذا * فان خير ملوك الارض من عدلا *
 * لئن مضى عنه ذلك الهمام فقد * ظلمت معاليه في جيد الزمان حلى *
 * اكرم بفرع زكا عن دوحه بسقت * كل الى ظلمها الممدود قد وألا *
 * لله يوم به مادت عساكره * من حوله كجبال تبت الاسلا *
 * كأنه البدر قد حفت كواكبه * به وما من سها من بينهم ضؤلا *
 * قد كاد يذهب بالابصار لمع سنا * سلاحهم بيد التأيد قد صفلا *
 * ما ان ترى فيهم عينك اذ برزوا * الافنى فارسا اوراجلا بطلا *

* نالوا من الشرف الاوفى بطاعته * ما لم يذر احدا عن اثره عطلا *
 * ولو خلوا عن سمات فاسمه لهم * مفن فما احد اجلاله جهلا *
 * في رأيه النسر لكن فوق موقعه * من السما رأيه المربي على زحلا *
 * قد كان في دارة المريح حشدهم * لكن لسل فكل راح ممثلا *
 * فكنت تسمع من ضرب الطبول ومن * رعد المدافع ليلا صاهلا زجلا *
 * وزهر نار من البارود قد طلعت * في ليلة ذات دجن نجمها افلا *
 * يرى المجوسى فيها حجة وهدى * على السجود لها اتى نوى جدلا *
 * زانت زهورا يجعل اسم الامير بها * كأن جثمانه فيه قد اتصلا *
 * وعاد والخلق قد طابت خواطرهم * وبالدعاء له كل قد ابتهلا *
 * والسعد يقدمه والعز يقدمه * والله يصممه ماسار او قفلا *
 * فليأتين كل ذى ملك بهتته * ومن ونى حيدا فليبعثن رسلا *
 * وليعلم الناس ان ما خاله جللا * سواء كان عليه هينا جللا *
 * كن يا امير العالى كيف شئت فن * يقصد رضى الله لم يحبط له عملا *
 * ومن تحرى سبيل الرشدا فاز ومن * اطاع داعى الهوى لم يدرك الاملا *
 * هذى الممالك والاملاك غابطة * هذى التواريخ يدبرها الذى عتلا *
 * فافند شوارد احوال برمتها * ورض صعب امور تلقها ذلا *
 وقد يسر الله لى نظم هذه القصيدة فى يوم واحد الا انه بقيت الصموية فى تقديمها
 لاعتاب الممدوح حيث لم تبحر العادة عند ملوك الافرنج بان يقرؤوا قصائد مدح
 فيهم ولا غيرها ايضا مما يخاطبون به وانما يقرأ ذلك كله كتاب اسرارهم وهم
 يحاوون عنها المخاطب بحسبما يرونه صوابا وفى الجملة فان نظم القصائد سواء
 بالعربية او غيرها اسهل من تقديمها للممدوح من ملوك الافرنج وقد كنت مدحت
 ملكة الانكليز بقصيدة وقعتها لضابط البلد وهو وكل بها زوجها تهديها الى بعض
 القائمت بخمعتها وترجتها ايضا الى لغتهم والى الآن لم يأتني عنها جواب ولا
 اعلم هل وصلت او لا وكل من تعلم لغات الافرنج من علىة الترك واشراقهم سلك
 هذه الطريقة فأتى كنت نظمت قصيدة فى و . باشا سفير الدولة العلية فى
 باريس واخرى فى ن . باشا واخرى فى آخر ولم تنجح احداها سلبا ولا ايجابا بل
 ضاعت .

ضاعت الاوليان واضاعا على كراسين من ديواني ذهبت كل منهما بالكراس الذي اشتهل عليه ولم يكن مقصودى بهذا المدح سوى نهم الشعراء العديبة الى تحمير دواوينهم بقولهم وقال يمدح الملك وقال يمدح الامير ثم انه لاشئ افطع عند الافرنج من ان يروا في قصائد المدح تغزلا بامرأة ووصفها بكونها رفيعة الخصر ثقيلة الكفل فجلاء العينين سوداء الفرع وما اشبه ذلك فشرهم كلهم خصى واقطع منه التشب بعلام واقبح من هذا وذلك نسبة شئ من صفات المؤنث الى المذكور كقول الشاعر كأن نسياء حقان فانهم اول ما يتدثون المدح بوجهونه الى مخاطب ويجعلونه ضربا من التاريخ فيذكرون فيه مساعي الممدوح ومقاصده وفضله على من تقدمه من الملوك بتعديد اسمائهم ولما ترجم موسيو دوكان قصيدتي التي مدحت بها المرحوم احمد باشا والى تونس وادبعها مع الترجمة كان بعضهم يسألني هل اسم الباشا سعاد وذلك لقول في مطلعها زارت سعاد وثوب الليل مسدول فكنت اقول لا بل هو اسم امرأة فيقول السائل وما مدخل المرأة بينك وبين الباشا وهو في الحقيقة اسلوب غريب للعرب قال العلامة الدسوقي اعلم انه قد جرت عادة الشعراء انهم اذا ارادوا مدح انسان ان يذكروا قبله الغزل لاجل تهيج القريحة وتحريك النفس للشعر والمبالغة في الوصف وترويح النفس ورياضتها اه قلت كما ان الافرنج يكررون علينا هذه العادة كذلك يكررون المبالغة في وصف الممدوح واما تشبيهه بالبحر والسمك والاسد والطود والبدر والسيف فذلك عندهم من التشبيه المبذل ولا يعرضون له بالكرم وبان عطاياه تصل الى البعيد فضلا عن التريب فهم اذا مدحوا ملوكهم فاما يمدحونهم للناس لا لان يصل مدحهم اليهم ومع على بهذه الحال لم يكن مقاومة نزغة النهم العربية الى تقديم القصيدة المذكورة ولا سيما لما سمعت بان الممدوح يعرف لنفسه فاجتمعت بالفاضل اللبيب والصديق الاديب الخواجا روفائيل كولا وطالعة في ذلك فقال انا اعرف وسيلة لتقديمها ولكن ينبغي ان نترجمها الى اللغة الفرنسية فان معانيها لا تضع بالترجمة اذ هي منسوفة على نسيهم لولا الغزل بالطيف لكنه شئ عديم ولا سيما انك اشرت في مطلع القصيدة الى انكار الغزل قبل المديح فن ثم ترجمناها وادملعنا عليها احد ادبائهم فقال بل الاولى ان ترسلوها غير مترجمة فان الملك

عنده مترجون يترجونها له قدمت كما هي وبعد أيام لم نشر الا والبريد بطرق الباب واذا بيده رسالة من كاتب الملك باسم الخواجا المذكور وباسمى مضمونها ان القصيدة بلغت جنباه العالى وحسن موقعها لديه وانه يشكرنا على ذلك شكرا جزيلاً ثم انه فى خلال هذه الاوقات استقل الملك المشار اليه بولاية الملك واقب الامپراطور فترغى نازغ آخر من وقال يمدح الامير الى ان اهنته بقصيدة واقدمها على يد رئيس تراجم بابه الكونت دكرانج الذى مر ذكره فلما فرغت منها وقرأها عليه قال ليس من هذه الصفات التى نسبتها الى الملك ما هو مختص به وحده فانه يصلح ان يخاطب به اى ملك كان وهى مع ذلك عويصة لا يمكن ترجمتها ولو قدمت كما هى لما استحسن منها غير الخط والشكل فقط فلماذا اضريت عن تقديمها وشكرته على نصحه ولكنى لا اضرب عن قيدا هنا حتى ينتفخ بها بطن هذا الكتاب وهى هذه

- * اللويس ناپوليون حق السؤدد * والملك اذهو فى العالى اوجد *
- * فلقد قدم الاملاك داعية له * بالتهنئات وشانه فليحمدوا *
- * بشرى لىذى ملك يزور نديه * ولئن ينبأ عدله فيقلد *
- * ولئن يسابعه وبشرى نفسه * بولائه فخرآء مسديد يد *
- * فطر الزمان بسعيه ابطاءه * من قبل فاستحيا فاقبل يحفد *
- * فخلا لنا فى ظرف عام منه ما * لم يجعله للناس دهر سرمد *
- * امن الورى فى ظله وتعموا * والى الترفه والتترف اخلدوا *
- * حتى خشوا ان البلاهة من دوا * عيها بلهية وعيش ارغد *
- * يتعبد العافون امنا وهو من * شفق على اغفائهم يتعبد *
- * اصحى لهم من بعد انواء العنا * عيش بطالع سعده لا يجهد *
- * تنسى التواكل حزنهن فعاله * فهى التى ما بينهن تعدد *
- * ضبط الامور بحزمه واقتدها * فيما جانا اليوم ياأينا غد *
- * قيد الاوابد رأيه ما حادث * عنه يند ولا قديم يشرد *
- * وضججه الفكر النير يريه ان * اصحى فيهض للامور يفرد *
- * ما بعد ان ظهرت مكارمه يري * احد يلوم لفائت او ينكد *

- * عن حمله تروى الشهود لغائب * وبفضله كل البرية تشهد *
- * هذى المآثر فاهتدوا بثمارها * يا أيها الثلاثان ثم به اقتدوا *
- * هذى الفاخر فأثنا بجمالها * يا من مديح ملوك عصره تشدد *
- * يستسهل الراؤون مطلع صاعده * شرفا ولكن ما كذا من يصعد *
- * وپروق مخز النشئات لناظر * ما خاض لج الیم وهو یهدد *
- * قل للشبه قد غويت فهاتنا * بنظيره ان كنت ممن یرشد *
- * لاتدرك الابصار لولا الشمس ما * جرم الهباء ولا يراها ارمد *
- * هبنا اسمه حتى نجعل سمیه * حبابه ولنا اليه تودد *
- * فات الملوك فخاره فرضوا بان * يدعوا ببعض صفاته كي يسعدوا *
- * ولربما حاكى السراب الماء عن * بعد واطما من اتاه المورد *
- * يا من تولى عرش عز صانه * ذوالعرش وهو بما حباله مؤيد *
- * شرفت تاج الملك حين رضيته * وازداد وهو عليك فخرا يخلد *
- * تجلت فرنسا طامعة كانت لها * انام عمك عبده المستعبد *
- * ما زال مذعرف الوری املاكهم * يعطى الممالك من جاهها سيد *
- * فاسلم في يمالك غبطة اهلها * وبعرها الارضون طرا تجمد *
- * دم اقفا قدرا ورأيك ارشد * ومسابقا فخرا وجدك اسعد *
- وفي غضون ذلك شرعت في تأليف كتاب الفارباقي الذي نشر طبعه الخواجا روفائيل كحلا الموما اليه وبعد ان طبع منه عدة صحائف اقتضى لانجازه سبك حروف جديدة فانتظرت مدة حتى اذا قطعت اوكدت اقنط من ذلك وكانت نفسي قد ناقت ال ققع لندرة وفعاءها سافرت على نكط فعرفت حينئذ بالخواجا مخائيل المخلع فقد كان قدم لمعاونة التجارة وما اعجبني منه كرمه وسعة اطلاعه فعلا يرد ذكر شاعر الا وروى عنه او نكتة ادبية ويسردها اقام في لندرة عاما وثيقا وسافر وهو يدرى جميع احوالها وقد اهداني نسخة من كتاب كلستان الذي ترجمه اخوه من الفارسية الى العربية فلما تصفحته وتأملت حقه التأمل ظهر لي ان خبره دون مخبره اذ لم اجد فيه من المعاني البكرة ما اوجب احتفال العجم به هذا الاحتفال العظيم فانه عندهم بمنزلة مقامات الحرري عندنا غير ان عربيته فصنحة فلما قابلته

المرّة الثانية وجرى ذكر هذا الكتاب قات له لقد طلما سمعت بذكر كلستان غير انى لم اجده يستحق هذه الشهرة وقد حدثنى نفسى بان انشئ كتابا على نسقه لكن التزم فيه الهزل قال فافعل فانشأت فى اليوم القابل هذه الحكايات الآتية ولما قرأتها عليه وقت الاجتماع قال قد افرطت فى محالته وهو فوق ذلك وائى الا التنويه به هذا ولما كان باب الانشاء قد ارجح على بالندرة لكثرة قسمة العواجل والحوافل فيها بحيث لا يمكن استمعها اناء الليل واطراف النهار ان يجمع افكاره او يتكر معنى حسنا حتى ان اثبت هناما مكتبت محاكيا لصاحب كلستان

﴿ حكاية ﴾ رأيت قوما ينساقون حشدا ويتزاحون حفدا فى بين ضاغط جاره ومهطع كاهه يشن الغارة فقلت تالله ما اجتمعت هذه الجماعة الا لامر عظيم ولا قصدت الا مقصد خير عيم ثم قلت لنفسى بعد استصواب حدسى

* انهمض الى المكرمات مستيقا * ولا يصدتك عائق عنهما *

* وان تجد عصبه سمعت جهة * فاسع اليها ثم استفد منها *

فجارتهم وانا اظن انى اكون اول الفائزين * ومقدام البارزين * فلما بلغت حلقة الرجال * وكانوا ما بين حرقة وطويل وطوال * خرقت صفهم * وخرقت مصطفهم * واذا فى وسطهم خطيب كنت اعرفه مذهب غير قريب * فاول ما وقع عليه العطف * وانست منه العطف * قلت له السلام عليك يا خطيب يا امام * فاجابنى بديها وعليك السلام *

﴿ حكاية ﴾ بينما كنت اطوف فى مدينة القاهرة * وانظر ما فيها من المحاسن الباهرة * واحقق فى وجوه الشوافن * فى الراشن * اذ لحت فى روشن غانة فلفت النساء بالظرف والجمال * والصباحة والدلال * فقلت منشدا * وانا على غير هدى *

* بالله رقى لمخرم دنف * قد اسلمته الى البلى عينه *

* تصدق بالوصال علك ان * تشفيه حشاه فقد دنا حينه *

ثم غشى على من شدة اللوعة * ثم افقت طمعا ولم ابرح اسير الهوى وطوعه * وناديتها

وناديتها بلسان ميين * ألا اتى اليك من التائقين العاشقين الحاضعين * فقالت
واتى لك لمن السافقين الصافقين الصافعين *

* حكاية * كنت امشي في اسواق الاسكندرية * وعرضي لالسة الناظرين الى
كالدرية * اذ كنت لابسا فعلا بالية وثوبيا صفيها * وقد انجل حرامى فكان
يكفس البلد طريقا فطريقا * فصادت عجوزا تلحظني فقلت علام القوم
يضحكون * وفيهم ينهكون * فقالت وقد قهقهت * وعن اياها النهمة
جلقت * من مكنتك هذه الحرير * وطورك الذي لم ير له نظير * فقالت

* من احب المعروف فليكرم الضيف بإناسه وابلاغ سوله *
* ليس ينبغي قرى ولا بذل مال * متهى ما يؤم في تأهيله *

فقالت أما ان شئت ان تقول لك اهلا وسهلا * فانت لدينا مؤهل ومسهل والا فلا *
ثم هروات عني وعن عيني اخفت * فاتبعها اللعة التي بها العنت *

* حكاية * قصدت الرشيد * لما فيها من الحظ العتيق * والحدائق الناضرة *
والمسارح السارة * فلما دخلتها لاح لعني غلام كالقمر * ينجل الخور بالخور *
ففتألت بنصرته * وعجبت من عدم شهرته * فانشدت بمسمع منه

* لبعض الناس فعل دون ما اسم * وبعضهم له اسم دون فعل *
واردت ان افتخ معه الكلام * فاستدلت منه على الجسام * فقال لي بالهجة
فصيحة * وعبرة صحيحة * أنت جنب مذكورك من البيت او في الحال
قلت

* ان كان يذكرك اصطناعى عاجلا * فافعل ولا تسأل عن الاسباب *
* فربما اخرت معسروفا وما * قدمت غير مساة الاصحاب *

فدلتني عليه فاذا ابوه قيم فيه فتوه عنده بي * واثني على ادبي * فلما خرجت
من ذلك النعيم * كخروج آدم من الجنة وهو مليم * بش بي الرجل وادبني ذلك
الليلة الى طعامه * فليت دعوته واجزل له الشكر على انعامه * وسرت اليه
وفي اعسائي وقوب * ولا ضراسي رقوب * فلما حظيت بانه وحصلت

في مجلسه وضع الخوان * وهو يجيد من الطعام بالوان * فاكلنا وشربنا * ولعبنا
وطربنا *

﴿ حكاية ﴾ ما زلت مذكرف حلو الاستراط * ومر السراط * انشوف
الى رؤية دمياط * لما بلغتني عنها من كثرة سمكها واطبارها * ورخص
اسعارها * وكان بي نهم الى اكل السمك شديد * وقرم الى الصفور ما عليه
من مزيد * وقد قال في الاول * من اجاد القول جدا وهزل *

* ما ان ندمت على شراء الحوت في * وقت وان افرغت فيه الكيسا *
* ان كنت انفق فيه فلسا واحدا * ألقاه فيه قد استحبال فلوسا *

فلم اكد ابلغ ساحلها * حتى رأيت صيادا قد التى شبكته في البحر وهو مبثس
ولها * وفي طلعه سمكة الضجر فتقدمت اليه * وسلت عليه * فقلت اجذب
الشبكة باسم الله على بخني * وان كنت اعهدك مجردا من تحتى * فان اشتكيت
على حبتان صغيرة ادبت اليك قيمتها موفورة * وان حوت الكبيرة * كان لي
ان اقال منها مجانا حصص * وفيرة * فرضي بذلك * وقال حسبي الله الوالى المالك *
فلما اخرجها اذا بها قد استوعبت من كبار السمك * ما لم يكن عهد مذ درج
وسلك * فجاد على * منه بمحصة * وقد اجرضه من الشرط غصه * فاوقدت
جنبه نارا * وبعثت الى السوق من اشترى لي خبزا وعطارا * ولها وازارا *
وما زلت اشوى وألتقم التفافا * واشرب اشتفافا * حتى منيت بالهيضة
والزحير * واستحال على التقديم والتأخر في المآب والمصير *

﴿ حكاية ﴾ وجدت في صدرى ضنكا من مجالسة الرجال *
ومطارحتهم الحديث والامثال * وقد جبل الانسان على حب التبدل *
والحول والتقل * فيسأم النعم اذا طال * ويرى في الثائرة الثبور والوبال *
وفي الادماء الدمن والوبال * فتعريت مجالسة الصبيان * والحوض معهم
في صار وكنان * فلم اكد اخرج من غرفتي حتى رأيت زمرة منهم يلعبون
بالقتال والاوناد * ويضجون ضجيج الناس في يوم الجراد * فتوهمت ان بي
صمما اولما اذلم اسمعهم على قريهم من العرفة ولو انى سمعتهم لعظم على
لفظهم على هذه الصفة فدعوت احدهم فحشد الى حفزا * وكلني ركزا * فسكن

روعى عند سماع ثمنه الرخيمة وايقنت ان حاسة سمعى بقيت فى سليمة فحمدت الله تعالى على لطفه بى * وزاد فى عشرة الاولاد اربى * انتهى •

ثم ورد الى كتاب من الخواجا روفائيل ككلا يؤذن بنجر حروف للفارباقي فسافرت الى باريس ولما علمت ان طبعه لا يتم فى مدة قصيرة رجعت الى لندرة وكانت صحف الطبع ترسل الى هنا لاصليها ثم اعيدها وهكذا بنجر الكتاب ثم لما فتح معرض التحف فى باريس وذلك فى ١٥ ايار سنة ١٨٥٥ سافرت ايضا لاشاهده وهو بناء جليل من حجر لكنه ليس فى كبر معرض تحف لندرة ولم يكن يحوى بضائع متنوعة ما حوى ذلك الا ان من حنق الفرنسيين انهم ينضدون الامتعة بنوع تبدو به العين رائحة فائقة وفضلا عن ذلك فان الناس كان همهم فى تلك السنة اتقاء مضار الحرب وغوائلها وكان الذين عرضوا بضائعهم فيه خمسة وعشرين الفاضلهم عشرة آلاف من الغرباء وقد رأيت فيه حلى الملكة زوجة الملك وهى مما يفوق الوصف ثم عدت الى لندرة ثم سافرت بعدها مرتين الى باريس ثم عدت وكانت عودتى هذه المئمة للعشرين مرة من زيارتى لندرة وحيث وجدت نفسى هذه المرة فارا فيها وجب على ان اصف ما فيها مما يحمد ويذم وصفا تاما وافيا وانما لم اطل الكلام فى وصف باريس لما تقدم آنفا من ان الشيخ رفاعه بك الف رحاء فيها ولان البلدة معروفة عند سكان البلاد الشرقية أكثر من لندرة ويجب قبل الشروع فى الوصف ان تعلم ان ما قيمته من المأكول والمشروب فى باريس فرنك فى لندرة شلين غالبا وان نفقة السفر من لندرة الى باريس فى المحل الثانى من الرتل لا تزيد على احد وعشرين شلينا سواء كان على طريق هافر او ديان او بولون او كالى وذلك فى ظرف خمس عشرة ساعة بعضها فى سكة الحديد وبعضها فى البواخر وهذه الباخرة التى تجرى ما بين سواحل انكلترا وفرنسا ليست كذلك التى تجرى فى بحر الروم فانها قنطرة وقل ان تجد فيها فراشا للنوم فان قصر المسافة بين الارضين قصرها على ان تكون للتجارة اولى من ان تكون للركاب واقصر المسافات هى التى يسافر فيها من دوفر الى كالى والافرق لمن يجهل احوال لندرة اذا سافر من باريس ان يجعل قدمه اليها فى النهار لانه يصعب عليه فى الليل وجدان محل يبيت فيه لما ان الخوايت والمبايت كلها تقفل فى الساعة الثامنة ليلا فاما فى باريس

فلا يعلم ان يصادف ميتا في اى وقت واى منزل شاء

❀ الكلام على لندن او لندرة ❀

١٨٠١	كان عدد اهل لندن في سنة
١٨١١	وفي
١٨٥١	وفي
١٨٥٧	وفي
١٨٦٣	٩٥٨
١٨١٥	١٨٣٨
١٨٣٦	٢٣٦٢
٢٠٠٠	٢٦٢٥ (١)

قال بعض المؤلفين ان دورتها سبعة وخمسون ميلا ونصف ميل وذلك عبارة عن سفر نحو ثلاثة ايام اذا كان يسافر في كل يوم قدر عشرين ميلا وتفصيلها من شويك الى كنتش تون اثنا عشر ميلا ومن كنتش تون الى ملول سبعة عشر ميلا ونصف ومن ملول الى شويك ثمانية وعشرون ميلا • وقال آخر ان لندن اصح مدن العالم هواء والدليل على ذلك ما ذكر في احصائيات الموت من انه يموت فيها من كل الف خمسة وعشرون وفي غيرها يموت من الالف من ثلاثين الى اربعين • وقال آخر ان لندن اغني مدن العالم واكبرها زعم بعض انها كانت مدينة من قبل الميلاد بالف ومائة وسبع سنين وقبل تأسيس رومية بثلاثمائة واربع وخمسين سنة وانها كانت مقرا للطربونيت وملوكهم قبل الميلاد باربع وخمسين سنة وفي سنة ٦١ بعد الميلاد كان الرومانيون يسمونها لندنيوم وهو اسم لقر التجار في ذلك العصر ولسوق المعاملات والمبايعات وزعم بعض انها مشتقة من لود اسم ملك قديم في برتانيا والاصح انها مشتقة من لين دين اى بلد على بحيرة وزعم آخر انها كانت تسمى في الزمن القديم لندنبورغ كما يقال الآن لقاعدة سكوتلاند ايدنبورغ • وقال آخر موقع لندن على نهر التيس على بعد نحو خمسين ميلا من فوهته وقد صدق ما وصفها به ساي بقوله ليست لندن مدينة واحدة وانما هي اقليم مغشى بالبناء وفي سنة ١٨٤٩ لزم لاهلها من الدقيق ١٦٠٠٠٠٠ راتر (نوع من الكيل) ومن الغنم ١٠٠٠٠٠٠ ومن الثيران ٢٤٠٠٠٠٠ ومن الجبول ٢٨٠٠٠٠ ومن الخنازير ٣٥٠٠٠٠ وفي احد اسواقها

(١) وبلغ عدد سكان لندرة في سنة ١٨٨٠ ٣٧٠٠٠٠٠ ومساحة المدينة وبجارتها وجميع متعلقاتها زادت ايضا بنسبة ذلك

السمي « ليندن هل » بيع في سنة واحدة من الطيور ٤٠٠٠٠ ر. ٠٢٤ ومن السمك
 السمي « سمونا » ٣٠٠٠٠ ر. ٠٠٠ وهذا القدر من المأكول غسل من المشروب بمقدار
 ٤٣٢٠٠٠ كالن من الرز كل كالن يملأ نحو خمس زجاجات من زجاج الخمر
 المعتاد بمقدار ٢٠٠٠٠ ر. ٠٠٠ من الارواح وبمقدار ٦٥٠٠٠٠ قصبه من الحر كل
 قصبه في عرفهم تسع ستين كالنا وفيها ١٣٠٠٠٠ بقرة للاحتلاب و ٣٦٠٠٠٠٠
 قنديل يشعل بالغاز بقدر منها في كل اربع وعشرين ساعة ١٣٠٠٠٠ ر. ٠٠٠ قدم
 مكعب من القزاز وتعد الاهلين من الماء بنحو ٤٤٠٣٣٨٠٣٢٨ كالنا في كل يوم
 ويستعمل لاجل اصطلاتهم ولوازم المعامل اكثر من الف سفينة لنقل الفحم
 قحمل في العام اكثر من ٣٠٠٠٠ ر. ٠٠٠ طن وكثيرا ما رؤى دخان النار منها
 على بعد ٣٢ ميلا وفيها من الخياطين ٢٣٠٥١٧ ومن الاساقفة ٢٨٠٥٧٩ ومن
 الخياطات وصانعات برايط النساء اكثر من ٤٠٠٠٠ ومن الخدمة
 ١٦٨٠٧٠١ وقال آخر يوجد في لندرة من اهل ارلاندا اكثر مما يوجد في دبلن
 قاعدة بلادهم ومن اهل سكوتلاندا اكثر مما يوجد في ايدنبرغ ومن اليهود اكثر
 مما يوجد في فلسطين ومن الرومانيين ١٠٠٠٠٠٠ وهو اكثر مما يوجد في
 رومية ومن الجرمانين ٦٠٠٠٠٠ ومن الفرنسيين ٣٠٠٠٠٠ ومن الطليانين
 ٦٠٠٠٠ وقال بعض المؤلفين من الفرنسيين ان مدينة لندرة في قول ايسان
 مرسلان قديمة جدا واشتقاقها من لفظة لون بمعنى سفينة وديناس اي مدينة
 فكأنك قلت مدينة السفن وذهب بعض الى ان اشتقاقها من لون اي غيضة
 ودن اي مدينة فكأنك قلت مدينة في غيضة قال اما موقعها فهو في
 اقليم مدلس على تسعة وستين الف ذراع من فم نهر التيمس وعلى
 ثلاثمائة وتسعة وسبعين الف ذراع من باريس وهي اكثر مدن العالم اهلا
 رقتها مائة الف ذراع مربع واهلها ٢٠١٣٠٠٠ ر. ٠١٣ منها ١٠٠٧٦٩٠٦٦ ذكور
 والباقي وهو ٩٣٦٠٠٤٤ اناث قلت وقد تقدم ما زلت به الى سنة ٥٧ فينبغي ان
 تقيس عليه سائر الزيادات ويولد فيها في العام نحو ٨٥٠٠٠٠ ويموت
 نحو ٧٤٠٠٠٠ والمحسوب انه يولد فيها في الاسبوع نحو الف وثمانمائة نفس
 منهم ٩٦٠ ذكور و ٨٤٠ اناث ويموت فيها نحو ١٠٣٠٠ نفس ومن ولد فيها
 من المشاهير ملطون ويوب الشاعران والورد بيرون الكاتب الشاعر الاديب

ودفن فيها من الشعراء الكبار خمسة وعشرون قال وهي تحتوى على ٢٨٨.٠٠٠ دار تغل في العام ٢٢٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك وعلى ١٥٠.٠٠٠ شارع وزقاق وتربعة وقد اتسعت من مدة خمسين سنة اكثر من ضعفين مما كانت في السابق • وقال مؤلف الهرالد كانت لندرة في سنة ١٨٣١ تشتمل على نصف ما تشغل عليه اليوم (اى سنة ٦٢) او اكثر فكان فيها من السكان مليون وثلاثة ارباع ومن المساكن ١٦٠.٠٠٠ فصار فيها من النوع الاول ٢٨٠.٠٠٠ ومن الثاني ٣٦٠.٠٠٠ • وقال آخر ورد اليها ويصدر عنها من السفن التجارية نحو ٥٠.٠٠٠ سفينة واربعة آلاف اخرى مستخدمة لثمانية آلاف نوتي واربعة آلاف صانع ورأس المال الذى اخرج في عمل الاقنية والمجارى وغير ذلك مما يختص بالنار بلغ ستة وسبعين مليونا وثلاثمائة وخمسين الفا من الفرنك والمصروف على التوريد في العام يبلغ ستة عشر مليونا وفي لندن ثمانية مواقع لسكة الحديد وست غياض وثلاثمائة واربعون كنيسة ومعبد للمأصلة وربما كان المعبد داخل الكنيسة وثلاثمائة وسبعون معبدا للمتعة وثلاثمائة واربعون مكتبا للتعليم واربعة عشر سجنًا وثمانية دواوين للشرطة و ٢٢ ملهى اى شياطرا و ٥٠ سوقا لبيع المأكولات من اللحم والسمك والبقول ونحوها وسوق القمح فيها كلف ٩٠.٠٠٠ ليرة وعدد ما يذبح في العام من البقر اطعم اهلها ١٩٠.٠٠٠ راس ومن الغنم ٧٧٦.٠٠٠ ومن الخرفان الصغار ٢٥٠.٠٠٠ ومن البجول قدرها ومن الخنازير ٢٧٠.٠٠٠ يبلغ وزنها في الجملة ثلاثمائة وثلاثة وسبعين مليونا ومائتين وثمانية آلاف رطل من ايطالياهم ورطل لندرة قدر رطل تونس وهو عبارة عن ست عشرة اوقية وثمته كمنه فاذا قوم كل رطل بنصف شلين في اجمال بعضه ببعض بلغ ثمنها مائة وسبعين مليونا وسبعمائة الف وخمسة وخمسين الف فرنك يخص كل انسان على حدته ١٤١ رطلا وهو اكثر مما يخص كل واحد في باريس بضعف مثله والمصروف من السمك ١٢٠ الف طن ومن الزبدة او السمن ١١.٠٠٠ اطن ومن الجبن ١٣.٠٠٠ ومن القمح ٣٦ مليونا من الكوارترومن القمح ثلاثة ملايين طن ومن اللبن ٤٠ مليون زجاجة ومن الخمر ٦٥ الف برميل والبرميل عبارة عن ستة اطنان ومن الارواح ٨٠ مليون لير ومن الزر والجمعة مليونا برميل • قلت وفيها ٥٧٥٠٠٠ حانة يباع فيها الخمر وسائر انواع الشراب قال وفيها ١٦٠.٥٠٠ اسكاف

و ١٤٥٠٠ خياط و ١٣٢٠٠ نجار و ٦٨٣٠ بناء و ٢٣٢٠ صائغا في الرصاص و ٥٠٤٩ جلفاطا و ٢٦٧٠ صائغا للبرائط و ٢٦٤٠ في الساعات و ٤٠٠ ره في الخشب و ١٠٩٩ بائع ادوية و ٢١٤٠ صائغا للبراميل و ٣٧٠٠ طباع و ١٠١٠ صناع لمجلات المراكب و ٢١٠٠ حلاق و ٩١٠ من صناع الحلواء و ٤٣٣٠ جزارا و ١٥٩٠ تاجرا في الجبين و ١٠٨٠ في السمك و ١٠٩٠ را في التبغ و ٢١٧٠ تاجرا في العواجل والمجلات و ٤٦٦٠ ره و ٤٦٤٠ تاجرا في الشمع والسكر والصابون ونحوها و ٤٢٠٠ يزا و ١٠٤٥٠ بائعا للحليب و ٢٨١٠ للجواهر و ٧٨٠٠ سائق عاجلة وحافلة و ٧٤٢ باخرة تجرى في نهر التيس كما تجرى الحوافل في طرق المدينة وذلك ما بين رشمند وكرافسند وما حولهما واشهر المواضع فيها التريفة المعروفة باسم ترافا ذكر (محرفة عن طرف الغرب) فيها عمود فلسون مبنيا من المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما وفوق العمود تمثاله وعلى جانبي الساحة عينان نضاختان قبالتها صورة الملك شارلس الاول من نحاس • قلت قال بعض ان عمود فلسون هو من حجر جلب من پورتلاند وكان نصبه في سنة ١٧٤٣ و عليه شرف من نحاس صنعت من مدفع اخذ من الفرنسيس ونحزى الدولة واهل البلاد بنى غير متم وقد بلغت نفقته ٣٣٠٠٠ ليرة وعن تبرع في العطاء لانشائه قيصر الروس فانه اعطى خمسمائة ليرة وهو اكثر ما تبرع فيه لهذا الانشاء وعنده تمثال كرلوس اوشارلس الاول صنع في سنة ١٦٣٣ اه • واعلم ان نلسون المذكور هو الذي ظفر ببراكيب الفرنسيس التي سار فيها نابوليون وجنده الى مصر فاحرقها عند ابى قير وذلك في سنة ١٧٩٩ واتلف ايضا بوارج فرنسا واسپانيا في الحرب المعروفة بترافا ذكر عند رأس قنستير وذلك في سنة ١٨٠٥ وكانت سفن الانكليز ٢٨ سفينة وسفن الدولتين المذكورتين ٣٢ ويومئذ قتل وهو عند الانكليز معظم الذكر لا يزالون يلهمجون بمساعيه البحرية لهجهم بمساعي دولك ويلتكطون البرية وكان مولده في سنة ١٧٥٨ • وفي مجمل الاوقات ان نصرة الانكليز في الحرب المذكورة هي اعظم نصرة حازوها وكان للفرنسيس من البوارج ١٨ وللاسبانيول ١٥ وللانكليز ٢٧ و بعد قتال شديد اسر اميرال الفرنسيس وغيره وتلف لهم ١٩ سفينة غير ان الاميرال نلسون لاقى منيته يومئذ فقام مقامه ولكن وود

وكان اسم سفينة فكيكطوري اى نصرة وآخر اشارة صدرت من نلسون قبل الشروع فى القتال قوله ان انكلترة تتوقع من كل انسان ان يقضى الواجب عليه وكان ذلك فى ٢١ من تشرين الاول سنة ١٨٠٥ قات وهذا عندهم من الكلام البالغ ولذلك كتبت هذه الجملة على العمود الذى تقدم ذكره وفى كتاب آخر يسمى تعليقات ومسائل ان بعض خدم نلسون وكان به غفلة قال كان سيدى اذا باشر الحرب يلبس احسن لباسه المنصبي فكنت انهاء عن ذلك فيتمول لى مه فانى اقضى الحرب بانحر لباس لى فاقول له بل الاولى ان تلبسه بعد ان تفرغ من الحرب قال ولو انى كنت حاضرا يوم تافلكر لما اصابه ما اصابه بذلك اللباس الذى ردا، قال المؤلف الاول وفيها ايضا عمود آخر يبنى تذكرة للحريق الذى وقع فى لندرة سنة ١٦٦٦ بلغت نفقته ١٣٧٠٠ ليرة وارتفاعه مائتا قدم وقدمان وهو اجوف يشتمل على ٣٤٥ درجة وارتفاع شرفته ٤٢ قدما وآخر نصب فى سنة ١٨٣٣ عليه تمثال ابن الملك جورج الثالث ارتفاعه ١٢٤ قدما وعلو التمثال ١٤ قدما قال واعظم كنيسة للبروتستانت كنيسة مار بولس فى المدينة المذكورة بنيت على هندسة كنيسة مار بطرس برومية ابتدئ يبنائها فى سنة ١٦٦٦ ونجز فى خمس وثلاثين سنة وبلغ جلمة ما انفق عليها ٣٧٥٠٠٠٠٠٠ فرنك جمع ذلك من طسق جعل على الفعم وطولها خمسمائة قدم وارتفاعها اربعمائة واربع اقدام ووسعها ٣٠ فدانا انتهى قلت وسياى ذكر لهذه الكنيسة • ثم ان هذه المدينة شطران يمتد قهها نهر التيمس احدهما ليس فيه شئ يسر الناظر فانه عبارة عن ديار وطرق وحوائت والثانى وهو الذى تقيم فيه الاشراف والاعيان يشتمل على اشياء كثيرة بديعة سيم ذكرها بك ان شاء الله وهذا النهر مبنى عليه عدة جسور  احدها  ومما اول ما يراه القادم الى لندرة الجسر الذى يقال له جسر لندن طوله ٩٢٨ قدما وهو مبنى من حجر صلب ويشتمل على خمس قناطر علو كل منها ٢٨ قدما بدى به سنة ١٨٢٥ وقمى فى سنة ١٨٣١ وانفق فيه نحو مليون ليرة عليه فوانيس للتزوير صنعت من مدفع اخذ فى حرب اسبانيا ولا يزال مزدهجا للناس والخيال والحوافل والبواجل حتى ان من يشاء ان يمر فيه من جهة الى اخرى يمرض نفسه للخطر فيلزمه ان يسير على سمت واحد ومن ير ازدحام الناس عنده ولم

ولم يكن قد الف احوال البلد يظن ان الناس متأهبون للخروج الى الحرب والقتال اذ يمر عليه في كل دقيقة نحو عشرين مركبا ما بين عاجلة وحافلة ومجلفة وما اشبه ذلك وعنده عود شاهق من حجر وتمثال للملك وليم الرابع من رخام قال بعضهم يرد في كل يوم الى السبي ستون الفا من مراكب البر على اختلاف انواعها في نحو خمسين شارعا منها اثنا عشر الف مركب يمر على جسر لندن في ظرف اربع وعشرين ساعة فانما حسبت رجوعها عليه كان لكل ساعة الف مركب ﴿ الثاني ﴾ الجسر المسمى صوث ورك طوله ٧٠٨ اقدام وله ثلاث قطار من حديد بدئ به سنة ١٨١٥ وفتح في سنة ١٨١٩ وبلغت نفقته ٨٠٠ ليرة ﴿ الثالث ﴾ الجسر المسمى بلاك فرير بدئ به في سنة ١٧٦٠ وفتح في سنة ١٧٧٠ وهو يشتمل على تسع قطار طوله ٩٩٥ قدما وبلغت مصاريفه ١٥٢٨٤٠ ليرة ﴿ الرابع ﴾ جسر واخرلو وهو اعظم جسر في المملكة بدئ به سنة ١٨١١ وفتح سنة ١٨١٧ وبلغت مصاريفه أكثر من مليون ليرة ماعدا القرض الذي اخذ من الدولة وقدره ستون الف ليرة وهو يدعى الصنعة كاه من حجر المرمر يشتمل على تسع قطار سعة كل منها ١٢٠ قدما وارتفاعها خمس وثلاثون وطول الجسر ١٣٨٠ قدما وقد جعل على كل ماربعة بنى فجاء المجموع من ذلك في سنة واحدة ٤٦٧٦ ليرة وعده بعضهم من عجائب الدنيا • قلت وكانت واقعة واطرلو المشهورة في سنة ١٨١٥ قال بعض المؤلفين زحف نابليون على الانكليز ومعه من الجيش احد وسبعون الفا وكان يرجو ان يفشلهم بكثرة العدد اذ لم تكن عساكرهم تديف على ثمانية وخمسين الفا لكنهم صابروا ودافعوا عساكره من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة ليلا فلما رأى منهم الجلادة والثبات ابتدأت عساكره ان تنزاع ثم اتصل بالانكليز بولو ومعه خمسة عشر الفا وحيث انهم دولك ويلكنغتون بالاطلاق عليهم فاحتدمت نار القتال بينهم اى احتدام قتل من الانكليز مائة وعشرون ضابطا والاف وستائة واحد وخمسون نفرا وجرح ٤٣٦ ضابطا وخمسة آلاف واربع مائة وستة وخمسون نفرا ولكن قتلى الفرنسيين كانوا اكثر ويومئذ اضطر نابليون الى الرجوع الى باريس ليحشد جيشا آخر فلم يوافقه اهل الشورى لانه كان قد تلف معه اربعة جيوش من قبل فاضطر الى ان يخضع نفسه على ما ذكر

سابقا ﴿ الخامس ﴾ الجسر الحديد المسمى بالملق لانه غير مبني على قناطر له ثلاث قفحات واسعأت جدا وهو اعلى جسر في الدنيا من هذا الطرز بدئ به سنة ١٨١٤ وفتح سنة ١٨١٩ زنة ما فيه من الحديد ٥٠٨٠٠٠ اطنان ﴿ السادس ﴾ جسر وستينستر بدئ به سنة ١٧٣٨ وتم في سنة ١٧٥٠ طوله ١٢٢٨ ر قدما وعرضه ٤٤ وله ١٥ قنطرة وبلغت نفقته ٣٨٩٥٠٠ واما شرع في بنائه حسب المهندسون من احسن جسور الدنيا ﴿ السابع ﴾ جسر فكسهال صنع من حديد صب بدئ به في سنة ١٨١١ وفتح في سنة ١٨١٦ طوله ٧٩٨ قدما وهو يشتمل على تسع قناطر ﴿ الثامن ﴾ جسر همرسميث طوله مائة واثنان وثمانون قدما وغير ذلك مما ذكره يطول • ومن اعجب ما بني على هذا النهر والاحرى تحته الجناز المعروف بنيس طائل وهو موضع انشئ تحته الماء طوله ١٣٠٠ قدم ارتوى انشاؤه في سنة ١٨٢٥ ثم اغلق لظمو المياه عليه ثم استؤنف العمل فيه وفتح سنة ١٨٤٣ بلغت نفقته ٦١٤٠٠٠ ليرة وجلة ما يؤخذ له من المتفرجين عليه في كل سنة نحو خمسة آلاف ليرة وينزل اليه في نحو مائة درجة من الحديد ويدفع على ذلك بني واحد انشأه جماعة تعرف بجماعة الطنل ومعنى الطنل القبو او السرب او التفق ويقال ان نقر ذراع واحد منه في بعض المواضع اتفق فيه الف ومائتا ليرة وبعضه ١٢٠ ليرة والفائدة من انشائه مرور الناس فيه من جهة لندرة الاولى الى جهتها الاخرى فهو بمنزلة الجسر الا اني ذهبت اليه غير مرة فلم ارفيه الا المتفرجين وقيل ان الغرض منه ذكر شرف للدولة وتري البواخر تجري منحدرة وصاعدة في هذا النهر مشحونة بالرجال والنساء كما تجري الحوافل والعواجل في الطرق وحين تمر تحت القناطر تمل قصب الحديد التي هي مداخنها ليكنها الدخول فاذا جاوزتها اعادتها كأنها قطعة واحدة وعدة المراكب المنسوبة الى هذا النهر بلغت في سنة ١٨٥٠-٢٧٣٥ وعدة البواخر ٣١٨ يستخدم فيها ٣٥٠٠٠ نفس من الرجال والغلمان وفي سنة ٤٨ ورد الى مرسا. ٤٢١٤٥ سفينة ورد من الكس عليها الى الكرك ١٩٣٠٧٧ ر ليرات وكانت قيمة الخارج منه ١١٠٠٠ ليرة وعدة المراكب التي تسير في المدينة ما بين كبيرة وصغيرة نحو سبعة آلاف وعدة الصنف المسمى هكني كرج ٤٣٥٠ وعلى الكبيرة وهي المعروفة باسم اميبوس ترى اسماء الحارات والاماكن

والاماكن التي تسير اليها ولا بد ان يكون مكتوبا عليها اسم البنك فانها كلها
تربى به الا ما قل وكل منها يسع اثني عشر شخصا بداخلها وتسعة بخارجها
ومن هذه الحوافل نحو ستمائة حافلة اشترتها جمعية واحدة مع لوازمها
من الخيل والعدد باربعمائة الف ليرة فتكون كل واحدة منها بنحو سبعمائة ليرة
وهي بالنسبة الى حوافل باريس معتدة من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه ليس في داخلها
شيء يتسك به الانسان فاول ما يدخلها يستمر سائقها في السير فيترج الدخال
بيته ويسرة وربما وقع على بعض الجلوس وكثيرا ما يجعل البواب الى اطاق
الباب على يد الداخل وكثيرا ما وردت شكاوى الركاب في هذه الى القضاة فتهم
من حصل ارشا ومنهم من خاب ﴿ الثاني ﴾ انه اذا كان بين الستة رجلا سميتان
ضاق الموضع بالباقي اذ لا يكاد يسع هذا العدد الا بالز والتضام وقد وقع
غير مرة نزاع افضى الى الشرع ما بين هؤلاء السواق وبين الرجال السمان
فان السائق يأبى ان يأذن للسمين في ان يتبوأ موضعين ويدفع عليهما اجرة واحد
فاما في باريس فين كل قاعدتين فاصل من قضيب نحاس فلقاعد فيها مقعدا
لا يكاد يس جاره وكأنهما هو قاعد على كرسي يداره ﴿ الثالث ﴾ انه قد يتفق
ان يكون اليوم باردا ويتدر احد الجلوس الى قعر احدى الطيقتان من دون ان
يسأل جاره هل يستطيع ذلك او لا فان كل واحد من الناس عموما ومن الانكليز
خصوصا يرى ان في صلاح نفسه صلاح غيره ﴿ الرابع ﴾ ان الداخلين
لا يدفعون الجمل عند الدخول كما يفعل في باريس بل عند الخروج فيدفع الخارج
الاجرة الى السائق ويذهب في خلال ذلك الوقت عبثا ما بين تصريف الدراهم
والقال والقبل والبواب هنا ابدا معرض رأسه للمطر والشمس اذ لا جنة تقيه
بخلاف البواب في باريس ولبوابي حوافل باريس شريط من قصب على اطواق
ملابسهم وصفحة على صدورهم تؤذن بجهتهم ومتى وجد احدهم موضعا
فارغا عند باب الحافلة قعد فيه وافاض في الحديث مع جاره وعد نفسه من جملة
الركاب بلا محاشاة وهناك فرقان آخران بين حوافل لندرة وباريس وهو ان
حوافل باريس ليس لها مساعد على ظهرها فكل ركابها يقعدون
في داخلها فلهذا كانت اطول واوسع من حوافل لندرة وهي اشق
على الخيل غير ان الفرنسيين لما كان دأبهم ولهم التبديل والتغير صاروا

الآن يصنعون حوافلهم كحوافل الانكليز في الصفر وفي جعل مقاعد لها على ظهرها وسواق العوادل في لندرة ذووا شطط وجفاء فانهم يتقاضون الغريب اكثر من الرسوم عليهم من البرى وحيث انهم يعلمون ان اصغر القضايا لا تفصل الا بمحضرة القاضي بعد قال وقيل وانه ليس كل احد يروم التشرف بمجلس الاحكام فلا يألون جهدا في غيب الراسب واخذ شئ منه زائد على المرتب ومن لؤمهم ايضا انهم قلما يذهبون الماشين في الطريق قبل ان يدركوهم واذا تكلفوا ذلك يهوههم بنوع من الشتم اما في باريس فان للسواقين شيئا في كل خط فتى حصل بين احدهم وبين المستاجر نزاع فصله الشيخ ومتى دخلت العاجلة اعطاك السائق ورقة مطبوعة فيها عند عاجلته لتهديك الى معرفته عند الاقتضاء والجعل على الضمار في باريس بعيدا كان او قريبا نحو شلين ولا فرق في عدد الركاب فاما في لندرة فعلى كل ميل نصف شلين اذا كان راكب واحد ولكن اذا كانت المسافة مثلا ميلين وادعى السائق انها ثلاثة لم يفصل بينك وبينه غير البأس والبطش فان راكبا اضعف منه الزمك ثلاثة فاما اذا اكثرت بالساعة فسير ساعة في لندرة جعله شلطان وفي باريس فرنكان غير انه يوجد في هذه عوادل مفتوحة تشبه عوادل الامراء والكبراء وربما جرها حصانان وفي لندرة لا وجود لها ومن الغريب ان الحوافل التي جعلها في لندرة اغلى تكون ابدا مشحونة بالركاب والرخيصة يعرض عنها * وعن بعضهم ان هذه العوادل الكبيرة هي من مخترعات الفرنسيين في زمن فرنسوا الاول ولكن لم يكن منها حينئذ الا اثنتان وفي سنة ١٥٥٠ كان منها ثلاثة وواحدة لهنرى الرابع ولكن من غير سيور ولم تنفق الا في عهد يوحنا دولا فاله لعظم جثته لم يكن يقدر ان يسافر الا بها وكانت ملوك فرنسا من قبل ذلك تسافر على الخيل والمراكب في محفات والحواتين يركبن وراء الامراء واول عاجلة رويت في انكلترا كانت في زمن الملكة ماري وذلك سنة ١٥٥٣ وفيه نظروا وفي لندرة تسع جمعيات لامداد سكانها وما يليها بالآء ينفذ منه في كل يوم ستة واربعون مليون كان منها عشرون مليونا من نهر التامس وستة وعشرون مليونا من النهر الجديد ومن موارد اخرى وهذا النافذ مواز لنهر عرضه تسع اقدام وعمقه ثلاث وجريه في كل ساعة قدر مليون ومشروب السكان كله من النهر الجديد ومن نهر آخر يسمى

يسمى « لى لا » من نهر التامس وطول النهر الذى حفر حديثا ثمانية وثمانون ميلا وقد تم حفره فى سنة ١٦٢٠ واسم من نهره سرهف فيدلطون * قال وكان سير مراكب البر فى انكلترة بطيئا جدا حتى ان احد المؤلفين قال ان الخورى آدم على ترهله كان يمشى اسرع منها وكانت كثيرا ما تنشب فى الوحل وتفرقع وقال آخر لم تكن الحوافل من قبل سنة ١٨٢٨ معروفة عند الانكليز تقدم اليهم فى التاريخ المذكور رجل من فرنسا اسمه شليير فاستعملها عندهم والآن يوجد لها جمعية ارادها نصف مليون ليرة فى العام ورأس مالها نحو ٣٠٠٠٠٠٠٠ وعدد الحوافل التى لها رخصة ٣٠٠٠ وكل حافلة فى لندرة يلزم لها عشرة رؤوس من الخيل وعلف الحصان يقوم فى اليوم بنحو شلنين ويوجد ايضا فى لندرة ٧٦ جمعية لضمان الحريق والفرق والمعيشة وغير ذلك وقل ان يوجد دار عظيمة او حاتوت كبير او شئ آخر نفيس من دون ضمان وصورتها اذا خاف انسان على داره او سفينته او امتعته من النار او السرقة ذهب الى الجمعية منها والزم نفسه ان يدفع لهم فى المائة شيئا معلوما الى اجل مسمى فاذا هلك ماله غرمت الجمعية قيمته فاما ضمان المعيشة فهو ان الانسان يلزم نفسه ان يدفع فى كل سنة شيئا حتى اذا مات قامت الجمعية بمؤنة عياله ولكل سن مبلغ فان القوى المظنون تعبيره يدفع اقل مما يدفع الطاعن فى السن وقبل تدوين اسمه فى دفتر الضمان يكشف الطبيب عن يده ليعلم هل فيه داء خفي او لا فان علم ان به علة لم يقبل او يكلف دفع مبلغ واخر والميرى ايضا شئ مما تأخذ الجمعية اذا لا يصح انعقاد جمعية شرعية او احداث شئ شرعى فى بلاد الانكليز من دون غرم الخزنة وفى المحترقات الكبيرة والديار العظيمة يهتدون اصونة من حديد لصون المال والحلى وكمواغد المصرف وغيرها * وعن بعض المؤلفين لم تعقد جمعية ضمان الحريق من قبل ١٧٠ سنة فكان من يرزأ بالنار يجمع له مدد من الناس الى ان انعقدت الجمعية السماة اليد باليد فى سنة ١٦٩٦ ثم اقتدى بها جمعيتان اخريان فلما ان نجحت مساعيها تابعتها على ذلك اخرى حتى بلغت الآن فى المملكة ٧٤ جمعية وفى سنة ١٨٠٥ قومت الاملاك التى ضمنت من خطر الحريق بمائة واحد وثمانين مليون ليرة وفى سنة ٥٥ بلغت ٩٢٧٠٠٠٠٠٠ وقد اطفئوا فى سنة واحدة ٣٩٠ حريقا وانجوا ٧٠ نفسا

وفي لندرة ٨٨ محلا للصيرافة ولكن لا ينبغي ان تفهم من لفظة الصيرفي هنا ما تفهمه منها في البلاد الشرقية فظن انه يصرف الليرة مثلا بشلينات ويأخذ عليها فلما او فليسين وانما الصراف هنا هو من تأمنه الاغنياء والكبراء على اموالهم فيدفعونها ويأخذون منه فائدها في العام وكل واحد من هؤلاء الصيرافة عنده عدة من الكتب والحساب والخدمة فحرفه عبارة عن ديوان يدخل فيه الناس افواجا افواجا وفي لندرة من المواضع المنشأة للبر وفعل الخير ما يصعب عدّه ويعسر حده قال بعض المطرّين على الانكليز واطّنه امر صون الاميريكاني المشهور ان الانكليز اكثر الخلق فعل خيرات واطن ذلك يصدق عليهم من دون مرء وها انا ابين لك بوجيز من القول عظم ما تفعله هذه الامة من البر والاحسان فاذا سمعته فاقض لنفسك بما تراه الحق فاقول ان في لندرة مستشفيات للجبانين والجذمي وناقصي الاعضاء والمرضى والجرحى والسقط والصم والبكم والعمى والمخسجين والاشقياء ولسائر من حلت به نكبة وفدحته مصيبة وللحرمومين من الرزق وللعاجزين من الشيوخ وللآيتام وللغفول وللغرقى والارامل ولارشاد الضالين وتحرير الرقيق والرفق بالحيوان ما عدا محال التعليم والعبادة ونشر التوراة والانجيل وغير ذلك مما يبلغ مئات في مستشفى صانت برثولومي ٥٨٠ فراشا وتوزع منه ادوية وغيرها على سبعين الف شخص في كل سنة منهم اربعة آلاف بداخله وفي غيره مستشفى آخر ٥٣٠ فراشا وتوزع منه ادوية وغيرها قدر ما يوزع من ذلك وفي مستشفى صانت جورج ٣١٧ فراشا ويوزع منه ادوية وغيرها على كثير من المرضى والزمنى ويوجد مثلها سنة اخرى لشفاء الامراض والجراح ولتربية النقول يربي فيه نحو ٤٠٠ ولد وآخر لاجل تربية اولاد العساكر البحرية واولاد اهل سكوتلاند وآخر لتربية اولاد العساكر البرية فيه الف ولد ومحال اخرى للآيتام اكثر من ان تعد • هذا والجمعية الانسانية مساع حيدة لاستقاذ الفرق فانها تستخدم اناسا لاستخراج الفارقين بالآلات مخصوصة وتبذل جهدها في مداواتهم وشفائهم ونجود بالجوارئ على كل من يتخذ اخاه في البشرية وكذلك يوجد جمعية لاغاثة الذين يصابون بالنار وفي كريست هسيتال يربي اكثر من الف ولد وقل كذلك في الباقي • قال صاحب الكتاب الذي منه نقلت ان

ان جلة المستشفيات والمنشآت الخيرية من عند لندرة وما يليها الى حد كريش
وهي على عشرين دقيقة من لندرة لا تقص عن اربعمائة واحد وتسعين محلا
وتفصيلها كما يأتي

عدد

١٢	مستشفيات عمومية
٥٠	موزعات مخصوصة لادواء كالجدري والبل ونحوهما
٣٥	موزعات عمومية (وهي المواضع يعطى منها الدواء)
١٢	جمعيات ومنشآت لحفظ الحياة والادب وحسن السيرة
١٨	جمعيات لمنع الجرائم والشر
١٤	جمعيات لاثبات الذين هم في الضيق والفاقة على العموم
١٢	جمعيات نظيرها على الخصوص
١٤	جمعيات لمساعدة ذوى الكدو والكدم
١١	جمعيات للصم والبكم والعمى
١٠٣	مدارس ومستشفيات ومحال للصدقة على العاجزين من الهرم
١٦	جمعيات خيرية تجري ارساقا عمومية مما يعرف عند العامة بعلوفة
٧٤	جمعيات خيرية خاصة بطبقات من الناس مخصوصة
٣١	مستشفيات للايتام ولغيرهم من الاولاد المخدولين
١٠	محال للتربية والتعليم
٠٤	محال اخرى مثلها
٤٠	جمعيات للمدارس والكتب الدينية ومساعدة الكنائس وعيادة المرضى
٣٥	جمعيات للتزود والانبجيل والمرسلين

تبلغ مصاريفها في وجوه مساعدتها المتنوعة في كل سنة ١٨٧٧٤٧٣٣ راجع منها
اكثر من مليون من المتطوعين لفعل الخير ويقال ايضا ان جلة ما فرق
على الفقراء في بلاد الانكليز من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٤٩ بلغ مائتي مليون
ليرة وايراد المستشفيات الكبار من الوقف وعدتها اربعة عشر يبلغ ١٠٩٦٨٧
ويقال ان في مستشفى صان برثولومي يصرف في كل سنة نحو ثلاثمائة ليرة
ثم خمر نسق للمرضى ونحو ٢٠٠٠ رطل من زيت الخروع و ٢٠٠ كالن

من الارواح عن الكائن ١٧ شلينا و ١٢ طنا من بزر الصكتان و ١٠٠٠ رطل من السنا و ٢٧ قطارا من الملح و ٥٠٠٠ يارد من البفت للرباط و ٢٩٧٠٠ علقه وطن ونصف من ارب و ٥٠ رطلا من العشب في كل اسبوع وقس على ذلك ومصروف مستشفى كرينج في السنة عشرون الف ليرة وفي هذه السنة صرف على التعليم في بريطانيا ٥٤١٢٢٣ ليرة وعلى العلوم والفنون ٧٣٨٥٥ ليرة ولما سنت الانكليز تحرير الرقيق في سنة ١٨٣٨ تطوعوا بعشرين مليون ليرة تعويضا لمواليهم وبلغ ما جمع لهم في لندرة في عام واحد ١٣٦٠٤٦٤ ر و في سنة ١٨٤٨ كان منهم في المستشفيات ٥٦٣٢٣ منهم ٩٥٨٨ نغلا امهاتهم في المستشفى و ١٧٥٠٤ امهاتهم في الخارج وجيع الجمعيات تال مددا من الملائكة ومن زوجها وعلى قدر هذه الجمعيات التواظئة على البر والاحسان فاذا رأيت الفقراء في لندرة توهمت ان ليس احد فيها يعمل الخير فالك ترى نساء عجسين على الثلج حافيات باخلاق ثياب يظهر منها مواضع كثيرة من ابدانهم وكثيرا ما تراهن يلتقطن الجذور من الطرق ونفاية ما يرمى به من الطعام من الديار ولا يباح للفقير هنا ان يتكفف واذا وجد احد الشرطة انسانا مانا كفه اخذه واودعه السجن غير ان بعضهم لا يخرج من ذلك ليلا اذا علم ان الشرطي لن يبصره واكثر من يفعل ذلك النساء وخصوصا نساء ارلانند فهن يحرين مع المارين ولحن في الطلب الخاف الغريم فاذا لم تمل احداهن شيئا من غريمها لعنته وانصرفت وكذلك لا يباح لاحد ان يكسب مالا بغير الوجه الذي يؤهله الى ذلك فلا يسوغ مثلا لاحد ان يتعاطى الطب وهو جاهل به او صنعة من الصنائع من دون ان يأخذها عن آخر ويشهد له استاذته بانه اتقنها ولكن هم في ذلك اقل ضبطا وتحمزا من الفرنسيين واكثر عرضة للتدجيل والمخرقة * وبقي لي هنا ان اقول ان زى الاولاد الذين في المدارس والمستشفيات الخيرية بهذه المدينة من اقبح ما يكون فان الاولاد الذين في بلوكوت سكول اعنى مدرسة الرداء الكعلى وهى من اشهر المدارس يلبسون اردية من هذا اللون طويلة الى اوساط سوقهم ويحزمون بالجلد كالرهبان عندنا ولهم جوارب صفر ولا تزال رؤوسهم مكشوفة صيفا وشتاء مع انهم من ابناء الوسطاين هم من اولاد مدارس باريس الذين يلبسون

يلبسون لباس ضباط العسكرية قصب كلاً منهم ضابطاً او ضابطاً ويقال ان اللون الكحلي في بلاد الانكليز كان في السابق خاصاً بالخدمة والصبيان فلم يكن احد من الخاصة يستلقيه نفسه حتى استعمله ضباط العساكر البحرية اولا فصار مرغوباً فيه ثم استعمله الوكس وهم فرقة من الاشراف من اهل المجلس فصار الآن خاصاً بالعظماء والتبلاء * وذكر مؤلف ايجدية الاوقات جماعة تعرف بجمعية البيل قال من شأن هذه الجمعية في فرنسا وانكلترا جمع الاموال لمقاصد خيالية على اي وجه من المبحث كان وغير مرة تقع في العنت وسوء العاقبة وقد اتمكت بانكلترا في هذه الايام في رأس مال يبلغ ثلاثمائة مليون ليرة اه * والحاصل ان في لندرة جمعيات كثيرة للخير والشر وكل ما يدار فيها من المصالح الجسمية والمساعى الجليلة فانه يكون بواسطة جماعة لا بواسطة الدولة بخلاف مصالح باريس كما سبقت الاشارة اليه واقدم جمعية للتجارة هي الجمعية السمتل ستيل يارد كان انعقادها في سنة ١٢٣٢ واقدمهن في المساعى الدينية جمعية انتشار المعارف المسيحية كان انعقادها في سنة ١٦٩٨ وفي السنتي وحدها احدى وتسعون لجنة اى كومبانية لاصناف التجارة والمبايعه منها اثنا عشرة لجنة تمت بالهونور ابل اى المكرمة * وفي لندرة نحو سبعة آلاف شرطى وهم يتنابون عسى المدينة ليلا ونهارا وفي كل طريق شرطيان منهم في كل طرف واحد وهم على غاية من النظافة والوضاعة ولا يكون مع الشرطى سلاح بخلاف شرطة باريس وانما يكون بيده عصا قصيرة عليها صورة التاج فاذا عصاه احد من ذوى الشرور القاهاه عليه ايجاباً للطاعة فلا يمكن بعدها الخلاف ويكون معه قانون مضع فاذا اراد ان يعرف شخصاً عن بعد اذاره فوق التور على وجهه حتى يراه كأنه يجنبه ولا يسمح للشرطى بان يتعاطى الدخان في حال مباشرته الخدمة خلافاً لشرطة مرسيلية وغيرها ولا ان يلبطاً من المطر او الثلج ولا ان يرفع فوق رأسه ظلة تقيه منها او من الشمس ومن هؤلاء الشرطة من يتزيا بزي العامة حتى لا يكون معروفاً ويسمى الثصاف ويجب على كل منهم ان يتعهد ابواب الديار والحوانيت ليلا ليحل هل هي محكمة القفل اولا فاذا رأى احدها غير مقفل نبه مالكها عليه وان ينظر الى اتوار القاز في المواضع المذكورة وينبه على اطلاقها بعد فوات الوقت وان يمنع من رمي المياه القنرة وغيرها من

الشبايك ويسر المرور في الطرق للمشاة والراكبين وإن يبذل جهده في فض
الجموع ومنع الخصام في الطرق وفي إزالة كل ما يخل بالحياة والادب وليس له
أن يدخل البيوت إلا باستئذان سكانها وقد يدخلها في بعض الأحوال بأمر رئيس
الديوان وذلك عند التفتيش على أشياء مهمة وإذا طلب منه أحد أن يده
على طريق أو دار فلا يألو جهدا في إرشاده ويجب عليه أن يتعرف أهل الشرور
والمساوي ويراقبهم ولا سيما إذا اجتمع منهم اثنان أو ثلاثة وإذا أراد أحد مثلا
أن يشتري شيئا من حاتوت أو يستكرى عاجلة فامتنع مالك الشيء من بيعه أو
أكراهه فللشرطي أن يلزمه بذلك نفيا للحجالة ويجب حضور واحد أو أكثر
من الشرطة في جميع المحال التي يكثر انقباض الناس إليها منعاً لما عسى أن يحدث
من الجلبة والخصام أما في باريس فإن الشرطي يتنوّأ موضعاً في داخل المحل
وأما في لندن فإنه يقف خارجاً أو في دهليز المحل وربما دخل أيضاً للتفريج كآحاد
الناس ولكن حده في ذلك معروف عند المنتابين ويجب على الشرطي أيضاً أن
يمنع الفقراء من التكفف في الطرق أو من الاضطجاع أمام الابواب وفي الأماكن
المطروقة وإذا وجد ولداً تائهاً عن مأواه أرشده فإن لم يعلم له مأوى آواه في ديوان
الشرطة وكتب اسمه وصفته في صحف الأخبار حتى يأتي من ينشده وإذا
بلغه أحد الأهليين شكوى عن لص أو ذي عدوان تبع اللص والمتعدى حتى
يتفهما فإذا وجد المذنب ساقه إلى الديوان برفق إلا إذا كان شرساً فحينئذ
يستدعى بشرطي آخر لاعتقه ويكون معه آلة يصوت بها لاحتضار من استدعى
به وعليه أيضاً أن يرى الكلاب مقيدة ولا سيما في زمن الصيف وأن يمنع الرعية
من حمل السلاح ظاهراً أو خفية ومن أذى الحيوانات وتحميلها ما لا تطيق
ويجب على كل منهم أن يكون معه كتاب فيه أسماء الطرق والسلوك والمواضع
المشهورة وحد أجرة العواجل حتى يفصل ما بين الغريمين وأن يعرف قدر
المسافة من طريق إلى غيرها وفي كل يوم صباحاً ينظر رئيس الشرطة في
ملبوس المستخدمين في هذا الديوان وفيما يلزم إبقاؤه نظيفاً فإذا رأى أحداً
منهم قد أهمل نظافته شيء أو تصليحه غرمه على ذلك وفي يوم الأربعاء
يكون تفتيش عام على الملابس ومرتب الشرطي في لندن من ستة عشر
شليماً في الأسبوع إلى خمسة وثلاثين وأكثرهم يموت بداء الصدر

من طول الوقوف وهم انفع طائفة للدينة والناس * وفي الجملة فان شرطة
لندرة خير من شرطة باريس فان جل هؤلاء من الفلاحين وهم على غاية من
الفضيلة والتكبر ولا سيما الذين يلبسون برنيطة نابليون وفي سنة ١٨٤٨ بلغ
عدد الشرطة في انكلترا ووالس ٢٠٧١٦. اكثرهم في انكلترا وبلغت مصاريفهم
١٦٣٩٤٤ ليرة منها ١٣١٢٠٢ مرتب وظائف لهم و ٣٢٧٤٤ لدواع اقتضتها
الضرورة وبلغت مصاريفهم في سنة ٥٦ ٤٣٤٠٨١ لكن عددهم زاد على
ما تقدم وفي لندرة ثلاث فرق من المشاة وكتيبتان من الفرسان هؤلاء الفرسان
نخبة من جميع المملكة فهم على غاية من الجمال والاعتدال فاذا رأيت منهم نفرا
حسينه رئيس عسكر ولهم سروايل من جلد ايض وجزم طويلة تفوت ركبهم
وعلمة نساء لندرة من السفلة يذهبن معهم مجانا وفيها ٦٠٠ موضع للاكل
و ٩٠٠ موضع للقهوة و ١٨ ملهى وهو المسمى عندهم ثياطرا اعظمها الملهى
الكائن في « هاى ماركت » يقال انه اكبر ملهى في الدنيا ومثله او اكبر منه ملهى
بيلان في ايطاليا يسمى « لاسكالا » كان بناؤه في سنة ١٧٩٠ عن رسم رجل من
النسائم غير بعض التغيير في سنة ١٨١٨ واكرى بعض اكانته العليا بثمانية آلاف
ليرة وبعض مقاعده في الحضيض باربعة آلاف ومن ذلك الاوبرة الطليانية الملوكية
في كافن كاردن احست في سنة ١٨٠٨ وفتحت في سنة ١٨٠٩ واقتضى لانشائها
وتبنيها مبالغ وافرة وبلغ مصروف محل الفناء فيها في سنة ٤٨ ٣٣٣٥٩ ليرة ومحل
الرقص ٨١٠٥ ليرات ومحل الموسيقى ١٠٠٤٨ ليرة وصرف على الآلاتية ٧٠٠٠
ليرة واجارته في العام ٦٠٠٠ ليرة واستخدمت فيه امرأه لاعبة من الفرنسيين على
ثمانية اشهر ببالغ ١٢٥٠٠ ليرة وحسب ان نفقته في كل ليلة بلغت ٨٤٥ ليرة
وقد احترق الآن ثم بني واقدم ملهى بلندرة هو المسمى « درورى لان ثياطر »
ولكن بناءه غير قديم فانه احرق مرتين وهم مرة واحدة واخسها المحل المسمى
فيكتوريا ثياطر كما ان فيكتوريا بارك هو اخس الفياض وفيكتوريا كافى هوس
اخص محال القهوة واكثر مواضع اللهو هذه تشرف بحضرة الملكة وحيث يمكن
للغنى والصعلوك ان يراها وزوجها واولادها الا ان الغالب انه متى ذهب الى
ملهى ما تنافس الناس في الذهاب اليه فتغلق المقاعد بحيث لا يعود يتبوؤها الا
اهل الاستطاعة وربما ارخيت ستارة المحل الذى تقعد فيه وليس حضورها بمانع

مما ألفه اللاعبون والمتفرجون قد شاهدت مرة بحضرة زوجها واولادها زمرة
 اللاعبين مقبلين بعضى عليها اصناف كثيرة خسية من جلتها زوج نعال واعلم ان
 التمثيل في الملهى يجاذبه نوعان من التاريخ والادب وفيه تمثل الحوادث والوقائع الماضية
 قصير كأنها مشاهدة بالعيان وفيه تنشد الاشعار الرائقة والقصائد البليغة ويقع
 من المحاورات الادبية جدا وهزلا ما يسرى به عن الكللى حزنها وكل ما يقال
 فيه فهو من الكلام الفصيح الذى تستم له علماءهم وادباؤهم فان اعظم شعراء
 الافرنج القوا فيه وما من خطيب مصقع او اديب بارع الا ودون شيئا من هذه
 المحاورات ومن طريقة اللاعبين فيه ان يخصصوا كل شخص منهم بحال فخر كان
 مديد القائمة جهير الصوت اتبع خصصوه بان يمثل الامور التى فيها حاسة ووعيد
 وتذمير ومن كان لطيفا رخصا خص بما شانه الاستشفاع والملاطفة والتلق
 ومن كان حزقة خص بالامور السخرية المضحكة وقص على ذلك ولو عرفت قدر
 ما يسرده هؤلاء اللاعبون عن ظهر القلب لاعظمته جدا فان كلا منهم يحفظ
 من القصص والنوادر ما يكون اكبر حجما من ديوان المتنبي ولا يكاد احدهم
 يتلثم في عبارة وقد يوارون شخصا بيده الكتاب الذى تحفظ منه تلك الحكايات
 في مكان حتى اذا ذهل المتكلم عن شئ رده ولكن وقوع ذلك نادر ويقال ان
 هؤلاء الفصحاء في ملعبهم اولوا عى في غيره وفي هذه المواضع من الاكلام
 والادوات والناسط ما يحير الناظر لانه على قدر اختلاف الوقائع والحوادث
 ينبغي ان يكون اختلاف الادوات اللازمة لتمثيلها مثال ذلك اذا اريد
 تمثيل ما جرى بين السموأل وبين الحارث بن ظالم حين طلب منه ان يسلمه
 الدروع التى كان اودعها عنده امرؤ القيس نصبوا مكانا شيها بالقلعة وجاؤا
 بدروع وسيوف وشخصين مثبلى امرؤ القيس والسموأل فيكون هذا لباسا لباس
 الملازم لبيته المشتغل بامور نفسه وذلك بلباس البطل المحارب المزمع على السفر
 ويشرع الشخص المثل لامرؤ القيس في ان يتخاطب الآخر با قام له هم في
 النفس اضطره الى مفارقة الوطن ومباينة السكن فان المعالى لا تدرك الا بمجهود
 النفس والمخاطرة وازالة المصون من النفائس والرغائب وما شبه ذلك من
 الكلام الحكيم وينشد في خلال ذلك اياتا يمثل بها كقول المتنبي مثلا
 * تريدن ادراك المعالى رخيصة * ولا يدون الشهد من ابر التحل *

* يغوص البحر من طلب اللاك * ومن رام العلى سهر الليالى *
ويتأوه فى اثناء الخطاب ويحرك رأسه وينظر نظرا الميتس الشافن الى ان يفرغ
من الانشاد والناس منصتون لا تسمع لاحد منهم تأمة ثم يأتى بالادرع والسلاح
ويسلمها للسؤال فيأخذها منه وبعد ان يتوادعا وينشد كل منهما اياتا دعاء لصاحبه
على ما يقتضيه المقام يدخل السؤال حصنه ويرى الحجاب وبعد قليل يرفع
ويأتى الشخص المثل به الحارث بلباس فاخر يدل على صفته ومعه جند واعوان
شاكى السلاح ويطلب الدروع من السؤال وهو متهدد له ومتوعد ويمثل بايات
تدل على شدة بطشه وسطوته بين اقرانه كقول الفرزدق مثلا

* وكنا اذا الجبار صعر خده * ضربناه حتى تستقيم الاخادع *

﴿ اوقول المتنبي ﴾

* الخيل والليل والبيداء تشهدلى * والرح والسيف والقرطاس والقلم *
فيجيبه السؤال من حصنه بالنع وينشد اياتا تدل على وفائه وصدق نيته
وشرف نفسه ثم تدور بينهما المحاوراة الى ان يقتط الحارث من اخذ الدروع
فيبعد الى ابن السؤال فيأخذها ويذبح بمرأى منه وهنا يرى السجف وبعد
قليل يظهر السؤال ويده الدروع ويذهب بها الى اقارب امرئ القيس
ويسلمها لهم وينشد اياته المشهورة وهنا يتم الفصل وهذا التمثيل يجرى فى
اكثر من ساعة لما يتخلله من المحاورات كما ذكرنا وليس الخبر كالعيان ♦
ثم ان التمثيل عندهم على نوعين الاول تمثيل ما يحزن من نحو الحروب واخذ
النار ويقال له عندهم « تراجيدى » والثانى وهو عكسه ويقال له « كوميدى »
وكلاهما يعدان من الادبيات غير ان النوع الثانى يكثر فيه التوريات والمؤاربات
والجبتيس ولغة الانكابر فيما اظن اطوع على ذلك من غيرها وان اللغات فى
هذه الملاعب وان اختلفت وفضل بعضها بعضا الا ان الحركات والاشارات
جميعها واحدة واشهر اللاعبين عند الافرنج اهل ايطاليا ولعل ذلك بالنظر الى
الانشاد والغناء فان اللغة الطليانية اطوع على الغناء من غيرها لكثرة ما فيها
من الحركات وهم اول من احيا طريقة التراجيدى وذلك فى القرن السادس عشر
ولكنهم كانوا يحفظون النغم عن ظهر القلب كما هي العادة عندنا الآن ثم اقدمى

بهم اهل فرنسا لكن الخلق وقتئذ كانت مثل العقول غليظة جافية واول من
الف في هذا الفن من اليونان اورويدوس وذلك قبل الميلاد بأربعمائة وثمانين
سنة فاما في تمثيل الحزنات ونحوها وفي خفة الحركات واللباقة فالزينة لاهل فرنسا
والانكليز تبع لهم فاما في المضحكات فهو لا هم المتبوعون وذلك لسعة لغتهم
ومن العجب هنا انه مع ما يظهر في وجوه الانكليز من العبوس والانتباض
فان لسانهم ادعى الى البسط والضحك من السنة سائر الافرنج ومن الطالبين
من يشتد في هذه المواضع اياتا بل قصائد على البديع بان يختار احد الحاضرين
لفظة ويقول للاعب انشد اياتا على هذا الروي فينشده دون توقف وقد سمعت
احد الانكليز ينشد اياتا زعم انه مرتجلها وذلك بان يصف مثلا احد الحاضرين
بانه لا يلبس لباسا بلون كذا او ان يده عصا او انه متكئ وعند التحقيق علم انه انما
كان راويا لها فقط على ان ارتجال الشعر عند اى جبل كان من الافرنج حين لان
كلامهم كله مجزوم اى خال عن الاعراب وليس بين الكلام المتعارف عند
خاصتهم وبين كلام الكتب من فرق كبير الا ان يقال ان مهابة الجمع تفهم الشاعر
غير ان من الف رؤية الجموع في كل ليلة تساوى عنده قاهم وكثرهم فخله
كئيل العائم في البحر يستوى عنده قاموسه وضخامته وعلى كل حال لهم المزية
الكبرى في كثرة الحفظ وفي حسن الاداء ثم انه كما يتعلم من هذه المشاهد
كثير من المحامد والكارم والفصاحة والخطابة كذلك يتعلم المترددون عليها
ولا سيما النساء كثيرا من الخيل والاسباب الموصلة الى الوصال وتبديل البعولة
بالعشاق لما يرين من فتور الزوج وحرارة العاشق المثلين نصب اعينهن وخصوصا
تكلف العجب والته من الالاعات على الرجال فانهن يبدن من هذه الحركات
والصفات ما يفرى كل امرأة بمحاكاتهن وكذلك اللاعبون يبدون من الحماسة
والتهجر ما يشوق كل امرأة الى ان يكون لها بعل او عاشق نظيره ولا سيما حين
يلبسون الدياج ويتقلدون السيوف ويأمررون وينهون واعظم ما يعجب النساء
من تلك المناظر هو ان يرين الرجال يتضاربون بالسيوف ونحوها او ان يأخذوا
ثارهم ممن افترى على حرهم وقد تلبس الرجال في هذه الملاعب ملابس النساء
والنساء ملابس الرجال واحسن ما تبدو المرأة به ما اذا لبست لباس الكمي وعلى
رأسها خوذة وفي الواقع فان كل ما يلبس هناك يلبق بهن ومن اعجب ما يرى

من احوال هؤلاء اللاعبين واللاعبات هو ان الشيخ منهم يتغنى في زيه واطواره
وكلامه حتى لا تحسبه الا فتى والفتى يتشيخ بحيث تحسبه هنا هرما فلو ظهر في
المرءة الآتية ما عرفت منهم احدا بل يغيرون ايضا اصواتهم ولهمجتهم وسحتهم
وشعورهم ويتحادبون ويتعارجون ويتماضون ويتناومون ويتعامون ويتسكرون
ويتباكرون ويتضاحكون ويتعاقون ويتجانون ويحسون الملوك والقضاة
والعلماء والاطباء والفقهاء والمتحذقين والحمقى وكل سنف من الناس ومن اعظم
ما اضحكني من محاكاة الثاؤب تمثيلهم اميرا من امرآء باريس قدم الى لندن
واستوخم هواكها فكان كلما قال كلمة ثاؤب وتناقص اشاره الى ان هواء البلاد
قد ثقل عليه وان ججع الانكليز ذووا وجوه كالخفا ومن يرهم اول وهلة
فربما حسدهم او تمنى ان يكون في زميرتهم اذ يراهم مغازلين للنساء
الحسان ومتردين باللباس الفاخر وربما اكلوا في الملعب الطعام القدي وشربوا
الشراب اللذيذ الا انه عند التروى يعلم ان حرقهم لمن اشقى الحرف لان اللاعب
يلزمه ان يعيد لعبته عدة ليال متتالية كما هي وكذا المغنى والمشد والشئ
اذا تكرر تكرر وربما لزمهم في الليال الباردة ان يلبسوا الثياب الرقيقة وفي
الصيف عكس ذلك وخصوصا انهم يعلون من انفسهم انهم الامستاجرون
وان استبرقهم ان هو الا عارية وهي عار وحيث قد جرت العادة بان ابتداء اللعب
يكون غالبا في الساعة السابعة وخاتمه بعد الحادية عشرة كان كثير من
العابهم مخيفا فلو قدسروا الوقت واجادوا اللعب لكان اولى وهذا كالتزام
بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمى نوقل وهو ان يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات
فيفسفون ويدفقون ويأتون بالغث والسمين وقد رأيت غير مرة امرأة تبرز
في ثياب رثة ثم تغسل وجهها وتمشط شعرها والناس يغيرون من ذلك في الضحك
واعرف اناسا كثيرين يحرمون انفسهم من لذة الاكل والشرب حتى يمكنهم
مشاهدة هذه الملاهي ولا يعلون من ان ينظروا تمثيل واقعة واحدة عدة مرار
وفي الواقع فان نصف تمثيلهم انما هو هراء بالتزويج وكذلك اكره من تمثيلهم
انهم يجعلون المرأة الضعيفة الصوت تنشد اشعارا فيها حاسة ووعيد وكذا
يجعلون الانسان مشتركا اى يحدث نفسه فيقول المحب مثلا وقد اعيت الحيلة
في وصال محبوبته كيف افعل الآن وقد سدت على مذاهب الآمال فلم يبق لي

الا هذه الوسيلة وهي كذا وكذا او يقول انا لا استعجم الليلة قبل ان انام وكذلك استعجم برؤس المرأة مثلا في اللعب ويدها ككتارة او آلة اخرى للطرب ولا تعرف بها وانما يعزف عنها بعض العازفين من تحت اللعب وهي مع ذلك تمر يدها على الآلة وتوهم الناس ان الصوت خارج من آلتها • وبودي لو كانت العرب نقلت عن اليونانيين شيئا من هذه المحاورات كما نقلوا عنهم الفلسفة او انهم القوا فيها ولا يبعد عندي ان شعراء العرب حين كانوا يتناشدون الاشعار في عكاظ كانوا يجرونها على وجه يكسبها حوكا في النفوس مع اقترانها بالحركات والاشارات ولا شك ان في هذا التمثيل يكتسب كلام الشاعر رونقا اكثر مما لو بقي في الكتب او انشاد مجرد انشاد ولا شك ان مبدأ الملاحى عند اليونانيين كان مثل اجتماع العرب في عكاظ ثم توسعوا بها فان جميع العلوم والفنون بل الاديان نفسها تكون في مبدأها ضعيفة ومن انواع هذه الالعب اللعب الذى يقال له بنطوميم وهو لعب بالاشارة والحركة من دون محاورة ولا يلعب فيه الرجال والنساء الا بما يضحك ويسر والواقع ان للاشارات شجونا وفنونا اكثر من الكلام ولا تكاد تدخل تحت حد وتعريف ولا تنهى الى مدى واحسن هذه الاضاحيك ما وقع بعد عيد الميلاد وصفتها ان يبرز رجلان او اكثر بلباس سفريه وآخرون عليهم لباس مذهب في هيئة الجسم ونساء بايديهن شبه عصا الساحر وهن بلباس الرقص فكلما ضربت المرأة بالعصا على الحائط خرج منه شئ او انشق او على صندوق انفتح واستحال الى هيئة اخرى وقد جرى مرة بقفص كبير فيه صورة ديكين فضربت امرأة بالعصا فاذا هو قد استحال الى عاجلة ملجحة من خرفة فسارت فيها وربما انقلب المكان كله بسقفة وحيطاته واثائه فصار يتبادع الاستحكام وربما رأيت كل ما فيه يدور ويتحرك او يصعد في الجو ويغيب عن النظر ومن احسن ما رأيته في هذه المواضع على كثرة تردى اليها تمثيلهم قبح الاسبانوليين مدينة يرو في امريكا واجتماع اهلها في هيكل لهم يسمى هيكل الشمس للاستغاثة بها على العدو فجلسوا دائرة جهة المشرق شبيهة بالشمس ولها شعاع بهى وبين يديها مذبح عليه شملة نار سنية وقام كاهنهم يحضهم على القتال ثم اندفعت الرجال والنساء يرتلون لها ترنيلا مطربا وكانوا جمعا عظيما حتى كاد المكان يتزلزل لاصواتهم ثم جعلوا محلا يأتى عليه ضوء القمر وجاء

وجاء نحو ستين جارية من الحسان بلباس الكمة وعلى رؤوسهن أكاليل وكان يرى لهن ظل في ضوء القمر ثم اطلعوا شجرة نخل من وسط الملعب ثم رمت بما كان يرى في جنتها شيها بالسعف فصارت كالشرائط فامسكت كل جارية بشريطه وجعلن يرقصن بالتقابل والتدابر والتزاوج والانفراد وبكل شكل من الاشكال بما يدهش الناظر ومن ذلك انه برز في اللعب مائة وثلاثون جارية بلباس الرقص الشفاف وبعد ان رقصن هنيهة ارسخ الحجاب ثم قمع واذا بهن كل سنج يتلألأ بالانوار الملونة البهيجة الساطعة وقد وقف عشر جوار من هذا الجانب وعشر من الجانب الآخر باثواب من الخز شغافة بلون القزفل ولبت رؤوس ست جوار من فوق حيز قصفت الناس تعجبا واستحسانا ثم اصعدت هؤلاء الست وظهر صف آخر من فوقهن بلباس من قصب مرصعة بججارة تلعب وعدتهن اثنا عشرة جارية فزاد تعجب الحاضرين فلما تكامل الاصعاد اذا بالجوارى الست متكئات كل اثنتين منهن متقابلتان ثم اصعد ثلاث جوار ووقفن بين الصفيين بلباس مذهب وبأيديهن صوالج تلعب ثم زادت الانوار تدبجا وسنا وزاد تعجب الناس ثم اصعدت ثلاث جوار اخرى ووقفن فوق الصف الثاني وبأيديهن صفائح لماعة ثم ادلى ثمان جوار من كل جانب اربع فكن يدرن متدليات في الهواء المنير وبعضهن اعلى من بعض ثم اصعدت جارية واقفة على شبه قبة مرصعة بقطع من جواهر تالقي كأنها الزيا التي تعلق في السقف وهي في داخل الهيكل ويدها صولجان فكانت اعلى من الجميع وكانت ثيابها تالقي تالقي اليتبة وكان على حائط الهيكل صورة امرأتين ايضا بصفة هؤلاء الجوارى فلم يكن الناظر يميزهما من النساء وحينئذ بلغ العجب اقصاه واخذ اصحاب البطوميم يلعبون والنساء على تلك الحالة وقد يصعدون النساء والاشجار من اسفل الملعب اصعادا ويزولفن من السقف اتزالا ويعملون جميع العجب والخيطان تحرك بنفسها ويمثلون الشمس والقمر والبحر والشجر والجبال والضباب والثلج والمياه وسائر المخلوقات والمصنوعات ومرة اخرى رأيت سفينة في بحر اوشى شبه البحر ثم اخذت الامواج ترتفع وتلاطم حتى علت على السفينة ففرقت فيها اصلا ويطلقون قبا مذهبة محفوفة بالانوار المتألقة والبرق يحفها ثم تنشق عن رؤوس نساء ثم تأخذ في النزول والنساء في الظهور الى

ان تغيب القبة بالكفة وتبرز النساء في الملعب ويلبس الرجل هيئة ديك والمرأة هيئة دجاجة وترى شيئا يستحيل طأوسا يمشي وآخر بقرة تحرك وغير ذلك مما يقصر الوصف عنه وما أعجني ايضا تمثيل عرس بعض ملوك الهند بان زينوا فيلين احدهما كبير والاخر صغير وعلى كل منهما قبة مزخرفة فدخل الملك في قبة الفيل الاكبر ودخلت الملكة في قبة الآخر وامام الفيلين ووراءهما جمع لا يحصى ومرة اخرى مثلوا حالة المتزوج مع امرأته بعد عقد الزواج بيوم واحد وذلك ان رجلا غضوبا تزوج امرأة مثله وكل منهما كان يعلم حال صاحبه وكان في نوبة غضبه يركس من امتعة البيت ما يمكن ركسه ويكسر ما يمكن كسره ثم يدعو خادمه ويبعث به ويؤذيه وكذلك المرأة كانت تركس وتكسر وتفعل بخادمتها فلم تأت عليهما ليلة الا وقد اتلفا جميع ما في الدار فكنا نرى اوراق الكتب تنثر في الجو والتماش يمزق والكراسي واللوائذ تركس وكان مرة اخرى يؤتى لرجل آخر غضوب يطبق فيه طعام فيرمي به في الملعب فحيت انتهى الطبق يطلع رأس انسان من كوة في الملعب ويدخل فيه واعلم ان الرقص في هذه الملاهي مخالف للرقص المعهود في المراقص فانه هنا اكثر خفة وصنعة وموازنة فقد ترقص المرأة على رؤوس اصابعها عدة دقائق وتمشي كذلك القهقري وقد تتخلع وتتفكك تتخلع الرقصات في بلادنا تقريبا بحيث لا يدين شيئا محلا بالحياء الا انه كثيرا ما يرفعن سيقانهن في وجوه الناس وحين يدرن دورا متابعيا يرى الرائي افخاذهن المسترة تشف من الخنز ومع ذلك فلا يعد هذا محلا بالحياء وكذا التقبيل فان الرجل يلثم المرأة في فخها وخديها ولا حرج وتعلم الرقص في بلاد الانكليز اصله من بلاد ايطاليا وذلك في سنة ١٥٤١ • ونقلت من كتاب معجم الاوقات ان مبدأ هذه التمثيلات في بلاد الانكليز كان لاشياء روحية دينية واول تمثلة اجريت متقنة كانت على عهد الملكة البصابت وان اول تمثلة اجريت منسقة ومنظمة كانت في رومية بحضرة البابا ليو العاشر وذلك سنة ١٥١٥ • وفي لندن اثنان وعشرون موضعا يرى فيها صور البلاد والمدن والاشخاص من وراء الزجاج ويقال لها بانورامه اعظمها المحل الذي يسمى كوليسيوم يصعد الى قبة في درج او في قبة صغيرة مزخرفة على شكل بيوت الصين لا تنع أكثر من اثنين فاذا استقرا فيها حركت بألة من تحتها كآلة الباخرة فتنبعث صمدا فاذا

فلذا بلغ الانسان القبة وهي ذروة المحل رأى صورة لندرة ابوباريس بكل ما فيها من الديار والطرق والانوار والمواضع المرتفعة والمنخفضة حتى يظن ان الرقى شئ محسوس ويحبل له ان المسافة التي بينه وبين اطراف المدينة بعينه كسافه الصور ويرى ايضا القمر يسير والنجوم تنقض وتزهر والنبل يساقط ويسمع زمزمه الرعد وغير ذلك مما يذهله • ومن المواضع الشهيرة دار الاختبارات العلمية وهو موضع يشرح فيه خواص الاشياء وكيفية العلوم والصنائع ومن اعظم الآلات فيها جرس كبير يزل الناس فيه في حوض ماء وهناك ماء رأيت الناس يغسسون فيه اصابعهم ويضعونها بجملة لان فيه خاصية الارجاف الكهربية • واعظم بناء في لندرة بل في الدنيا كلها مجلس المشورة اول حجر وضع في اساسه كان في السابع والعشرين من نيسان سنة ١٨٤٠ ودام بناؤه عشرين سنة ومساحته اكثر من ثمانية جربان فيه اكثر من ١٨٨٠ حجرة و ١٩ ديوانا و ١٢٦ مرقى وبلغت نفقته ٣٥٠٠٠٠ ليرة طول مجلس الاعيان فيه ٩٧ قدما وعرضه ٤٥ وارتفاعه كذلك فيه عرش يجلس عليه الملكة وكورسيان عن يمينه وشماله احدهما زوجها والثاني لولدها وهويشبه كنيسة صغيرة لكنه من دون كوى وعلى مدار حيطانه زجاج ملون عليه صور ملوك الانكليز وارتفاع مجلس النواب ٤٥ قدما وعرضه كذلك وطوله ٦٢ وهويفتح في شهر شباط ويفلق في تموز فتكون مدة انعقاده ستة اشهر وقبل الشروع في المذاكرة والنظر في المصالح تقام الصلاة وكذا هي العادة عند الانكليز قبل كل امر ذي بال ولا سيما قبل القتال وحين تحضر الملكة لقمحه او لاغلاقه يقدم لها احد ارباب المناصب العالية خطابا وهو جاث على ركبتيه فتأخذه منه وتلوها ايذانا بما ذكره وقبل حضورها بساعتين تفتش اسرابه ودهاليزه جريا على العادة من سنة ١٦٠٥ وذلك ان اهل مجلس المشورة حين كانوا مجتمعين يوما وكان دين البروتستانت قد استتب حديثا حاول بعض من الكاثوليكين ان يحرق المجلس واهله يسارود كان قد خزنه تحت اسسه فاتقه لهذه المكنية بعض الحاضرين وفسدت على الرجل حبلته وقد فرصت كنيسة الانكليز المتأصلة صلاة معينة لذلك اليوم وهو الخامس من شهر نوفمبر وفيه يخرج رماع الناس بتساوير وتماثيل كثيرة يمثلون بها ذلك الرجل والباب

وغربهما من يحسبه الانكليز عدوا لهم وبعد ان بطوفوا بهما المدينة بضجة وزأط يحرقونها عند برج لندن ويسمون هذا اليوم كي فكس • واعلم ان اهل المجلس ينقسمون الى قسمين الاول يقال له مجلس الاعيان والثاني مجلس النواب اما اعضاء مجلس الاعيان فقد يكونون من اصحاب الوظائف العالية سواء كانت دينية اودنيوية وعدتهم ٤٦٢ منهم ٢٦ من مطارنة ايرلاند و ٢٨ من اعيانها وما حكم به هؤلاء السائون لا يقضه اصحاب مجلس النواب الا في امور مخصوصة ولكل منهم ان يحتج عن نفسه حين تقام عليه الدعوى ويبنى الاسباب التي يستصوبها خطأ واذا لم اثبات ما قرره يكتفى بمجرد قوله على شرف وفي غير ذلك يحلف واذا قضى اهل مجلس النواب بشئ فلا بد وان يعرضوه على مجلس الاعيان ولللكة ان تبطل حكم المجلسين ولكن قلنا تجرأ على ذلك ولكل من الوزراء ٥٠٠٠ ليرة في السنة ولاحد الدوكات من رزقه في كل يوم الف ليرة ورئيس المجلس ٨٠٠٠ ليرة وداريسكنها وعدة اعضاء مجلس النواب ٦٥٨ يتخبرهم اهل اقاليم انكلترا وهي ٥٢ اقليما واهل المدن والمدارس ولا بد من ان يكون لثائب الاقليم ايراد ٦٠٠ ليرة في العام من رزقه ولثائب المدينة ٣٠٠ والحكمة في ذلك ان يكونوا قادرين على التفرغ للنظر في مصالح الرعية واول مجلس مشورة عرف للانكليز كان في عهد هنري الثالث سنة ١٢٦٦ وفي سنة ١٣٤٠ انقسم الى مجلس الاعيان ومجلس النواب كما تقدم ومصاريف المجلس تبلغ في السنة نحو ١٦٢٢٣٠ ليرة منها مصروف الطبع يبلغ ٧٥٩٥٤ • وعروض الحال التي تقدم لمجلس المشورة يبلغ عددها في السنة نحو ١٠١٢٨ وعدد التوقيع او الامضاء ١٦٨٧٩٣٣ • ومن المباني العظيمة في لندرة المتحف البريتاني وهو الموضع الذي فيه المتحف القرية والاشياء العادية والحجارة المعدنية ويقال له بريتش موزيوم بني من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٥١ واصل انشاءه ان رجلا من الاعيان اسمه هانس سلون توفي سنة ١٧٥٣ واوصى بعشرين الف ليرة لشترى تحف توضع في محل مخصوص للتفرج عليها فاجب ذلك مجلس المشورة وفي ذلك التاريخ جمع ٣٠٠٠٠٠ بامر المجلس لانشاء ذلك الموضع وفيه من القرائب حجر يقال انه سقط من الجو في ولاية السالك حين كان الامبراطور مكسيميليان غازما على ان يوقع

يوقع بالفرنسيس لحفظ في كنيسته انفسهم الى اوائل فتنه الفرنسيين ثم نقل بعد ذلك الى مكتبة كمار زنته ٢٧٠ رطلا انكليزيا. ويوجد فيه ايضا حجارة اخرى سقطت من الجوب بعضها سقط في سنة ١٧٩٠ وبعضها بعد ذلك باربع سنين وبخمس وفيه جميع الحيوانات مصبرة وصور وتماثيل وكسبي اهل البلاد الاجنبية وآلات طربهم واثاثهم والعصافير المصبرة والطيور والوزغ والاسماك والاصداف والعظام والقرون والجماجم واسنان الفيلة والبيض ومن هذه الحيوانات ما انقرض نسله من جملتها سلحفاة جلبت من الهند وقد دفع في ثمنها ١٠٠٠ ليرة وفيه موضع آخر لجميع اصناف الجواهر المعدنية وآخر لاصناف الدراهم والدنانير القديمة رأيت في جملتها دنانير ضربت على عهد هارون الرشيد بالخط الكوفي وهي كبيرة رقيقة وفيه موضع آخر للكتب تبلغ اكثر من ٦٥٠٠٠ كتاب واذا اعتبرتها بحسب الاجزاء تبلغ اكثر من ٩٠٠٠٠ وهذا التمر يساوي مقدار كتب برلين وروما ولكن دون القدر الموجود في باريس ومونيش وهذه الكتب موضوعة على رفوف تشغل مسافة ١٥ ميلا من جملتها الكتب التي كانت للملك الانكليزي تبرعوا بوقفها على المحل المذكور منها كتب مجلدة بالتحمل كانت للملكة البصابت ولجامس الاول ولشارلس الاول وغيرهم وكتب كانت لجورج الثالث وهي ٨٠٠٠٠ واعظم موضع في هذه المكتبة هو ما وقفه الملك جورج الرابع يبلغ ثمنه ١٣٠٠٠٠ ليرة فيه تورا قديمة طبعت في متن سنة ١٤٥٥ وامثال لقمان الحكيم طبعت في ميلان سنة ١٤٨٠ واول نسخة طبعت من اشعار اوميروس طبعت في فلورانس سنة ١٤٨٨ ونسخة اشعار فرجيل طبعت في فينيسيا سنة ١٥٠١ وفيها صوانان قيمة ما فيهما من الكتب ربع مليون وهذه المكتبة يدخلها الناس باذن من ناظرها لاجل المطالعة والمراجعة وفي كل نصف سنة يتجدد الاذن ولا يؤذن للمطالع ان ينسخ كتابا منها يرتمه وانما ينسخ منه جلا ولا ان يستحبه ولا ان يطلب كتابين في تذكرة واحدة وقد بلغ عدد المطالعين في سنة واحدة ٧٠٠٠ وعدد كتب الخط ٣٠٠٠٠ وثمان خزائين منها فقط ٢٥٠٠٠٠ في جملتها كتاب تورا كسب لشارلمان وكتاب صلوات للملكة البصابت غشاؤه من صنع الابرة عملته بيدها وفيها ٣١٧ كتابا باللغة السريانية • قلت لم يذكر المؤلف عدد الكتب العربية جريا على عادة اهل بلاده من عدم المبالاة بنفسها وان يكن

قد دون بها من العلوم والفنون ما لم يدون في لغة شرقية قط وحين كنت اذهب الى هذا الموضوع للطائفة لم يتهأ لي ان اعرف اسماء الكتب العربية بمجملتها لان اكثرها مكتوب بالحروف اللاتينية ومعلوم ان الاسم العربي لا يظهر بها حق الظهور ومما رأيت فيهما من الكتب الجليلة ادب الكاتب لابن قتيبة والتوايح للزنجشري ومدح الثئي وذمه للمحافظ وديوان ابي تمام وهذا التحف هو من بعض ما يمكن رؤيته مجانا بلندن يفتح ثلاثة ايام في الاسبوع وهي الاثنين والاربعاء والجمعة من السابع من سبتمبر الى اول شهر ماي ولا يدخله من الاولاد من كان سنه دون ثمانى سنين وعند بابيه عسكريان بالسلاح اعتبارا للمحل وقد ضمن بعض الكتب بلندن بثلاثة آلاف ليرة وبيعت نسخة من بوكانشو بالفين ومائتين وستين ليرة وقومت نسخة من تورا مكلين بمئسمائة وكسور • ومن ذلك متحف آخر يعرف بمتحف الخدمة المتحدة بنى في سنة ١٨٣٠ وهو يشتمل على تحف نفيسة من جلته سيف كان يتقلده اكرامول المشهور وجثة الحصان الذى كان يركبه نابليون الاول في حرب واطرلو يقال له مارنغو ذو اللحية وفيه ايضا صورة تلك الواقعة ولوح من وجه السفينة التى انتصر فيها نلسون وآخر يعرف بمتحف خصائص الجيولوجيا بنى في سنة ١٨٣٥ وقم في سنة ١٨٥١ بابت نفقة ٣٠٠٠٠ ليرة وهو يشتمل على الجواهر المعدنية وعلى ما يوجد من اصناف الحجر في بلاد الانكليز وغيرها من البلاد وعلى الآلات المتعلقة بهذا العلم وآخر يعرف بمتحف المرسلين يشتمل على اشياء كثيرة مما يتعلق بعلم حياة الحيوان وعلى مشاهير آلهة الوثنيين واشياء اخرى عديدة جلبها هؤلاء المرسلون من البلاد التى جالوا فيها وآخر يعرف بمدرسة الجراحين بنى في سنة ١٨٣٥ وابت نفقة ٤٠٠٠٠ ليرة يقع لاهل المدرسة ولين يكون له اجازة من احدهم وذلك في ايام معاومة من الاسبوع وهو يشتمل على ٢٣٠٠٠ قطعة من الاجسام المصبرة ومن الاعضاء والآراب وعلى جثة جبار من اهل ارلاندا طولها ثمانى اقدام مات وهو ابن اثنين وعشرين سنة وذلك سنة ١٧٨٣ ولما مات قيس فت كانت ثمانى اقدام وربعا وفيه جثة رجل حرقه من صقلية طولها عشرون اصبع • قلت ومن مشاهير التصار فيلبطوس الكوسى كان من صغره اذا خرج يضع في جيبه كرات من الرصاص خيفة ان تطيره الريح وكان شهيرا ايضا في عصره بالعلم ونظم الشعر وآخر يسمى البيوس الاسكندري

الاسكندري كان طوله قدما وخمس اصابع ونصف اصبع وكان له شهرة ايضا بالذوق والفلسفة قال وفيه جثة جبار آخر من ارلاندا طولها ثمانى اقدام وسبع اصابع ونصف وقد نزع من جثة جبار فرنساوى كان طولها سبع اقدام واربع اصابع وجثة فيل جلب من الهند وكان يؤذى الناس لداء اعتراه فكان لا بد من قتله برشق من الرصاص ولما اريد قتله اناخ على صوت قائده ليصوب بعض المقاتل في جسمه فلم يمت الا بعد ان اطلق عليه مائة رصاصة وتم جثث اجنة اسقاط واختان توأمان ولدتهم امهما وهى بنت سبع عشرة سنة من دون مقاساة الم ولم تزل اجسامهما متحدة وفيه شكل احشاء نابوليون مظهرة لانتشار الداء الذى اودى به • وآخر يقال له متحف صون بالقرب منه بنى فى سنة ١٨١٢ يشتمل على اربع وعشرين مقصورة فيها تماثيل ونصاوير وحجارة ثمينة وغير ثمينة ومتحف وكتب فى جلة ثمانية تماثيل احد آلهة المصريين السمى اوزير ثم ٢٠٠٠ ليرة وفيه فرد مرصع (طنجية) كان الملك بطرس الاكبر اخذه من قائد الجيوش التركية فى بحر الخزر سنة ١٦٩٦ ثم اهداه الملك الكسندر الى نابوليون عند الهدنة التى وقعت فى تلسيت سنة ١٨٠٧ واستحبه نابوليون الى جزيرة صانت هيلان ثم جاد به على بعض ضباطه وانتقل اخيرا الى لندن • ومن ذلك الموضع الذى يقال له روشن الامة بنى فى سنة ١٨٢٤ وبلغت نفقته ٩٦٠٠٠ ليرة وهو يشتمل على ٣٩٠ صورة منها ٣٨ صورة قومت بسبع وخمسين الفا وست عشرة ليرة ثمنها ٧٥٠٠ وهو دون نظرائه فى بلاد اوربا • ويوجد ايضا محال اخرى عديها خمسة عشر محالا لجماعات الجغرافية والبناء ومعرفة المعادن والتصوير واللقاء الخطب وغير ذلك • ومن المباني الجليلة البنك انشىء فى سنة ١٦٩٤ مرتب ناظره فى السنة اربعة آلاف ليرة والوكيل ٣٠٠٠ ليرة واكل من المباشرين وهم ٢٤ رجلا ٢٠٠٠ ليرة وعدد المستخدمين فيه ١٦٠١٦ منهم ٨١٤ كتاب وسنوتهم من الخمسين ليرة الى الالفين بجملة مرتبهم فى السنة ١٩٠٠٠٠ ليرة وكل كواغد يعاد اليه بلاشى ودين الدولة للبنك يبلغ ١١٠٠١٥٠٠ ولا يسمح بان كواغده تزيد على ١٤٠٠٠٠٠ ليرة وفيه ما يتداول منها فى ثلاثة اشهر تزيد على ثمانية عشر مليون ومن هذه الكواغد ما تساوى قيمته الف ليرة واظن ان اغلى كواغد فرنسا لا يساوى اكثر من الف فرنك وفيه سبائك

ذهب منها ما وزنه ستة عشر رطلا وقيمته ثمانمائة ليرة وفيه عدة موازين من
جلتها ميران يزن من سبائك الفضة من خمسين رطلا الى ثمانين وآخر يزن في كل
دقيقة ٣٣ ليرة وقد جعل بحيث يزن الدينار الرابع ويرميه في صندوق والرائف
في صندوق آخر وفيه آلة لطبع الكواغد ورسم اعدادها من الواحد الى مائة
الف بغاية ما يكون من الضبط والاحكام وبجانب هذا المحل الدار التي تجتمع
فيها التجار فتحتمل الملكة في سنة ١٨٤٤ وبانت نفقتها ١٨٠٠٠ ليرة
وفي وسطها تمثال الملكة وعلى حيطانها روائع ما عند اصحاب الصنائع والتجارة
من الادوات والتحف وامامها ساحة مبلطة فيها تمثال ويلنكطون من نحاس
راكبا على فرس فوق عود من الرمر • وقال صاحب العجم كواغد البنك
التي تداولها الناس في سنة ١٨٥٥ بلغت ١٩٦٦٦٦٢٧ ليرة وفي بعض
الاحايين زادت على هذا القدر وقيمة السبائك التي فيه بلغت في سنة ٥٣
٢٠٥٢٧٦٦٢ وفي سنة ١٨٢٨ تفرع عنه في المملكة عدة فروع • ومن ذلك
الكمر ك بينى من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨١٧ وفي سنة ١٨٤٩ بلغ عدد المستخدمين
فيه ٢٢٢٨ شخصا يصرف عليهم من المرتبات ما يبلغ في السنة ٢٧١٢١٣
ليرة ودونه كمر ك ليفريول كان فيه من المستخدمين في ذلك التاريخ ١١٤١
نفسا و اراد الكمر ك الاول وافر جدا وفيه مقصورة طولها ١٩٠ قدما وعرضها
٦٦ • وتقلت من بعض صحف الاخبار ان ما دخل من التبغ في سنة ١٨٤٨
بلغ ٢٧٣٠٥١٣٤ رطلا ومقدار ما دفع عليه من المكس ٤٣٦٥٢٣٣ ليرة
وعدد من ثقفوا من مدخلى الصنف المذكور من دون مكس ٢١١٥ وفي سنة
١٨٥٠ بلغ المجموب منه نحو ٤٣٥٠٠٠٠ رطل واما اسم التبغ فيقال انه
منقول عن اسم اقليم في اسبانيا الجديدة بامريكا واول ما علم امره كان في سنة
١٦٩٤ وفي سنة ١٧٣٠ استعملته الاسبانيول في يوكاتان واكثروا منه وفي
سنة ١٥٦٥ جلب الى بلاد الانكليز فكان يصنع فيها اولاً لاجل ارساله الى
الخارج وفي سنة ١٥٨٤ شهر استعمله في ازلكطون ثم منع وفي سنة ١٦١٤
ضرب عليه اذآء على كل رطل نحو سبعة شلينات وفي عهد شارلس الثاني منع
تنبية وغرسه ثم ابيح • ومن ذلك المالك العام اى البوسطة بينى من سنة ١٨٢٥
الى ٢٩ يبلغ عدد المستخدمين فيه ٢٠٠٠ وعدد المستخدمين في ضواحي لندرة ٢٠٠٠
وبلغ

اى فرنسا ١٥٨١٥ نفسا • واول من رتب البريد لويى الحادى عشر ملك فرنسا ولكن ليس على هذا النوال الذى نراه الآن وانما كانت الكتب تبلغ الى اصحابها على يد رسل من الملك من بلد الى آخر وبقي هذا الترتيب مجهولا عند غيره من الملوك مدة طويلة وهو الذى عدل الميران والكيل واول من نعت نعت ماجستى اى عظمت واول من اخترع هذا الطابع الذى يلصق بالرسائل رجل من اهل السويد اسمه تريكنبر وذلك فى سنة ١٨٢٢ وبقي اهل هذه البلاد الى القرن الحادى عشر خالين عن المعارف وكان دأبهم التقل والترحل الى البلاد الاجنبية • وفى لندرة ٢٦ متدى ويقال لها الكلوب وهى ديار رحية يجتمع فيها اغنياء الانكليز للذاكرة والمعاملة والمطالعة والاكل والشرب منها ما يجتمع فيه ٣٠٠ ومنها ١٠٠٠ واكثر ولا يدخل فيها احد الا بشهادة بعض من اهلها واداء الدخول من ٩ ليرات الى ٣٢ ليرة وفى كل سنة يدفعون ايضا شيئا لمصاريف خدمتها وفرشها وانوارها وذلك من خمس ليرات الى اثنتى عشرة ليرة وكلها حديثة عهد بالبناء وهذه المحال لا يدخلها النساء واذا رضى احد من اهل هذه المواضع عن احد من الغرباء ادخله فى زمرة اكرامه • وفيها عدة كنائس عظام اقدمها وسميت سترابى كانت فى الاصل ديرا للرهبان البانديكتيين اسست فى سنة ٦١٦ ثم وسعت وجددت وفيها توج ملوك الانكليز وملكاتهم من عهد ادورد الثالث المعترف الى عهد الملكة فكتوريا وقد جلست على الكرسي الذى توج عليه الملوك وهو كرسي عال قديم مغشى بالجلاد ككراسى الكنائس والاديار فى الزمن القديم خال عن الزخرفة مطلقا وكثير من ملوك الانكليز واعيانهم وعلماهم قد دفنوا فى هذه الكنيسة من جلاتهم هنرى الثالث ومارى ملكة سكوتلاند وكتراف الشاعر صنع له قبر فبلغت نفقته عشرة آلاف ليرة صرفت من هاتره زوجة الدوك اودتشس مالبولور وفيها قبر لاسحق نيوطون كلف خمسمائة ليرة وآخر لشكسبير ولما سئل هوب الشاعر ان يكتب تأييده كتب ما ترجمته هكذا « اهل بريطانيا يحبوننى ويحفظون صيتى سالما عن اسم بربر او بنصون » يعنى ان هذين الرجلين كانا لا يحسان الرثاء والتأبين مع كونهما كانا متعارضين له • ومن ذلك كنيسة صان بول اى مار بولس وقد تقدم ذكرها اول حجر وضع فى اساسها كان فى سنة ١٦٧٥ وآخر حجر فى سنة ١٧١٠ وذلك بعد ٣٥ سنة فى عهد اسقف واحد

واحد وبلغت نفقتها ٧٤٧٩٥٤ ليرة و٢ شلين و٩ ينس جعت من مكس جعل على الفقم ولذلك يقال انها تزت بلباس اسود كما زارها الآن • قلت بل ججع مباني لندرة متردية بهذا الرياض حتى ان مجلس المشورة مع كون البناء فيه متواصلا يظنه الناظر قد مضى عليه احقاب من الدهر قال وشكلها على شكل صليب لاتيني وطولها من الشرق الى الغرب ٥٠٠ قدم وعرضها ١٠٠ وطول صومعتها ٢٢٢ قدما وارتفاعها من الحضيض الى ذروة الصليب ٤٠٤ اقدام وعدد قضبان درابزينها المحيطة بها ٢٥٠٠ رملت نفقتها ١١٢٠٢ ليرة ونصف شلين ودورتها ثلاثة ارباع ميل • قلت ججع التريعات والحدائق والفياض بلندرة ومعظم الديار محاطة بدرازين من حديد لعل ثمنها يوازي ثمن مدينة باسرها • وداخل الكنيسة مبلغ بالرخام الاسود والابيض وسقفها عقد من دون زخرفة ولها قبة عظيمة دورتها من داخل ٣١٦ قدما واذا طلعت الى اعلاها من داخل الكنيسة خطوت ٦٦٦ درجة ومس شان هذه القبة انه اذا وقف رجل في جهة منها ووقف آخر في جهته المقابلة واسر الى كلاما بان يضع يده على حائط القبة سمعه الآخر وفي داخل الكنيسة تماثيل الملوك والمشاهير من الانكليز وابغالهم عندها تماثيل ملائكة بصورة نساء يقدمون لهم الاكالي اشار الى انهم ماتوا في سبيل الله وتم ايضا تماثيل نساء بارزة نهودها ولها اربعة ابواب في كل جهة باب وقدم الباب الأكبر ١٢ عمودا من اسفل و ٨ في الطبقة الثانية ولكل من الباقى ٤ اعمدة ولها قبتان متقابلتان في كل منها ساعة دقاقة وفي يوم معلوم من السنة يهيئون موضعا فيها لترتيل الاولاد تبلغ نفقته ٣٠٠ ليرة وفي اليوم الثاني يزاح وهذه الكنيسة هي اكبر كنيسة للبروتستانت في الدنيا ودون كنيسة رومية وهي تشبه بعض الملاحى في انها لا تنقح الا في ساعة معلومة من النهار ولا يمكن رؤية ججع ما فيها الا بآداء نحو خمسة شلينات • وايراد رئيس اساقفة كمبرورى في السنة ٢٥٠٠٠ ليرة وايراد رئيس اساقفة يورك ١٥٠٠٠ وليس لمطران باريس من الارداد ثلث ما لمطران لندرة وجلة ما يصرف على الكنائس نحو ٥٠٠٠٠ ليرة وايراد اسقف لندرة في السنة ١٥٠٠٠ ليرة ولكن خليفته يكون له ١٠٠٠٠ فقط وايراد باقى الاساقفة من ٤٠٠٠ ليرة فصاعدا فهم بمثابة وزراء الدولة فان سنوية اول لورد في ديوان نظارة البحرية ٤٥٠٠ ليرة ثم انهم ان هؤلاء الرعاة التبخلين الى الله

تعالى مائلوا الوزراء والأمراء في اخذ الارزاق والوظائف كذلك مائلوهم في الرقة والشان والانفراد عن الرعية فان مواجهة رئيس اساقفة الانكليز اصعب من مواجهة البرنس البرت زوج الملكة وقد اضطرت مرة الى ان اكتب اليه في امر ما فورد الجواب منه في رقة قدر نصف الكف وكان خطابه بضمير الغائب ونفي فيه ما لم يكن محله النفي احترازا من ان اكلفه بخطاب آخر ولكن اى لوم عليه اذا لم يجابوب احدا لان رئيس الكنيسة الذى اراده ٢٥٠٠٠ ليرة في السنة ليس عليه ان يجابوب من ليس له صلدى واحد من كل ليرة تدخل خزائنه الرسولية وقد كان الخورى ميخائيل شاهيات حضر الى هذا الطرف وكتب ثلاث رسائل احداها الى البرنس البرت والثانية الى اللورد پلمسطن والثالثة الى الطران المشار اليه فجاءه الجواب من الاولين ومن الاخير لم يرد سلب ولا ايجاب واقسم لو ان يهوديا غنيا من امستردام وفد عليه في عاجلة وروا لا يحتفل به واكرمه غاية الاكرام ولكن ليت شعري ما معنى كلام من قال اما الذين يرومون النفي فانهم يقعون في المحنة والفتخ وفي شهوات كبيرة سفيهة ضارة تفرق الناس في العطب والهلاك لان حب المال اصل كل شر وهو الذى اشتهاه قوم فضلوها عن الايمان وطعنوا انفسهم برزايا كثيرة فاما انت يا رجل الله فاهرب من هذه الاشياء واقف البر والتوى والايمان والمحبة الخ وقال ايضا من حيث ان لنا القوت والكسوة فلنقتنع بهما اما التقوى مع القناعة فانها مكسب عظيم ورب معترض هنا يقول ان الكنيسة الآن ليست كالكنيسة في مبدأ النصرانية اذ لم يكن للنصارى وقتئذ دولة ولا سلوة فاما الآن فان عزها يرجع الى عز الدولة وان رئيس الاساقفة الآن يلزمه ان يكون من اهل مجلس المشورة وان يزور الوزراء ويكون مزورا منهم وان يصنع ما آدب للاعيان ويتكلف نفقات كثيرة فلا بد له والحالة هذه من رزق وافر يجرى عليه ومن صرح وعاجلة وخدم واولى فضة ونفيس اثاث • قلت اذا كان الاسقف تزوره ارباب الدولة وتدعوه الى الولائم مع اقتصاد حاله او بالحرى مع تقشفه كان ذلك ادعى الى كرامته وتعظيمه فاما تكلفه للنفقات والولائم وغير ذلك فانه شاغل له عن اداء ما يجب عليه من تههد الرعية وتفقد احوالهم وهذا هو اصل معنى الاسقف فان قيل ان امور الكنيسة الآن قد استتب وانتظمت فلم يبق حاجة الى تكليف الاسقف

الاسقف اورئيس الاساقفة النظر فيها والتعهد لها قلت اذن هو اقرار على انفسهم بعدم زومهم على اتي لا تعرض لثل هذه المسائل فان لكل كنيسة اساقفة ومطارنة وحيث ان امامهم قد ذكر اسم الاسقف فلا بد من وجود معناه ولكني ارى شيئاً على من يعبر غيره شيئاً وهو مناسب به فان الانكليز يفسبون الكنائس الشرقية الى العظيمة والتبذخ والسرف والشطط مع ان رؤية بطارقة انطاكية ممكنة لكل احد ولا يخفى ان انطاكية في الدين اشرف من لندرة • ومن المباني العظيمة بيت الهندي بيت الجماعة التي يذهب تدبير مملكة الهند بني في سنة ١٧٩٩ وفي سنة ١٨٣٣ حصل فيه تغييرات جمة وحينئذ صدر امر من مجلس المشورة باقرارها على حالها وفيه متحف واصنام من فضة وذهب جلبت من تلك البلاد وكتب وسلاح ودنانير وغير ذلك ونقلت من بعض الكتب ان جمعية الهند استتبت للتجارة في تلك البلاد سنة ١٦٠٠ ثم صارت تاجرة ومحاربة مما فطردت الجمعية الفرنسية وذلك سنة ١٧٥٠ حتى تغلبت على اكثر البلاد وقال آخر ان اول سعي ابدته الانكليز فيما يخص الهند كان تجهيز ثلاث سفائن وذلك في سنة ١٥٩١ ولكن لم يصل منها الا واحدة فقط وبعد سفر ثلاث سنين رجع الربان في سفينة اخرى لان الملاحين غلبوه على سفينته فلما ان رجع اخبر الاهلين بما جرى له وبما رأى فجد بهم الحرص لارسال سفن اخرى تجارية وتم انعقاد ذلك في سنة ١٦٠٠ فجمعوا ٧٢٠٠٠ ليرة جهزوا بها اربعة مراكب ونالوا اربهم واستمروا يتجارون ويتاجرون هكذا وفي سنة ١٦٩٨ عقلت جمعية اخرى ثم التحمت مع الاولى فصارتا جمعية واحدة وذلك في سنة ١٧٠٢ ثم بني بيت الهندي في سنة ١٧٢٦ وفي سنة ١٧٩٩ وسع وكبر وفي سنة ١٧٨٤ استرديو ان جماعة الهندياء • قال فلتير ان براهمية هذا العصر ما زالوا على مذهب اسلافهم الذميم من اغراء النساء باحراق انفسهن بعد موت بعولتهن والعجب ان هؤلاء الناس الذين لا يستعملون دم الانسان او البهيمة يرون ان ابر الناسك هو احراق نسائهم ولكن هذا شان الوسوس والاضاليل ابدا تأتي بافعال متناقضة ومن زعمهم انهم يقولون ان برهام هو ابن الله نزل الى الارض واتخذ ازواجاً كثيرة فلما مات تطوعت احب ازواجه له الى ان تحرق نفسها رجاء ان تلحقه في نعيم

السماء ومنذ ذلك الوقت سرت هذه العادة السجدة ولكن ليت شعري كيف يتأني للنساء ان يعرفن بعولتهن وقد صار بعضهم خيلا وبعضهم قيلة وبعضهم يوما وكيف يمكن لهن ان يميزن الحيوان الذي دخل فيه روح الميت غير ان هذا الاشكال لا يصير على هؤلاء الكهان فان الناسخ عندهم انما يكون للعامة فقط فاما ارواح الخاصة فمن حيث انها كانت من جلة الملائكة الذين مردوا فلا بد من انها تسعى في الشق والتطهر وكذا ارواح النساء اللاتي احرقن انفسهن تنعم بالنعم السماوي حتى يحدن بعولتهن على حال الطهارة والقبطة وهذا المذهب التبجح قد عرف عندهم منذ اربعة آلاف سنة مع كونهم قوما ودعاء لا يتجرون على قتل الجراة ولكن لا يمكنهم ان يجبروا الارملة على الاحتراق لان سر الشريعة انما هو ان تنقدم المرأة الى ذلك عن طيب نفس والتي تكون اقدم عند زوجها لها ان تأبى الاحتراق وكذا التي بعدها الى الاخيرة ويحكى ان سبع عشرة امرأة دخلن النار مرة بعد موت رجل واحد وكان من الراجعة ثم من بعد استيلاء المسلمين على بعض بلادهم قل استعمال هذه العادة ثم قالت ايضا بمخالطة الافرنج لهم الا ان هذا المنظر السيئ المحزن قل ان فات واحدا من حكام مدراس وينديكري فقد قال مسترهلول ان ارملة لم يزد سنها على تسع عشرة سنة احترقت نفسها بمرأى من زوجة الاميرال رسل وكانت بديعة في الحسن ولها ثلاثة اولاد ولم تلن للدموع الباكين عليها ولم تقبل طلبتهم فاقسمت عليها الست المذكورة لتعدلن عما نوته شفقة على اولادها فا كان منها الا ان قالت ان الله الذي خلقهم لا يتركهم ثم شرعت في تنضيد الحطب بيديها فلما احتدمت النار دخلت فيها حتى احترقت وهي صابرة متجلدة ورأى احد الانكليز مرة اخرى فتاة حسناء سائرة الى النار فلما كادت تضرمها اجتذبتها قسرا وساعده على ذلك بعض اصحابه ثم سار بها الى منزله وتزوجها فكان ذلك عند الهنود بمنزلة انتهاك المحارم ولكني اقول ما بال الرجال لا يحرقون انفسهم ليحلقوا بازواجهم ولم وقعت هذه القرعة على هذا الجنس الضعيف الهيب أفكان ذلك لان الرواية لم تذكر ان بعض الرجال تزوج ابنة برهام بل ذكرت ان برهام تزوج امرأة هندية نعم ان قدماء البراهمة كانوا يحرقون انفسهم ولكن انما كان ذلك ليتخلصوا من مضض الهرم وطوله بل بالحري

من خلاصة اخرى ان عدد ضباط الانكليز فيها يبلغ ٥٢٤٩ و عدد عساكر الانكليز وغيرهم من الافرنج ٤٣١٤٩ و عدد عساكر الاهلين ومن جلّتهم الشرطة ٢٨٨٥٩٦ و اذا اضفت اليهم عدد العساكر القائمة التي جرى عليها شروط بين الاهلين والدولة يبلغ العدد ٣٩٧٩١٨ وفي الجبلّة فكل عسكري واحد من الانكليز خمسة عشر من الهنود * ونقلت من صحف الاخبار ان عدد من دخل في طاعة دولة الانكليز من الهند وما يليها بلغ ١٦٣٠٠٠٠٠ من النفوس وجميع ما فيها من الانكليز ٥٠٠٠٠ منهم ٣٠٠٠ في الخدمة العسكرية والعساكر المستخدمة في دولة الهند تنيف على ٢٠٠٠٠٠ وقد زادوا الآن بسبب الغيرة من دولة الروسية في سنة ١٨٢٧ بلغوا ٣٠٠٠٠٠ منهم ١٥٧٨٢ مدافعية و ٢٦٠٩٤ من فرسان من الهنود و ٢٣٤١٢ من المشاة منهم ايضا و ٤٥٧٥ مهندسا و عدد العساكر الممكي ٢١٩٣٤ فجملته ذلك ٣٠٢٧٩٧ وان اراد دولة الهند يبلغ في السنة نحو ١٥٠٠٠٠ ليرة (١) وكل عسكري يعث من انكلترة الى هناك يكلف الدولة خمسمائة ريال وان جميع اذوات الحرب وجهاز العسكر تصنع في انكلترة وترسل الى تلك البلاد وان حاكم الهند له في السنة ٢٥٠٠٠٠ رويّة ولكل من اهل ديوان المشورة ١٠٠٠٠٠ وللقاضى ٢٥٠٠٠٠ ولكل من كتاب الديوان ٢٥٠٠٠٠ ومثلها لناظر الملح اه * ومن العجب ان اهل هذه الدار الذين يحكمون على هذه المبالغ من الناس والبلاد والعساكر ليس يبالون بان يعينوا عسكريا واحدا امام الباب كما يفعل لسائر الدواوين المبرية ولو كانت هذه الدار في باريس لكنت ترى عندها جوقا من العسكر يحرسونها ليلا ونهارا * وفي اخبار العالم ان اراد الدولة من الهند يبلغ ١٦٠٠٠٠٠ ومصاريف العساكر تبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠ وقدرهم نحو ٢٥٠٠٠٠٠ وان دولة الانكليز متسلطة الآن على بر واحد وعلى ١٠٠ جزيرة متصلة بالارض و ٥٠٠ قب او رأس و ١٠٠٠٠ بحيرة و ٢٠٠٠ نهر و ١٠٠٠٠٠ بضيع اى جزيرة غير متصلة بالارض واذا اضطرت

(١) في سنة ١٨٧٩ بلغ اراد الهند ٦٥٩٢٥٩٩ ليرة والمصروف

بلغ ٦٣١٦٣٣٥٦

الى الحرب جهزت ٥٠٠,٠٠٠ عسكرى و ١,٠٠٠ سفينة حربية و ١٠٠,٠٠٠ بحرى وان دول الاثوريين والرومانيين والفرس والعرب وقرطاجنة واسبانيا لم تحصل على هذا العز والبسطة والسعة وانه ليس من اطيالة او اسكندر المقدونى او نابوليون او تيمور او هلاكو من بلغ ما بلغت اليه من الفخر والسطوة • قلت فى سنة ١٨٥٠ بلغت البواخر المختصة ببلاد الانكلترا و ايرلاندا وسكوتلاندا ١٨١ سفينة وفى سنة ١٨٥٢ بلغ جملة ما دون منها فى مراسى تلك البلاد كلها ١٢٢٧ سفينة (١) ثم ان اول من فكر فى استنباط اداة لاصعاد الماء بواسطة النار كان مركيز ورسستر وذلك فى سنة ١٦٦٣ وهو الذى ينسب اليه ايجاد تبليغ الاخبار من بلد الى بلد بواسطة خارجية و لكن الظاهر ان فكره هذا لم يهم اهل عصره لان يتعلتوا بالاسباب الموصلة اليه وقال آخر لاشك فى ان مركيز ورسستر هو مخترع آلة البخار وذلك فى زمن شارلس الاول وفى سنة ١٦٦٣ ألف كتابا سماه عصر الاختراع وذكر فيه استنباطات عديدة على سبيل الاختصار والغموض الا ان اهل عصره لم يبالوا بذلك وكذلك ذكر بالتدقيق بعضا من مخترعاته واول تجربة اجراها كانت فى مدفع وذلك بان ملأ نحو ثلاثة ارباعه ماء ثم سد خرقه و فقه ثم ادنا من النار اربعا وعشرين ساعة فانطلق بدفع شديد فذله ذلك على ان قوة البخار هي اعظم مما يدركه الانسان وروى عنه انه قال قد جعلت الماء ينبعث من الجدول ارتفاع اربعين قدما والناء الذى فيه بخار يرفع اربعين اتله ملئت ماء باردا الا ان الناس لم ينتبهوا لذلك الا فى آخر ذلك القرن ثم اخترع القبطان صفرى آلة لرفع الماء فى سنة ١٦٩٣ فهذان الرجلان هما المخترعان لهذه الطريقة وقد نسبت الفرنسيس استنباط ذلك الى احد فلاسفتهم المسمى دكتور بايان وذلك سنة ١٦٩٥ والحق ان عليه لم تجر عندهم الا بعد مدة طويلة واول ما اجريت عملية القبطان المذكور كان فى معادن كورنوال ثم قام مستر نيوكومن ومستركين فترجروا ديهودن بلور ووط وبلطون وبعد

(١) فى سنة ١٨٧٩ بلغ عدد السفن الشراعية فى انكلترا باسرها ٢٠,٥٣٨ وبلغ عدد باخرها ٥,٠٢٧ باخرة

ذلك قام القبطان شباتك فانشا سفينة لتسافر الى كندة في مدة حرب الاميركاين ونجح وفي سنة ١٦٨١ اخترع بايان آلة من هذا التبيل ثم قام صغرى فصنع اداة لاصعاد الماء وذلك سنة ١٦٩٨ وفي سنة ١٧٨١ اخترع واط السكوتلاندى آلة مزوجة ثم قام غيرهم ككثيرون وكل منهم زاد شيئا او اتقن آلة وقال الفاضل لارنذر انه يمكن اصعاد البخار من طاسى ماء بلوقينين من الفحم وفي حال تبخيرها تكثر قصير ٢١٦ كالونا من البخار فيمكن والحالة هذه ان ترفع بقوة آلة معها سبعة وثلاثين طنلثة ارتفاع قدم واحد • ويقال ان جولة القطع التي تركب في آلة النار تبلغ ١٦٤٠٠ قطعة • واول تجربه عملت على نهر التامس كانت في سنة ١٨٠١ • واول باخرة انشئت في انكلترة كانت في سنة ١٨١٥ وفي ارلانده سنة ١٨٢٠ • واول باخرة سافرت الى بلاد الهند كانت في سنة ١٨٢٥ وكان انشاء البواخر الحربية في انكلترة سنة ١٨٣٣ • واعلم ان اول من عرف فن الابحار اى ركوب البحر هم اهل فينيقية وذلك منذ سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد • واول سفر طويل عرف منهم كان سفرهم الى افريقية وذلك سنة ٦٠٤ قبل التاريخ المذكور ثم عرف في الاسكندرية الى ان صار كانه من خصائص الرومانيين ثم عبر من اهل فينيسيا وجينوى الى اهل البورتغال واسبانيا ومنهم الى انكلترة وهولانده ولم يكن اليونانيون يعرفون الابحار في بحارهم الضيقة الا على الطوف وهو عبارة عن خشبات يشد بعضها الى بعض الى ان عرفوا ركوب البحر في السفائن من داناوس المصرى حين قدم عليهم هاربا من اخيه راماسيس وذلك سنة ١٤٨٥ قبل الميلاد • وهذا الطوف الذى يستعمله النوبيون الآن هو دون ما كان يستعمله اليونانيون فان ذلك كان مجهولا بحيث يمكن تديره وادارته عند هيجان البحر واول ما عرف للانكليز مراكب حرية ملكية مرتبة تحت ديوان معين كان في عهد هنرى الثامن سنة ١٥١٢ وكانت عدة البوارج في زمان الملكة اليبابت ثمانيا وعشرين وفي سنة ١٨١٤ كان لبريتانيا الكبرى تسعمائة سفينة وفي سنة ١٨٣٠ كان لها ٦٢١ سفينة وفي سنة ١٨٤١ كان مجموع سفائنها الكبيرة والصغيرة ١٨٣ وفي سنة ١٨٥٠ بلغت مراكب الانكليز الملكية ٥٠٠ من جلتها ١٦١ باخرة وفي سنة ١٨٥٤ زاد هذا القدر فبلغ ٥٢٦ ما عدا سفائن اخرى كانت تستعمل في مصالح اخرى وفي سنة

سنة ١٨٥٥ بلغ مجموعها ٦٠٢ • وعدد ما تلفت أو غنمت من السفائن في فتنة الفرنسيين الى غاية سنة ١٨٠٢ كان ٣٤١ من سفن الفرنسيين ومن سفن هولاند ٨٩ ومن سفن اسبانيا ٨٦ ومن دول اخرى ٢٥ فجمعتها ٥٤١ سفينة • وعدد ما تلفته او غنمته في حربها مع دولة فرنسا الى غاية سنة ١٨١٤ كان ٥٦٩ سفينة منها ٣٤٢ لفرنسا و ١٢٧ لاسبانيا و ٦٤ لهولاند و ١٧ للروسية و ١٩ للاميريكانيين فمجموع ذلك كله ١١٠١ سفائن قاما بوارج فرنسا فيمكن ان يقال انها بلغت اعلى شانها في سنة ١٧٨١ ولكن باد كثير منها في حربها مع الانكليز وفي سنة ١٨٥٤ بلغ مجموعها ٦٩٧ منها ٤٠٧ بواخر • وفي الاحصائيات ان عدد البواخر التي انتشت من سنة ١٨٤٣ الى سنة ١٨٥٧ بلغ ١٨٠٥ سفن وفي سنة ٥٧ كان منها في خدمة البلاد ومصالح البلاد الاجنبية ٨٨٩ ومن سفن الريح ١٨٤٢٩ سفينة قاما احداث البارود فكان سنة ١٣٣٦ وذلك قبل استعمال المدافع بعشر سنين ولا يعرف محدثه وانما يظن انه من مخترعات راهب من بروسية اسمه مخائيل شوارتز • والحق انه كان معروفا عند اهل الصين من قبل تاريخ الميلاد باحساب كثيرة الا ان استعمالهم له كان للصلاح لا للتدمير وذلك كتهديد الطريق وذلك التلال وحفر القنى وان يكن قد ظهر من ادوات سلاحهم ما يحقق له مجموع له الا انه لم ينقل عنهم انهم استعملوه قط في حرب قال واول ما استعمل في الحروب فيما علمناه كان في الحرب التي وقعت بين الانكليز والفرنسيين وذلك في سنة ١٣٤٦ وقد نبغ في الانكليز عن قريب ضابط من ضباط العسكر اسمه ورز اداه الاجتهاد والتبحر الى ان اخترع شيئا يقدر به على اتلاف اى سفينة كانت من مسافة ثلاثة ارباع ميل من دون مماسة البارود اياها وقد جرب ذلك بحضرة مأمورين من طرف الدولة عند مدينة بريطون وصحت تجربته لابل زعم انه يئلف المركب من مسافة خمسة اميال • قلت فلا يبعد اذا ما ذكره لوقيان وغانن عن ارشيميديس من انه احرق مراكب الرومانيين في حصار سيراقوسة بواسطة الزجاج وذلك قبل تاريخ الميلاد بآتين واثنى عشرة سنة • قال وقد اراد الضابط المذكور ان يبيع هذا السر للدولة لكنه اشط في الطلب فلم تشتريه منه • قال وقد نبغ ايضا شتين الكيماوى من برلين في هذا الفن واحداث شيئا يفعل فعل

البارود بل أكثر وهو ان يغمس القطن في اجزاء متساوية من التطرون والكبريت ثم ينشف فيبقى كالبارود في الثقل والدفع وهو اسلم عاقبة منه • وقيل انه باع هذا السر في بلاد الانكليز باربعين الف ليرة الا ان دولتي فرنسا وانكلترا ابنا استعمال القطن في البنادق بدل البارود وذلك لكثرة سخونته فان البندقية اذا ملئت منه مرات تشد بها السخونة بحيث انها تنطلق بنفسها من قبل ان تطلق • ويقال انه استعمل ايضا نوع من النبات يسد مسد البارود • وفي سنة ١٥٤٤ استعملت فرسان الانكليز القرد اى الطنجية • وزعم بعض ان استعمال المدافع كان في سنة ١٣٣٨ • وزعم آخر انها عرفت في حرب كرسى ولك في سنة ١٣٤٦ وقيل ان الانكليز استعملوها في حصار كالى سنة ١٣٤٧ • وقيل انها استعملت في الموضع المذكور في سنة ١٣٨٣ هـ • وقال فلتير ان برنس والس المعروف بالاسود لسواد درعه وريشته اتصر على فيليب فلوى ملك فرنسا عند نهر سم وكان من اقوى الاسباب التي اعانته على ذلك استعمال بعض مدافع كانت مع عسكره فان المدافع لم يشهر استعمالها قبل تلك الواقعة الا بنحو ١٢ سنة ولم يعلم من كان المخترع لها • قلت فيليب المشار اليه ولي الملك في سنة ١٣٢٨ • واكبر مدفع في الدنيا فيما علم مدفع نحاس صنع في بلاد الهند سنة ١٦٣٥ وفي برج في جرمانيا مدفع طوله ثمانى عشرة قدما ونصف قدم ووسع قطريه قدم ونصف ووزن كلته ١٨٠ رطلا وملؤه من البارود ٩٤ رطلا • ويعلم من نقش رسم عليه انه صنع في سنة ١٥٢٩ • وكلة المدفع الصغير تذهب مسافة ٤٠٠ يارد وبعدها تذهب اليه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ وهو عبارة عن نصف ميل ومن المدفع الكبير من ميل ونصف الى ميلين • ومن ذلك اى من المباني العظيمة بيت ضابط البلد في السبي وقال له منشن هوس بنى في سنة ١٧٣٩ ويلفت مصاريفه ٧١٠٠٠ ليرة وبعض اثنائه من ١٠٠ سنة وبعضه من ستين وهذا الضابط تنخبه الجماعة المتوط بها تدير هذه المحلة في كل سنة وذلك في التاسع من تشرين الثانى ويوم اتفخا به يجعل في الطرق حواجز لمنع مرور الحوافل وتنص المدينة بالزحام فيضطرب الناس بعضهم بعضا فلا يبقى احد من اهل البطالة الا ويخرج للغرج او بالحري للتلز فخرج الضابط من الديوان السمي كدهال في موكب عظيم ويجلس في عاجلة مذهبة فاخرة تجرها ستة افراس متهالكة

ثمنها في الاصل ١٠٦٥ ليرة وبصرف على زيتنها في كل سنة ١٠٠ ليرة ويجلس معه رئيس المحاكم بقبأء اجر وهو متقلد سيفه وشعار سلطته وتقف في ذلك اليوم شرطة الديوان لمحافظة الطرق وتبثى صفوف شتى وهم يحملون اعلاما مختلفة وآخرون يضربون بالآلات الطرب وآخرون ينفخون في الابواق وآخرون متكئون بالدروع على منوال المجاهدين الاقدمين وتوضع امامه آلات الحرب على عجلة مزينة وما تلبت الارض وسفينة ذات قلع تبحرها ستة افراس ويسير معه اصحاب المراتب السنية والمناسب العلية وضابط البلد المعزول وعند وصولهم الى محل معلوم تلاقيه سفراء الدول ووزراء الدولة ورؤساء المحاكم واران مجلس الشورى وغيرهم من ذوى الشأن حتى اذا رجع الى مقره دعا اولئك النبلاء الى وليمة فاخرة تشتمل على ٢٦٣٧ صحفة كبيرة وصغيرة ولا بد من ان يوضع امامه صحفة فيها نوع من السمك الصغير اشارة الى انه ضابط نهر التامس الذى هو عند الانكليز اعز من نهر كنكا عند الهنود وعلى ذكر الوليمة يحسن هنا ايراد ما وجدته مكتوبا في اوراق تسمى تعلقات ومسائل من ان ضابط نوريش من اعمال انكلترة صنع مادبة فاخرة في عهد الملكة اليباصت سنة ١٥٦١ ودعا اليها جماعة من اعيان ذلك المصنع وكبرائه فبلغت مصاريفها ليرتين و ١٣ شلينا و ١١ بنسا كان ثمن الوزه فيها ثلث شلين وفخذ الضان ربهه وكذا ثمن الدجاجة و ١٢ بيضة و ثمن ١٦ رغيفا ثلث شلين و ثمن برميل من الجعة شلطان و ثمن ٤ ارطال من السكر سدس شلين وفواكه ولوز ٧ بنس وقس على ذلك والوالائم التى يصنعها اهل السى تكون فاخرة جدا تشتمل على صحاف من الذهب والىواب من الفضة وسنوبه الضابط ٨٠٠٠ ليرة ولكنه يصرف في مدة ولايته اكثر من هذا القدر و اراد تلك الجماعة ١٥٦٠٠٠ ليرة يستوردونها من ضرائب على الفهم والاسواق والديار والسامرة وهذه الجماعة ينتخبهم الاهلون الذين لهم عقار وديار ومن خصائص الضابط مدة ولايته ان يتولى امور المدينة غير معارض وقد نازع الملك جورج الرابع في هذه السلاطة وحاول ابطالها غير ان الانكليز كما ذكرنا سابقا لا يحبون تغيير العادات القديمة فن ثم بقى الحال كما كان واذا اتفق موت الملك في ايامه فله ان يجلس في ديوان الشورى الخاص ويوقع قبل اربابه وله ايضا ان

يفلق باب الموضع المعروف بتبل بار وهو أول خط المدينة في وجه الماسكة حين تذهب الى المدينة ولكن ليس بقصد ردها عن الدخول بل بقصد انخالها جريا على العادة وتفصيل ذلك ان صاحب الملك اذا اراد التوجه الى المدينة يصل الى ذلك الباب فيجده مقلعا فينفتح بين يديه رجل في البوق ويقرع الباب آخر ويقع بينه وبين الضابط محاورة وكلام هنيئة ثم ينفتح الباب ويدنو الضابط من صاحب الملك ويقدم له سيف المدينة فيأخذه منه الملك ثم يعيده اليه ثم يدخل معه الضابط سائرا بركابه وهذا الباب هو مبدأ خط السني بني في سنة ١٦٧٠ وعنده مثال الملكة اليبابيت والملك جامس الاول وكارلوس الاول وكارلوس الثاني وهو لا يفلق الا في ذلك اليوم غير ان توجه صاحب الملك الى المدينة لا يقع الا نادرا وذلك كأن يذهب الى كنيسة مار بولس ليهدي الشكر لله على قبح او ظفر بالعدو او ليقم بناء عوميا كدار مجتميع التجار او البنك ونحو ذلك والحاصل ان تدبير هذا الخط الذي يقال له سني وهو عبارة عن اول ما انشئ في لندرة من الابنية والخوانيت والمحترقات مفوض بالاستقلال الى الضابط واولئك المديرين ومصاريف محكمة هذا الخط تبلغ ١٨٢ ١٢٠ ليرة في العام ومصاريف شرطته ١٠١٨ ١٠٠ ومصاريف محل فيه اسم نيوكات ٩٢٢٣ ٩٠ ومصاريف الحبس فيه ٧٦٠٢ ٧٠ ومصاريف حبس المديونين ٩٥٥ ٤٠ ومصاريف الزهر ٣١١٧ ٣٠ (١) وشعار المدينة هو سيف مار بولس وصليب مار جرجس وفي العام الماضي كان الضابط يهوديا وقيل ان الضابط الذي نصب في هذه السنة كان نفرا من العسكر ومن الغريب هنا ان الضابط يعزل في كل سنة وخدمته ينفون الى ما شاء الله وسبأني بقية الكلام على السني * ومن ذلك كلد هال وقد تقدم ذكره وهو ديوان احكام السني فيه توقيع بخط شكسبير من شعراء الانكليز اشتراه المديرون بمائة وسبع واربعين ليرة وبالغرب منه دار عظيمة ايضا ختم ما يصاغ من الذهب والفضة فيها الكاس التي شربت بها الملكة اليبابيت عند تويجها * ومن ذلك

(١) جميع هذه المصاريف زادت الآن اضاعفا

البرج الذى يقال له تور اف لندن اى برج لندرة وهو اعظم برج فى بريطانيا وهو حصن للمدينة ومقر لصاحب الملك عند عقد هدية ونحوها وسجن للمجرمين من ارباب السولة لا يعلم متى كان انشاؤه وانما يظن انه بنى فى سنة ١٠٧٨ فيه امنجن كاي فوكس الذى عمل على احراق مجلس المشورة على ما تقدم ذكره والملكة مريم ملكة سكوتلاند ويوحنا ملك فرنسا وكراوس دوك اورليان وابولويس الثانى عشر والملكة آله او حنة بوليان ضرب عنقها سنة ١٥٣٦ والملكة كاترين هاورد زوجة الملك هنرى الثامن والاميرة رشفورد وسر توماس مور ورئيس الاساقفة كرايتر ورئيس الاساقفة لود وسبعة اساقفة آخرون وغير ذلك وقتل فيه هنرى الخامس وادورد الخامس وغيرهما وهو يشتمل على الدروع والسلاح التى كانت تستعمل فى الزمن القديم وعلى مدافع ثمانية من جلتها مدفع اخذ من نابليون الاول وكان هو قد اخذه من مالطه وهو بديع الصنعة ومدفعان عظيمان اخذا من البلاد الاسلاميه طول كل ٢٣ شبرا وفيه دروع جامس الاول وهنرى الرابع وادورد الرابع والملكة اليصابت وغيرهم وتاج يقال له تاج صانت ادورد صنع لتتويج كرلوس الثانى ثم توارثته جميع الملوك من بعده وهو التاج الذى يضعه رئيس الاساقفة على رأس صاحب الملك عند المذبح وفيه ايضا تاج جديد صنع للملكة وهو منحوط ريش من مخمل احمر يحيط به اطوار من فضة مرصع بالالماس زنته رطل وثلثة ارباع وفى التاج ياقوتة غير مجلوة يقال انها كانت فى تاج الملك ادورد الملقب بالاسود وقيمة التاج كله ١١١٩٠٠ ليرة وفيه تاج لامير والس من ذهب غير مرصع بالجواهر وآخر لزوج الملكة مرصع بالالماس والدر وغيرهما من الجواهر وفيه صولجان يسمى صولجان العدل او صولجان الجملة لان فيه جملة وطوله ثلاث اقدام وسبع اصابع وهو من ذهب مرصع بالالماس وغيره وآخر للملكة عليه صليب بداع الصنعة مرصع بالالماس وآخر يسمى صولجان الملك عليه تفاحة مرصعة بالياقوت والزمر والالماس طوله قدمان وتسع اصابع وفيه صليب من ذهب مرصع بالجواهر المتنوعة وآخر يسمى قضيب صانت ادورد من ذهب مطرق طوله اربع اقدام وسبع اصابع فى اعلاه دائرة وصليب ويقال ان فى الدائرة قطعة من صليب المسيح وفيه ايضا سيوف العدل الكنائسية

والدنية وركب (جمع ركاب) من ذهب تستعمل يوم تنويع الملك او الملكة ووعاء للماء المبارك في شكل نسر وملعقة من ذهب للمناولة يوم التنويع وطاست من فضة مذهب يستعمل يوم معمودية ولد صاحب الملك وغير ذلك من التحف مما يطول شرحه وقيمة ما فيه من السلاح بلغت في سنة ١٩٢٣ ر. ٦٤٠ ليرة • قلت لما رأيت هذا الموضع اخبرني الدليل بان الياقوتة الحمراء التي في مقدم تاج الملكة وهي نحو البيضة الصغيرة تساوي ٥٠٠٠ ليرة وثمن التاج كله مليون وثمن التيجان الاخرى مليونان والله اعلم • وقد جرت العادة بان تاج الملكة يودع في هذا الحصن وعند الحاجة اليه يؤخذ منه ثم يرد اليه وقد سرق مرة مع سائر الجواهر وذلك سنة ١٦٧٨ وأعجب من جميع ما ذكرت ان هذا البرج الاميرى الملكى التاجى لا يمكن رؤيته الا بعد أداء شايين • وفي لندرة اربعة قصور لصاحب الملك اعظمها وهو الذى تسكنه الملكة الآن في الشتاء القصر المسمى باكتهمام في اسطبله عاجلة لها تساوى نحو ثمانية آلاف ليرة وطول حديقة القصر ٣٤٥ قدما قال فيه بعضهم قد لزم لزميه وتصلح ٥٠٠٠ ليرة مع انه لا يصلح لسكنى الملوك وبني فيه قطرة من رخام صرف فيها ثمانون الف ليرة مع انه لا يمكن ابقاؤها حيث هي وقبلها صرف على القصر ٢٦٣٢٦٦ ليرة ما عدا ما لزمه من الفرش والاثاث وكان يمكن ان ينشأ بهذا المبلغ قصر جديد فاخر خير من هذا القصر الذى ان هو الا عبارة عن مواضع ملفقة وبعد ان صرف ذلك المبلغ المذكور على القنطرة لزم الآن صرف مبلغ عظيم والله يعلم الى اين وصرف ايضا على قصرها الذى تسكنه في الصيف في ونصروه على مسافة نحو اربع ساعات من لندره ١٠٠٠٠ ليرة وذلك لاجراء الماء اليه وثانى مرة صرف عليه ٦٥٠٠ ليرة لوقايته من النار وقد تبين من دفاتر المصروف انه من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٣١ بلغ المصروف على هذا القصر ١٦٥١٦٨٤٩٨ ليرة فاذا اضقتها الى المبلغ اللازم الآن بلغت جملة ذلك ١٥١٥٠٠٠٠ ليرة ما عدا ما يصرف على الفياض والشجر المحقة به وبلغ مصروف الاثاث ٢١٦٠٠٠ ومصروف التحف ٣٠٠٠ قال فهذان مليونان صرفا على قصرين هما سخرة وهراء لاهل اوربا

أوربا جميعا ويقال انه يصرف في السنة على ترميم القصور والمباني المبرية ١٧٠٧٨٠ ليرة والقصر الثاني ويسمى قصر صان جامنى أصله مستشفى للبرص ثم صار مقرا للملك هنرى الثامن ومنه تصدر الآن الاوامر الملكية وهو مبنى من الآجر وما تحته طائل ونحوه الباقي * وفي تاريخ بلاد الهند انه لما مات هنرى الخامس احبت زوجته الملكة كاترين رجلا والسيما من العسكر الذين يبحسون الملك اسماء اوين تودور فتزوجته سرا فهو ابو ملوك الانكليز من بعده وكانت وفاتها في سنة ١٤٣٧ واول اولاده قبل له اولاً انمند ارل رشيون ثم عرف باسم هنرى السابع وهذه الملكة الجليلة الآن على كرسى الملك اسمها اليكساندريتا فكتوريا بنت دوك كنت ولدت في الرابع والعشرين من شهر ايار سنة ١٨١٩ ووليت الملك في العشرين من حزيران سنة ١٨٣٧ وتوجت في الثامن والعشرين منه سنة ٣٨ وتزوجت ابن عمها البرنس البرت من صكس في العاشر من شباط سنة ١٨٤٠ ويقال انه لم يقم قبلها ملكات نلن الملك بالاستحقاق سوى اربع وكان لاهل هنكاري كراهة لتلك النساء زائلة حتى انه حين كان يتولى عليهم الملكة كانوا يسمونها ملكا واول ملكة عرف لها الولاية في الدنيا سيميرامبس ملكة اثور وذلك في سنة ٢٠١٧ قبل الميلاد وهي التي حسنت بابل وكبرنها حتى صارت اعظم مدينة في العالم وللملكة فكتوريا اخلاق جيدة واحترام ليوم الاحد عظيم يحكى عنها ان بعض الوزراء ذهب الى قصرها في ونصر في ليلة السبت متأخرا وهو عندنا ليلة الاحد فعرض لها ان معه اوراقا مهمة تتوقف على مطالعتها قال ولكن لا اكلفك الليلة تصفحها فانها طويلة وقد فات الوقت ولكن في صباح غد فقالت له كيف في صباح غد وهو يوم الاحد فقال نعم فانها من مصالح الحكم قالت اجل يجب مداركتها ولكن سانصفحها بعد الخروج من الكنيسة فلما كان الغد ذهبت الى الكنيسة وذهب الوزير ايضا فلما انقضت الصلاة قالت له كيف اعجبتك الخطبة قال لقد اعجبني جدا فقالت لست اكرم عنك الان اتى اوعزت البارحة الى القسيس في ان يحرر الخطبة على محافظة يوم الاحد وقد سمعت ما سمعت ولكن تعال غدا في اية ساعة شئت قال في الساعة التاسعة قالت من حيث هي اوراق مهمة كما ذكرت تعال في هذه الساعة تجدني مستعدة وكان كذلك اه وهذه الساعة باعتبار ايام البلاد

هنا باكرة جدا ومن ذلك عدم الاسراف في الملابس والابهة فانها لا تتميز به عن كرائم خوادمها واسراف الملابس منع في بلاد الانكليز في عهد ادورد الرابع سنة ١٤٦٥ ثم في عهد اليبابت في سنة ١٥٧٤ واشهر من عرف فيه سر ولطر والى كانت كسوته تساوى ٦٠٠ ليرة وكان له دروع من الفضة وسيفه مرصع بالالماس والياقوت والدر وكان دوك باكنهام صنى الملك جامس يلبس حلة مرصعة بالالماس ترصيعا غير وثيق بحيث اذا شاء ينفضها فتلقطها خواتين القصر ولا بأس هنا بإيراد جملة من الكلام مفصلة نذكر فيها ايراد الممالك وما خصص للملوك منها فنقول ان ايراد المملكة في السنة ٣٨٠٠٠٠ ليرة ولكن لا يدخل في كيسها من ذلك ككله غير ٦٠٠٠٠ ليرة والباقي يصرف في ابهة الديوان وملاهيهِ واذا لزم لها زيادة مصروف على القدر المذكور اخذ من الخزينة على سبيل القرض الى ايراد الصام انقابل وهكذا وبلغت وظائف الحشم والخدام وحساب التجار في سنة واحدة ٣٧١٨٠٠ ليرة وبلغ المكس والضرائب والاناوة في العام الماضي ٧١٣٤٨٠٠٦٦ والمصاريف ٨٨٣٠٧٤٧٧ وفي سنة ١٨٤٨ كان ايراد الدولة ٥٢٩٣٣٦٩٢ ومصروفها ٥٢٠٥٦٣٣٤٠ وخرجت خلاصة من مجلس المشورة في مبلغ ما صرف في عامي الحرب وذلك من ١٣ اذار سنة ٥٤ الى غاية اذار سنة ٥٦ مضمونها ١٨٥٤ بلغ الايراد من جميع موارد ٦٤٠٩١٠٠٠ وبلغ المصروف ٧٠٢٣٦٠٠٠ ونقلت من كتاب آخراته في سنة ١٨٤٢ بلغ الايراد من ديوان الكمرك ٢٣٠٥١٥٣٧٤ ومن التبغ والسكرات ١٤٦٠٢٨٤٧ ومن المالك اى اليوسطة ٠١٤٩٥٥٤٠ ومن اناوة الارض ٠١٢١٤٤٣٠ ومن اشياء متفرقة ١١٤٢٠٤٠٢ بجملة ذلك نحو ٥٢٢٤٨٦٣٣ وكانت اناوة فرنسا على الارض وسائر الضرائب والمكس ١٧٥٠٠٠٠ واناوة الروسية ٠٣٩٩٠٠٠

وسائر الضرائب ٣٦٦٧٠٠٠ ليرة واثلاوة اوستريا ٨٧٩٥٠٠٠
وسائر الضرائب ٧٧٠٠٠٠٠ ومن ضمن تلك المتفرقات التي وردت الى
خزينة دولة انكلترة في سنة ١٨٥٦ ما اخذ على التراكات وقدره ٢٨٥٠٠٨٧٣
وعلى الخيل ٨٩٨٠٣٤٠ وعلى العقود والصكوك ١٢٢٥٢٣٤ وفي سنة
١٨٥٢ اخذ على نحو واحد وسبعين مليون رطل من الشاي ٤٢٣٠٢٩٠٣ وفي
سنة ١٨٥١ اخذ على نحو اربعة وخمسين مليون رطل منه ٤١٦٤١٧١٤
وإصرفت في كل سنة على اشخاص مرتزقين لا عمل لهم نحو ٤٠٠٠٠٠٠
وفي بعض الاحصائيات الرسمية ان ضريبة الإيراد وحده تبلغ ١٦٠٠٠٠٠٠
والمراد بالإيراد هنا ما يدخل للناس من كسبهم وسعيهم وادراقتهم وكان إيراد
ديوان الملكس في أيام الملكة اليصابات ٢٠٠٠٠ ليرة وفي أيام شارلس الثاني
٣٩٠٠٠٠ ليرة وكان جميع إيراد الملكة اليصابات ٦٠٠٠٠٠ ليرة وإيراد
شارلس الاول ٨٠٠٠٠٠ وكان إيراد دولة الانكلترة في زمان وليم الفاتح
٤٠٠٠٠٠ ليرة وفي زمان هنري الرابع ٦٤٩٧٦ وفي زمان الملكة
ماري ٤٥٠٠٠٠ وفي زمان جامس الاول ٦٠٠٠٠ وفي زمان شارلس
الاول ٨١٩٠٨١٩ وفي سنة ١٨٥٠ بلغ ٨٠٠٠٨١٠٠٢ وفي سنة ١٨٥٢
٣٠٠٨٧١٦٢ (١) قال فلتر وكانت املاك سليمان بن داود تساوي
١٢٩٠٠٠٠٠٠٠٠ فقد رأيت مما تقدم ان إيراد دولة انكلترة ومصاريفها
يأتي نحو إيراد دولتين او ثلاث من الدول العظام فان إيراد دولة فرنسا كان شأنه
ان لا يزيد على ٤٠٠٠٠٠٠٠ وإيراد دولة اوستريا ١٥٠٠٠٠٠٠ ومصرفها

(١) منذ سنة ١٨٨٠ تغيرت احوال دول اوربا تغيرا عظيما فبلغ إيراد دولة فرنسا
في سنة ١٨٨٠ ١٢٧١٣٩٢٠٤ ليرات انكلتريه ومصاريفها بلغت ٩٩٣٠٢٤٢٢٢
ليرة وهذا الإيراد الوافر تسبب من كثرة الضرائب بسبب الديون التي
تمحلتها دولة فرنسا بعد حربها الاخيرة مع المانيا فان هذه الحرب كلفتها
٢٨٠٢٨٠٥١٣٧١ ليرة واما إيراد انكلترة فانه بلغ في السنة المذكورة ٧٩٠٣٥٧٠٣٠
ليرة والمصاريف بلغت ٨٤٤٠٧٣١٩٧ ليرة واما إيراد اوستريا فانه بلغ
٨٩٤٠٢٧٦٣٨ ليرة والمصاريف بلغت ٣٩١٠٨٢٣١ ليرة وإيراد الدولة
الالية بلغ ١٦٠٠٠٠٠٠ وكذلك المصاريف

يزيد على ٨٧٠٠٠٠٠٠ ر. و إيراد الدولة العلية نحو ٨٠٠٠٠٠٠ ر. تقريبا الا ان كثيرا من ايراد دولة انكلترا يذهب في فائدة الدين وبلغته ٧٨٠٠٠٠٠٠ ليرة واعلم هنا انه اذا قيل ان دولة انكلترا مديونة فلا تنوهم من ذلك انها ضعيفة فان نفع هذا الدين يؤول الى رعيتهما حتى ان جل الدائنين لا يريدون استيفاء دينهم مرة واحدة لانهم ياخذون فائدته في كل سنة وهو مأمون لهم ما دامت الدولة قائمة ومعلوم ان غنى الدولة يكون من غنى رعيتهما وسعانتها من سعادتهما ولا يخفى ان جميع الدول مديونة فدين دولة اوستريا يبلغ ١٢٠٠٠٠٠٠ ر. وفائدته في كل سنة ٥٠٠٠٠٠٠ ر. ودين الدولة العلية يبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ ليرة ودين دولة فرنسا لعله زاد الآن عما ذكر ضعفين فاما دولة امريكا فقد كانت قبل هذه الحرب الاخيرة على غاية من الاقتصاد فكان دينها نحو ١٠٠٠٠٠٠ ر. ليرة ثم لانهزمت في الحرب تجمعت في الاسراف المشط فصار مصروفها في كل يوم ١٠٠٠٠٠٠ ر. ريال وبلغ دينها ٦٠٠٠٠٠٠٠ ر. ريال (١) وهذا الدين على الدول هو من قبيل الجسام للرعية يكبحهم عن المعاصم والفتن فان الدائنين الذين هم بالضرورة وجوه اهل البلاد واغنياؤها لا يرضون باتقلاب الدول مخافة ان يؤول الحكم الى الرعاع فيجرموا منه وتقات في بعض الكتب ان ملك الانكلترا وراثة ولجس المشورة ان ينقله من عيلة الى اخرى وانه بعد ان خلع جامس الثاني نفسه عن الملك وذلك في سنة ١٦٨٨ صار الملك محصورا في الملوك الذين على دين البروتستانت ولما لم يكن لشارلس الاول خلف نقل الملك الى نسل جامس الاول وهم من البروتستانت وهذه العيلة المستولية الآن هي من نسل صوفيا بنت ملك هنتوفر والواجب على

(١) هذا بيان ديون الدول الى غاية سنة ١٨٨٠ دين فرنسا ٩٨٣ ر. ٣٥ ر. ١٢٨٦٢ فرنكا فائدتها السنوية تبلغ ٩٥٢ ر. ٤٠٤ ر. ٧٤٨ فرنكا (كل ٢٥ فرنكا عبارة عن ليرة انكليزية) - ودين دولة انكلترا ٢٣٥ ر. ٤٤ ر. ٧٧٤ ليرة انكليزية فائدتها السنوية ١٨٥ ر. ٤٨٨ ر. ٢٧ ليرة - ودين اوستريا ١٠٦١ ر. ٧٣١ ر. ٢٩٨ ليرة انكليزية فائدتها السنوية نحو ١٠٠٠٠٠٠ ر. ليرة - ودين ايطاليا ٥٣ ر. ٤٣٠ ر. ٣٩٠ ليرة انكليزية ودين الروسية ٣٥٠٠٠٠٠٠ ر. ليرة انكليزية - ودين الدولة العلية نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ ر. ليرة وقس على ذلك بقية الدول

الملك يوم تنويجه ان يحلف على محافظة ثلاثة امور ❖ الاول ❖ سياسته بحسب القوانين والاحكام ❖ الثاني ❖ اجراء الحكم بالرحمة ❖ والثالث ❖ اقراره بمذهب الدولة وهو دين البروتستانت وللملك خصائص ومزايا يفرد بها عن غيره بحسب ما ارتقى اليه من الشان والشرف منها ان له قدرة على ان يأذن بالحرب والصلح وان يعث من قبله سفراء الى الدول ويرضى بسفرائها وان يعفو عن ذوى الجنائيات وان يخص من شاء بالشرف والالتاب السنية وان ينصب الحكام ويولى الوظائف العسكرية برا وبحرا لمن يراه اهلا وان يرفض ما يقدم له اهل المجلس من الدعاوى والتضاييا ليوثق عليها وهو رأس الكنيسة التى عليها رجال الدولة وهو الذى يولى الدرجات والمراتب للساقفة الا انه لا يمكنه تنفيذ هذه الامور الا على يد الوزراء فهم المطالبون بكل ما يصدر عنه من الاوامر ولهذا يقا ان الملك لا يخطئ وله ايضا خصائص اخرى منها انه لا يفرم شيئا فقد لاحد الامة وان دينه يقدم على دين غيره ولا تقام عليه دعوى ولكن لكل من الرعية حق فى ان يعرض له على يد وزيره ما يدعى به من الاملاك ولعيلة الملك ايضا مزايا امتازت بها فيحق لزوجته ان يقال لها ملكة وان يحترم مقامها ولو بعد وفاة زوجها ولها استطاعة على ان تشتري وتبيع ما تشاء باسمها وان تحيل ما يرد عليها من الدعاوى الى اى ديوان دولة شأت ولابن الملك البكر حق من يوم ولادته ان يدعى امير والنس ومن منصبه ان يدعى دوك كورن وال وارل شستر وجميع اولاد الملك ينعنون بالذات الملكى فيقال مثلاً جنابه الملكى او حضرته الملكية • وفى لندرة ست غياض اعظمها النقيضة التى يقال لها هيد پارك اى غيضة الهروهى فسيحة عظيمة مساحتها من الارض عبارة عن ٣٨٧ فداناً باسفلها قنطرة بلغ مصر وفها ١٧٠٦٩ ليرة وباعلاها قنطرة اخرى انفق فيها ٨٠٠٠ وكانت اولاً فى غيضة صان جامس فتقلت وبلغت مصاريف تغلها ١١٠٠٠ وفى هذه الغيضة ترى كبرآها وعظمتها فى احسن المركوب واللبوس والحشم وخصوصاً من شهر نيسان الى تموز واكثر النبلاء يسكنون هناك • قال فى بعض الصور لفسك سهلاً فسيحاً ذا اشجار وبرك وحقول ومرج ترح فيه الثيران والشاء سرباً سرباً كالمك فى اقليم دوقشير الايق فتلك صفة هيد پارك ثم صان جامس پارك وهو المتصل

بقصر الملكة ومع ان المظنون من وضعه وصقته ان يكون مثاب نوى الفضل
والشبان فهو مجمع الخدمة والحرافيش والاولاد ثم كثرن بارك وريجت بارك
وباريسى بارك وفك طوريا بارك وهو اخسها كما ان فك طوريا شاطر هو اخس
اللاهي وما عدا هذه الفياض قثم حديثان احدهما انبت النباتات كبستان
النباتات في باريس غير ان دخولها مقصور على اصحابها او على من يؤذن له
منهم • واتساية للحيوانات الحية والنبات والاداء على دخولها شلين وفي
ضواحي لندرة ايضا متزهات بناتها الناس في الصيف وذلك كريشموند وكير
وهمسند وكرافران وهم بطون كورت واحسنها كريستل پالسى في سدنام وهو
القصر الذى نقل من غيضة هيد بارك وهو يعز عن النظر • وقد حان الآن ان
اتكلم على احوال لندرة الخصوصية ممهدا لذلك بمقالة قالها بعض الفرنسيين
ثم اشرح جميع ما يتعلق بها قال • اما لندرة فان كل ما فيها انما جعل للتمتع به
داخل الديار واما باريس فان طيب عيشها انما هو في الاسواق والشوارع وان
الاولى تحير الناظر باحثان حالاتها وبكثرة ما فيها من الدكاكين وبترفيه الاعيان
والعظماء واسرافهم وان الثانية تسحر بتفنن شئونها واختلاف المشاهد فيها
وبما ينعم به اهلها من العيش الذى يحكى عيش النور (الحنكة) المتقلبين من حال
الى حال وفي الجملة فان لندرة تمكى خلية العسل وباريس تمكى منها عذبا لكل وارد
وما احسب جود الانكليز الذى يصفهم به اهل باريس الامن هذه الحالة التى
لا تفاوت فيها اه • وقال آخر ليس في لندرة مطاعم اتيقة ومحال فهوة فاخرة كما في
باريس فيلزم الغريب ان يأكل في المنزل الذى يسكنه او في بيوت الاكل
وهى عبارة عن مواضع مظلمة لا تأتى في فرشها ولا في مطابخها واذا دخلت
احدها مما يتردد اليه وجوه الناس احضر لك الخادم في وقت الغداء خمس
صحاف مغطاة باغطية مفضضة فتحسب ان فيها شيئا يفتح منك اللاهى فاذا كشفت
عن احدها ظهر لك الشواء ويليه البطاطة ثم الخلخلة على حدتها ثم خمسة
وفي الخامسة زبدة مذابة مع آيسة اليازير واذا شئت التفت احضروا لك سمكا
مسلوقا اما الشراب فالجعة لانك لو اردت ان تشرب الخمر لزم ان يكون دخلك
في العام دخل امير في غيرها اه • قلت قد اشرت في وصف باريس الى بعض
ما يتنها وبين لندرة من الفرق في السكنى والعيشة والآن استوفى ذلك بناء على

ما قال الفرنسيون من ان طيب العيش في لندرة انما هو داخل الابواب وفي باريس بخلاف ذلك فاقول ان اهل الاستطاعة في لندرة كالتجار وغيرهم يستأجرون بيوتا ويستقلون بها وذلك لصغرها خلافا لديار باريس فلهذا كان صاحب العميلة يؤثر النعم في بيته مع اهله على الخروج اما الغريباء الذين ينزلون في الديار فيكون لاحدهم حجرة او حجرة اثنان فيمكنهم ان ينالوا طعامهم صباحا ومساء في منزلهم وذلك بان يشتروا لهم ما يريدون اكله ويأمرؤا الخائنة بعطشه ويعطوها شيئا زهيدا في مقابلة خدمتها وذلك اولى من انهم يأكلون في المطاعم بل هو انظف وارخص وفي هذه الخطة تفضل لندرة باريس فان الغريباء في هذه لا ينزلون الا في منازل كبيرة مشاعة فيضطرون وقت الاكل الى الخروج الى احد المطاعم فان الاكل في المنازل غال جدا وهناك مزينة اخرى وهى ان النزول في لندرة يستأجر الحجيرة في الاسبوع وفي باريس يستأجرها مشاهرة وان كان مياومة لزم ان يدفع الضعف ضعفين وايضا فان صاحب الدار في لندرة يعطي النزول مفتاح داره ليتمكن ان يدخل ويخرج ايان شاء وفي باريس لا بد من قرع الباب بعد نصف الليل ليفتح له البواب غير ان النزول في ديار لندرة لا يمكنه ان يخلو بالنساء في حجرته وفي باريس لا خرج في ذلك فان طلوع المرأة الى حجرة النزول فيها اهون من طلوع رغيغ الخبر كما ان طلوع المرأة في لندرة اليه اصعب من طلوع القرن بناره وهذا شذوذ عن الاصل المتقدم ان قلنا بانه من طيب العيش الا ان أكثر المنازل هنا يقوم بخدمة نساء حسان يغنين النزول عن الخروج ولاصحاب هذه المنازل غالبا عادة ذميمة وهى انهم يستولون على مفتاح عديدة متنوعة يقفحون بها صناديق السكان حتى اذا علموا ان ليس في صناديقهم ما يقوم باجرة المسكن اندروهم الخروج وهناك طريقة اخرى للسكنى في كلتا المدينتين وهى ان من شاء ان يمكث طويلا يستأجر حجرة او حجرتين في دار من غير اثاث ويؤثنها كما احب واصلكن يلزمه في لندرة ان يقفح الباب لقاصده وينور له في الدرج وفي باريس لا يلزمه ذلك هذا ولما كان ارباب الحكومة في لندرة لا يعنون بما فيه تحسين المدن وتنظيم ديارها كانت ديار لندرة بالنسبة الى ديار باريس حقيرة جدا اذ كل انسان يبنى داره كما تقتضيه حاله فلهذا ما كان مشتملا على دابنتين فقط ومنها على ثلاث دابنات من دون مراعاة رونتها وخدمتها ومساواتها او يقال

ان الديار هنا لما كانت عرضة للحريق فكان هم صاحب الملك مجرد الانتفاع بالبناء دون الزخرفة ونهايك ان في لندن ٢٢٦٠ دارا مشرفة على السطوط وما عدا ذلك فان من يكون قاعدا في حجرة يرى مبلطها يهتز به كلما مرت عجلة من تحتها فحاش لنندرة كلها متصورة على الحوائت فاذا رفعت نظرك ما فوقها قابلك سواد الحيطان وحجارة الطوب وتفاوت انطيقان وخساسة المداخل البارزة من السطوح من الخرف وضعة البناء وما اشبه ذلك واعظم ما يشعر الناظر بهذا ما اذا قدم من باريس فانه يرى الفرق عظيما جدا وخصوصا اذا اتفق قدومه في يوم الاحد حين تكون الحوائت مغلقة فيحسب نفسه انه في قرية صغيرة الا ان في داخل الديار هنا مراتق لا توجد في باريس منها حسن الموافد وقد سبقت الاشارة اليه وكونها مشتملة على صهاريج للماء على طيبة وفي باريس يلزم الساكن ان يشتري الماء من السقائين على ردايته ومنها قلة درجتها وذلك نتيجة كونها غير شاهقة ولعل صاحب العيلة اذا استأجر دارا من بابها بهنئة العيش هنا اكثر مما بهنئة في باريس على كثرة ما يوجد في هذه من البدائم فان الغيور على عرضه لا يهون عليه اذا كان تازلا في الدرج اخرج الى محترفه ان يرى آخر صاعدا مجاردا له ولهذا تقول الانكليز ان هنا هم جوتى وان ديارهم ادعى الى السكون والهناء من ديار غيرهم واذا سكن هنا في الدار ٢ او ٣ واتفق تلافيهما في الدرج فما احد يكلم صاحبه واذا زاره اخوه او اخته واطالا المكث عنده الى نصف الليل فما يدعوها الى البيت عنده * اما قوله باحتسان حالتهما وبكثرة دكاكينها وبترفه الاعيان والعظماء فيها فاحتسان حالتهما هو كون جميع الازمنة والامكنة فيها متساوية اما في الازمنة فليس عند الانكليز في ايام السنة كلها يوم الحظ واللهم فلا تعرف فيها رأس السنة من ذنبها وليس عندهم ايام البطالة ما عدا ايام الاحاد سوى عيد الميلاد ويوم الجمعة الكبيرة ولكن يوم البخالة هنا هو يوم الانتقاض والاكتئاب اذا لا ترى شيئا يفر العين فقد اسلفنا ان جميع الحوائت تكون يومئذ مغلقة ومن العجب هنا انه يؤذن لباعة التبغ في فتح دكاكينهم يوم الاحد ولا يؤذن لباعة الخبز واللحم فكان التبغ الزم للمعيشة من غيره ثم لا مشابهة للناس يفسطون بهما سوى التردد على تلك الغياض وهي خالية من المطاعم والمشارب

والشارب وآلات الطرب على قلة ما فيها من القاعد. وهي في الغالب بعيدة عن سكنى العامة والوسط وإنما هي مجموعة لحظ الكبراء القاطنين في الديار النجاورة لها فإن كل شيء هنا معنى به اسم العلية وقد مررت بالإشارة إلى هذا نعم أن في صباح الأحد في لندرة لذة لا تقدر ولا تنظر بالنسبة إلى نحس الأيام الآخر وهي قلة قرعة العجلات وسائر المراكب فقد كنت أحسب نفسي في صباح كل أحد أتى ساكن في الريف فلما في سائر الأيام فإن توال هذه القرعة داهية من أعظم الدواهي فمن لم يتعود عليها لن يهتد نوم ولا قعود ولن يمكنه أن يجمع أفكاره في رأسه وإذا مشى اثنا في الطريق لزم التكلم أن يدرخ بأعلى صوته لئلا يسمعه الآخر فاعوذ بالله من ذلك فاما كثرة الحوايت فقد تقدم ذكرها في أول الكلام على لندرة وبقي هنا أن أقول أنك في جميع حوايت لندرة تجد ما يلزم للملبوس والفروش ناجزا عتيدا فإذا دخلت مثلا حانوت اسكاف وجدت عنده عشرة آلاف زوج نعال معرضة للبيع فأخترت منها ما شئت وقس على ذلك سائر اصناف الملبوس ومن شاء أن يفرش صرحا في ثلاث ساعات وجد كل ما يخطر بباله من الادوات والاوتى ونحو ذلك حوايت باريس فإن هذا من البلاد التي لا تجد فيها حاجتك إلا بعد أن توصى عليها فإذا حضرت وجدتها عنى غير المراد فنفسك ذلك وافضى بك إلى القيل والقال • وأعظم طريق في هذه المدينة هي ريجنت سركوس ويذكر غالبا باسم ريجنت ستريت وهو على خط منحني نحو نصف دائرة طوله ١٧٣٠ ذراعا وهو يشتمل على دكاكين فاخرة بهية أكثرها مشرف بشعار الملك وذلك أن الملكة إذا اشترت شيئا من صاحب الدكان ساغ له أن يضع عليه صورة الأسد ووحيد القرن وأدى إلى المبرى شيئا عليه في كل سنة وثم ترى الثياب الفاخرة من كل سنن ولون ومن كل سقع ومكان وقد يكون طول لوح الزجاج في عرض الحانوت نحو ست أذرع فأكثر وعرضه نحو ذراعين فيكون العرض كله من اعلاه إلى اسفله لوحين أو ثلاثة وغن اللوح نحو عشر ليرات وديار هذه الطريق مبيضة الخارج أو يقال نصفها ابيض ونصفها اسود وثم ترى أجمل نساء لندرة يخطرن بالدياج والثياب الفاخرة ويجرن أذيالهن على الأرض جرا ولا سيما ليلة الأحد وهي ليلة السبت عندهم فإذا رأيت واحدة منهن جازمت بأنها أجمل

من رأيت ثم ترى أخرى قبحتم بانها اجل من تلك وهلم جرا وكذلك هن في كافن سترت وهلم جرا وكذلك والواقع ان هذه الليلة في جميع اوراق ندره هي ليلة البهجة والتصفوف والفرح وهي ابهج الليالي اما عند العلية فلعلهم ان اليوم القابل هو يوم الانقباض فيصبون فيها الى اللهو والخلاعة في جميع الاماكن المقصودة واما عند السفلة والفعلة فلكونهم يأخذون اجرتهم في مساء كل سبت فتى انصرفوا من المشاغل اقبلوا على الخانات والحوانيت لشراء مونة يوم الاحد فتري جميع الدكاكين غاصة بالرجال والنساء وكثيرا ما يتفق ان الرجل حين يقضى اجرتنه يذهب الى الخانة وينفقها فيها فيرجع الى اهله صفر اليدين فيقوم النار بينه وبين زوجته او ان يعطيها الزوجته فذهب هي وتنفقها في المسكرات ففي هذه الليلة ترى النساء يتضاربن بعضهن مع بعض او مع بعوانهن او مع غيرهم وكذا شان الرجال وكثيرا ما رأيت النساء يغلبن الرجال ويجبرنهم بنواصيهم وكثيرا ما ترى امرأة مشرومة الانف او مبلوغة العين او مخلوطة اليد او صرعى في الطريق من الحجر والضرب كل ذلك من بركات هذه الليلة ولولا ان اصحاب الخانات مشروع عليهم ان يقفلوا حوانيتهم في نصف الليل ومن خالف ذلك بغرم خمس ليرات لبقوا وبقيت على الجن والروم والجمعة الى الصباح والواقع ان العملة من الانكليز وذوى الحرف اقرب الى مزينة الكرم منهم الى البخل فانهم في تلك الليلة ينفقون انفاقا من لا يخاف الفقر ويشتررون قطع لحم كبيرة ويتخذون حلوا من الفسكهة وغيرها وفي يوم الاحد يشربون القهوة بفناجين مخصوصة وبالسكر الابيض المكرر وهلم جرا واما عند اصحاب الدكاكين فلعلهم ان يوم الاحد ليس فيه يسع ولا شراء فيطيلون المكث في دكاكينهم رجاء ان يكسبوا شيئا رائدا يكون عوضا عن بطلالة الاحد فلهذا ترى للطرق والاسواق في تلك الليلة بهجة لا تراها في سائر الليالي وكذلك ليلة عيد الميلاد وبعض ليالي قبلها فان الدكاكين تبقى فيها مشوطة وبعضها يكون مزينا وفيها تسمع آلات الطرب من جهات شتى وترى الناس في اقبال وازبار ومرح وارتياح • ودون الطريق الذي مر ذكره في الفنى والرونق طريق اكسفورد الا انه اطول واقدم وهو يفضى الى هيد بارك وطوله ٣٠٤ اذرع وقد ترى في هذه الطريق وفي غيره عشرين دكانا للبرانيط ومثلها للنعال ومثلها للكتب ونحوها

للغز ولا ترى من مطعم واحد او نصف محل للقهوة • ثم الطريق الذي يقال له استراند طوله ١٣٦٩ ذراعا وهو اكثر الطرق ملاهى فيه فرع من المالك الكبير عنده جرس ذو مائدة كهربائية يدل على اوقات البلدة وعليه تضبط مواقف سكك الحديد الساعات والافواق وفي الساعة الحادية بعد الظهر يهبط عن مركزه بنفسه • ثم بيكاديلى طوله ١٦٩٤ ذراعا ثم نيورود اى الطريق الجديد طوله ١١٥٥ ولكنه ليس من الطرق المتأينة ونحوه ستي رود وطوله ١٦٩٠ ثم نيوبون ستريت فيه دكان جوهرى رأس ماله خمسمائة الف ليرة وتحت يده من الصاغة والصنائع ما يزيد على خمسمائة رجل وهو اغنى جميع صاغة المملكة وكثيرا ما تستخدمه ملوك الافرنج من جميع الاقطار فى صوغ آنية لقصورهم ثم هورن وهو اوسع الطرق لكنه غير طويل فيه دكانان للبر والخمر لا يتقص عدد المستخدمين فى احدهما عن مائة نفس ومن هورن فصاعدا نحو الشمال بنى فى سنة ١٦٠٧ وفى زمن الملكة اليصابات منع من تكثير البيوت وامر بان كل عيلة تسكن فى بيت واحد • ثم هلوى ول ستريت مشهورة بالدكاكين التى يباع فيها كتب الفسق وصور النساء وما اشبه هذا ثم طرق اخرى حسنة ايضا ولكنها ليست نظير هذه وعدد الطرق المبلطة فى لندرة يبلغ ٥٠٠٠هـ وتخذ اكثر من ٢٠٠٠ ميل ويوجد فيها نحو ٥٠ طريقا باسم كين ستريت اى طريق الملك ومثلها كوين ستريت اى طريق الملكة ونحو ٦٠ طريقا باسم وليام ستريت ومثلها جون ستريت واكثر من ٤٠ طريقا باسم نيو ستريت • وقد تذاكر الناس هذه السنة فى انشاء سكك الحديد فى قلب لندرة بدل الحوافل فان جعل هذه يبلغ فى السنة ٣٠٠٠٠ ليرة والسير فى الاول لا ينفق فيه اكثر من ٣٠٠٠٠ ليرة فقط وجب اسواق لندرة وشوارعها واقتطعت تور بجمال النساء طمة الليل وناهيك انه فى محلة واحدة وهى محلة مارى لابن من جلة نحو ٦٠ محلة يوجد ٢٠٠٠٠ مومسة منهن ٢٢٠٠ لهن بيوت خاصة بهن وحشا تكثر انوار الغاز يكثر تردهن ولكثرة الانوار فى الدكاكين والطرق تكون المدينة فى الليل شتاء أدفا منها فى النهار وكذلك مدينة باريس والغاز فى طرق لندرة يوضع فى فوانيس على عمد قائمة من حديد فهى من هذا القبيل احسن من باريس لان كثيرا من فوانيس هذه

تجعل في الحائط الا انه ليس في طرق لندرة شجر ولا محال للقهوة على نسق ما في باريس لان الشرطة لا يأذنون لاحد في ان يضع كرسيًا في الطريق ويقعد عليه • ثم ان اختراع الغاز هو من اعظم البركات التي ينعم بها الانسان في الليل ومن اقوى الوسائل المعينة على الامن والسلامة ولا سيما في المدن الكبار فان لندرة منذ مائة سنة كانت ممنية باللصوص والنهاب في مساكنها بعد العتمة حتى ان السالك فيها كان يعرض نفسه اما للقتل واما للسلب وكانت الاولاد يحمل باليديهم مشاعيل ويجرون بها بين يدي المارين ويأخذون منهم شيئًا وفي ايام الملكية ماري كان العسس يستحبون اجراسا يضربون بها للتنبيه والتحذير وذلك لقلة الاتوار وفي سنة ١٧٦٢ وضعت الفوانيس واوقدت بالزيت فقلت للصوص واول من جرب استخراج الغاز قسيس اسمه ككلاطون وذلك في سنة ١٧٣٩ الا ان تجربته هذه لم يعمل بها وفي سنة ١٧٩٢ تصدى لهذه العملية رجل من كرنوال اسمه مردوك وفكر في انه اذا صان الغاز المستخرج من الفحم او الحطب في وعاء ثم اجراه في قصب من الحديد يكون مقنيا عن المصاييح والشمع وفي سنة ١٧٩٨ اتم تجربته هذه واجراها في بعض المعامل في برمنهام الا انه كان يعرض لها بعض الخلل احيانا وفي سنة ١٨٠٢ اتبته الناس الى احكام ذلك وتعميم منفعة وبعد هذا التاريخ بسنة واحدة نور ملهى ليسيوم في لندرة بنور الغاز وفي سنة ١٨٠٤ وما بعدها وسع مردوك دائرة مشروعه هذا في منشستر وزعم الفرنسيون انهم هم مخترعوه الا ان هذا النور لم يعرف عندهم الا في سنة ١٨٠٢ وكان ذلك في باريس وقد عرفت ان مردوك صنعه قبل هذا الوقت بعدة سنين ومن سنة ١٨٠٢ الى سنة ١٨٢٢ اشتهر استعمال الغاز واعجب جميع الناس حتى ان رأس المال الذي جمع لتوفير لندرة فقط بلغ ازيد من ١٠٠.٠٠٠ ليرة وشغلت قصبات الغاز في ايصال النور الى محال مختلفة مسافة ١٥٠ ميلا وبعد ذلك بسنين قليلة اشتهر في سائر مدن المملكة لتوفير الطرق والحوائث والديار وهو على بقله وعدم نقصه خلافا لنور الشمع والزيت ارخص سعرا واخف كلفة فان رطل الشمع الدون مثلا يساوي ثلاثة ارباع شلين ومدة اتقاده لا تزيد على اربعين ساعة وان غالونا من الزيت يساوي شليني وبنير ما تير سمانه

ستائة شمعة في ساعة واحدة والشمع العال اُغلى من الشمعي بثلاثة اضعاف
والف مكعب من الغاز يساوي تسعة شليات فتحصل من ذلك ان ما قيمته مائة من
الشمع العال يكون خمسة وعشرين من الشمعي وما قيمته خمسة من الزيت يكون من
الغاز ثلاثة وبالمجمل فانه من الزم الاشياء ولا يعلو عليه نور الا نور الشمس (١)
واذا اوقدت نوراً منه فلا ينطفئ الا اذا اطفأه وذلك بان تدبر لولبه الى جهة
الشعال واذا اردت ابقائه ادرته الى اليمين واذا نبت النار من فوهته فيبقى كذلك الى
ما شاء الله وكيفية تنوير الطرق في لندرة هو ان يرتقى الرجل في سلم الى
الفاؤس وفي باريس يجعل الرجل النور في عود طويل ثم يديه من فوهة
الفاؤس من دون ان يرتقى اليه ولا يخفى ان ذلك اسهل وامسرع * واما قوله
بترقه الاعيان والعظماء واسرافهم فقد سبقت الاشارة الى ذلك عند الكلام
على اخلاقهم واحوالهم وانما نقول هنا ان هؤلاء الاماجد يسكنون في
حارات معلومة من المدينة فرارا من الزحام ومن اختلاطهم بالاولياء فترى
بقعة فسيحة عظيمة في لندرة ليس فيها سوى ديار متصافاة متصافاة وهي
بالنظر الى وسط المدينة موحشة اذ ليس فيها حوانيت ولا مطاعم ولا
ملاهي لكنها نظيفة سالمة عن تكاثف الاحوال وضغط السائرین وقرعة
المجلات ومعها هم فيه من البهجة فيها والتعم والانفراد فلا بد وان يكون لكل
منهم دار في الخلاء يسكنها في الصيف في هذا الصقع الجليل تسطع انوار
السعادة من ابراجهم العلوية وهناك ترى الخدم والحشم والحيل المطهمة
والعواجل النفيسة وهناك تُميد الموائد بما عليها من الاطعمة الفاخرة المجلوبة
من جميع البلدان وهناك تبه الكلاب على كثير من بني آدم ممن يتضورون
جوعاً وبهملكون من الوحش والبرد والعري ومن اكل اللحوم المثلثة في ازقة لندرة
القذرة فليس بين الجنة والجحيم في هذه المدينة بعد ما بين الجنة والجحيم
في الآخرة وهاك مثالا على سقر لندرة قال في بعض الصحف ان مائة وثمانين نفساً
ما بين رجل وامرأة وولد يسكنون في اربع وثلاثين حجرة وفي اخبار الكون

(١) في سنة ١٨٨٠ نور كثير من طرق باريس ولندرة وغيرهما من طرق
مدن اوربا بالنور الكهربائي

كان يكثر في حجرة واحدة من اربعة عشر نفسا الى عشرين ليلا ونهارا وكان يسكن في حجرة اخرى رجلان مع زوجيهما وارملتان وثلاث بنات وعرب وثلاثة اولاد فجعلتهم اربعة عشر نفسا قد جعلوا انفسهم عيلة عيلة كل عيلة تبوات زاوية من الحجرة وفي موضع آخر يسمى ساحة فلششر جرتان لا تزيدان على سبع اقدام عرضا في عشر طولا وقد اشتملتا على ثمانية وعشرين نفسا ما احد منهم يعرف القراءة وليس تحتهم وطاء سوى البن الا واحدا منهم ولا غطاء لهم في الليل سوى ثيابهم التي يلبسونها في النهار ومع ذلك فان هذين المحلين اذا قيسا بغيرهما من البيوت المجاورة لهما كان لهما حرمة فانه وجد فيها ٢٠٨ اولاد قد ادرسوا ولم يدخل منهم المكتب سوى ثمانية وثلاثين فقط وهم غارقون في الفساد والخساسة والفقر والوباء وفي هي هورن ثلاثون بيتا يسكن فيها مائة وثلاث وثلاثون عيلة كل ثلاث عيال او اربع في حجرة واحدة وقد تناهوا في السكر والسفاهة وفي كل نوع من الرذائل * وكثيرا ما ترى النساء يمشين في الشتاء حافيات وبلقطن الجنود وفئات الخبر وغير مرة رأيت رجلا على ذراعه طفل وامرأته يجالسه صفراء منجدة على عتبة احدى الديار في اشد ليالي الشتاء بردا وفي كل سنة يبقى الوف من ذوى الحرف معطلين ففي سنة ١٨٤٩ كان ١٤٠٠ خياط و ٩٠٠ اسكافي بلا عمل وكان ١٧٠٠ اسكافي يعملون بنصف الاجرة وكذا الصاغة وصناع الجلود وقس على ذلك وفي لندرة ٢٢٦٠ دارا مشرفة على السقوط والحاصل انه لا فقير اشق من فقير لندرة كما انه لا غنى اترف من غنيها وكما ان طرف لندرة من جهة الشمال موسوم بمحضرة الكبراء كذلك كان طرفها الجنوبي محصا باهل الضعة والحمول فلا ترى هناك شيئا يجيبك غير حسن النساء فان الله تعالى جعل لهن هذا النصيب طاما * واما قول الآخر انه ليس في لندرة مطاعم اتيقة الخ فهو في محله الا انه لم يذكر سبب ذلك وهو جهل الانكليز بصناعة الطبخ اما في البيوت فيمكن للواحد ان يمتدح عنهم بقوله انهم لا يتأقنون في الطبخ حرصا على الوقت ان يضع في الحشو والتكبيب وما اشبه ذلك الا انه لا يمكن الاعتذار عن اصحاب المطاعم العمومية الذين لا شغل لهم الا اطعام الناس وما عدا ذلك فان المتقدم يذكر انه لا شيء في لندرة مما يؤكل او يشرب الا وهو مفضوش مخلوط مشوب وليس

من العار على اهل هذه المدينة مع كونهم اغنى الناس واقدروهم واتجرهم ان
يرخصوا لواحد من الاجانب في ان يفتح دكانا في اعظم الطرق ويبيع فيه نحو
الجبين ولحم الخنزير والخردل والبن ولاخر في ان يبيع التلوج والخلوآ ولاخر
في ان يبيع الخلل والزيت ولاخر في ان يفتح محل قهوة تفتى فيه نساء بلده
ونحو ذلك مما يمكن لكل احد ان يصنعه فهل لهذا من تأويل آخر سوى انكم
يا اهل لندرة خرق حق او غشاشون غبانون وفي الواقع فان كل شيء يصنعه
اهل فرنسا هو مفخرة للانكليز فان الحرير الفرنسي للستات من الانكليز
نصف جالهن والنصف الآخر من الشريط والجوارب والكفوف والقبطان
ونحوه ونصف ادبهن هو التكلم باللغة الفرنسية والنصف الثاني العزف
على الپياتو ولباخوا امرآ الانكليز انما هم فرنسيس وكذا شرايهم
وجل تحفهم واهل الحوايت يكتبون على كل شيء انه فرنساوي كما مر ذكر
ذلك فاما معنى اتساع لندرة اذا وكثرة دكانها وسعة طرقاتها وتعدد مراكزها
وزحامها وضجيجها وجلبتها وليس فيها من يحسن عمل الخردل وليس في
مطاعمها مرفة في الشتاء ولا سلاطة في الصيف ولا ارز ولا عس ولا حص
ولا فول ولا مقر وانما هو الشواء والبطاطس او شيء من البقل مسلوق سلقا
ومن الغريب انهم اذا طبخوا البطاطس مع اللحم سموها اداما ارا لاندبا وملوءه من
القلفل والابازير حتى يحرق اللسان واذا جلس احد فيها للفداء رأى بينه
وبين جيرانه حاجزا من خشب حتى لا يقع التعارف بينهم وهو اشبه بحاجز
الحيوانات التي يجمعونها في بستان النباتات وترى كلا منهم قد جلس
للطعام ويده صحيفة اخبار يطالعها واذا اراد اخذ شيء من بين يديك تلقفه
من غير ان يستأذنك فيه خلافا لما تفعل الفرنسيس وغيرهم على ان كثيرا
من هذه المطاعم يأكل الناس فيها وهم وقوف فكأنما هم جماعة يهود
ياكلون خروف الفصح فاما محال القهوة فاكثرها مجتمع الاراذل فترى فيها واحدا
راقدا وآخر سكران وآخر وسخا واذا طلبت قحان قهوة خلطوا القهوة
بالحليب والسكر في محل لا تراه وقدموه لك هكذا فلا تدرى ما وضع فيه
فيا اني الف ونصف الف من الناس من تعيشون في هذه الدنيا الصغيرة
عيشة مائتين ونصف مائة من سكان القرى في فرنسا وإيطاليا والشام ویر مصر

بان تأكلوا خبركم غير مخلوط بالبطاطس والشب وجبن باريس ولحمكم طرياً سليماً
لا من حيوان اصابه داء فذبح ولا مما يرد اليكم من اميريكاً موضوعاً في الثلج ولا مما
نخم وانتم قحشون به المصارين والحوايا فلعمر الله ان كان هذا الفش نتيجة
التمدن والترقي في العلوم فلا يجهل خبر فان اهل بلادنا والحمد لله على جهلهم ما
يعرفون شيئاً من هذه الفنون الكيماوية والاخلط الغير المتناهية التي توجب على
الشارى ان يستصحب معه مرآة من المرايا المكبرة ليرى بها تلك الاجزاء والمركبات
فيما يؤكل ويشرب في وطنكم هذا السميد او ما كفى ان هو انكم مخلوط بالمدخان
وشتاؤكم بيوم ثمانية اشهر تقضى بالاصطلاء على نار الفحم الحجري وما ادراك
ما الفحم الحجري ويخوض الوحول ويستنشق الضباب حتى زدتم على هذا البلاء
الطبيعي بلاء صنائعي تصافه الحيوانات فان الكلاب والسنائر تأبى اكل هذه
الجياجب التي تحشونها بالمومهن ثم اقول او لم يكف ان نسا عليكم ونياطيكم
واساكتكم وصاغتكم وصباغيتكم وسائر اهل الصنائع منكم يغشون ويموهون ويلبسون
ويشبهون ويضلون ويغفون فما يدرى الحرر عندكم من القطن ولا الجدي من
القديم المصوغ ولا الخيط من المصق وان المؤسسات يتناولن على الرجال ويشتمنهم
المسبت ثم يسرقنهم والمراد بالسبت هنا الدواء الذي يقال له كلوروفورم او اثر قبل
ان خاصيته كانت معروفة عند الكيماويين الاقدمين وذلك من سنة ١٦٨١ واول
من عثر عليه في التاريخ المذكور كنكل واول من عرف خاصيته في الاسعاط
ثوماس مرطون من بوستان في اميريكاً ثم استعمله دكتور سيمصون في ايندبرغ
ومن بعده دكتور جامس روبنصون في انكلترة ثم شهر في سائر الممالك ونشأ
عنه الموت بعض الاحيان وفأشبهه تغيب الوجع عن حس ما يؤله حتى انه يمكن
للجراح ان يقطع عضواً منه او يحرقه ولا يشعر به وقد استعملته الماكة عند
ولادتها غير مرة وان منكم ناشين لا قبور يسرقون امكنافان الموتى ويدعونها
وان الاولاد يخنسون في كل طريق مظلم وفي كل زحام وان سفلكم عارون عن
الادب والحياء ودابهم التعدي على الغريب والاساءة اليه وان كثيراً من بيوتكم
القديمه وحيطانكم المهيدة تهتم وتسقط على الناس فهلكهم وانه قديمكث
الانسان عندكم شهراً ولا يرى الشمس الا مرة او مرتين وان ربيعكم ابرد من
شتائكم وصيفكم امطر من خريفكم وانه لا فرجة عندكم ولا مشهد ولا موسم

ولا ملهى الا وينص بلثام الطفام والاباش والادواد والسفلة الاراذل حتى
 عدمت الى افساد ما خلقه الله من الماكول والمشروب طيبا مزيئا أفليست لكم السنة
 تذوق هذا الرحس وتنطق بالحق وحلوق تستبشع ذلك الخبيث من الطعام كما
 تستفطع حروف الخلق فان كان خلو لفتكم عنها هو مسبب من استطبابكم لهذا
 الخبيث فتأها الله بضغنى ما فى لغتنا منها أهكذا علمكم اهل الشرق ان تختبروا الخبر
 مخلوطا باصناف شتى أهكذا علمكم اهل فرنسا ان تلجؤوا هذه الحجوم المتننة فى
 مطاعكم وتنفخوا فسادها بكثرة الفلفل والافخاء أهكذا علمكم باسكت الرومى فى
 سنة ١٦٥٢ ان تصنعوا القهوة مخلوطة بجميع انواع الحبوب فامعنى كثرة
 دكاكين الكتب والمؤلفات التى لا عدد لها عندكم فى كل فن وصناعة واتم
 لا تحسنون ان تلجؤوا بضبعة من اللحم بيوفقة من البتل فكل لحم مشوى وكل
 بقل مسلوق وبالبات كان ذلك اللحم لحما وذلك البقل بقلا فاعجب ايها القارى من
 ان هؤلاء الناس الذين يملكون ما ينف على ٢٠٠٠ ربه باخرة منها ما هو اكبر من
 فلك نوح كما زعموا وعندهم اكثر من ٢٠٠٠ صحيفة للاخبار منها ما يطبع فى كل
 يوم ومنها فى كل اسبوع لا يعرفون ان ياكلوا وليس لهم ذوق يعرفون به الطيب
 من الخبيث من الطعام ويرضون ان ياتيهم رجل من فرنسا او ايطاليا ليبيعهم الخردل
 والخل والجبن مما يجلبه من بلاده وليس منهم فى تلك البلاد احد يعلم اهلها شيئا من
 صناعة الطبخ فكل شئ دخل فى حلوقهم طاب استراطه وكل ما عرض للبيع فى
 حوانيتهم حل يبعه وشراؤه بحيث يؤدى عليه مكس للدولة واتى لاجب كيف
 انهم لا يختبرون خبرا من البطلاطس وحدها او من الشعير وحده او من الاسماك
 كما فى ايرلاندا وكيف لا ينجرون فى طين الارض القريبة من المسكوب الذى يقال
 انه يجتر مع الدقيق • وقد حان لى الآن ان اختم الكلام على لندرة فيما يؤول
 الى الماكول والمشروب واذكر ما فاقت به سائر مدن العالم فى ما يطبع فيها من
 صحف الاخبار والكتب فاقول ان اول جرنال فى الدنيا باسرها هو الجرنال السمى
 تيمس ومعنى هذه اللفظة الاوقات ومعنى الجرنال يومية وهى لفظة فرنساوية
 وهذه الصحيفة تحوى جميع اخبار المسكونة الا اتى رأيت فيها عيبا كبيرا وهو عدم
 استقصاء اخبار البلاد الشرقية وسائر الممالك الاسلامية فاذا كان فيها خبر عنها
 فانما هو مخصوص بالتجارة ولها عتبة كتاب وكاتب جلها السياسية نعد من اعظم

انباء الانكليز ومرتبته في السنة أكثر من ألف ليرة وهذا الجرنال هو لسان
الامة والدولة ويليه الجرنال المسمى موزن ادفرنسر ومناه ملان الصباح وهو
لسان الرعية وكأنه تقيض ذلك وفي لندن أكثر من ٣٢٠ جرنالا للاخبار الطارئة
والادبيات والعلوم ووزن ما يطبع منها في كل يوم وكل اسبوع يبلغ في الاسبوع
من ٢٥٠ مانا الى ٣٧٠ وفي باريس ٣٥٠ صحيفة للاخبار الا ان كتابها مقيدون
عن الجري في مضمار الكلام فليس لهم حرية كما لكتاب الانكليز فان هؤلاء
بشهرهم في اخبارهم كل ما استحسنوه واستفجروه وليست هذه الرخصة لاصحاب
جرنالات فرنسا وكذلك بشهرون كل ما حدث في مجلس المشورة من المذاكرات
والمفاوضات بان يبعث كل رئيس جرنال كاتبه الى المجلس ويكتب ما يقال فيه
حرفا حرقا ولهم في ذلك طريقة غريبة يسمونها اليد القصيرة فان الكلام يكب
مختصرا بنوع من الاشارة ولولا ذلك لم يكن ممكنا للكتاب ان يستوعب جميع
الاقوال وكل ما حدث شي في قصر الملكة يطبعونه حتى انهم لا يتحاشون ان
يكتبوا انها حبلى وانها تلد في الشهر القلاني وفي بعض هذه الصحف ان الملكة
اهنت الى احد العسكر مندبلا من حرير وفيه رقعة مضمونها انه مكفوف بيد
ابنتها الكبيرة ولو كان مثل ذلك يشاع في بلادنا لاصبح مشغلة للالسن كما سبقت
الاشارة اليه واخش ما يكون من تلك الجرنالات الجرنال المسمى پول برى قرأت
فيه في عدد ١٦ ما نصه ان كان الله قد قصد ان منحه في هذا الامر تكون غير
مستعملة فلم منحنا اياها وان كان انما قصد ان تكون مستعملة من المتزوجين فقط
فلم آتاهما غير المتزوجين ايضا ام يقول قائل لا خشية له من الله انه انما اعطانا
اياها ليلبونا بها أنليس هذا يفضي الى ان نجعله تمنحنا الا ان لا ابرئ المتزوجين
في استعمالهم هذه الناح في غير محلها اما الاقتران الطبيعي بين الرجل والمرأة
وهما غير متزوجين وليسا من طائفة واحدة لخلال شرعي والحاصل ان شرائعنا
الادبية حائذة عن الصواب وان الفضيلة على ما تفهمها العامة شين وتدليس
الى ان قال « فكل امرأ غير متزوجة يحل لها على مذهبي ان تخالط اياها شامت
من الرجال من دون خوف من ان تؤسم بالعار والفضيحة او الخروج عن الادب
ولو جرت العادة بان تعيش الرجال مع النساء من دون زواج لاغنائنا ذلك عن
كثير من الشرور التي تحدث بين المتزوجين كالسهم والقتل ونحوه بل عن كثرة
المومسات

الومسات و عما يقاسين من الموبقات والذائل وفي بعض الجرنالات من بعض العامة الى كاتب الجرنال ما نصه اسمح لرجل مسكين ان يقول كلاما وجيرا على امر موجب لشكوى الانكليز فاقول انا معاشر اهل انكلترة ما برحنا معنين بما لقينا من مصاريف الحرب الاخيرة ومن المكوس التي لانطاق ومع ذلك فقد خطر الآن يبال بعض اهل الدولة طريقة اخرى لاقفار الرعية وهى امداد ملكة اجنبية بجال سمي جهاز ابنة الملكة وناهيك ان ملكتنا لما تزوجت احضرت الى رعيبتها رجلا لا ثروة له وان ملك البليجيك رتب له وظيفة تجري عليه من اهل هذه الملكة وما ذلك الا لكونه تزوج بنت الملك جورج فصارت بلادنا موردا لصيادى البخت والجدة وانها لتبقى كذلك ما دام جلب المال هينا على طالسليه او ليس للملكتنا من الازراد الجزيل ما يقدرها على ان تقوم بمؤنة ذريتها ولو انها قترت على نفسها قليلا لامكنا ان تجهزهم ان كان لا يوجد من كرام الناس من يتزوجهم لمجرد المحبة وكيف كان فى الظلم الواضح ان يكلف اهل بلادنا اغناء بلاد اجنبية ألا ترى ان لى زوجة وعشرة اولاد وان ارادى كله لا يزيد على ١١٠ ليرات اؤدى منها لتنظيف البلدة شيئا ولأجل الفقراء شيئا وللكنيسة شيئا ولغيرها شيئا فهل اذا اردت ان ازوجهم يجهزهم اهل الشورى عنى الخ وتغن هذه الجرنالات كلها معما فيها من الاخبار والقوائد ومع حسن طبعها وورقها لا يثن الورق فقط وانما يكسب اصحابها من الاعلانات التي يطبعونها للتجار وغيرهم وعلى كل سطرين او ثلاثة من هذه الاعلانات خمسة شلينات واول طبع بالبحار ظهر فى مطبعة التيس وذلك فى سنة ١٨١٤ واول جرنال طبع فى بلاد الانكليز كان فى اكسفورد وذلك فى سنة ١٦٦٥ وكان ديوان الملك يومئذ هناك لأجل الطاعون الذى وقع فى لندرة فلما رجع الى لندرة سمي ذلك الجرنال كازت وذلك بعد التاريخ المذكور بسنة واحدة وبقي هذا الاسم خاصا بالجرنال المشتمل على اخبار الدولة والمصالح الملكية فلا معمول فى اخبارها الا عليه فهو بمنزلة المونيتور فى باريس واصل اسم الكازت انه فى سنة ١٦٢٠ طبع فى صحيفة فى فينيسيا اخبار مختلفة وكانت تشرى بقطعة من الدراهم تسمى كازتة فلزمها هذا الاسم وكان اشتهار الجرنال فى فرنسا سنة ١٦٣١ وفى جرمانيا سنة ١٧١٥ وفى دبلين سنة ١٧٦٧ واول جرنال اشتهر فى هولاند كان فى سنة ١٧٣٢ وفى اميركا سنة ١٧١٩ وعدد جرنالات

هذه ٨٠٠ منها ٥٠ جرنالا تطبع في كل يوم وجلة نمطها ٦٤ مليون واول ما يصح تسميته بجرنال لأشتماله على اخبار عمومية في بلاد الانكليز هو ما طبع في سنة ١٦٦٣ وبقى كذلك نحو ثلاث سنين ثم خفي بظهور الكازت وفي زمان الملكة اليزابت وذلك سنة ١٥٨٨ شهر ايضا شئ مثله ولكنه لم يكن على هذا النسق والعجب العجب كثرة اوراق التعريف والاعلان في هذه المدينة في كل موضع يباح فيه الصاقها وقد يستخدم بعض التجار خدمة مخصوصين ليطوفوا بها ويفرقوها على المارين مجالا وما احد يريد ان يأخذها ومنها ما يطبع بحروف فاحشة الكبرى حتى يمكن قراءتها من مسافة بعيدة * اما صناعة الطبع فقد اختلفت الاقوال في مخترعها فبعض المؤرخين نسبها الى منتر وبعضهم الى استرابورغ وهارلم وبعضهم الى فينيسيا ورومية وبعضهم الى فلورنسه وباسيل وفي رواية ادريان جونيوس ان مخترع النايغ هو يوحنا كستر من هارلم طبع على خشب كتابا فيه حروف وصور على وجه واحد وذلك في سنة ١٤٣٨ قال وفي سنة ١٤٤٢ انشأ يوحنا فوست مطبعة في منتر وطبع فيها كتابا وزعم بعض ان اول كتاب طبعه كان كتاب المزامير وقال آخر لاشك ان الطبع على قطع الخشب كان معروفا عند اهل الصين وذلك قبل تاريخ التصاري باحتجاب عديدة وكذلك كان معلوما عند الرهبان في بلاد الانكليز وفي غيرها من بلاد اوربا فانهم كانوا ينقلون الكلام من ورقة الى اخرى على الخشب ولكن كان ذلك قليلا فاما استعمال هذه الحروف مصفوفة واحدا بعد واحد فلم يعرف الا في متأخر الزمن قال ولم يكن احد في الزمن القديم يشتغل بالعلم وبترجمة الكتب والتمسح الا الرهبان فهم الذين ادخلوا التمدن والمعارف في بلاد الافرنج وكانت رومية وبلاد اليونان معدن الكتب والعلوم وكان الصكصونيون آباء الانكليز يسافرون مسافات بعيدة في طلب العلم وتحصيل بعض تلك الكتب النادرة ويشترونها بثمن غال وعند رجوعهم يترجونها الى اللغة الصكصونية وكانت الناس تنافس فيها لندرتها غاية المنافسة وكان للاسقف ولغيره نسخها من كتاب الانجيل مكتوبة بحروف من ذهب على ورق ارجواني فكان يضعها في صوان من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة وما عدا الرهبان فلم يكن احد من العامة من يحسن الكتابة غير افراد قليلين وناهيك ان توقع وليترد ملك كنت على مجلة كان علامة الصليب وامر كاتبه بان يكتب تحتها ان الملك انما رسم تلك العلامة

بدلاً من اسمه الجهله الكتابة ولولا تخريب الدانيريين وتدميرهم لكان العلم بين
الصكصونيين قد تقدم كثيراً الا ان ملوك البحر اولئك كانوا على جانب عظيم
من الجهل والجفاء وكانوا وهم على اصنامياتهم ينظرون الى الصكصونيين
المسيحيين كأنهم مرتدة لانهم كانوا اولاً مثلهم عبدة اوثان ولهذا كانوا يرون
ان فروض دينهم توجب عليهم ابادة اديار الرهبان وكتبهم وما كانوا يعرفون
شيئاً من جهة السماء سوى انهم يشربون فيها الزر في جاجهم اعدائهم وبالكلون
من مأكل لا ينقص الاكل منه شيئاً مهما اكل فن ثم انظفوا كتباً كثيرة
كانت كلفت الصكصونيين اتعاباً عظيمة في تحصيلها ولو انها بقيت لنا لكننا
ندري منها امورا كثيرة نجهلها في تاريخ جميع البلاد قال وافق في القرن الخامس
عشر ان شاباً اسمه جون غانسفليس ويعرف بغانتبرغ من سقع سلفيلوش سافر
الى استراسبورغ وكانت مشهورة حينئذ بانها سوق الكتب فاخذ يفكر في احداث
طريقة لتكثيرها فخطر بباليه انه اذا صنع حروفاً تركب وتحل يلغ بها اربعة ثم
رجع الى ماينس واجتمع برجل اسمه فوست فتواطأ على ابطال نسخ الكتب
لما فيه من المشقة بطريقة الطبع بتلك الحروف فسيكاهها كما خطر لهما وكان
ذلك في سنة ١٤٤٠ الا ان علمهما هذا لم يتج فائدة الا بعد عشر سنين ووطن
ان تلك الحروف كانت من رصاص اضيف اليه بعض اجزاء كنيابوية لجعله صلباً
متمحلاً للعمل المراد ثم دخل في شركتهما بطرس شوفر ثم طبع غانتبرغ عدة كتب
من جللتها التوراة المعروفة الآن بتوراة مازارين وقد راج بيعها واشتهارها
كثيراً حتى انه كان يقال ان طبعهما من عمل الشيطان وفي سنة ١٨٣٧ نصب له
مشال على قبره اكراماً له وارسلت نواب من جميع دول الافرنج لحضر مشهده
ولما عرف الذين كانوا مستخدمين في مطبعة ذهب بعضهم الى سويسرا في
ايطاليا فاشتهرت هذه الصناعة فيها في سنة ١٤٦٥ ثم سرت الى باريس وذلك
في سنة ١٤٦٩ وبعد سنة اشتهرت في اسبانيا وبعد نحو خمسين سنة عمت جميع اوربا
ويظهر مما قاله يادان احد مشاهير الطباعين في باريس في اوائل القرن الخامس
عشر وكذا مما قاله شكولوكر الانكليزي ان الالهات والابيات في تلك الحروف
لم تختلف كثيراً عن المستعمل منها الان وكانت العادة اذ ذاك ان سبك الحروف
مختص بالطباعين فقط وفي سنة ١٦٣٧ صدر حكم من ديوان الانكليز بان لا يزيد

عدد الطباعين على اربعة نفر وانه اذا مات منهم احد لا يقوم آخر في محله الا باذن رئيس اساقفة كنتربزى وفي سنة ١٦٩٣ حين صدرت المجلة باقرار حقوق الاهلين بطل هذا الحكم وكانت الكتب سابقا تفحص قبل ان تطبع ثم يكتب على صفحة عنوانها « تطبع » وفي سنة ١٧٩٥ اطلعت الحرية في الطبع من دون فحص وامر بان تطبع اسماء الطباعين في اوائل الكتب واواخرها واول من شهر الطبع في بلاد الانكليز كاسطون وذلك نحو سنة ١٤٧٤ وكان قد سافر الى البلاد الواطئة وحصل معارف كثيرة واول كتاب طبعه كان تاريخ طرودة ترجمه من اللغة الفرنسية وكان جامعاً لثلاث خصال جليلة وهي كونه مؤلفاً وجامعاً وناشراً وبسعيه ومعارفه حصل في ادب لغة الانكليز تقدم عظيم الا ان هذه الصناعة الجليلة كانت غير عامة المنفعة عندهم وخصوصاً انهم كانوا يشترون الحروف من بلاد اوربا القارة ولا سيما من هولاند الى ان قام كسلون في اوائل القرن الماضي وسبك حروفاً حسنة وكثير الادوات وفي سنة ١٧٢٠ استخدمته الجمعية المعروفة بجمعية انتشار المعارف المسيحية في سبك حروف عربية ثم اشتهر صيته في الآفاق حتى صار اهل البلاد القارة يستندون منه فلما مات باعت زوجته ما كان عنده من الحروف لجمعية العلوم في باريس فكانوا يطبعون بها اجل المؤلفات في الادب والعلم ثم قام دكتر فرى وسبك حروفاً في جميع اللغات الشرقية ويقال انه سبك في مسبك برسكب اربعمائة شكل من الحروف الهجائية وان يروى بكتابة رومية مع شهرتها ليس فيها اكثر من ذلك وسبك ايضاً في معمل ديدو في باريس ابداع ما يمكن صوغه من الحروف في العالم باسره حتى ان بعضها لا يمكن قراءته الا بالزجاجة المكبرة وكيفما كان فان طباعى الانكليز في عصرنا هذا لا يعلو عليهم احد ثم ان احد النمساويين واسمه هركونك رأى ان الطبع بالبخار غير مستبعد ففرض رأيه على اهل بلاده فاعرضوا عنه فقدم الى بلاد الانكليز واسعفته جماعة منهم لاجراً ما قصده فصنع آلة صغيرة طبع بها الف صحيفة في ساعة واحدة بمساعدة ولدين فقط فلما تحقق صحة استعمالها حزم على اتخاذ آلة كبيرة لطبع الاخبار فراها صاحب جرنال التيمس فواطأه على ان يصنع له آتين مثل تلك ولكن اكبر منها وفي سنة ١٨١٤ طبع في ذلك الجرنال اعلان بانه مطبوع بقوة

بقوة البخار ثم قام جماعة وحسنوا هذه الآلة فكان يطبع بها على الوجهين في كل ساعة من ثمانمائة صحيفة الى تسعمائة وكانت الآلة المفردة تطبع على وجه واحد في كل ساعة الفا واربعمائة صحيفة ثم قام مستر كل واخترع آلة مزوجة يطبع بها في الساعة من عشرة آلاف صحيفة الى اثني عشر الفا وفي بلاد اميركا مطبعة تطبع في الساعة عشرين الف صحيفة ما بين جرنال وغيره وفي الحقيقة فان جميع ما اخترع من الصنائع في هذا العالم هو دون صناعة الطبع نعم ان الاقدمين بنوا اهراما ونصبوا اعلاما وشادوا هياكل وحصنوا معازل وحفروا خنادقا واقتية للماء ومهدوا مسالك للعساكر الا ان صنائعهم تلك بالنسبة الى صنعة الطبع ان هي الدرجة ترق فوق درجات الهجمة فانه بعد اشتهاار الطبع لم يبق احتمال لاصناعة المعارف التي ذاعت وشاعت اولفقد الكتب كما كانت الحال حين كانت تكتب بالتم وقد قيل ان المعرفة قدرة فان المتصفين بالمعارف وهم الاقل يتولون الامور ويسوسون الجمهور وهم الاكثر اه اما احداث الورق فقال فليترانه كان في القرن الحادي عشر الا انه كان مشهورا في الصين من عهد لا يعلم الا الله وهو ابيض رقيق يتخذونه من الببو المغلي او من قصب السكر قال وقد عرف استعمال الزجاج عندهم من التي سنة وقال آخر ان احداث الورق في الصين عرف في سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد وفي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد كان يصنع من القطن وفي سنة ١٣١٩ صار يصنع من الخرق واول من صنع الورق الابيض الخشن في بلاد الانكليز رجل غساوي وذلك في سنة ١٥٩٠ وقبل وليم الثالث كان الانكليز يشترونه من فرنسا وهولاند فكانوا يصرفون كل سنة في ثمنه ١٠٠٠٠٠٠ ليرة فلما قدم بعض الفرنسيين الى هذه البلاد للاستئمان علموا الانكليز صنعة الورق وكانوا من قبل ذلك يصنعون ورقا خشنا اسمر وفي سنة ١٦٩٠ صنعوا الورق الابيض باليد واتخاذ بالآلة كان من مخترعات لويس روبرت ثم باعها لطباع اسمه ديدو فجاء بها هذا الى بلاد الانكليز ومن ثم شهر استعمالها وفي سنة ١٨٣٠ منع بها طلمية بلغ طولها ١٣٨٠٠ قدما وعرضها اربع اقدام اما الورق المتقوس الذي يلصق على الحيطان فكان احداثه في اسبانيا وهولاند في سنة ١٥٥٥ فلما البابيروس وهو الورق المتخذ من القصب فكان يصنع في مصر والهند الى ان عمل الرق وذلك

في سنة ١٩٠ قبل الميلاد وكان يتولوى قد منع اخراجه من مصر وعليه كتب تاريخ يوسفوس وهى نسخة جليظة ثمينة اخذها نابوليون الاول من جبهة ما اخذ وبعث بها الى باريس وفي سنة ١٨١٥ ردت الى موضعهما

﴿ فصل فى السى ﴾

قد تقدم الكلام على هذا الخط من حيث اشتغاله على اعظم المباني الكائنة فى لندرة فان البنك والبوسطة والبورس وديوان الضابط وداره ودار السكة وكنيسة ماربولس جميعها فيه وهو فى الواقع لندرة القديمة وما بنى من بعده فهو حادث وبقي الآن هنا ان اقول ان هذا الخط الفريد هو مركز الاشغال العظيمة والمبايعات الجسيمة لاغنياء تجار الانكليز فاما من بناء فيه الا وهو مصدر للحركة والعمل وما احد يخطو فيه الا للكسب والشغل ولا يتحرك به لسان الا للنفع والغائنة ولا تطلع عليه شمس ولا يوقد فيه نور الا للسعى ولا يخرج صدر مخلوق خاطر الا للحصول والاقتناء فترى كل واحد من اهلها فأنما عينه وفيه لاكل الدنيا وما فيها وكثيرا ما ترى فى مسالكه مصحين يحدثون انفسهم فيما هم فيه من المباشرة للاعمال فهنا تجد الغلام شيخا فى معرفة الادارة والشيوخ غلاما فى النشاط والاستعداد والشاب قبلا وكينما توجهت وايضا سلكت رأيت فهم الخلق وحرصهم شاغلا لحواسهم الباطنة والظاهرة بالحرث والادخار وليس من قطر فى الدنيا الا ويمد اهل هذا الخط بالبضاعة والمهمات وهو وان خلا عن الحوائث الرحبة البهيجة مما يرى فى سائر شوارع لندرة الا ان الارباح التى تجنى هنا فى يوم واحد لا تجنى فى غيره فى شهر لان العقود الخطيرة والمراسلات الجزيلة انما تصدر عن هذا المشغل الحافل ولا ينفى ان التاجر الذى يرسل تجار البلاد الاجنبية ويبعث لهم ويحلب من عندهم يربح اكثر من التاجر الذى يقعد فى حانوته وينظر شارى شقة من الحرير او ثوب من الخز ومن هؤلاء التجار من يكسب فى السنة نحو مليون ليرة كذا قيل ومنهم من له عدة سفن تجرى فى البحر من بلد الى بلد ومنهم من يستخدم فى ادارة مصالحه مئة شخص وقد ذكرنا سابقا ان واحدا من هؤلاء له محل فى ارلانده فيه

أربعة آلاف من الرجال والنساء لعمل القمصان لا غير وإن تاجرا مات وخلف
سبعة ملايين ليرة ولا بد لكل منهم من أن يكون له كتاب وحساب وصير في
وما أشبه ذلك والغالب أن يكون له محترف يشتمل على ثلاث جرات أحدها
للاشغال الخاصة به والثانية للكتاب والثالثة مشتركة لهم ولوضع الروايع
والمنايع ونحوه ولا شك أن تجار لندرة عموما وتجار هذا الصقع خصوصا اغني
من جميع تجار أوروبا إلا أنهم دونهم في العرف والكياسة وعبارتهم ركيكة
بخلاف تجار فرنسا فإنهم مشاركون لذوى العلم والدراية وعبارتهم وإن تكن
دون عبارة علمائهم إلا أنها بالنسبة إلى كلام تجار الانكليز عالية كما أن عبارة
هؤلاء بالنسبة إلى عبارة تجار بلادنا في غاية الفصاحة ولعمري أن تاجرا يكتب
لقى أى لا يفرضه أى الامضاء والسالى أى الثالثة ومنقول أى نقول وأعرض عن
هذا الشيء أى عرض هذا الشيء والخصارة أى الخسارة ويتبدى بحسابا جديدا
ويخيرا وعافية والشارره وغث علينا وحظونا على وفولابت ونحو ذلك لجدير بان
يستحى من حرفه ومن الجبج هنا أن العالم قد بسهر أحيانا ويفلط ومثل هؤلاء
التجار لا يفلطون أبدا في تأدية عبارة واحدة على حقها فقد قرأت أكثر من ألفي
رسالة وردت منهم فلم أرفيها ولا جملة واحدة تدل على فكر لهم وروية فقلل
هذه الحال يذخر قول الانكليز في التوبيخ ألا تستحي من نفسك نعم أن التاجر
لا يطلب منه أن يكون شاعرا أو رئيس ديوان الانشاء ولكن عار عليه أن
يصرف ادراكه كله في معرفة الثوب الطشت من الزفيع ويرتدى بلباس الفقول
عن اشرف ما ميز الله به الانسان عن البهيمة وهو الذئق بل ليت هؤلاء يكتبون
كما ينطقون فاقى لا احسب عجزهم في الكلام بالغا إلى هذا الحد ولعمري أن
صاحب الذوق السليم يمكنه أن يكتب عبارة رائعة من دون أن يدرس كتاب
سيبويه أو فقه اللغة للثعالبي والمتفحص من هؤلاء من يخلط العربية بالتركية
أو الظليانية فيكتبون مركب بالكان وعلام مور ويرمق وجنابير وما كنه ويرعو
وباليهم يكتبونها على حقها فيأليت شعري ما سبب هذا العدول عن لغتهم إلى
لغة الجهم وما سبب هذا القصور عن تأدية عبارتهم بالفاظ متعارفة أو عن
سبك معانيهم في كلام معجب مفصح وما عسى أن يقال في تاجر فرنساوى يكتب
رسالة ويمشوها بالافاظ الفجيحة والاغلاط الفاحشة في التركيب ورسم الخط

وما يكون قدره عند اقربائه ومعارفه وعند اصحاب الجرائل وخصوصا ما يطبع منها للضحك والتحكيم الا فليحمدوا البلاد التي خلت عن هذه الصحف وعن رماية حرمة العلم ثم ان تنافس الانكسار في حصولهم في خط السبي سواء كانوا تجارا فيه او كتابا او غير ذلك هو كتنافس القبط في استخدامهم في قلعة مصر وقد ذكرت سابقا ان جميع الحوافل مكتوب عليها اسم البنك لانها جميعها ترد اليه الا ما ندر وبهذا تعلم ما يكون ثم من الزحام والتوارد وفي الحقيقة فان دوى المراكب في مسالك هذه البقعة لما يذهب بالصبر وما اظن احدا من سكانها يمكنه ان يعمل فكره في شيء الا فيما هو بين يديه من الشغل وفي هذا المورد الوخير قدر الله لي ان اولف هذا الكتاب لا في مروج ايطاليا النضيرة ولا في رياض الشام الاتيقة فاحال ان بين كل كلمتين منه دخلا متصاعدا وظلاما متكاثفا وكنت كلما خرجت من حجرتي الى هذا الموضع اوجس ان يصيبني سوء اما من تراجم الناس او البهائم او من رداءة الطعام الذي يوكل في مطاعمها فاذا عدت الى منزلي اجد نفسي كائن نجوت من خطر غرق او نار ومن يخرج من هذا الحبس الى جهة ريجنت ستريت كان كمن خرج من لندرة الى باريس لانه يرى هناك بعض الناس يمشي على مهل فيستشعر ان من الخلق من يخرج للتفرج والنتم وبعضهم يدخن بالتبغ وهو ماش وبعضهم يتكلم وهو ضاحك او مبسم وقد يسمع بعض آلات الطرب فيأنس بان هناك ما ينفس عن القلب ويوذن بالسرور وان من اوقات العمر ما يخص الراحة واللذة بخلاف شوارع السبي فان الله تعالى لم يخلقها الا للسعي والشغل الشغل ليس الا الشغل العمل العمل ان دين القوم العمل فهم لا يستريحون منه الا اذا استراح هو منهم وناهيك ان فيه دارا واحدة تشتمل على خمسمائة محترف وعدة سمسارته تبلغ نحو الف ومع ان موقع هذا الخط سافل بالنسبة الى سائر اخطاط المدينة وطرقه ضيقة وبيوته حقيرة فان اجلاله عند الانكسار جعله ارفع واشرف من غيره حتى انهم اذا شخصوا منه الى محل اعلى منه يقولون انا نهبط الى موضع كذا وليس في هذا الخط كله ملهى ولا نزهة ولا شيء آخر يسط النفس فلن ترى فيه الا وجوها كالحية وزحام عواجل وحوافل ومحامل وعجلات متبلة ومدبرة ومارقا ضيقة وحلة وجدران سودا ومسالك خاصة بالناس

- تمت الطبعة الثانية من هذا الكتاب * بحمد الملك العلي ملهم الصواب *
وعجزل الثواب * اما الطبعة الاولى التي طبعت في تونس فلم تكن تامة اذ حذف
منها بعض اقوال سديدة * واخبار مفيدة * فلما رأينا ذلك اثبتنا في هذه
الطبعة ما حذف من تلك واضفنا اليها ايضا اشياء اخرى من قبيل *
- * الاحصائيات التي زادت اذ لا يخفى ان احوال اوربا تغيرت بعد *
 - * تأليف الكتاب وقد بذلنا الوسع في ضبط هذه الصفحة وفي *
 - * تحريرها وتهذيبها على قدر الامكان * فجاءت بحمده تعالى *
 - * نموذجاً على الاتقان * وكان الفراغ من طبعها في *
 - * اواخر شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٩ في ايام سلطاننا *
 - * المعظم * الخليفة الاعظم * مولانا وسيدنا *
 - * السلطان ابن السلطان * السلطان *
 - * الفازي عبد الحميد خان * ابد الله *
 - * سلطنته * وايد دولته وسلطته *
 - * والحمد لله رب العالمين *
 - * والصلاة والسلام على *
 - * نبينا سيد المرسلين *
 - * وعلى آله وصحبه *
 - * اجمعين *



﴿ معارف نظارت جليله سنك رخصتيله طبع قلمشدر ﴾

مَطْبُوعَاتُ الْجَوَائِبِ

- ﴿ هذه أسماء بعض من الكتب التي طبعت بمطبعة الجوائب ﴾
- ﴿ كتاب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب اعتنى بجمعها مدير الجوائب ﴾
- ﴿ يحتوي على سبعة أجزاء ﴾

- قرش ٢٠ ﴿ الجزء الاول ﴾ يشتمل على ما في الجوائب من الفصول اللطيفة والمقامات الطريفة والمقالات الادبية
- ٢٠ ﴿ الجزء الثاني ﴾ يحتوي على تفصيل ذكر حرب جرمانيا مع فرنسا من اولها الى آخرها
- ١٥ ﴿ الجزء الثالث ﴾ يشتمل على بعض القصائد التي نظمها محرر الجوائب في الاستانة وهي التي ادرجت بالجوائب وهو جزء من ديوانه
- ١٠ ﴿ الجزء الرابع ﴾ يشتمل على القصائد التي نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء في مدح محرر الجوائب
- ٢٥ ﴿ الجزء الخامس ﴾ يشتمل على جميع ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية التي حدثت في الممالك العثمانية وفي الدول الاجنبية من جللتها الاوامر والفرامين السلطانية وغير ذلك من المعاهدات التي صدرت في الخطوب الشهيرة
- ٢٥ ﴿ الجزء السادس ﴾ يشتمل على ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جللتها الاوامر والفرامين السلطانية التي صدرت في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها كل اديب ارب ورياح اليها كل مؤلف لبيب
- ٢٥ ﴿ الجزء السابع ﴾ يشتمل على ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جللتها الاوامر السلطانية التي صدرت في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التي حدثت من سنة ١٢٩٥ الى غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨

﴿ كتب أخرى طبعت في مطبعة الجوائب ﴾

- قرش
- ٢٠ غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني (طبعت في مطبعة الجوائب)
- ٢٠ الموازنة بين أبي تمام والبحتري للشيخ العلامة أبي الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى (هذا الكتاب لم يطبع بعد في غير مطبعة الجوائب)
- ٠٧ بديع الانشاء والصفات في الكتابات والرسالات للشيخ الامام مرعي ابن الشيخ الامام يوسف بن أبي بكر احمد المقدسى
- ٠٢ لوعة الشاكى ودعة الباكي
- ٠٢ تعليم المتعلم طريق التعلم للامام الزنوجي
- ٠٤ ترجمة القانون الاساسي والخط الهمايوني الشريف الى اللغة العربية
- ٠٣ ترجمة نظامات مجلسي الاعيان والمبعوثان الى اللغة العربية
- ٠٢ رسالة في المكايل والمقاييس العلمية بالديار المصرية تأليف عزتو محمود بك الفلكي
- ٢٠ الطبعة الثانية من مجلة الاحكام العدلية تحتوى على ستة عشر كتابا و ١٨٥١ مادة
- ٠٤ القانون الاساسي بالتركي والعربي
- ١٢ رسائل ابي بكر الخوارزمي
- ١٢ ديوان ابي الفضل العباس بن الاحنف الياهمي الشاعر المشهور وفي آخره ديوان جمال الدين يحيى بن مطروح المصري
- ٠٥ صحيح الحمام في مدح خير الانام لشمس الدين محمد الصالحى الهلالى شيخ شهاب الدين الخفاجي على عدد حروف المعجم
- ٠٥ مقامات جلال الدين عبد الرحمن السيوطي وهي اديبة طيبة
- ١٢ رسائل ابي الفضل بديع الزمان الهمداني
- ٠٦ مقاماته
- ٠٧ نسع رسائل في الحكمة والطبيعات للشيخ الرئيس ابي علي الحسين بن عبد الله بن سينا وفي آخرها قصة سلامان وابسال ترجمها من اليوناني حنين بن اسحاق

قرش

- ٠٤ ثلاث رسائل اجدها النفود الاسلامية للعلامة نبي الدين احمد بن عبد القادر القرينى المؤرخ المشهور والثانية الدرارى فى الدرارى للشيخ جمال الدين عمر بن هبة الله بن العديم الحلبي والثالثة مجموعة حكم وآداب واشعار واخبار وآثار وقرأتها الكاتب المشهور ياقوت المستعصمى
- ٠٨ نثار الازهار فى الليل والنهار للامام العلامة محمد بن جلال الدين الخزرجي

- الافريقى الملقب بآين منظور صاحب لسان العرب
- ١٠ زهرة الطرف فى علم الصرف للشيخ الامام الاوحد ابى الفضل احمد بن محمد الميداى صاحب مجمع الامثال ويليهِ الافوذج للعلامة جارا الله الرحمنى وقواعد الاعراب لابن هشام كلاهما فى علم النحو وقد طبعت هذه المجموعة باحرف كبيرة على شكل حسن غريب بحيث لم يسبق لها نظير وقد ضبط كثير من الفاظها بالحركات تسهلا للتعلّم والتعليم

﴿ كتب اخرى طبعت فى مطبعة الجوانب وهى من تأليف الشهم الهام ﴾

﴿ الامير السيد محمد صديق حسن خان بهادر ملك بهوبال العظيم ﴾

قرش

- ١٧ لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان وفى آخرها خيثة الاكوان
- فى افتراق الامم على المذاهب والاديان
- ١٠ حصول المأمول من علم الاصول
- ١٠ البلية فى اصول اللغة
- ٠٥ غصن البان المورق بمحسّنات البيان
- ٠٦ نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان
- ٠٤ العلم الخفاق من علم الاشتقاق

﴿ كتب تركية طبعت فى مطبعة الجوانب ﴾

- ٠٥ حقوق ملل مترجم من اللغة الفرنسية
- ٠٤ اخلاق حبيبه للاديب محمد سعيد افندى
- ٠٦ ديوان المرحوم صبرى شاكر الشهير
- ٠٣ تحميس قصيدة البردة للمرحوم نخبى افندى
- ١٠ تاريخ امرتقا وتفصيل اخبار كشفها

﴿ كتاب كنز الرغائب في متخبات الجواب اعنى بجمعها ﴾

﴿ مدير الجواب ﴾

قرش

٢٠ ﴿ الجزء الاول ﴾ يشتمل على ما في الجواب من الفصول اللطيفة

والمقامات الظرفية والمقالات الادبية

٢٠ ﴿ الجزء الثاني ﴾ يحوى على تفصيل ذكر حرب جرمانيا مع فرنسا

من اولها الى آخرها

١٥ ﴿ الجزء الثالث ﴾ يشتمل على بعض القصائد التى نظمها محرر

الجواب فى الاستانة وهى التى ادرجت بالجواب وهو جزء من ديوانه

١٠ ﴿ الجزء الرابع ﴾ يشتمل على القصائد التى نظمها افاضل العصر

من العلماء والادباء فى مدح محرر الجواب

٢٥ ﴿ الجزء الخامس ﴾ يشتمل على جميع ما فى الجواب من الحوادث

التاريخية و الوقائع الدولية التى حدثت فى الممالك العثمانية وفى الدول

الاجنبية من جللتها الاوامر والفرامين السلطانية وغير ذلك من المعاهدات

التي صدرت فى الخطوب الشهيرة

٢٥ ﴿ الجزء السادس ﴾ يشتمل على ما فى الجواب من الحوادث التاريخية

والوقائع الدولية من جللتها الاوامر والفرامين السلطانية التى صدرت

فى الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التى يحتاج اليها كل اديب

اريب ويرتاح اليها كل مؤلف لبيب

٢٥ ﴿ الجزء السابع ﴾ يشتمل على ما فى الجواب من الحوادث التاريخية

والوقائع الدولية من جللتها الاوامر السلطانية التى صدرت فى الخطوب

الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التى حدثت من سنة ١٢٩٥ الى غرة

ربيع الاول سنة ١٢٩٨

